جواهر المتنبي

عبد الله عمر خياط


بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١١ هـ ــ ١٩٩١ م

مقدمة

.. منذ فجر التاريخ ... والإنسان يبحث عن أداة يُعبِّر بها عن أحاسيسه وما يختلج في نفسه من مشاعر . أو يعْتَمل في عقله من أفكار تمور بداخله تجاه ما يرى ويشهد من جمال الطبيعة . ومفاتن الحياة بما ومن فيها أو عليها ...!

.. فالإنسان .. أي إنسان .. لا يكفيه أن يشاهد ويستمتع .. كما لا يكفيه أن يعيش ويتمتع . وإنما يهمه أن يكون له رأي .. وأن تُتاح له الفرصة للتعبير عما في عقله من مرئيات وأفكار .. وما في فؤاده من أحاسيس ومشاعر ..!

ولقد هداه تفكيره أول ما هداه .. إلى الرقص .. وليس هو بالطبع .. الروك أندرول .. أو الديسكو .. ولا حتى المزمار ولكنه رقص يشبه الحنجلة .. ولما لم يجد فيه بغيته . واصل البحث فاهتدى إلى النحت .. والرسم ولكنهما لم يعبرا عما في نفسه تماماً .. فكان أن اهتدى إلى الجملة من الكلام .. فالحداء الذي أخذ يتغنى به وهو يُساير الإبل . ومنه تولدت الموسيقى في طورها الأول .. ولكنه لم يجد في كل الأدوات ما يُمكّنه من تجسيد مشاعره وتصوير أحاسيسه بالشكل المعبر .. فكان أن اهتدى إلى الشعر الذي وجد فيه الكلمة النابضة .. والموسيقى الراقصة . والأداء المميز . ومن يومها أصبح كلفاً بالشعر... حفياً به .. محباً له .. سواء كان من وضعه .. أو من نظم غيره من المبدعين من أبناء جيله أو خلافهم ..فكل عربي يقول الشعر وإن اختلف المستوى ..!

وعلى امتداد التاريخ نبغ من الشعراء عدد كبير لازال الدهر يتغنى بشعرهم .. غير أن شاعراً واحداً — وإن جاء متأخراً عن السابقين الأولين — قد بز الجميع .. وشغل جميع الخلائق .. من مضى .. ومن هو آت .. وربما إلى آخر الدهر . ذلك هو المتنبي .

ذات يوم وأنا أتحدث مع الأستاذ الكبير والشاعر المبدع ضياء الدين رجب رحمه الله[1] .. عن الشعر .. والشعراء .. وجاء ذكر المتنبي فقلت له : إنه شاعر الدنيا ! فقال : والآخرة !

وفي القاهرة التقيت بفضيلة الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي[2] وجرى الحديث حول مختلف القضايا حتى جاء ذكر الشعر . فقال الشيخ : ليس ثمة شعراء الا الأحمدان المتنبي[3]... وشوقي[4] ولولا الحياء لقلت شوقي لا غير ..!!

فقلت : إلى هذا الحد !؟

قال : نعم فلئن كان المتنبي شاعر الدهر ... فإن شوقي هو بالتأكيد شاعر العصر . إذ أخذ من المتنبي ثم تفوَّق عليه بما ضَمَّن شعره من مبتكرات العصر وإبداعاته » .

ولقد كتب الكثيرون عن المتنبي .. وصدرت مئات الدراسات والمؤلفات التي تملأ المكتبة العربية عنه إلى جانب عشرات الطبعات لديوانه وشروحه .. ولا أظن .. بل أكاد أجزم أنه لا توجد مكتبة كبيرة أو صغيرة إلا وفيها عن المتنبي أكثر من كتاب .. وأكثر من دراسة إلى جانب ديوانه .. أو بالأصح دواوينه .. الكامل منها : والمشروح .. والمختار .. والمترجم إلى لغات أخرى .

وليس هذا فحسب .. بل إنه ما من إنسان يعقل .. إلا وهو يحفظ للمتنبي قصائده .. أو الكثير من أبياتها الشعرية الخالدة .. يتغنى أو يتسلى بها .. أو يتخذ منها شاهداً في المواقف والمناسبات .. فما من موقف ولا مناسبة يمر بها الإنسان في حياته إلا ويجد لها عند المتنبي شاهداً .. أو قولاً يجد فيه نفسه . أو يكون معبراً لما

---

(١) ضياء الدين رجب .. قاض .. وأديب .. وشاعر له ديوان عنوانه « زحمة العمر » اشتغل بالتدريس ، والقضاء ، والكتابة الأدبية في الصحف توفي يوم ٢٤ صفر سنة ١٣٩٦ هـ بمدينة الرياض ثم نقل إلى المدينة المنورة حيث دفن بها .

(٢) محمد متولي الشعراوي : إمام المفسرين في عصره .. وأديب وشاعر ، عمل بالتدريس في مصر والسعودية . وليبيا وتولى وزارة الأوقاف في عهد أنور السادات ثم تفرغ لتفسير القرآن والدعوة وله ديوان شعر واحد أصدره في مطلع حياته .

(٣) المتنبي : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ولد عام ٣٠٣هـ في محلة بالكوفة يقال لها كندة .

(٤) هو أحمد شوقي بك . ولد بالقاهرة ونشأ فيها . توفي عام ١٩٣٢م

في دخيلته . أو حتى مواسياً لما أُبتلي به .. يستوي في ذلك المثقف والجاهل وإن اختلف مقدار ما يحفظ كل منهما أو اختلف الفهم عندهما .

في إحدى المناسبات العامة .. كنت أسير وأحد أبناء الحارة فسألته عن حاله .. وعلاقته بمن يحيط به فما كان منه إلا أن قال متأنياً :

ولما صَارَ وُدّ الناس خِبّاً
جَزَيتُ على ابْتسِامٍ بابْتِسامِ
وصِرْتُ أشُكُّ فيمَنْ أصْطَفيه
لعلْمِي أنّهُ بَعضُ الأنَامِ

.. وذات يوم زرت قريباً لي لا يفك الحرف وقد أقعَدَتْهُ الحُمىٰ بالمنزل .. ولما قلت له بعد ما لا مست يدي جسده ووجدته غير ساخن : حمداً لله .. فقد ذهب البأس .. وخفت الحمى .. رد عليَّ بقول المتنبي :

وَزَائِرتي كَأنّ بها حَيَاءً
فَلَيسَ تَزُورُ إلاّ في الظَّلام
بَذَلتُ لهَا المطَارِفَ والحَشَايَا
فَعَافَتْها وبَاتَتْ في عِظامي

.. ولما قلت له : هَوِّنْ عليك .. فان المهم راحة البال .. رد عليَّ قائلاً :

تَصْفُو الحَياةُ لجاهِلٍ أوْ غافِلٍ
عَما مَضَى فيها .. وَمَا يُتَوقَعُ
وَلمَن يُغالِطُ في الحقائقِ نفسَهُ
وَيَسومُها طَلَبَ المُحالِ فتطمعُ

.. وفي هاواي بهونولولو .. لقيت صديقاً يعمل في التجارة وقد ارتفق صديقة نجلاء العينين فسألته عن الذي أوقعه فيما هو فيه رد عليّ قائلاً :

وما كنتُ مِمنْ يَدخُلَ العِشقُ قَلبَه
ولكنَّ من يُبْصِرْ جُفونَك يعشقِ

ثم أضاف .. وقد حرف المضمون بقدرة لم أتبين خلالها المغالطة التي عمد إليها عندما قال :

جُهْدُ الصبابةِ أن أكونَ كما ترى[1]
عينٌ مسهدة وقلبٌ يخفقُ
وَعَذلتُ أهْلَ العِشقِ حتى ذُقْتُهُ
فعجبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعشقُ

.. ولما رأيته بعد شهر في لوس أنجلوس .. مرتفقاً صديقته بادرني بقوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك من أحشائه

.. كل هذا والصديق إياه لا علاقة له بالأدب .. والشعر .. فهو من التجار الذين أمضوا حياتهم في العمل وكفاح الحياة .. شأنه شأن ذلك الثري الذي لا يهمه غير متابعة سعر الدولار في إقباله .. أو إدباره . وسمعته وقد تهيأ للجلوس على المقعد المجاور لي على الطائرة التي امتطيتها من باريس إلى جدة عن طريق جنيف بعد أن دخل علينا من محطتها وهو يردد :

ماذا الوداعُ وداعُ الوَامِقِ الكَمِدِ
هذا الوداعُ وداعُ الروحِ للجسدِ
إذا السحابُ زَفَتْهُ الريحُ مرتفعاً
فلا عدا الرملة البيضاءَ من بلدِ

(١) صحة البيت :

جهد الصبابة أن تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق

فكان أن قلت له : أو مفارق ؟ فقال :

أمـا الفـراقُ فـإنـه مـا اعهدُ
هـو تـوأمـي لـو أن بينـاً يـولـدُ

فقلت له : بإمكانك ان لا تُفارقْ .. وأن تعيش الدهر مع من أحببت !.. فرد عليّ يقول :

أبـني أبيـنا نحـن أهـلُ مـنازلٍ
أبـداً غُـرابُ البـين فيها ينعَقُ
نَبـكي علىٰ الـدُنيا ومـا مِـنْ مَعـشرٍ
جَمعتْـهُمُ الـدنيا فلـمْ يَتَفَـرَّقـوا

ثم أضـاف : ولا تنـس أنه مهما امتد اللقاء فلن يكـون أكثر من حلم .. فهذا الشاعر يقـــول :

نَصيبُـكَ فـي حَيـاتِـكَ مـن حبيـبٍ
نَصيبُـــك فـي مَنامِـكَ مِـنْ خَيَـالِ

قلت : أراك معجبـاً بالمتنـبي .. فكـل مـا سمعتـه منك هو من شعره !

قال : والله أنا ما أعرف إن كان من شعر المتنبي أو غيره .. ولكني حفظته مثلما حفظت غيره من الشعر الذي طالعته فى مطلع حياتي .

قلت : أوتحفظ شعراً ؟

قال : أبياتاً متفرقة . أتلذذ بترديدها بين الحين والآخـر .. مـن ذلك :

أُريدُ مِـنْ زَمَــني ذا أنْ يُبلِّغَــني
مَـاليَــس يَبْـلغُـهُ مِـن نفـسِهِ الزمنُ
مَـا كـلّ مـا يَتمَــنّي المـرْءُ يُدْرِكُـهُ
تَجري الـريـاحُ بمَـا لا تَشـتَهي السّفِنُ

.. و ..

اليَوْمَ عَهْدُكُمُ فأينَ الموعِدُ
هَيْهَاتَ ليس ليومِ عَهْدِكُمُ غَدُ

.. و ..

وَقنعتُ باللُّقيا وأوَّلِ نظرةٍ
إنَّ القليلَ مِنَ الحبيبِ كَثيرُ

.. و ..

وما عِشتُ مِن بَعدِ الأحبةِ سَلوةً
ولكنَّني لِلنائباتِ حَمُولُ
وإن رحيلاً واحداً حالَ بيننا
وفي الموتِ مِن بعدِ الرَحيلِ رحيلُ

.. و ..

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً
تَعِبَتْ في مُرادِها الأجسامُ

.. و ..

على قَدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ
وتأتي علىٰ قدرِ الكِرامِ المكارمُ
وتعظُمُ في عَينِ الصغيرِ صغارُها
وَتصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

.. و ..

يا أعْدَل الناسِ إلاَّ في مُعامَلَتي
فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحكمُ
أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنكَ صادِقةً
أن تَحْسِبَ الشَحمَ فِيمَنْ شَحمُهُ ورمُ

وما انتفاعُ أخي الدُنيا بِناظِرِهِ

إذا استَوَتْ عِندَهُ الأَنوارُ والظُّلَمُ

أنامُ مِلءَ جُفُوني عن شَوارِدِها

ويَسهَرُ الخَلقُ جَرَّاها ويَختَصِمُ

يا مَن يَعِزُّ عَلَينا أن نُفارِقَهمْ

وجداننا كُلَّ شيءٍ بَعدَكُمْ عَدَمُ

إذا تَرَحَّلتَ عن قَومٍ وقد قَدَروا

أن لا تُفارِقَهم فالراحِلُونَ هُمُ

شَرُّ البلادِ مكانٌ لا صَديقَ بِهِ

وشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

.. وهنا قلت له : إن جميع ما استمعت إليه منك الآن هو من شعر المتنبي .. وعجب منك أن تروي كل هذا الكم من الشعر دون أن يخالطه بيت لشاعر آخر ..

قال :لا عجيب .. ولا حاجة «بس» يظهر أنه ليس هناك شاعر يمكن أن يعطي مثل هذا الإبداع الذي يسكن الفواد فتختزنه الذاكرة .

.. ولقد ذكرتني الطريقة التي روى بها هذا الثري ما يحفظه من شعر المتنبي .. وقفزه من بيت لآخر .. ومن قصيدة لأخرى بموقف رائع تحرجت فيه ساعة غفلة لا أرى ما يمنع من روايته خاصة وأنه ذو علاقة بالمتنبي أيضاً .

فلقد دعتني شركة طيران الشرق الأوسط « الميدل إيست » خلال فترة رئاستي لتحرير عكاظ (١٣٨٥ ــ ١٣٩٠هـ) إلى رحلة لإيطاليا فاعتذرت إليها بحجة جهلي باللغة . فكان أن اختارت الصديق الأستاذ ــ كمال سنو[1] الذي كان يراسل عكاظ من بيروت .. يوم كانت بيروت تضيء بكل شيء .. ليكون رفيقي في هذه الرحلة ..

---

(١) كمال سنو أديب وصحفي لبناني مسلم عمل بالأهرام والأنوار والمستقبل وترأس تحرير الحسناء . والصياد وياسمين .. كما عمل بشركة العلاقات العامة .. إلى جانب مراسلته للمدينة .. وعكاظ .

فتوجهت من جدة إلى بيروت .. ومنها مع مرافقي إلى روما .. وعلى الطائرة التقينا بسكرتيرة أحد رؤساء تحرير الصحف اليومية ، كانت هي الأخرى ذاهبة إلى روما لقضاء أسبوع للراحة من عناء العمل ورنين الهاتف .. على حد تعبيرها الذي سمعته منها بعد أن عرَّفني عليها الزميل سنو .

.. وفي روما جاء نزولنا مصادفة في فندق واحد .. ولما كان وصولنا إلى الفندق قُبيل موعد الغداء فقد أصرَّت على دعوتنا لمشاركتها إياه في مطعم تحرص عند وصولها إلى روما في كل أجازة أو مناسبة أن تكون وجبتها الأولى به .. فاستجبنا لها على أن تقبل دعوتنا للعشاء معنا .

وعلى الغداء .. وفي العصر ونحن نتناول الشاهي والقهوة في أكبر ميدان بروما .. وعلى العشاء كنت والصديق نردد بعض ما نحفظ من أبيات شعرية .. إذ كان من عادتنا ونحن نسير في شوارع بيروت يوم كانت بيروت .. وكانت لها شوارع . أن يقول أحدنا بيتا من الشعر فيرُدَّ عليه الآخر ببيت آخر سواء من القصيدة نفسها أو من غيرها .. أوحتى لشاعر آخر على أن يكون المضمون واحداً .

ووفقاً لهذه العادة .. رَدَّدْتُ والصديق بعض الأبيات الشعرية على الغداء .. وكذلك خلال جولتنا بعد العصر في شوارع روما .. ولما حان وقت العشاء قال الصديق سنو وهو يسمع الألحان الموسيقية الصارخة من المطعم :

وشبيه صوت النعيِّ إذا قيس
بصوت البشير في كل نادِ

فقلت :

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي
نَوْحُ باكٍ ، ولا تَرَنّمُ شادِ

فرد قائلاً :

صَاحِ ! هَذِي قُبُورُنا تَمْلأ الرحبَ

فقلت : فأينَ القُبُورُ مِنْ عَهدِ عادِ

وَدفينٍ عَلَى بَقايا دفِينٍ
في طَويلِ الأزمانِ والآبادِ

وهنا فاجأتنا ضيفة الشرف بصوت مرتفع وهي تقول في شبه زجر وتقريع : كفاية تمزيق لرائعة المعــري !!

قلت لها : لا تمزيق ولا حاجة .. بس إحنا نتذاكر هكذا دائماً .

قالت : ليس بالروائع ولا على حساب المعري ..!

فشرح لها الأخ سنو ما تعودنا عليه .. ثم أضفت قائلاً . ومن ذا الذي يحفظ اليوم في عصر الفديو والتلفزيون مثل هذه القصيدة وبتتابع أبياتها ؟

قالت : إن كانت ذاكرتكما ضعيفة فليس الناس كلهم كذلك .. اسمع .. ثم راحت تعزف القصيدة بكاملها .. وتتبعها بثانية .. وثالثة وكأنها تقرأ في كتاب مفــتوح .

فقلت لها : تحبين المعري ؟

قالت : رسالتي في الماجستير عن المعري .. ولكن أنت تحب من مِنَ الشعراء ؟

قلت : المتنبي .. ولكني لا أحفظ له مثل ما تحفظين للمعري .

قالت : حتى المعري كان معجباً ومحباً للمتنبي .. فالمتنبي يحبه كل إنسان .. وكل عصر .. وما اخترت المعري لدراستي إلا لمحبته للمتنبي واحترامه له .. !

★ ★ ★

.. هذا هو المتنبي .. شاعر الدهر .. وشاغل الناس على مر العصور .. أو بالأصح هذا قليل . وقليل جداً مما قرأته وسمعته عنه .. وهو كثير .. وكثـير جداً سواء ما كان في الكتب .. أو الدراسات الأكاديمية .. أو ما نقله المذياع والتلفاز ونشرته الصحف .. إلى جانب عشرات الطبعات لديوانه أو ما تم إختياره منه .

ولقد كان آخر ما قرأت من المختارات .. ما صدر العام الماضي في كتاب بعنوان « لآلِئ المتنبي » من إعداد ــ نبيل الفضل ــ والحق أنه كان مذهلاً بل وغريباً وسيئاً إلى حد الإزعاج .

.. فما تضمنه الكتاب لم يكن أفضل ولا أروع ما عند المتنبي وهو كثير .. ومع هذا فلا اعتراض لنا على ذلك فقد يكون هذا هو مستوى ذوق السيد نبيل .

.. والناس أحرار فيما يفضلون .. أو يختارون .. ولكن ما يزعج بل ويؤلم أن تأتي الأبيات الشعرية التي وقع الاختيار عليها متراكبة بعضها فوق بعض .. أو متتابعة بعضها إثر بعض .. لا تفصل بينها إشارة أو عبارة توضح للقارىء إختلاف القصائد التي تم الاختيار منها .. فضلاً عن ذكر مطلع القصيدة أو مناسبتها .. وكذلك عدم شرح ما يجب شرحه من المعاني والكلمات .. كما فعل الآخرون من قبل .. وهذا هو ما دفعني لأن أعكف مجدداً على دراسة ديوان المتنبي وإخراج جواهر اللآلىء مما في الديوان من أبيات شعرية رائعة . وإصدارها فى هذا الكتاب مع شرح موجز لبعض المعاني والكلمات التي يتعذر على القارىء العادى فهمها آملًا أن أكون بذا قد أصلحت ما أفسده « الفضل » وأن يجد القارىء في هذه المختارات التي سميتها .. « جواهر المتنبي » ما يرضي ذوقه ويثري محفوظاته . وَيُبْهِجُ مشاعره .. فإن الشعر الذي هو ديوان العرب .. آخر أداة من أدوات التعبير التي اهتدى إليها الإنسان وارتضاها وقنع بها لتكون الوسيلة الفُضلى للإفصاح عن مشاعره .. والإعلان عن مقاصده .. والإظهار لعواطفه .. وفي شعر المتنبي الكثير من ذلك كما سنرى .

.. وتبقى كلمة أخيرة بشأن ماتم إختياره من روائع المتنبي مما تضمنه هذا الكتاب .. حيث إعتمدت مراحل العمر .. أو بالأصح المنعطفات التاريخية في حياة المتنبي ، فأوردت المختارات تبعاً لذلك . فجاء ما قاله في مستهل حياته أولًا .. وهو بعنوان « عهد الصبا » ثم مرحلة مصاحبته لسيف الدولة وهو بعنوان « في رحاب سيف الدولة » فمعايشته كافور بمصر وهو بعنوان « على ضفاف النيل » .. ثم لقائه بالحاتمي في بغداد .. فمدحه ابن العميد وأبيات من مساجلاته معه .. ثم آخر ما قاله خلال تواجده عند عضد الدولة بن بُوَيه الديلمي وكل ذلك تحت عنوان « بين ماء الرافدين » ثم بعنوان « المتفرقات » وهو ماروي في بعض المصادر منسوباً إلى المتنبي إعتماداً على رواية الشيخ ناصيف اليازجي الذي استعنت بجهده وما قدمه من عمل جليل في كتابه « العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب » في إعداد هذا الكتاب . وما تضمنه من شروح وتراجم والله من وراء القصد ،،،

شهر محرم ١٤١١هـ

من هو المتنبي ؟ !

لا أحسب أن من المهم في كتاب صغير نسبياً كهذا . لا يحمل بين دفتيه غير الروائع . سرد تاريخ الشاعر في الحياة وما مر به من ظروف . أو مرت به من إحن . أو تعرض له من مواقف . فحسب القارىء منه الاستمتاع . بما فيه من جواهر شعرية تتناول مختلف أغراض الحياة ، كما وأن سيرة المتنبي وترجمة حياته قد عنيت بها الدراسات وحفلت بها المؤلفات . وتضمنتها العديد من الطبعات لديوانه . ولذا فإني سأكتفي بالموجز لمراحل حياته ولمن أراد سعة في ذلك فسيجده في مظانه تلك .

ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في محلة يقال لها كِنْدة بالكوفة عام ثلاث وثلاث مائة (٣٠٣ هـ) وهو نفس عام ولادة سيف الدولة (أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان العدوي) الذي سيكون له معه شأن وأي شأن .

فلقد خرج المتنبي من الكوفة إلى الشام في صباه حيث نشأ بها .. وتأدب على من لقي من علمائها وأدبائها إلى أن استطاع أن يكون نادرة الزمان في عالم الشعر ويبز جميع معاصريه فأخذ يتنقل بين مدن الشام يمدح أمراءها وأشرافها . حتى التقى بسيف الدولة واتصلت بينهما أسباب المودة .

فلقد كان سيف الدولة ــ كما تقول المصادر التي نستقى منها هذا الموجز لترجمة المتنبي ــ ملكاً على حلب التي انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي (عام ٣٣٣ هـ) .. وكان سيف الدولة محباً للشعر والشعراء إذ كان هو نفسه أديباً وشاعراً .. وقد اجتمع ببابه من الشعراء عدد لم يجتمع مثله بباب غيره من الحكام بعد خلفاء بني أمية وبني العباس كما قيل .. إذ لم يكن من الحكام من هو أغزى منه

حتى أنه جمع من نفض الغبار المتراكم على جسده وملابسه في غزواته قدراً صنع منه لبنة بحجم الكف وأوصى بأن توضع تحت خده في اللحد . ونفذت وصيته .

وكانت مناسبة اتصال المتنبي بسيف الدولة . أن سيف الدولة قدم إنطاكية (سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة) .. فالتقى بالمتنبي عند « أبي العشائر » فتعرف عليه . وعرف مقدار براعته في نظم الشعر فكان أن طلب سيف الدولة من المتنبي مصاحبته . فاشترط هذا عليه إن هو صاحبه أنه لاينشده الشعر إلا وهو جالس . ودون تقبيل الأرض بين يديه فوافق على ذلك سيف الدولة ومنحه المكانة الفضلى وقربه وأجازه الجوائز القيمة إلى جانب قاعدة سنوية مقدارها ثلاثة آلاف دينار وهدايا المناسبات وإقطاعات الأراضي .

وبعد تسع سنوات حافلة بالعطاء قيل أن ما نظمه المتنبي خلالها في مدح سيف الدولة يبلغ ثلث شعره .. سعى الوشاة والمنافسون وفي مقدمتهم — أبو فراس الحمداني — وهو شاعر وقريب لسيف الدولة .. في بذر أسباب الخلاف الذي اضطر المتنبي على إثره مغادرة الشام (سنة ست وأربعين وثلاث مائة) إلى مصر حيث لقي كافور الإخشيدي الذي أجزل له العطايا ، كما وعده أن يبلغه كل ما يطمح إليه .. ولكن ذلك ظل مجرد وعد من كافور ولما لم يتحقق حلم المتنبي الذي هو ، تَولي ولاية إحدى الإمارات أو المحافظات بلغة اليوم بادر إلى هجاء كافور بأقذع قصيدة ، ومغادرة مصر في أواخر (سنة خمسين وثلاث مائة) متوجهاً إلى بغداد .. ومنها إلى بلاد فارس عبر أرجان التي كان بها ابن العميد فمدحه وله معه مساجلات عدة . ثم ودعه وسار قاصداً عضد الدولة بن بُوَيه بشيراز فمدحه هو الآخر وحظي عنده بالكثير .. ثم انصرف عنه عائداً إلى بغداد فالكوفة في أوائل شهر شعبان (سنة أربع وخمسين وثلاث مائة) . فاعترضه في الطريق فاتك بن أبي جهل الأسدي ومعه جماعة من أصحابه أكثر عدداً من الجماعة التي كانت ترافق المتنبي فجرت بينهما مناوشات ومعارك قتل في نهايتها بالأيام الأخيرة من شهر رمضان من ذلك العام ، المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح . بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من أسوار بغداد وقد توفي بعده بعامين سيف الدولة (سنة ٣٥٦هـ) .

مات المتنبي من قبل أكثر من ألف عام وظل شعره شاغل الناس إلى يومنا وربما إلى آخر الدهر .. وهو ما كان يطمع فيه عندما قال :

وما الـدهـر إلا مـن رواة قصـائـدي

إذا قـلـت شـعـراً أصبـح الـدهر منشداً

★ ★ ★



عهد الصِّبا وشرخ الشباب[1]

.. يُروىٰ أن أول شعر نظمه المتنبى وهو صبي . جاء إرتجالاً .. ومع ذلك يدخل ضمن الجواهر إذ يقول :

بـأبي مَـنْ وَدِدْتُـهُ فَـافْتَـرَقْنَـا ... وقَـضَى اللهُ بَـعْـدَ ذَاكَ اجْتِمـاَعَـا [2]

فَـافْتَرَقْنـاَ حَـوْلاً فَـلمّـا التَـقَيْـنَـا ... كَـانَ تَسْـلِيمُـهُ عَـليّ وَدَاعَــا[3]

★ ★ ★

ومما قاله في صباه أيضاً :

أبْـلى الهَـوَى أسَفَــاً يَوْمَ النّوَى بـدَني ... وَفـرّقَ الهَـجْـرُ بَينَ الجَفْنِ والوَسَنِ[4]

رُوحٌ تَـرَدّدَ فـي مثلِ الخِـلالِ إذا ... أطَـارَتِ الـرّيحُ عنـهُ الثّـوْبَ لم يَبنِ[5]

كفَـى بِجِسْـمِي نُـحُـولاً أنّـني رَجُــلٌ ... لَـوْلا مُخـاطَبَتِي إيّـاكَ لـمْ تَـرَني[6]

★ ★ ★

وقوله أيضاً :

لـوْلا مُفـارَقَـةُ الأحبـابِ مـا وَجَـدَتْ ... لهـاَ المَنَـايَـا إلى أرْوَاحِنَـا سُـبُـلا[7]

بمـاَ بجفْـنَيْـكِ من سِـحْـرٍ صِـلِي دَنِفـاً ... يهـوَى الحَيَـاةَ وَأمّـا إنْ صَدَدتِ فَلا[8]

---

(١) شرخ الشباب : هو ما بين الخامسة عشر والأربعين من العمر

(٢) البـاء للتفدية .

(٣) حولاً : عاماً .

(٤) أسفاً مفعول مطلق محذوف العامل والتقدير آسف أسفاً . والنوى البعد . والوسن النوم .

(٥) الخلال عود دقيق تخلل به الأسنان . ويروى الخيال . أي أن روحه تجيء وتذهب في بدن قد نحل حتى صار مثل الخلال لو طيرت الريح الثوب الذي عليه لم يظهر لرقته .

(٦) يقول لصاحبه كفاني من فعل النحول أنني قد خفيت عن أعين الناظرين حتى أنني لو لم أكلمك لم تعرف مكاني ولا أبصرتني عيناك !

(٧) المنايا : جمع المنية وهي الموت .

(٨) الباء في قوله بما بجفنيك للقسم . ومن بعده بيانية أي بالسحر الذي بجفنيك . والدنف الذي أثقله المرض .

إلّا يَشِبْ فَلَقَدْ شابَتْ لَهُ كبدٌ   شَيْبًا إذا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلا[١]
يَحِنّ شَوْقاً فَلَوْلا أنّ رَائحَةً   تَزورُهُ مِن رِياحِ الشَرْقِ ماَ عَقَلا[٢]

هذه الأبيات من قصيدة مطلعها :

أحيْاَ وَأيْسَرُ مَا قاسَيْتُ ما قَتَلا   وَالبَينُ جارَ على ضُعْفي وَمَا عَدلَا[٣]
وَالوَجدُ يَقوَى كما تَقوَى النّوَى أبداً   وَالصّبْرُ يَنحَلُ في جسمي كما نَحِلا[٤]

★ ★ ★

ومن قصائد عهد الصبا تلك التي يقول في مطلعها :

كَمْ قَتيلٍ كمَا قُتِلْتُ شَهيدِ   بِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُدودِ[٥]
وَعُيُونِ المَهَا وَلا كَعُيُونٍ   فَتَكَتْ بالمُتَيَّمِ المَعْمُودِ[٦]
دَرَّ دَرُّ الصِّبَا أأيّامَ تَجْريـ   ـرِ ذُيُولي بدارِ أثْلَةَ عُودِي[٧]
عَمْرَكَ اللهَ ! هَل رَأيتَ بُدوراً   طَلَعَتْ في بَراقِعٍ وعُقُودِ[٨]
رَامِياتٍ بأسْهُمٍ رِيشُهَا الهُدْ   بُ تَشُقّ القُلوبَ قبلَ الجُلودِ[٩]

---

(١) ذهب خضابه . كنى بشيب كبده عن الضعف لأنه من لوازم الشيب غالباً . يريد أن ذلك الشيب إذا خضبته سلوة لم يلبث خضابها أي إذا سلا حيناً لم يلبث الشوق أن يعود لأن سلوته لا تدوم .

(٢) يحن من الحنين وهو الصبوة والطرب . ويروي يجن ، بالجيم ، من الجنون . والأول أحسن والثاني أليق بالمقام ليوافق قوله عقل في آخر البيت .

(٣) يخبر عن نفسه بأنه باق في الحياة مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل وذلك على سبيل التعجب .

(٤) الوجد الحزن والشوق . والنوى البعد . أي أن الوجد يزداد مثل ازدياد بعد الأحبة والصبر يضعف مثل ضعف جسمه .

(٥) شهيد نعت قتيل . والطلى جمع طلية وهو العنق .

(٦) المها بقر الوحش تشبه عيون النساء بعيونها . والمتيم الذي استعبده الحب . والمعمود الذي أضناه الحب وأوجعه يعني بذلك نفسه . يقول : كم قتيل قتل بعيون أحبته التي هي كعيون المها وليست تلك العيون التي قتلته كالعيون التي قتلتني فإنها لا تشبه بغيرها .

(٧) يقال در دره أي كثر خيره لأن الخير في ذلك عند العرب . وأيام منادى . وتجرير الذيول كناية عن اللهو والسرور . ودار أثلة موضع بظهر الكوفة . ينادي هذه الأيام ويتمنى أن تعود له .

(٨) العمر اسم بمعنى التعمير وهو إطالة العمر . وهو واسم الجلالة منصوبان بمضمر أي اسأل الله تعميرك .

(٩) راميات نعت بدوراً في البيت السابق . ويريد بالأسهم العيون . والهدب الشعر الذي على أشفار الأجفان شبهه بريش السهم . أي أن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها من غير أن تشق الجلود بخلاف الأسهم المعهودة .

ومنها هذه الأبيات المتفرقة :

هَـذِهِ مُـهْجَتي لَدَيْـكِ لحَيْني ... فانْقُصِـي مِـنْ عَـذابـها أَوْ فَزيدي[1]

شَيْـبُ رَأسِـي وَذِلَّتي ونحُـولي ... وَدُمُـوعـي عَـلى هَـوَاكَ شُـهُـودي

أيَّ يَـوْمٍ سَـرَرْتَـني بوِصـالٍ ... لـمْ تَـرُعْـني ثَـلاثَـةً بِصُــدُودِ[2]

مَا مُقامـي بأرْضِ نَخْلَــةَ إلاّ ... كمُقـامِ المَسِيـحِ بَيْـنَ اليَهُـودِ[3]

أيـنَ فَضْلـي إذا قَـنِعْتُ مـنَ الدّهْـ ... ـرِ بعَيْشٍ مُـعَجَّـلِ التّنكيــدِ

ضـاقَ صَـدري وطالَ فـي طلَبِ الرّزْ ... قِ قيـامي وَقَـلّ عَـنهُ قُـعُودِي

أبَـداً أقْـطَـعُ الـبِلادَ وَنَـجْـمي ... فـي نُـحُوسٍ وَهـمّتي في سعُوُدِ[4]

وَلَعَلّي مُـؤمِّلٌ بَعْض مَـا أبْـ ... ـلُغُ باللّطْفِ مـن عَـزيزٍ حَـميـدِ[5]

لِسَرِيٍّ لِباسُهُ خَـشِـنُ القُـطْـ ... ـنِ وَمَـرْوِيُّ مَـرْوَ لِبْــسُ القُـرُودِ[6]

عِـشْ عـزيزاً أو مُـتْ وَأنتَ كَـرِيمٌ ... بَـينَ طَعْنِ القَنَا وَخَـفْقِ البُنُـودِ[7]

فَـرُؤوسُ الـرّمَـاحِ أذْهَـبُ للغَيْـ ... ـظِ وَأشفَـى لِـغلّ صَـدرِ الحَقُـودِ[8]

لا كَـما قـد حَيِيـتَ غَـيرَ حَـميـدٍ ... وإذا مُـتَّ مُـتَّ غَـيْـرَ فَـقيدِ[9]

---

(١) حيني هلاكي . أي هذه مهجتي مسلمة إليك لأجل هلاكي .

(٢) أي استفهامية . وقوله لم ترعني حال من التاء في سررتني ، يقال راعه وروعه أي أفزعه . يقول : إنك لم تسرني يوماً بالوصال إلا رعتني ثلاثة أيام بالصدود .

(٣) مقامي مصدر ميمي بمعني إقامتي . وأرض نخلة قرية لبني كلب عند بعلبك . يريد أن أهل هذه القرية أعداء له كما كانت اليهود أعداء للمسيح .

(٤) يريد أنه عالي الهمة دائب السعي وإن قل حظه من الرزق .

(٥) أي لعل الله يبلغني فوق ما أرجو فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . وقيل الكلام على القلب أي لعلي أبلغ بلطف الله بعض ما أرجوه .

(٦) السري الشريف يعني به نفسه . والمروي ثياب رقاق تنسج بمرو وهي بلد بفارس . أي ابلغ ما ذكر بلطف الله لهذا السري الذي لباسه القطن الخشن والعرب تتمدح بخشونة الملبس وتعيب النعمة والترف . ويُروى بسري أي ابلغه بإقدام هذا السري وهمته .

(٧) الأعلام الكبيرة .

(٨) غل حقد .

(٩) أي لا تعش كما عشت إلى الآن في حال الذل لا تقدر على الصنيعة حتى تحمدك الناس وإذا مت يجدون مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يبالون بموتك .

فاطْلُبِ العِزّ في لَظَى وَدَعِ الذّ ل وَلَوْ كانَ في جِنانِ الخُلُودِ[1]

يُقْتَلُ العاجِزُ الجَبَانُ وقَدْ يَعـ ـجِزُ عَن قَطْعِ بُخْنُقِ المَولود[2]

وَيُوَقَّى الفَتى المِخَشُّ وقَدْ خوّ ضَ في ماءِ لَبّةِ الصّنْديدِ[3]

لا بقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفوا بي وَبنَفْسِي فَخَرْتُ لا بجُدودِي

وبِهِمْ فَخْرُ كلّ مَنْ نَطقَ الضّا دَ وَعَوْذُ الجاني وَغَوْثُ الطّريدِ[4]

إنْ أكُنْ مُعجَباً فعُجبُ عَجيبٍ لَمْ يَجدْ فَوق نَفْسِهِ من مزَيدِ[5]

أنا تِرْبُ النّدَى وَرَبُّ القَوافي وَسِمَامُ العِدَى وغَيظُ الحَسودِ[6]

أنا في أُمّةٍ تَدارَكَهَا اللّـ ـهُ غَريبٌ كصَالِحٍ في ثَمودِ[7]

* * *

ومن شعر الصبا قوله :

كَتَمْتُ حُبّكِ حتى منكِ تكرِمَةً ثمّ استَوَى فيهِ إسراري وإعْلاني

كأنّهُ زادَ حتى فَاضَ عَن جَسَدي فصارَ سُقْمي بهِ في جِسْمِ كِتماني[8]

* * *

(١) لظى جهنم .

(٢) البخنق خرقة يقنع بها الرأس وتشد تحت الحنك يعني ليس الجبن والعجز من أسباب البقاء فلا تعجز ولا تجبن .

(٣) المخش الجريء على الليل . وخوض بالغ في الخوض . واللبة أعلى الصدر والمراد بمائها دمها . والصنديد السيد الشجاع . والبيت تتمة لمعنى البيت السابق أي وكذلك الشجاع الهجوم على موارد الهلكة يسلم منها وهو قد خاض في الحروب حتى غاص في دماء القتلى .

(٤) المراد بمن نطق الضاد العرب لأن هذا الحرف لا يوجد في غير العربية . والعوذ الالتجاء . والغوث النصرة . والطريد المطرود . والبيت احتراس أورده دفعاً لما يتوهم في البيت السابق من كون جدوده ليسوا أهلًا لأن يفتخر بهم .

(٥) المعجب الذي يفتخر بنفسه . أي إن كنت معجباً بنفسي فهذا العجب صادر من رجل عجيب لا يجد لأحد مزية عليه في الشرف فلا سبيل لإنكار افتخاري .

(٦) ترب الانسان من ولد معه . والندى الجود . والسمام جمع سم .

(٧) قوله تداركها الله جملة دعائية معترضة . قال ابن جني إنه بهذا البيت لقب بالمتنبي .

(٨) الضمائر كلها للحب . يقول : كتمت حبك حتى غلب علي الوجد فظهر وتساوى فيه كتمي وإفشائي فكأنه زاد حتى فاض عني وصار جسماً على جسمي وحينئذ سرى سقم جسمي إلى الكتمان فضعف وافتضح ما كان مكتتماً عندي .

وقوله في أبيات أُخرى :

أحْبَبْتُ بِرّكَ إذْ أرَدْتَ رَحيلا ... فوَجَدْتُ أكثرَ ما وَجَدْتُ قَليلا[1]

وَعَلِمْتُ أنّكَ في المَكارِمِ راغِبٌ ... صَبٌّ إليْهَا بُكْرَةً وَأصِيلا[2]

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إليّ هَدِيّةً ... مِني إلَيْكَ وَظَرْفَها التّأمِيلا[3]

بِرٌّ يَخِفّ عَلى يَدَيْكَ قَبُولُهُ ... وَيَكُونُ مَحْمِلُهُ عَلَيّ ثَقِيلا[4]

★ ★ ★

ومن روائع قصائد عهد الصبا هذه التي يقول في مطلعها :

أرَقٌ عَلى أرَقٍ وَمِثْلي يَأرَقُ ... وَجَوىً يَزيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقْرَقُ[5]

جُهْدُ الصّبابةِ أنْ تكونَ كما أُرَى ... عَينٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفِقُ[6]

مَا لاحَ بَرْقٌ أوْ تَرَنّمَ طائِرٌ ... إلّا انْثَنَيْتُ وَلي فُؤادٌ شَيّقُ[7]

ثم يواصل فيقول :

جَرّبْتُ مِنْ نَارِ الهَوَى ما تَنطَفي ... نَارُ الغَضَا وَتَكِلُّ عَمّا يُحْرِقُ[8]

وَعَذَلْتُ أهْلَ العِشْقِ حتى ذُقْتُهُ ... فعجبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعشَقُ[9]

---

(١) يريد أحببت أن أسدي إليك براً فوجدت أكثر ما عندي قليلا عليك .

(٢) الصب المشتاق . والأصيل ما بين العصر إلى غروب الشمس أي بكرة ومساء .

(٣) أي فجعلت ما تعودت أن تهديه إلي هدية مني إليك وجعلت ظرفها حسن الرجاء فيك .

(٤) أي هذه الهدية يخف عليك قبولها لأنها من مالك ولكن يثقل علي محمل قبولك إياها أي شكرك عليه لأنه يكون منة عظيمة .

(٥) الأرق السهر وهو مبتدأ محذوف الخبر أي لي أرق . والجوى الحرقة من حزن أو عشق . والعبرة الدمعة . وتترقرق تسيل .

(٦) الجهد الطاقة والوسع ، يقال جهدك أن تفعل كذا أي مبلغ ما يصل إليه اجتهادك . والصبابة رقة الشوق . يقول : إن جهد ما تفعله الصبابة هذه الحالة التي أنا فيها يعني أنها قد بلغت منه كل مبلغ .

(٧) إنثنيت رجعت . والشيق المشتاق . وذلك لأن البرق إذا لاح يتذكر به العاشق ارتحال أحبته لانتجاع المنازل وربما لاح من الجهة التي هم بها . وكذلك ترنم الطائر .

(٨) الغضا شجر تبقى ناره طويلًا . وما من قوله ما تنطفي اسم موصول مفعول جربت . والضمير في يحرق عائد إلى ما المذكورة . أي أن الذي قاساه من نار الهوى تنطفيء نار الغضا وهو مشتعل وتكل عن إحراق ما يحرقه .

(٩) يريد أن يعظم أمر العشق وبلاءه حتى ادعى أن لا سبب للموت غيره .

وَعَـذَرْتُهُـمْ وعَرَفْتُ ذَنْبي أنّني عَيّرْتُهُـمْ فَلَقيتُ منـهُ ما لَـقُوا[١]

أبَـني أبِينَا نَـحْنُ أهْـلُ مَنَـازِلٍ أبَـداً غُرابُ البَيَنِ فيها يَنْعَـقُ[٢]

نَبْـكي على الدّنْيا وَمَـا مِنْ مَعْشَـرٍ جَمَعَتْهُـمُ الدّنْـيا فَلَمْ يَتَفرّقُـوا

أينَ الأكـاسِـرَةُ الجَبابِـرَةُ الأُلـى كَنَزُوا الكُنُـوزَ فَـما بَقينَ وَلا بَقوا[٣]

من كـلّ مَن ضاقَ الفَضـاءُ بجَيْشِهِ حتى ثَـوَى فَـحوَاهُ لَحْـدٌ ضَيّقُ[٤]

خُرْسٌ إذا نُـودوا كأنْ لم يَعْلَمُـوا أنّ الكَـلامَ لَـهُمْ حَـلالٌ مُـطلَقُ[٥]

فالمْوت آتٍ وَالنّفُـوسُ نَفـائِـسٌ وَالمُسْتَغِرُّ بِـمَا لَدَيْهِ الأحْـمَـقُ[٦]

وَالمَرْءُ يأمُـلُ وَالحَيَـاةُ شَهِيّـةٌ وَالشّيْـبُ أوقَـرُ وَالشّبيبَـةُ أنْـزَقُ[٧]

وَلَقَـدْ بَـكَيْـتُ على الشّبابِ وَلمّتي مُـسْوَدّةٌ وَلِمَـاءِ وَجْـهي رَوْنَـقُ[٨]

حَـذَراً عَـلَيْهِ قبلَ يَوْمِ فِراقِهِ حتى لَكِدْتُ بمَـاءِ جفَني أشرَقُ[٩]

وفي ختام هذه الرائعة يقول :

يـا ذا الذي يَهَـبُ الكَثيرَ وَعِـنْدَهُ أنّـي عَلَيْـهِ بأخْـذِهِ أتَصَـدّقُ[١٠]

---

(١) ويُروى فيه بدل منه .

(٢) أبني أبينا نداء أي يا إخوتنا . انتقل من الغزل إلى الوعظ وذكر الموت . قال الواحدي : ومثل هذا يستحسن في المراثي لا في المدائح .

(٣) الضمير في بقين للكنوز وفي بقوا للأكاسرة .

(٤) من تفسيرية والجار والمجرور في موضع الحال من الأكاسرة . ومن المضافة إليها كل نكرة موصوفة والجملة بعدها صفتها . والفضاء الأرض الواسعة . وثوى بمعنى أقام أي ثوى في قبره . ويُروى توي بالتاء المثناة وكسر الواو أي هلك . واللحد الشق في جانب القبر .

(٥) أي كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم . قال الواحدي : لو وصفهم بالعجز عن الكلام لكان أولى وأحسن مما قال لأن الميت لا يوصف بما ذكره .

(٦) المستعز أي المعتز . ويروى المستغر من الغرور .

(٧) أوقر من الوقار وهو الرزانة . وانزق من النزق وهو الطيش . أي أن الإنسان يكره الشيب وهو خير له لأنه يكسبه الحلم والرزانة ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الخفة والطيش .

(٨) اللمة الشعر يجاوز شحمة الأذن والواو قبلها للحال . والرونق الحسن والطلاوة .

(٩) حذراً مفعول له وعامله بكيت . واللام في لكدت للتوكيد والأصل لقد كدت فحذف قد للوزن .

(١٠) وعنده أي في اعتقاده .

أمْطِرْ عَليّ سَحابَ جُودِكَ ثَرّةً ... وَانظُرْ إليّ برَحْمَةٍ لا أغرَقُ[1]
كَذَبَ ابنُ فاعِلَةٍ يَقُولُ بجَهْلِهِ ... ماتَ الكرامُ وَأنْتَ حَيٌّ يُرْزَقُ

★ ★ ★

ويستهل قصيدته التي يمدح بها على الطائي .. وهى من شعر عهد الصبا بقوله :

حُشاشةُ نَفسٍ وَدّعتْ يوْمَ وَدّعوا ... فَلَمْ أدرِ أيّ الظّاعِنَين أُشَيِّعُ[2]
أشاروا بتَسْليمٍ فَجُدْنَا بأنْفُسٍ ... تَسيلُ مِنَ الآماقِ وَالسَّمُ أدْمُعُ[3]
حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكيٍّ مِنَ الهَوَى ... وَعَيْنَايَ في رَوْضٍ من الحسنِ تَرْتَعُ[4]
وَلَوْ حُمّلَتْ صُمُّ الجِبالِ الذي بِنَا ... غداةَ افترَقْنا أوْشكَتْ تَتَصَدّعُ[5]
بمَا بَينَ جَنبيّ التي خاضَ طَيْفُهَا ... إليّ الدّياجي وَالخَلِيّونَ هُجّعُ[6]
أتَتْ زائِراً ما خامَرَ الطّيبُ ثَوْبَها ... وكالمِسْكِ مِن أرْدانِها يَتَضَوّعُ[7]
فما جلَسَتْ حتى انثَنَتْ توسعُ الخُطى ... كَفاطِمَةٍ عن دَرّها قَبلَ تُرْضِعُ[8]

---

(١) يقال سحاب ثرة وعين ثرة أي غزيرة الماء .

(٢) الحشاشة بقية الروح في المريض . والظاعنين المرتحلين ويُروى بلفظ التثنية على جعل كل واحد من الطرفين فريقاً أو على إرادة الحشاشة والحبيب الذي هو أحد المودعين . ويُروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة والأحبة الذين ذكرهم بقوله ودعوا .

(٣) الآماق جمع المأق وهو طرف العين مما يلي الأنف . والسم مخففة لغة في الاسم . أي أنهم أشاروا إلينا بالسلام فجدنا بدموع تذيبنا فهي في الحقيقة أرواح لأننا نتلف بسيلانها منا ولكن اسمها دموع .

(٤) أفرد الضمير لأن العينين في حكم واحدة إذ لا تكاد تنفرد إحداهما برؤية دون الأخرى . ويُروى عيني بالافراد .

(٥) الصم جمع الأصم وهو الصلب . وتتصدع تتشقق .

(٦) الباء للتفدية . وكنى بما بين جنبيه عن قلبه . والطيف الخيال يأتي في النوم . والدياجي الظلمات . والخليون جمع الخلي وهو الذي خلا فؤاده من العشق . والهجع النيام .

(٧) استعمل الزائر اسماً كالضيف أو على معنى شخص زائر وهو حال من فاعل أتت . وخامر بمعنى خالط . والكاف في كالمسك اسم بمنزلة مثل وهو مبتدأ خبره الجملة بعده . والأردان جمع الردن وهو أصل الكم . ويتضوع يفوح .

(٨) أي قبل أن ترضع فلما حذف ان رفع الفعل وقد مر مثله .

فَشَرَّدَ إعظامي لهَا ما أتَى بهَا مِنَ النّوْمِ والتّاعَ الفُؤادُ المُفَجَّعُ[1]
فَيَا لَيْلَةً ما كانَ أطْوَلَ بِتُّهَا وَسُمُّ الأفاعي عَذْبُ ما أتَجَرّعُ[2]
تذلّلْ لها وَاخضَعْ على القرْبِ والنّوَى فَما عاشِقٌ مَن لا يَذِلّ وَيَخْضَعُ

وفي ختام هذه القصيدة يخاطب الطائي بقوله :

ألا كُلّ سَمْحٍ غيرَكَ اليَوْمَ باطِلٌ وكُلّ مَديحٍ في سِواكَ مُضَيَّعُ

★ ★ ★

ومن روائع ما قاله المتنبي في صباه هذه القصيدة التي يقول في مستهلها :

ضَيْفٌ ألَمّ برَأسِي غيرَ مُحْتَشِمِ ألسّيفُ أحْسَنُ فِعْلًا منهُ باللِّمَمِ[3]
إبْعَدْ بَعِدْتَ بَياضاً لا بَيَاضَ لَهُ لأنْتَ أسْوَدُ في عَيني مِنَ الظُّلَمِ[4]
بحُبّ قاتِلَتي وَالشّيْبِ تَغْذِيَتي هَوَايَ طِفْلًا وَشَيبي بالِغَ الحُلُمِ[5]
فَمَا أمُرّ بِرَسْمٍ لا أسَائِلُهُ وَلا بذاتِ خِمارٍ لا تُرِيقُ دَمي[6]
تَنَفّسَتْ عَن وَفاءٍ غيرِ مُنصَدِعٍ يَوْمَ الرّحيلِ وشَعْبٍ غَيرِ مُلْتَئِمِ[7]
قَبّلْتُها وَدُمُوعي مَزْجُ أدْمُعِهَا وَقَبّلَتْني على خَوْفٍ فَماً لفَمِ

(١) إعظامي لها بمعنى استعظامي . والتاع أي احترق . والمفجع الموجع . أي أن استعظامه لخيالها نفى عنه النوم الذي كان سبباً لوصوله إليه فاحترق فؤاده لفقد رؤيتها .

(٢) يريد ما كان أطولها فحذف الضمير للوزن . وتجرعه شربه على تكلف واستكراه . أي تجرعت من مرارة فراقها ما يكون سم الأفاعي عذباً بالنسبة إليه .

(٣) أراد بالضيف الشيب . وألم بمعنى نزل . والمحتشم المنقبض حياء . واللمم جمع لمة وهي الشعر يجاوز شحمة الأذن .

(٤) إبعد أمر من بعد ، بكسر العين ، بمعنى هلك . ومثله بعدت وهو دعاء . وبياضاً تميز .

(٥) بحب قاتلتي خبر مقدم وتغذيتي مبتدأ . وهواي بدل من حب . وشيبي بدل من الشيب . وطفلا وبالغ الحلم حالان . والتقدير أن تغذيتي حاصلة بهواي وأنا طفل وبشيبي وأنا بالغ الحلم يعني أنه هوى وهو طفل وشاب وهو في سن الاحتلام .

(٦) يريد بالرسم رسم الدار . أي كل رسم يذكرني رسم دارها فأسأله تسلياً وكذلك كل ذات خمار .

(٧) المنصدع المنشق أي غير منثلم . والشعب مصدر بمعنى الفرقة . وملتئم مجتمع .

قـد ذُقْتُ مـاءَ حَياةٍ مِـنْ مُقَبَّلِـهـا | لَـوْ صَـابَ تُرْباً لأحيا سالِفَ الأُمِمِ[١]
تَـرنو إلـيّ بعَينِ الظَّبـيِ مُجْهِشَـةً | وتَمْسَـحُ الطَّلَّ فَـوْقَ الوَرْدِ بالعنمِ[٢]
رُوَيْـدَ حُكمِـكِ فينا غـيرَ مُنصِفَـةٍ | بالنّاسِ كُلِّهِمِ أفـديكِ من حكَـمِ[٣]
أبدَيتِ مثلَ الذي أبدَيتُ من جزَعٍ | وَلَـمْ تُجِنّي الذي أجنَنتُ مـن ألَمِ[٤]
إذاً لَبَـزّكِ ثَوْبَ الـحُسنِ أصغَــرُهُ | وَصِرْتِ مثليَ في ثَوْبَينِ من سَقَـمِ[٥]

ومنها قوله :

لَيـسَ التّعَلّلُ بالآمَــالِ مِن أرَبي | وَلا القَناعَـةُ بالإقْـلالِ من شِيَـمي[٦]
وَلا أظُنّ بَناتِ الدّهْـرِ تَتْرُكُـني | حتى تَسُـدّ علَيـها طُرْقَها هِـمَمي[٧]
لُـمِ اللّيالي الـتي أخْنَتْ علـى جِـدَتي | برِقّـةِ الحـالِ وَاعذِرْني وَلا تَلُـمِ[٨]
أرَى أُناسـاً ومَحصُـولي على غَنَـمٍ | وَذِكْـرَ جُـودٍ ومحْصُولي على الكَلِمِ[٩]
وَرَبَّ مالٍ فَقِـيراً مِنْ مرُوءَتِـهِ | لم يُثْـرِ منها كمـا أثْرَى منَ العَـدَمِ[١٠]

(١) المقبل الفم . وصاب بمعنى أصاب ويجوز أن يكون من صوب المطر وهو نزوله .
(٢) رنا إليه نظر . والظبي الغزال . والمجهش المتهيء للبكاء . والطل المطر الضعيف أراد به دموعها . وأراد بالورد خدها . والعنم شجر أحمر الثمر أراد به أطراف أناملها المخضبة .
(٣) يجوز في رويد أن يكون مصدراً نائباً عن فعله منصوباً به فيكون حكمك مضافاً إليه . أو اسم فعل مبنياً فيكون حكمك مفعولًا به . وغير منصفة حال من الكاف في حكمك . وبالناس صلة أفديك . وحكم في محل نصب على التمييز والجار زائد .
(٤) أبديت أي أظهرت . والجزع نقيض الصبر . وأجن الشيء أخفاه .
(٥) لبزك أي لسلبك . أي لو أجننت ما أجننته أنا من الألم لبزك .
(٦) الإقلال الفقر وقلة ذات اليد .
(٧) بنات الدهر كناية عن حوادثه . أي أن النوائب لا تتركه حتى يدفعها عن نفسه بأن يتقوى بالمال والأنصار فيسد عليها طريقها .
(٨) أخنى عليه أهلكه . والجدة الغنى . ورقة الحال كناية عن الفقر .
(٩) المحصول مصدر بمعنى الحصول . وقوله وذكر جود مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام أي واسمع ذكر جود يقول : أرى صور أناس ولكنهم كالغنم لا عقل لهم ولا جرأة واسمع ذكر الجود ولكن لا أحصل منه إلا على المواعيد .
(١٠) رب مال معطوف على مفعول أرى في البيت السابق . ومن مروءته متعلق بفقيراً . والإثراء الغنى . أي وأرى صاحب مال ليس له مروءة ولم يستغن منها كما استغنى من المال بعد فقره .

سَيَصحَبُ النّصلُ مني مثلَ مَضرِبِه   وَينَجَلي خَبري عن صِمّةِ الصِّمَمِ[١]
لقد تَصَبّرْتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ   فالآنَ أقْحَمُ حتى لاتَ مُقتَحَمِ[٢]

★ ★ ★

وارتجل في صباه هذه الأبيات الأربعة على لسان رجل سأله ذلك :

شَوْقي إليكَ نَفَى لَذيذَ هُجُوعي   فارَقْتني وأقَامَ بَينَ ضُلُوعي[٣]
أوَمَا وَجَدْتُمْ في الصَّراةِ مُلُوحَةً   مِمّا أُرَقْرِقُ في الفُراتِ دُمُوعي[٤]
مازِلْتُ أحذَرُ مِنْ وَداعِكَ جاهِداً   حتى اغْتَدَى أسَفي على التّوْديعِ
رَحَلَ العَزاءُ برِحْلَتي فكأنّمَا   أتْبَعْتُهُ الأنْفَاسَ للتّشْييعِ

★ ★ ★

وقال له بعض صحبه : سلمت عليك فلم ترد السلام . فقال معتذراً :

أنَا عاتِبٌ لتَعَتّبِكْ   مُتَعَجّبٌ لتَعَجّبِكْ
إذ كُنتُ حينَ لَقيتَني   مُتَوَجّعاً لتَغَيّبِكْ
فَشُغِلْتُ عَنْ رَدّ السّلا   مِ وكانَ شُغْلي عنكَ بكْ

★ ★ ★

(١) مضرب السيف حده . وينجلي ينكشف . والصمة الشجاع . يقول : سيصحب السيف مني رجلا مثل حده في المضاء ويتبين للناس أني أشجع الشجعان .
(٢) لات بمعنى ليس والأصل فيها لا فزيدت عليها التاء . كما في ربت وثمت . قال ابن جني : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ   فأجبنا أن ليس حين بقاء

(٣) الهجوع النوم . وضمير أقام للشوق .
(٤) الصراة نهر بالعراق يتشعب من الفرات فيمر بالموصل . وما من قوله مما أرقرق مصدرية .

وفي قصيدة لم ينشدها يقول في مطلعها .. وما يليه :

حَاشَى الرّقيبَ فَخانَتْهُ ضَمائِرُهُ   وَغَيّضَ الدّمْعَ فانهَلّتْ بَوادِرُهُ[١]
وكاتمُ الحُبّ يَوْمَ البَينِ مُنهَتِكٌ   وصاحبُ الدّمعِ لا تَخفَى سرائرُهُ[٢]
لَوْلا ظِباءُ عَدِيٍّ ما شُغِفْتُ بهِمْ   وَلا برَبْرَبِهِمْ لَوْلا جَآذِرُهُ[٣]
من كلّ أحوَرَ في أنْيابِهِ شَنَبٌ   خَمْرٌ يُخامِرُها مِسكٌ تُخامِرُهُ[٤]
نُعْجٌ مَحاجِرُهُ دُعْجٌ نَواظِرُهُ   حُمْرٌ غَفائِرُهُ سُودٌ غَدائرُهُ[٥]
أعَارَني سُقْمَ عَينَيْهِ وَحَمّلَني   منَ الهَوَى ثِقْلَ ما تَحوي مآزِرُهُ[٦]
يامَنْ تَحَكّمَ في نَفسي فعَذّبَني   وَمَنْ فُؤادي على قَتلي يُضافِرُهُ[٧]

ومنها قوله :

خُلْوٍ خلائِقُهُ شُوسٍ حقَائِقُهُ   تُحصَى الحَصَى قبلَ أنْ تُحصَى مآثرُهُ[٨]

---

(١) حاشاه تجنبه . وغيض الدمع نقصه وجففه . وانهل انسكب . وبوادره سوابقه . يصف يوم الفراق يقول : إنه تجنب الرقيب في ذلك اليوم مخافة أن يطلع على هواه وحبس دموعه عن الجري فخانته ضمائره في أمر الكتم لأنها غلبته على الظهور وسبقه الدمع فلم يستطع إمساكه .

(٢) يعتذر لما في البيت السابق يقول : إن المحب الذي عادته أن يكتم هواه إذا فاجأه يوم فراق الحبيب غلبه الوجد والجزع فانهتك ستر كتمانه ودل دمعه الجاري على ما في سرائره من مكنونات الغرام .

(٣) الظباء جمع الظبي وهو الغزال . وعدي اسم قبيلة . والربرب القطيع من بقر الوحش . والجآذر جمع الجؤذر وهو ولد البقرة الوحشية . كَنَّى بالظباء عن النساء . وبالربرب عن جماعتهن مطلقاً . وبالجآذر عن الفتيّات منهن . أي لولا نساء هذه القبيلة ما شغفت بالقبيلة كلها ولولا الشابات منهن ما شغفت بنسائهم جميعاً .

(٤) من متعلقة بمحذوف حال من جآذره . والأحور الشديد سواد الحدقة وبياض ما حولها . والشنب صفاء ورقة في الأسنان . ويخامرها بمعنى يخالطها . ومسك فاعل يخامرها . أي في أنيابه شنب تخامره خمر يخامرها مسك .

(٥) النعج البيض . والمحاجر ما حول العينين . والدعج السود . والنواظر الأحداق . والغفائر جمع الغفارة وهي نحو المقنعة تشدها المرأة على رأسها . والغدائر جمع غديرة وهي الضفيرة من الشعر .

(٦) يريد بسقم عينيه ما فيهما من الفتور . والمآزر جمع المئزر وهو الملحفة تشد على الوسط .

(٧) يضافره بمعنى يعاونه . أي أن فؤاده يعاون الحبيب على قتله بامتناعه عن قبول السلوان مع كثرة ما يرى من الحبيب من الجفاء والتعذيب .

(٨) الخلائق جمع الخليقة بمعنى الخلق . والشوس جمع الأشوس وهو الناظر بمؤخر عينه نظر المتكبر . والحقائق ما يحق على الرجل حفظه من الجار والولد . يعني أن جيرانه وحلفاءه يتيهون كبراً لامتناعهم وعزتهم به .

وقوله :

إذا تَغَلْغَلَ فكـرُ المرءِ في طَرَفٍ　　من مَجْدِهِ غَرِقَتْ فيه خَواطِرُهُ[1]

وختام هذه القصيدة هو هذه الأبيات التي يقول فيها :

مَنْ قالَ لَسْتَ بخَيرِ النّاسِ كلّهِمِ　　فجَهْلُهُ بكَ عندَ النّاسِ عاذِرُهُ
أوْ شَكّ أنّكَ فَرْدٌ في زَمانِهِمِ　　بلا نَظِيرٍ فَفي روحي أُخاطِرُهُ[2]
يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فيمَا أُؤمّلُهُ　　وَمَنْ أعُوذُ بِهِ مِمّا أُحاذِرُهُ[3]
وَمَنْ تَوَهّمْتُ أنّ البَحرَ راحَتُهُ　　جُوداً وأنّ عَطاياها جَواهِرُهُ
لا يَجْبُرُ النّاسُ عَظْماً أنْتَ كاسِرُهُ　　وَلا يَهِيضُونَ عَظْماً أنتَ جابِرُهُ[4]

★ ★ ★

ويقول في قصيدته التي مطلعها :

عَزيزُ إساً مَن داؤهُ الحَدَقُ النُّجْلُ　　عَيَاءٌ بِهِ مَاتَ المُحبّونَ من قَبْلُ[5]

هذه الأبيات التي يصف فيها حاله في الحب .

فَمَنْ شاءَ فَلْيَنْظُر إلَيّ فمَنظَري　　نَذيرٌ إلى مَن ظَنّ أنّ الهَوَى سَهْلُ[6]
وَما هيَ إلّا لحظَةٌ بَعدَ لحظَةٍ　　إذا نَزَلَتْ في قَلبِهِ رَحَلَ العَقْلُ[7]

---

(١) تغلغل في الشيء دخل . أي أن أدنى مجده يستغرق خواطر الأفكار فلا تستطيع الإحاطة بوصفه .

(٢) أي أراهنه على روحي .

(٣) لاذ به أي لجأ إليه مثل عاذ به .

(٤) يهيضون يكسرون .

(٥) العزيز مالا يكاد يوجد وهو خبر مقدم عن الموصول بعده . والإسا الدواء وأصله بالمد فقصره للضرورة . والحدق هي العين . والنجل جمع النجلاء وهي الواسعة . والعياء الداء الذي يعيي الأطباء . يريد أن يقول أن ما أصابته الحدق النجلاء بسهام الحب فإن علاجه مستحيل . وهو داء مات به المحبوب من قبل .

(٦) النذير المنذر . وعداه بإلى على تضمينه معنى المرسول .

(٧) هي الضمير للقصة أخبر عنه بمفرد وهو مع قتله جائز كما نبه عليه الشيخ الرضي .

جَرَى حبُّها مجْـرَى دَمي في مَفاصِلِي		فأصْبَـحَ لي عَن كـلّ شُغلٍ بها شُغْلُ(١)
سَبَتْنـي بدَلٍّ ذاتُ حُسْنٍ يَزِينُهـــا		تَكَـحُّلُ عَيْنَيـها وليسَ لها كُـحلُ(٢)
كأنّ لحاظَ العَيـنِ في فَتْكِـهِ بنَـــا		رَقيـبٌ تَعَـدّى أوْ عَدُوٌّ لهُ دَخْـلُ(٣)
ومن جَسَدي لم يَترُكِ السّقمُ شعرَةً		فَمَـا فَوْقَهــا إلّا وفيها لَهُ فِعْـــلُ(٤)
إذا عَـذَلُوا فيها أجَبْـتُ بأنّـــةٍ :		حُبَيّبَـتي قلبي فُؤادي هَيَـا جُـمْلُ(٥)
كأنّ رَقيبـاً منــكِ سَـدّ مَسامِعـي		عنِ العذلِ حتى ليس يدخلها العذلُ(٦)
كأنّ سُـهادَ اللّـيلِ يَعشَـقُ مُقلَتـي		فبَيْنَهُـما في كُـلّ هَجْرٍ لنا وَصْلُ(٧)
أُحِـبّ التي في البدرِ منها مَشَابِـهٌ		وأشكو إلى من لا يُصابُ له شكلُ(٨)

★ ★ ★

ويستهل إحدى روائعه المبكرة بهذه الأبيات :

ألْيَـوْمَ عَـهدُكُـمُ فأيـنَ المَوْعِــدُ ؟		هَيْهَاتَ ليـسَ ليَوْمِ عَـهدِكمُ غَـــدُ(٩)
ألمَوْتُ أقـرَبُ مِخْلَباً من بَيْنِكُـمْ		وَالعَيشُ أبعَـدُ منكُـمُ لا تَبعُـدُوا(١٠)
إنّ التي سفَـكَتْ دَمي بجُفُـونِـها		لم تَـدْرِ أنّ دَمـي الـذي تَتَقَلّـدُ(١١)

(١) حبها الضمير للمعشوقة وإنما جاز الإضمار لها بدون تقدم ذكرها لتعينها بدلالة المقام وهو كثير في كلام العرب .
(٢) سبتني أي أسرتني . والدل الدلال .
(٣) اللحاظ مؤخر العين . والدخل الريبة .
(٤) أي فما هو أعظم منها .
(٥) العذل الملام . وحبيبتي قلبي فؤادي نداء متعدد محذوف الأداة أي أنت حبيبتي . وهيا من حروف النداء . وجمل اسم الحبيبة . يريد أن يبين لهم اشتغاله عنهم وأن هذا ما أثره عذلهم في قلبه .
(٦) يعني كأنك أقمت رقيباً على العذل حتى لا يدخل في مسامعي . والمسامع جمع المسمع .
(٧) الضمير في بينهما للسهاد والمقلة .
(٨) المشابه جمع الشبه ، بفتحتين ، على غير قياس . ويصاب بمعنى يوجد . والشكل المشاكل أي النظير .
(٩) يودع أحبته يقول : اليوم عهدكم بالفراق فأين يكون موعدنا باللقاء ، ثم استأنف فقال هيهات أن أطمع في البقاء فإن هذا اليوم ليس له غد علي لأني لا أرجو العيش بعده .
(١٠) المخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان استعاره للموت على تشبيهه بها في اغتيال النفوس . يقول : إذا كنتم عازمين على الفراق فإن الموت يدركني قبل أن تفارقوني والحياة تكون عني أبعد منكم فلا تبعدوا .
(١١) تقلدت الإثم ونحوه لزمته وتبعته . أي لم تعلم أن دمي في عنقها وقد لزمتها جناية قتلي .

قالَتْ وقَد رَأتِ اصْفِراريَ من بهِ   وَتَنَهَّدَتْ فأجَبْتُها : المُتَنَهِّدُ[1]
فَمَضَتْ وقد صَبَغَ الحَياءُ بَياضَهَا   لَوْني كَما صَبَغَ اللُّجَينَ العَسجَدُ[2]
فَرَأيتُ قَرْنَ الشّمسِ في قمرِ الدّجى   مُتَأوِّداً غُصْنٌ بِهِ يَتَأوّدُ[3]
عَدَوِيّةٌ بَدَوِيّةٌ مِنْ دُونِهَا   سَلْبُ النّفُوسِ ونارُ حرْبٍ توقَدُ[4]
وَهَواجِلٌ وصَواهِلٌ ومَنَاصِلٌ   وذَوابِلٌ وتَوعّدٌ وتَهَدُّدُ[5]
أبْلَتْ مَوَدّتَها اللّيالي بَعْدَنَا   ومَشَى عَلَيها الدهرُ وهوَ مُقَيَّدُ[6]

ثم يصف حاله فيقول :

نِقَمٌ عَلى نِقَمِ الزّمانِ يَصُبّها   نِعَمٌ على النّعَمِ التي لا تُجْحَدُ[7]
في شَانِهِ ولِسانِهِ وبَنَانِهِ   وَجَنانِهِ عَجَبٌ لمَنْ يَتَفَقّدُ[8]

---

(١) أي لما رأت اصفرار لوني قالت من الذي حصل هذا الاصفرار بسببه وتنهدت في أثناء ذلك فقلت لها هو الذي تنهد أي أنت .

(٢) **اللجين** مصفرة الفضة . والعسجد الذهب . قال الواحدي : يعني أنها استحيت فاصفر لونها والحياء لا يصفر اللون بل يحمره ولكن هذا الحياء كان مختلطاً بالخوف لأنها خافت الفضيحة على نفسها أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام فغلب هذا الخوف على سلطان الحياء فأورث صفرة . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في بياضها كالشمس إذا حلت في القمر الذي يميل به غصن قامتها .

(٣) قرن الشمس أول ما يبدو منها . ومتأوداً متمايلا .

(٤) عدوية أي من بني عدي . وبدوية نسبة إلى البادية أو البدو على غير قياس . يعني أنها منيعة في قومها قبل الوصول إليها تسلب نفوس طالبيها وتوقد نيران الحروب .

(٥) الهواجل جمع الهوجل وهو الفلاة لا أعلام بها . والصواهل الخيل . والمناصل السيوف . والذوابل الرماح . وكل هذا عطف على ما تقدم .

(٦) ويروى: أبلت مودتنا الليالي عندها . وقوله ومشى عليها الدهر الضمير للمودة وهو مبالغة في الإبادة .

(٧) نقم مبتدأ خبره نعم . وعلى الأولى متعلقة بيصبها والجملة نعت نقم . وعلى الثانية متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم . يقول : إن النقم التي يصبها الممدوح على الأعداء مضافة إلى نقم الزمان هي نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التي لا تجحد . يعني اعتزاز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الغنائم بنكبتهم .

(٨) الشان الحال والأمر . والبنان الأنامل . والجنان القلب .

وختام هذه القصيدة هو بيت القصيد كما يقولون :

يَفنى الكَلامُ ولا يُحيطُ بفَضْلِكُمْ   أيُحيطُ ما يَفْنى بمَا لا يَنْفَدُ[1]

★ ★ ★

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، على ما كان قد شاهده من تهوره واندفاعه فقال[*] :

أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ مُعاذُ : إنّي   خَفيٌّ عَنْكَ في الهَيْجا مَقامي[2]
ذكَرْتُ جَسيمَ ما طَلَبي وإنّا   نُخاطِرُ فيهِ بالمُهَجِ الجِسامِ[3]
أمِثْلي تأخُذُ النّكَباتُ مِنْهُ   وَيَجزَعُ مِنْ مُلاقاةِ الحِمامِ[4]
ولو بَرَزَ الزّمانُ إليّ شَخصاً   لخَضّبَ شعرَ مَفرِقِهِ حُسامي[5]

---

(١) يفنى بمعنى يفرغ وينفد .

(★) جاء في كتاب « الصبح المنبي » عن حيثية المتنبي قال أبو عبدالله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاث مئة وهو فتى . فأكرمته وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من أدبه قلت والله إنك لرجل خطير تصلح لمنادمة ملك كبير . فقال ويحك أتدري ما تقول أنا نبي مرسل . فظننت أنه يمزح ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له ما تقول ؟ فقال أنا نبي مرسل كما ذكرت . فقلت مرسل إلى من . فقال إلى هذه الأمة الضالة المضلة . قلت ماذا تفعل ؟ قال أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جوراً . قلت بماذا ؟ قال بإدرار الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى . وضرب الأعناق لمن عصى وأبى . فقلت له إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ، وعذلته على ذلك فأنشد يقول بديهاً هذه الأبيات .

(٢) الهيجاء من أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتي في الحرب وما أنا فيه من الجرأة والبأس ولذلك تعذلني على ما أنا مقدم عليه لظنك فيّ العجز عن بلوغه .

(٣) الجسيم العظيم وهو مضاف إلى طلبي . والمهج الأرواح . يقول : ذكرت لك ما أحاوله من المطلب العظيم وما أنا بالجاهل عظمته ولا المستخف به ولكنا سنخاطر فيه بأرواحنا لأن الأمور العظيمة لا تدرك إلا ببذل الأرواح دونها .

(٤) الجزع ذهاب الصبر من شدة الخوف . والحمام الموت .

(٥) برز ظهر . وشخصاً حال أي مجسماً بصورة شخص . والمفرق وسط الرأس . والحسام السيف القاطع .

وما بَلَغَتْ مَشيئَتَها اللّيالي ولا سَارَتْ وفي يَدِها زِمَامي[١]
إذا امتَلأتْ عُيونُ الخَيْلِ مني فَوَيْلٌ في التّيَقّظِ والمَنَامِ[٢]

★ ★ ★

.. وفي السجن أنشد أبياتاً ختمها بقوله :

كُنْ أيّها السّجنُ كيفَ شئتَ فقد وَطّنْتُ للمَوْتِ نَفْسَ مُعترِفِ[٣]
لوْ كانَ سُكنايَ فيكَ مَنقَصَةً لم يَكُنِ الدُّرُّ ساكِنَ الصَّدَفِ[٤]

وطال اعتقاله في السجن فكتب إلى الوالى مقطوعة استهلها بهذه الأبيات :

أيَا خَدّدَ اللهُ وَرْدَ الخُدودِ وَقَدّ قُدودَ الحِسانِ القُدودِ[٥]
فَهُنّ أسَلْنَ دَماً مُقْلَتي وَعَذّبْنَ قَلبي بطُولِ الصّدودِ[٦]
وكَمْ للهَوَى من فَتىً مُدْنَفٍ وكَمْ للنّوَى من قَتيلٍ شهيدِ[٧]
فوَا حَسْرَتَا ما أمَرّ الفِراقَ وَأعْلَقَ نيرانَهُ بالكُبُودِ
وأغْرَى الصّبابَةَ بالعاشِقينَ وَأقْتَلَهَا للمُحِبّ العَميدِ[٨]
وَألْهَجَ نَفْسي لغَيرِ الخَنَا بحُبّ ذَواتِ اللَّمَى والنّهُودِ[٩]

---

(١) يقول : ما بلغت الليالي مرادها مني من تغيير حالي وإضعاف عزمي ولا انقدت لها انقياد من يسلم زمامه إلى غيره .

(٢) ويل مبتدأ محذوف الخبر أي فويل لها . يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالتين لأن خوفي يقلقهم فلا يكون لهم أمان في يقظتهم ولا راحة في منامهم .

(٣) وطن نفسه مهدها وذللها . والمعترف الصابر على ما يصيبه .

(٤) منقصة عيباً يتنقص به .

(٥) خدد شقق . وقدّ قطع طولا . والحسان القدود إضافة لفظية مثل الحسن الوجه .

(٦) دماً تمييز مقدم وهو عند أكثرهم مخصوص بالضرورة . ومقلتى مفعول به .

(٧) المدنف الذي أثقله المرض . والنوى البعد . يريد أن الحب يسقم والفراق يقتل .

(٨) أغرى تفضيل من قولهم غري بالشيء إذا أولع به . والصبابة رقة الشوق . والعميد الذي أضناه الحب وأوجعه .

(٩) الخنا الفحش . والباء من بحب متعلقة بألهج . واللمى سمرة في الشفة .

وبعد أن يَذكرَ الوالي بما يُحِبّ يُناشده إنهاء المحكومية بقوله :

أمَالِكَ رِقّي وَمَنْ شَأنُهُ هِبات اللُّجَينِ وعِتْقُ العَبيدِ[1]
دَعَوْتُكَ عندَ انْقِطاعِ الرّجَاءِ والمَوْتُ مني كحَبلِ الوَرِيدِ[2]
دَعَوْتُكَ لمّا بَراني البَلاءُ وأوْهَنَ رِجْليّ ثِقْلُ الحَديدِ[3]
وقَدْ كانَ مَشيُهُما في النّعالِ فقَد صارَ مَشيُهُما في القُيُودِ
وكنتُ منَ النّاسِ في مَحْفِلٍ فَها أنَا في مَحْفِلٍ منْ قُرُودِ[4]
تُعَجِّلُ فيّ وجُوبَ الحُدودِ وَحَدّي قُبَيلَ وُجوبِ السّجودِ[5]

.. ثم يروى كيف كان المنافسون يتهمونه بالعدوان على العالم وهو طفل يقعد بين الأولاد .. وأن هذا الافتراء هو شأن الحساد والمهوشين بالزور والبهتان فى كل زمان ومكان فيقول :

وقيلَ : عَدَوْتَ على العالمينَ بَينَ وِلادي وبَينَ القُعُودِ[6]
فَما لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الكَلامِ وقَدْرُ الشّهادَةِ قَدْرُ الشّهُودِ[7]

(١) الرق العبودية . والهبات العطايا . واللجين الفضة . والعتق الحرية وهو اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . أي شأنه أن يهب الأموال ويعتق العبيد عنده .
(٢) حبل الوريد هو : عرق في العنق يضرب مثلا في شدة القرب .
(٣) براه أي هزله وأنحله . وأوهنه أضعفه .
(٤) المحفل المجمع . أراد بالقرود جماعة المحبوسين معه من اللصوص وأصحاب الجنايات .
(٥) قوله تعجل يحتمل أن يكون خبراً أو استفهاماً إنكارياً على تقدير الهمزة . والحدود جمع الحد وهو العقوبة . وقبيل تصغير قبل . يقول : تعجل علي إيجاب الحد وأنا لم يجب علي سجود الصلاة . يعني أن ذلك إنما يجب على البالغين وهو لا يزال معدوداً من الصبيان الذين لم يلزمهم حق لله فكيف يلزمهم حق للناس .
(٦) عدا عليه بغى . وبين صلة قيل . أي أنه لم يزل متهماً من أول أمره فقد ادعى الناس عليه مثل هذا وهو طفل قبل أن يتمكن من الجلوس وحده .
(٧) يعني أن الذين شهدوا عليه كانوا من أوباش الناس والشهادة تعتبر بحسب اعتبار الشاهد فتقبل بذلك أو ترد .

فَلا تَسْمَعَنّ مِنَ الكَاشِحِينَ ... وَلا تَعْبَأنّ بِعِجْلِ اليَهُودِ[١]

وكُنْ فارِقاً بينَ دَعْوَى أَردتُ ... وَدَعوَى فَعَلْتُ بشَأوٍ بَعيدِ[٢]

وفي جُودِ كَفّيْكَ ما جُدْتَ لي ... بنَفسي ولوْ كنتُ أشقَى ثَمُودِ[٣]

★ ★ ★

ومن قصائده التي قالها ارتجالًا .. ورغم ذلك عدت من الروائع .. هذه القصيدة التي يستهلها بقوله :

هَذِهْ بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيساً ... ثمّ انْثَنَيْتِ وما شَفَيْتِ نَسيساَ[٤]

وَجعلتِ حظّي منكِ حظّي في الكَرَى ... وَتَرَكْتِني للفَرْقَدَينِ جَليسَا[٥]

قَطّعْتِ ذَيّاكِ الخُمارَ بسَكْرَةٍ ... وأدَرْتِ من خَمرِ الفِراقِ كُؤوسَا[٦]

إنْ كُنْتِ ظاعِنَةً فإنّ مَدامعي ... تَكفي مَزادَكُمُ وتُرْوي العِيساَ[٧]

---

(١) الكاشح الذي يضمر العداوة . ويروى من الكاذبين . ويقال ما عبأت به أي ما باليت . يشير إلى اتخاذ الباطل في ذلك تشبيهاً بعجل اليهود الذي سبكته النار وهو من الخرافات الباطلة . ويروى بمحك اليهود وبمحل اليهود والمحك اللجاج والمحل المكر والكيد .

(٢) الشأو المسافة والغاية . والباء متعلقة بفارقاً . يقول : ينبغي أن تفرق بين دعوى من يقول أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول فعلت كذا . وذلك لأنهم كانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد ولكن ليس كل ما يريده الرجل يفعله .

(٣) ثمود من القبائل البائدة . أي جودك لي بنفسي يعد من جملة عطايا كفيك . ومراده بأشقى ثمود عاقر الناقة .

(٤) هذه نائبة عن المرة أي هذه البرزة برزت . ويحتمل أن تكون منادى محذوف الأداة أي يا هذه . والرسيس ابتداء الحب . وانثنيت رجعت . والنسيس بقية الروح . يقول : هذه المرة برزت لنا فهيجت ما كان في القلب من هواك ثم انصرفت مودعة ولم تشفي ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا .

(٥) الكرى النوم .

(٦) ذياك تصغير ذاك . والخمار بقية السكر . يقول : إننا كنا في خمار لما نجده من هواك فأزلت ذلك الخمار بسكرة الفراق لأنها غلبت عليه بشدتها فلم يبق شيئاً يشعر به بالنسبة إليها .

(٧) الظعن الارتحال . والمدامع مجاري الدموع من العين والمراد بها الدموع نفسها . والمزاد جمع المزادة وهي القربة . والعيس الإبل .

حاشَى لِمِثْلِكِ أنْ تكونَ بَخيلَةً ولِمِثْلِ وجهِكِ أنْ يَكُونَ عَبوسا(١)
ولِمِثْلِ وصْلِكِ أنْ يَكُونَ مُمَنَّعاً ولِمِثْلِ نَيْلِكِ أنْ يكونَ خَسيساً(٢)

ثم يصف الجميلة التي عناها فيقول :

خَوْدٌ جَنَتْ بَيني وبَينَ عَوَاذِلي حَرْباً وغادَرَتِ الفُؤادَ وطِيساً(٣)
بَيْضاء يَمْنَعُهاَ تَكَلَّمَ دَلُّها تِيهاً ويَمْنَعُهَا الحَياءُ تَميسَا(٤)
لمّا وَجَدْتُ دَواءَ دائي عِندَها هانَتْ عليّ صِفاتُ جالينُوسَا(٥)

ويمضي فيصف كرمه الذي عناه بقوله في هذه القصيدة :

يا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزّمَانِ بِظِلّهِ أبداً ونَطْرُدُ باسْمِهِ إبْلِيسَا

حتى تكون القفلة هكذا :

خيرُ الطّيورِ على القُصورِ وشَرُّها يَأوِي الخَرابَ ويَسكُنُ النّاووسَا(٦)
لَوْ جادَتِ الدّنْيا فَدَتْكَ بأهْلِها أو جاهَدَتْ كُتِبَتْ عليك حَبِيسَا(٧)

★ ★ ★

---

(١) حاشى كلمة تنزيه تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وأن تكون في موضع جر بمن مضمرة . واسم تكون يرجع إلى مثل وهو يذكر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . يريد بنسبة البخل إليها بخلها بالإقامة والقرب وبعبوسة وجهها عبوسة الحزن والجزع وقت الفراق .

(٢) النيل اسم لما ينال . والخسيس القليل . ومعنى البيت تابع لما سبقه .

(٣) الخود المرأة الناعمة وهي خبر عن محذوف أي هي خود . وجنت أي جرت . والعواذل جمع العاذلة . وحرباً مفعول جنت . وغادرت بمعنى تركت . والوطيس التنور . يعني تركت فؤاده مثل الوطيس بما فيه من حرارة الوجد .

(٤) تكلم أي تتكلم فحذف إحدى التاءين تخفيفاً . والدل الدلال . والتيه الكبر . وتميس تميل .

(٥) جالينوس هو الطبيب المشهور ويريد بصفاته ما وصفه من الأدوية في كتب الطب .

(٦) الناووس القبر . يعرض بالذين لم يمدحهم يريد أن أفضل الشعر ما تمدح به الملوك كالطيور النفيسة فإنها تطير إلى قصور الأكابر وشره ما تمدح به السفلة كالطيور التي تأوي إلى المقابر ومواضع الخراب .

(٧) الحبيس المحبوس وهو الوقف . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لبذلت أهلها فدية عنك ولو كانت ممن يجاهد أي يقاتل في سبيل الله لجعلت نفسها وقفاً عليك لا تنقاد إلا لك ولا تصدر إلا عن أمرك . قال ذلك لأن الممدوح كان من القائمين بالجهاد .

في قصيدة رثاء كان مطلعها .

إنّـي لأعْلَـمُ ، واللّبيبُ خَبِـيرُ ، أنّ الحَياةَ وَإنْ حَـرِصْتُ غُـرُورُ[1]
ورَأيْـتُ كُـلًّا ما يُعَلّلُ نَفْـسَـهُ بتَعِلّـةٍ وإلى الفَنَـاءِ يَـصِـيـرُ[2]

ثم يقول هذه الأبيات خلال ما تضمنته القصيدة من أبيات يعزي بها في وفاة الفقيد الذي يبدو أنه كان عزيزاً عليه .

ما كنتُ أحسبُ قبل دفنكَ في الثّرى أنّ الكَـواكـبَ في التّـرابِ تَـغُورُ
ما كنتُ آمُـلُ قَبل نَـعشِكَ أن أرىَ رَضْوَى على أيدي الـرّجالِ تَـسيرُ[3]
خَرَجُوا بِـهِ ولكُلّ باكٍ خَلْفَـهُ صَعَـقاتُ مُـوسَـى يَوْمَ دُكّ الطُّـورُ[4]
والشّمسُ في كَبِدِ السّـماءِ مريضَةٌ والأرْضُ واجفَـةٌ تَـكادُ تَـمُـورُ[5]
وحَفيفُ أجنِحَةِ المَلائِكِ حَـوْلَـهُ وعُـيُونُ أهـلِ اللاّذقِيّةِ صُـــورُ[6]
حتى أتَـوْا جَـدَثـاً كَـأنّ ضَرِيحَهُ في قَلْبِ كُـلّ مُوَحِّـدٍ مَحْفُـورُ[7]
بمُزَوَّدٍ كَفَنَ البِلَـى مِن مُلْـكِهِ مُغْفٍ وإثْـمِدُ عَيْنِـهِ الـكافُـورُ[8]
فيـهِ السّـماحةُ والفَـصاحةُ والتّقَى والبأسُ أجْمَـعُ والحِجَـى والخِـيرُ[9]

(١) اللبيب العاقل .
(٢) ما من قوله كلا ما زائدة للتوكيد . وعلله بالشيء لهاه به . ويصير بمعنى ينتهي . أي رأيت كل أحد يعلل نفسه بشيء يشاغلها به عن توقع الموت وهو صائر إلى الفناء لا محالة .
(٣) رضوى اسم جبل بمدينة ينبع جنوب غرب المدينة المنورة بالحجاز . شبه المرثي به لعظمته وفخامة قدره .
(٤) الصعقات جمع صعقة وهي الغشية . ودك أي هد . والطور الجبل والمراد به طور سيناء . يشير إلى قوله تعالى في القرآن : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً** ﴾ .
(٥) كبد السماء وسطها . وقوله واجفة أي مضطربة . وتمور تجيء وتذهب . أراد بكون الشمس مريضة ضعف ضوئها من حزنها على المرثي .
(٦) الحفيف صوت جناح الطائر إذا حركه . واللاذقية بلد المرثي . وصور جمع أصور وهو المائل . يريد أن عيونهم مائلة إلى نعشه لا يصرفون بصرهم عنه لشدة حبهم له وأسفهم عليه .
(٧) الجدث القبر . والضريح الشق في وسط القبر .
(٨) الباء متعلقة بأتوا في البيت السابق . والاثمد الكحل . يعني أنه لم يزود من ملكه إلا الكفن الذي سيبلى فيه وقد جعل الكافور الذي يذر على وجه الميت في موضع الكحل له .
(٩) الضمير من قوله فيه للكفن . والحجى العقل . والخير بالكسر الكرم .

وطلب منه بنو عم المتوفى زيادة في القول .. فارتجل مقطوعة قال في مستهلها :

غاضَتْ أنامِلُهُ وهُنّ بُحُورُ   وخَبَتْ مَكايِدُهُ وهُنّ سَعِيرُ[١]

يُبْكَى عَلَيْهِ وما استقَرّ قَرارُهُ   في اللّحْدِ حتى صافَحَتْهُ الحُورُ[٢]

صَبْراً بني إسْحَقَ عَنْهُ تَكَرّماً   إنّ العَظيمَ على العَظيمِ صَبُورُ

فلِكُلّ مَفجُوعٍ سِواكُمْ مُشْبِهٌ   ولِكُلّ مَفْقُودٍ سِواهُ نَظِيرُ

ومنها قولـه :

يَمّمْتُ شَاسِعَ دارِهِمْ عَنْ نيّةٍ   إنّ المُحِبّ عَلى البِعادِ يَزُورُ[٣]

وقَنِعْتُ باللّقْيا وأوّلِ نَظْرَةٍ   إنّ القَليل مِنَ الحَبيبِ كَثيرُ

وسألوه أن ينفي الشماتة عنهم فقال أبياتاً جاء ضمنها هذا البيت الحكمة .

طارَ الوُشاة على صَفاءِ وِدادِهِمْ   وكذا الذّبابُ على الطّعامِ يَطيرُ[٤]

★ ★ ★

ويروى أنه دخل على عليّ بن إبراهيم التنوخي ، فعرض عليه كأساً بيده فيها شراب أسود فقال ارتجالا :

إذا ما الكأسُ أرْعشَتِ اليَدَينِ   صَحَوْتُ فلم تَحُلْ بَيْني وبَيني[٥]

هجَرْتُ الخَمرَ كالذّهبِ المُصفّى   فخَمري ماءُ مُزْنٍ كاللُّجَينِ[٦]

(١) غاضت جفت . والأنامل أطراف الأصابع . وخبت خمدت . والمكايد جمع مكيدة وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأي . والسعير اللهيب .

(٢) اللحد الشق في جانب القبر . والمصافحة الأخذ باليد . والحور جواري الجنة .

(٣) يَمَّمَهُ قصده . والشاسع البعيد . والنية الوجه الذي ينويه المسافر .

(٤) الوشاة جمع الواشي وهو الساعي بالفساد . أي أن أصحاب النمائم حاموا على صفاء ودادهم قصد تكديره مثل الذباب الذي يطير على الطعام فيفسده .

(٥) أي بيني وبين نفسي . يقول : إذا كان غيري يشرب الخمر حتى تضطرب يداه من السكر فإني أبقى على صحوي لأني لا أشربها فلا تحول بيني وبين حواسي .

(٦) كالذهب المصفى حال من الخمر . والمزن جمع مزنة وهي السحابة البيضاء . واللجين الفضة .

أغـارُ مِنَ الزّجاجَـةِ وهْـيَ تَجـري   على شَـفَةِ الأمـيرِ أبي الحُسَـينِ
كـأنّ بَياضَها والرّاحُ فيهــــا   بَيـاضٌ مُحْـدِقٌ بـسَوادِ عَيْــنِ[١]
أتَيْنــاهُ نُطالِبُــــهُ بِـرِفْـــدٍ   فَـطالَـبَ نَفْسَـهُ منهُ بـدَيْــنِ[٢]

★ ★ ★

.. ثم قال قصيدة يمدح بها التنوخي استهلها بأبيات تقول :

أُحـادٌ أمْ سُـداسٌ في أُحَــادِ   لُيَيْلَتُنَــا المَنُوطَـــةُ بالتّنــــادي[٣]
كـأنّ بَناتِ نَـعْشٍ في دُجَـاهَـا   خَـرائِدُ سافراتٌ فــي حِــدادِ[٤]
أفَـكّـرُ فــي مُـعاقَـرَةِ المَنَـايَـا   وقَـوْدِ الخَيْلِ مُـشرِفةَ الهَـوادي[٥]
زَعـيمٌ للقَنَـا الخَـطّيِّ عَـزْمـي   بسَـفكِ دمِ الحَـواضـرِ والبَـوادي[٦]

---

(١) الضمير في بياضها للزجاجة . والراح الخمر . وأحدق به أحاط .
(٢) الرفد العطاء . يقول : سألناه الرفد على سبيل الهبة فإذا هو يعده على نفسه ديناً واجب الأداء لفرط كرمه وأريحيته .
(٣) قوله أحاد أراد أأحاد فحذف الهمزة وهو ضرورة . وأحاد من الصيغ التي يراد بها توارد المعدود على العدد المصوغة منه ، يقال جاؤوا أحاد أي واحداً واحداً . والليلة تصغير ليلة وهو من تصغير التعظيم . والمنوطة المعلقة . والتنادي كناية عن القيامة . يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة فهي لطولها بمنزلة ليالي الدهر كلها إلا أن كل واحدة من تلك الليالي طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال في ليلة على جعل الليلة ظرفاً للست الأخر فصارت سبع ليال . يعني أن ليلته دهر بلياليه وكل ليلة منه أسبوع وهي نهاية المبالغة في الطول .
(٤) بنات نعش كواكب معروفة . وقوله في دجاها حال من بنات نعش عاملها معنى التشبيه . والضمير في دجاها لقوله لييلتنا . والخرائد النساء الحييات . والسافرات الكاشفات عن وجوههن .
(٥) المعاقرة الملازمة . والمراد بالمنايا الحرب لأنها من لوازمها . والمشرف العالي المستطيل . والهوادي الأعناق .
(٦) الزعيم الكفيل . والقنا الرماح . والخطى المنسوب إلى خط هجر وهو موضع باليمامة . وقوله دم الحواضر والبوادي أي دم سكانهما وهما جمع حاضرة وبادية . والحاضرة اسم يقع على المدن والقرى والريف ، وما سواها البادية وهي الصحراء .

وفيها يقول :

إلى كَمْ ذا التخلّفُ والتّواني ... وكَمْ هذا التّمادي في التّمادي[1]
وشُغْلُ النّفسِ عن طَلَبِ المَعالي ... ببَيعِ الشّعرِ في سوقِ الكَسادِ[2]
وما ماضي الشّبابِ بمُستَرَدٍّ ... ولا يَوْمٌ يَمُرّ بمُستَعادِ
متى لحظَتْ بَياضَ الشّيبِ عيني ... فقد وَجَدَتْهُ منها في السّوَادِ[3]
متى ما ازْدَدْتُ من بعدِ التّناهي ... فقد وقَعَ انتِقاصي في ازْدِيَادي[4]

ومنها :

وما الغضَبُ الطّريفُ وإنْ تَقَوّى ... بمُنْتَصِفٍ مِنَ الكَرَمِ التّلادِ[5]
فَلا تَغْرُرْكَ ألْسِنَةٌ مَوالٍ ... تُقَلّبُهُنّ أفْئِدَةٌ أعادي[6]
وكُنْ كالمَوْتِ لا يَرْثي لباكٍ ... بكَى منهُ ويَرْوَى وهْوَ صادِ[7]
فإنّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعدَ حينٍ ... إذا كانَ البِناءُ على فَسادِ[8]

(١) التخلف التأخر . والتواني التقصير . والتمادي في الأمر بلوغ مداه وهو غايته أي وكم أتمادى في التقصير تمادياً متتابعاً .

(٢) شغل معطوف على قوله ذا التخلف . والباء من قوله ببيع متعلقة بشغل . أي وإلى كم أشغل نفسي عن طلب المعالي بنظم الشعر في مدح من لا قيمة عنده للشعر .

(٣) أي متى رأت بياض الشيب كرهته كأنها رأته في سوادها فعميت به .

(٤) أي إذا بلغ الشباب نهايته فزيادة العمر بعد ذلك تفضي إلى النقصان بما ينشأ عنها من الضعف .

(٥) الطريف المستحدث . وانتصف منه استوفى حقه . والتلاد القديم الموروث . يعني أن الغضب الطارئ مهما اشتد وتقوى لطلب الانتقام لا يغلب على الكرم الموروث الذي يقتضي الصفح فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٦) الموالي جمع المولى وهو الصديق . والأفئدة جمع فؤاد . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك الصداقة وقلوبهم تبطن العداوة فلا تغتر بظاهرهم .

(٧) الصادي العطشان . أي يشرب ما يرويه ولا يزال مشتاقاً إلى الشرب .

(٨) نفر الجرح هاج وورم . وقوله : إذا كان البناء على فساد أي إذا كان برؤه مبنياً على فساد في غوره . والمعنى أنهم يطوون العداوة في أنفسهم إلى أن تمكنهم الفرصة .

وإنّ المَاءَ يَجْري مِنْ جَمادٍ وإنّ النّارَ تَخْرُجُ من زِنَادِ[١]
وكيفَ يَبيتُ مُضْطَجِعاً جَبانٌ فَرَشْتَ لجَنْبِهِ شَوْكَ القَتادِ[٢]
يَرَى في النّوْمِ رُمحَكَ في كُلاهُ ويَخشَى أنْ يَراهُ في السُّهادِ[٣]

★ ★ ★

.. ومن آراء المتنبي : أن الدنيا لمن غلب . يقول ذلك في قصيدة إستهلها بقوله :

دَمْعٌ جرَى فقضَى في الرَّبْعِ ما وجَبا لأهلِهِ وشَفَى أنَّى ولا كَرَبَا[٤]
عُجْنا فأذهَبَ ما أبْقَى الفِراقُ لَنا منَ العُقُولِ وما رَدّ الذي ذَهَبَا[٥]
سَقَيْتُهُ عَبَراتٍ ظَنّهَا مَطَراً سَوائِلًا من جُفُونٍ ظَنّها سُحُبَا[٦]

.. ويسترسل فيقول تتابعاً :

دارُ المُلِمّ لها طَيفٌ تَهَدّدَني لَيلًا فَما صَدَقتْ عَيني ولا كَذَبَا[٧]

---

(١) يريد بالجماد الصخر . والزناد جمع الزند وهو العود الذي تقدح به النار . وكل ذلك تحذير له من أعدائه أن لا يغفل عنهم وإن لم يكونوا أكفاء له فيضرب له هذه الأمثال .

(٢) يريد بالجبان عدوه . والقتاد شجر له شوك . يقول : كيف يبيت عدوك مضطجعاً وكلما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القتاد من خوفك . يعني أنه لا يزال متيقظاً لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد بك ودفع خوفك عنه .

(٣) أي في السهر . وذلك لشدة ارتياعه وقلقه .

(٤) دمع مبتدأ محذوف الخبر أي لي دمع . وَأَنَّى بمعنى كيف . وكرب من أفعال المقاربة حذف خبره لدلالة المقام عليه أي ولا كرب أن يقضي . يقول : إنه بكى في أطلال الأحبة بدمع قضى ما يجب لهم عليه وشفى نفسه من وجدها بهم . ثم رجع عن ذلك فقال : وكيف أقول هذا وهو لم يقض ما وجب ولا قارب أن يقضي .

(٥) عاج بالمكان وقف . يقول : وقفنا بهذا الربع لنزوره فأذهب ما بقي عن عقولنا بعد الفراق بما جدده من تذكر الأحبة فضلا عن أنه لم يرد علينا ما ذهب منها .

(٦) عبرات دموعاً .

(٧) دار خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الربع . والملم الزائر . أى أن هذا الطيف تهددني بهجره لي فما صدقت عيني لأنها رأت خيالا كذباً ولا كذب الطيف لأنه هجرني بعد ذلك إذ لم أنم بعدها .

أنْأيْتُهُ فَدَنا ، أدْنَيْتُهُ فنَأى ، جَمّشْتُهُ فَنَبَا ، قَبّلْتُهُ فأبَى[1]

هامَ الفُؤادُ بأعرابيّةٍ سَكَنَتْ بَيْتاً معَ القلبِ لم تَمدُدْ لهُ طُنُبَا[2]

مَظْلُومَةُ القَدّ في تَشْبيهِهِ غُصُناً مَظلُومَةُ الرّيقِ في تَشبيهِهِ ضَرَبَا[3]

بَيضاءُ تُطمِعُ في ما تحتَ حُلّتِها وعَزّ ذلكَ مَطْلُوباً إذا طُلِبَا[4]

كأنّها الشّمسُ يُعْيي كَفَّ قابضِهِ شُعاعُها ويَراهُ الطّرْفُ مُقْتَرِبَا[5]

مَرّتْ بنا بَينَ تِرْبَيْها فقُلتُ لها من أينَ جانَسَ هذا الشّادِنُ العَرَبَا[6]

فاستَضْحكتْ ثمّ قالتْ كالمُغيثِ يُرَى ليثَ الشّرَى وهوَ من عِجلٍ إذا انتسبَا[7]

جاءتْ بأشجعِ مَن يُسْمَى وأسمحِ مَن أعطَى وأبلغِ مَنْ أملَى ومَنْ كَتَبَا[8]

لوْ حَلّ خاطِرُهُ في مُقْعَدٍ لمَشَى أو جاهِلٍ لصَحا أو أخرَسٍ خَطَبَا[9]

إذا بَدا حَجَبَتْ عَيْنَيكَ هَيْبَتُهُ وليسَ يحجبُهُ سِتْرٌ إذا احتَجَبَا[10]

---

(١) أنأيته أبعدته . ودنا قرب . وجمشته داعبته . ونبا أي جفا . وأبى امتنع . يريد أنه يقابله بضد ما يريد منه .

(٢) الهيام أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه . والطنب حبل الخباء . يقول : إن هذه الحبيبة اتخذت قلبي مسكناً فكان لها بيتاً ولكن لا أطناب له .

(٣) الضَّرَب : العسل الابيض الغليظ .

(٤) الحلة الثوب . يقول : إنها لأنسها وعذوبة كلامها تطمع العاشق في نفسها فإذا حاول ذلك عز عليه مطلبه لتعففها وصيانتها .

(٥) أعياه أعجزه . والضمير في قابضه للشعاع . وشعاعها فاعل يعيي . والطرف النظر .

(٦) الترب المساوي لغيره في العمر يستعمل للمذكر والمؤنث . والشادن الغزال الذي قوي واستغنى عن أمه يريد به المحبوبة . يقول لها : أنت من الغزلان وترباك اللتان تماشينهما من العرب فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما .

(٧) استضحكت بمعنى ضحكت . والمغيث اسم الممدوح وفي الكلام حذف أي أنا كالمغيث . والليث الأسد . والشرى موضع تكثر فيه الأسود . وعجل قبيلة الممدوح . المعنى لا تعجب من مجانستي للعرب وأنا ظبية فإني كالمغيث تراه من الأسود وهو مع ذلك من بني عجل .

(٨) الضمير في جاءت للمحبوبة أي جاءت بذكر رجل هذه صفاته .

(٩) يصفه بقوة الخاطر وتوقد الذهن .

(١٠) يقول : إذا ظهر للناس حجبت هيبته العيون عن النظر إليه وإذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورائها فلم تستطع حجبه .

بَياضُ وَجْهٍ يُريكَ الشّمسَ حالكةً — ودُرُّ لَفظٍ يُريكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبا[1]

وسَيفُ عَزْمٍ تَرُدّ السّيفَ هِبّتُهُ — رَطْبَ الغِرارِ منَ التأمُورِ مُختَضِبَا[2]

عُمرُ العَدوّ إذا لاقاهُ في رَهَجٍ — أقَلُّ مِنْ عُمْرِ ما يَحْوِي إذا وَهَبَا[3]

تَوَقَّهُ فَمَتى ما شِئْتَ تَبْلُوَهُ — فكُنْ مُعادِيَهُ أوْ كُنْ له نَشَبَا[4]

تَحْلُو مَذاقَتُهُ حتى إذا غَضِبَا — حالَتْ فلَوْ قطرَتْ في الماءِ ما شُرِبَا[5]

وتَغْبِطُ الأرْضُ منها حيثُ حَلّ بهِ — وتَحْسُدُ الخيلُ منها أيَّها رَكِبَا[6]

ولا يَرُدّ بفيهِ كَفّ سائِلِهِ — عن نَفسِهِ ويَرُدّ الجَحفَلَ اللّجِبَا[7]

وكُلّما لَقيَ الدّينارُ صاحِبَهُ — في مُلكِهِ افترَقا من قبلِ يَصْطَحِبَا[8]

مالٌ كأنّ غُرابَ البَينِ يَرْقُبُهُ — فكُلّما قيلَ هذا مُجْتَدٍ نَعَبَا[9]

---

(١) بياض وجه مبتدأ خبره محذوف أي له بياض وجه . والحالك الشديد السواد . والمخشلب خرز أبيض يشبه الدر .

(٢) هبة السيف مضاؤه . وغراره حده . والتأمور دم القلب . أي أن مضاء عزمه يصير السيف رطب الحد من دم الأعداء .

(٣) الرهج الغبار . يقول : إذا لقي عدوه في الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا شرع في العطاء .

(٤) تبلوه أي تختبره وأراد أن تبلوه فحذف أن وبقي عملها . والنشب المال . يقول : احذر بأسه وإن أردت أن تمتحنه فعاده أو كن مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإبادة والإفناء .

(٥) حالت تغيرت . يقول : هو عذب الأخلاق في حال الرضى فإذا غضب تغيرت أخلاقه فصارت مرة حتى لو أمكن مزج الماء بها لم يطق أحد شربه .

(٦) الغبطة والحسد كلاهما بمعنى التمني إلا أن الغبطة تمني مثل حال الرجل مع بقائها عليه والحسد تمني زوالها إلى الحاسد . قال الواحدي : جعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاعها فهي كالمكان الواحد لاتصال بعضها ببعض والخيل ليست كذلك لأنها متفرقة فجعل لها الحسد .

(٧) الجحفل الجيش العظيم . واللجب المختلط الأصوات .

(٨) أي من قبل أن يصطحبا فحذف أن وأبقى النصب . أراد إذا التقى الديناران عنده تفرقا قبل الاصطحاب فهما يلتقيان مجتازين لا مصطحبين كما قال الآخر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا — لكن يمر عليها وهو منطلق

(٩) المجتدى السائل . ونعب الغراب صاح . يقول : كأن غراب البين يرقب ماله فكلما جاءه سائل نعب فيه فتفرق شمله .

بَحْـرٌ عَجـائِبُهُ لـم تُبْقِ في سَمَرٍ ولا عَجـائِبَ بحرٍ بَعدهَـا عَجَبَـا[1]

لا يُقْنِـعُ ابنَ عليّ نَيْـلُ مَنـزِلَـةٍ يَشـكُو مُحاوِلُهـا التّقصيرَ والتّعَبَـا[2]

هَـزّ اللّواءَ بَنـو عِجْلٍ بـهِ فَغَـدا رأسـاً لهـمْ وغَـدا كُـلٌّ لهُـمْ ذَنَبَـا[3]

ألتّارِكينَ مِـنَ الأشيـاءِ أهْـوَنَها والرّاكبينَ مِنَ الأشياءِ ما صَعُبَـا[4]

مُبَرْقِعي خَيلِهِمْ بالبِيضِ مُتّخـذي هـامِ الكُـماةِ على أرماحِهِـمْ عَذَبَا[5]

إنّ المَنيّةَ لَـوْ لاقَتْـهُـمُ وَقَفَـتْ خَـرْقاءَ تَتّـهِـمُ الإقـدامَ والهَرَبا[6]

مَـراتِبٌ صَعِدَتْ والفِـكْرُ يَتْبَعُـها فَـجازَ وهْـوَ على آثـارِها الشُّهُبَا[7]

---

(١) السمر حديث الليل . يقول : هو بحر له عجائب في الفضل والشجاعة لا تحكيها العجائب التي يتحدث بها أهل السمر ولا تذكر في جنبها عجائب البحار وإنما هي بالنسبة إليها كالشيء المألوف لغرابة ما يبدو منه ويذكر عنه .

(٢) محاولها طالبها وأصله طلب الشيء بالحيلة . أي أنه لا يقنع ببلوغ هذه المنزلة العظيمة التي يشكو طالبها تقصير همته عنها وتعبه في تحصيلها وإنما هو دائماً يطلب المزيد إلى ما يعجز عنه الطالبون .

(٣) اللواء الراية . وبنو عجل قبيلة الممدوح . يقول : حركوا لواءهم باسمه أي جعلوه قائدهم فصار سيداً لهم وصاروا هم سادات الناس .

(٤) نصب التاركين على المدح بإضمار أعني أو أمدح . أي أنهم لعلو هممهم يتركون سهل الأمور وحاصلها ويرومون المطالب الشاقة والغايات البعيدة .

(٥) البيض السيوف . والهام جمع هامة وهي الرأس . والكماة الأبطال المدججون في السلاح . والعذب جمع عذبة وهي الريش المعلق في طرف الرمح . أي أن سيوفهم تحول دون خيلهم فلا يصل إليها طعن أو ضرب فتكون لها بمنزلة البراقع يعني أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . ويحتمل أن يكون المراد أنهم يدهشون أبصار الأعداء بلمعان سيوفهم المسلولة فوق رؤوس خيلهم فلا يبصرون وجوهها كأنها مبرقعة . وقوله متخذي هام الكماة أي أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم فتكون شعورها بمنزلة العذب التي تعلق على الرماح .

(٦) المنية الموت . والخرقاء مؤنث الأخرق وهو الأحمق الضعيف الرأي . يقول : لو لاقتهم المنية يوم حرب لوقفت من الخوف لا يتجه لها رأي في السلامة فهي تتهم الإقدام مخافة الهلكة وتتهم الهرب مخافة اللحاق والوقوع في أيديهم .

(٧) الكواكب . أي لهم مراتب علت في السماء وتبعها فكر المتأمل فيها فجاوز الكواكب في صعوده وراءها حتى ترك الكواكب تحته ولم يبلغ إليها .

مَحامِدٌ نَزَفَتْ شِعْري لِيَمْلأَها ... فآلَ ما امتَلأَتْ مِنْهُ ولا نَضَبَا[١]

مَكارِمٌ لكَ فُتَّ العالمينَ بهَا ... مَنْ يَسْتَطيعُ لأمْرٍ فائِتٍ طَلَبَا

لمّا أقَمْتَ بإنْطاكِيّةَ اخْتَلَفَتْ ... إلَيّ بالخَبرِ الرُّكْبانُ في حَلَبَا[٢]

فَسِرْتُ نَحْوَكَ لا ألْوي على أحَدٍ ... أحُثّ راحلَتيَّ : الفَقْرَ والأدَبَا[٣]

أذاقَني زَمَني بَلْوَى شَرِقْتُ بها ... لَوْ ذاقَها لَبَكَى ما عاشَ وانتَحَبَا[٤]

وإنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ والدةً ... والسَّمْهَريَّ أخاً والمَشرَفيَّ أبَا[٥]

بكلّ أشعثَ يَلقى الموْتَ مُبْتَسِماً ... حتى كأنّ لهُ في قَتْلِهِ أرَبَا[٦]

قُحٍّ يَكادُ صَهيلُ الخَيلِ يَقذِفُهُ ... عن سرْجِهِ مَرَحاً بالعِزّ أو طَرَبَا[٧]

فالمَوْتُ أعذَرُ لي والصّبرُ أجملُ بي ... والبَرُّ أوْسَعُ والدّنْيا لِمَنْ غَلَبَا[٨]

★ ★ ★

---

(١) نزفت أي استفرغت . وآل بمعنى عاد . ونضب جف . شبه المحامد في اقتضائها ما يكافئها من المدح بالإناء الذي لا يمتلىء إلا بقدر ما يسع من الماء .

(٢) قوله اختلفت أي جاءت مرة بعد أخرى . ويريد بالركبان جماعات القصاد الذين أتوا الممدوح فرجعوا عنه بالهبات والعطايا .

(٣) ألوي أي أعرج . يقول : جئتك لا أميل في سيري ولا أقف حتى بلغتك محمولا على راحلتين من فقري الذي يسعى بي إلى بابك طلباً للعطاء وأدبي الذي اتخذته وسيلة في قصدك .

(٤) شرقت أي غصصت يقول : لو كان الدهر شخصاً وذاق البلاء الذي ذقته منه لم يستطع عليه صبراً لشدته فكيف أصبر أنا على بلائه .

(٥) عمرت أي عشت . والسمهري الرمح . والمشرفي السيف . أي جعلت هذه المذكورات عشيرتي التي أنتسب إليها ولا أفارقها .

(٦) الأشعث الأغبر . والأرب الحاجة . أي ألازم الحرب بكل رجل قد اغبر من طول الأسفار ولقاء الحروب يرمي بنفسه في مواقع الهلكة حتى كأن القتل له حاجة يبغيها ويسعى إليها .

(٧) القح الخالص يريد العربي الخالص النسب وهو نعت لأشعث . ويقذفه يرمي به . والمرح النشاط . وروى ابن جني صهيل الجرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر . ويروى مرحاً بالغزو . والمعنى أن هذا الرجل إذا سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب .

(٨) يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش راضياً بالذل . والصبر على البلاء أجمل بي من الجزع لأنه أبعد عن الشماتة وأقرب إلى الفوز . والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه . والدنيا لمن زاحم وغلب لا لمن رضي بقسمة الدهر .

.. شبيه الشيء منجذب إليه .. والمتنبي يؤكد هذه المقولة في قصيدة أبياتها الأولى تقول :

فُؤادٌ ما تُسَلّيهِ المُدامُ ... وعُمْرٌ مثلُ ما تَهَبُ اللِّئَامُ[١]

ودَهْرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغارٌ ... وإنْ كانتْ لهمْ جُثَثٌ ضِخامُ[٢]

وما أنا مِنْهُمُ بالعَيشِ فيهم ... ولكنْ مَعدِنُ الذّهَبِ الرَّغامُ[٣]

أرانِبُ غَيرَ أنّهُمُ ملُوكٌ ... مُفَتَّحَةٌ عُيُونُهُمُ نِيَامُ[٤]

بأجْسامٍ يَحَرّ القَتْلُ فيها ... وما أقْرانُها إلّا الطّعامُ[٥]

وخَيْلٍ ما يَخِرّ لها طَعِينٌ ... كأنّ قَنَا فَوارِسِها ثُمَامُ[٦]

ويمضي فيصور حال الناس والصداقات الخادعة فيقول :

خَليلُكَ أنتَ لا مَن قُلتَ خِلّي ... وإنْ كَثُرَ التّجَمّلُ والكَلامُ[٧]

ولو حِيزَ الحِفاظُ بغَيرِ عَقْلٍ ... تَجَنّبَ عُنقَ صَيقَلِهِ الحُسامُ[٨]

---

(١) يجوز في فؤاد أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أي لي فؤاد أو خبراً عن محذوف أي فؤادي فؤاد . وهذا الوجه أحسن في البيت الثاني . والمدام الخمر . وقوله مثل ما تهب اللئام كناية عن قلته . يقول : إن فؤاده لا يتسلى بالخمر واللهو عن طلب المعالي كما يتسلى سائر الناس والعمر قصير لا يمكن فيه انتظار الحاجات فإنه ربما انصرم قبل ذلك .

(٢) أي هم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان .

(٣) التراب . يقول : إني لا أعد نفسي من هؤلاء الناس وإن عشت بينهم كالذهب الذي يكون بين التراب ولكنه لا يحسب من التراب .

(٤) يقول : هم كالأرانب إلا أن في أيديهم ضرعاماً وعيونهم مفتحة ولكنهم غافلون كأنهم نيام .

(٥) يحر أي يشتد . والأقران جمع القرن ، وهو الكفؤ في الحرب . يقول : إنهم لا يهتمون إلا بالمآكل فيموتون بالتخمة لا في وقائع الحرب لأنهم لا يشهدونها .

(٦) خيل معطوف على أجسام . ويخر يسقط . والقنا الرماح . والثمام نبات ضعيف . أي أن طعنهم لا يؤثر في المطعون لضعفهم فكأنهم يطعنون بالثمام .

(٧) يقول : لا خليل لأحد على الحقيقة إلا نفسه فلا يثق الإنسان بصداقة أحد وإن كان كثير التجمل لين المقال .

(٨) حيز مجهول حاز بمعنى ملك . والحفاظ المحافظة على الحقوق . والصيقل الذي يعمل السيوف . والحسام السيف القاطع . أي لو أمكن أن يحافظ على المودة والوفاء ما لا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق صيقله لا يقع عليه ولا يقطعه . والمعنى أنهم لا عقول لهم فلا يوثق منهم بذمام .

وشِبْهُ الشيءِ مُنجَذِبٌ إلَيْـهِ   وأشْبَهُنَـا بدُنْيـانـا الطَّغـامُ[1]
ولَـوْ لم يَعْـلُ إلّا ذو مَحَـلٍّ   تَعـالى الجَيْـشُ وَانْحَطَّ القَتَـامُ[2]
ولَـوْ لم يَـرْعَ إلّا مُسْتَحِـقٌّ   لِـرُتْبَتِـهِ أسامَهُـمُ المُسَـامُ[3]
ومَـنْ خَبَرَ الغَـوانـيَ فالغَـواني   ضِيـاءٌ في بَـواطِنِـهِ ظَـلامُ[4]
إذا كـانَ الشّبابُ السُّكـرَ والشّيْـبُ هَـمّاً فالحَياةُ هيَ الحِمامُ[5]
ومـا كُـلٌّ بمَعذورٍ ببُخْـلٍ   ولا كُـلٌّ عـلى بُـخْلٍ يُـلامُ
ولـم أرَ مِـثْلَ جيراني ومِـثْلي   لِمِـثْلي عِـنـدَ مِثْلِهِـمِ مُقـامُ[6]
بأرْضٍ ما اشْتَهَيْـتَ رأيـتَ فيها   فلَيـسَ يَفُـوتُهـا إلّا الكِـرامُ[7]
فَهَلّا كـانَ نَقْصُ الأهْـلِ فيـها   وكـانَ لأهْلِهـا مِنها التّمـامُ[8]
بهـا الجَبَـلانِ مِنْ صَخْرٍ وفَخْـرٍ   أنَـافَـا ذا المُغيثُ وذا اللُّـكامُ[9]

---

(١) الطغام هم الأرذال . يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه والدنيا خسيسة فهي لذلك تميل إلى الخساس من الناس .

(٢) يريد بالمحل المكانة الرفيعة . والقتام الغبار . يقول : إن علوهم في الدنيا لا يدل على فضيلتهم واستحقاقهم وضرب لذلك مثلا بالجيش والغبار فإن الغبار يرتفع فوق الجيش وهو مما تثيره الأقدام والحوافر .

(٣) قوله لم يرع من الرعاية بمعنى السياسة . وسامت الرعية رعت وأسامها صاحبها . يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق لوجب أن يكون أولئك الفحول رعية ورعيتهم ولاة يسوسونهم لأنهم أحق منهم . وقال ابن فورجه المسام المال المرسل في مراعيه .

(٤) خبر بمعنى اختبر . والغواني النساء الحسان .

(٥) الموت . يقول : إذا كان الانسان في شبيبته غائصاً في سكر من اللهو والصبا وعند مشيبه غائصاً في بحر من الهم حتى لا يعي في عمره شيئاً فحياته أشبه بالممات لأن حاله وحال الميت سيان .

(٦) يشكو لؤم الذين يجاورهم ويلوم نفسه على الإقامة بينهم .

(٧) يقول : إن هذه الأرض قد اشتملت على كل ما يشتهي من مال وجمال فلا ينقصها إلا أن يكون لها أهل كرام .

(٨) يقول : هي كاملة في صفاتها وهم ناقصون في أخلاقهم فهو يتمنى أن يكون كمالها فيهم ونقصهم فيها لأن كمال الأرض مع نقص سكانها لا يفيد شيئاً .

(٩) أنافا أشرفا . والمغيث الممدوح . واللكام جبل بالشام . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر وهو جبل اللكام والثاني من فخر وهو الممدوح .

وَلَيْسَتْ مِنْ مَواطِنِهِ ولكِنْ يَمُرّ بها كَما مَرّ الغَمَامُ[1]

سَقَى اللّهُ ابنَ مُنْجِبَةٍ سَقَاني بِدَرٍّ ما لراضِعِهِ فِطامُ[2]

ومَنْ إحْدى فَوائِدِهِ العَطَايا ومَن إحدى عَطاياهُ الذّمامُ[3]

وقد خَفيَ الزّمانُ بِهِ عَلَينا كسِلْكِ الدُّرّ يُخْفيهِ النّظامُ[4]

تَلَذّ لهُ المُروءَةُ وهيَ تُؤذي ومَنْ يَعشَقْ يَلَذّ لهُ الغَرامُ[5]

تَعَلّقَها هَوَى قَيسٍ للَيْلى وواصَلَها فَلَيسَ بهِ سَقَامُ[6]

يَروعُ رَكانَةً ويَذوبُ ظَرْفاً فَما يُدرَى أشَيْخٌ أمْ غُلامُ[7]

وتَمْلِكُهُ المَسائِلُ في نَداهُ وأمّا في الجِدالِ فلا يُرامُ[8]

---

(١) الغمام هو السحاب . قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فأخرجه منهم وجعل نزوله فيهم اجتيازاً كما يجتاز الغمام بأرض فيمطر عليها ثم يقلع إلى غيرها .

(٢) تقول العرب سقى الله فلاناً يريدون سقى أرضه وهو دعاء له بالخصب . والمنجبة التي تلد النجباء . والمراد بابنها الممدوح كنى بذلك عن كونه نجيباً . والدر اللبن أراد به عطاياه .

(٣) من عطف على ابن منجبة . والذمام العهد . يعني أن فوائده لا تنحصر في العطايا فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة الجانب وغيرهما . وعطاياه لا تنحصر في الأموال فمن جملتها العهد والمودة . يعني أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز ولكن يعامله معاملة الحاشية والخواص .

(٤) السلك الخيط الذي ينظم به العقد . والنظام مصدر نظم . وقد أكثر الشراح في معنى هذا البيت والأظهر في مراده منه أن مآثر الممدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات كما يتواصل الدر في السلك فامتلأ الزمان من فضائله وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أو كرم وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هى الزمان وخفي الزمان الذي هي منتظمة فيه كما يخفي السلك وراء الدر .

(٥) أي أنه يجد المروءة لذيذة مع ما فيها من التكاليف التي تؤذي صاحبها كما أن العاشق يستلذ العشق مع ما فيه من النصب .

(٦) تعلقها أي هويها والضمير للمروءة . وهوى مفعول مطلق . يقول : هَوِيَ المروءة كهوى قيس العامري لليلى ولكنه واصلها فلم يسقم بها كقيس .

(٧) يروع أي يخيف . والركانة الرزانة والوقار . والظرف خفة الروح وذكاء القلب وهو مما يوصف به الفتيان . والمعنى أنه جمع بين وقار الشيوخ وظرافة الشبان .

(٨) المسائل المطالب . والندى الجود . أي أنه إذا وردت عليه المسائل من جهة الطالبين انقاد لها ولم يستطع ردها وأما المسائل التي تلقى عليه في الجدال فإنه لا يطاق فيها .

وقَبـضُ نَـوالِـهِ شَـرَفٌ وعِـزٌ ... وقبضُ نَـوالِ بعضِ القَـومِ ذامُ[١]

أقامتْ في الـرِّقـابِ لَـهُ أيـادٍ ... هيَ الأطـواقُ والنّـاسُ الحَـمامُ[٢]

إذا عُـدّ الكِـرامُ فتِـلْكَ عِـجْـلٌ ... كمَـا الأنْـواءُ حيـنَ تُعَـدّ عـامُ[٣]

تَـقي جَبَـهاتُهُـمْ مـا في ذَرَاهُـمْ ... إذا بشِـفارِها حَمِـيَ اللِّطـامُ[٤]

ولو يَمّمْتَـهُـمْ في الحَشْـرِ تجـدو ... لأعطَـوْكَ الـذي صَلّـوا وصـامُـوا[٥]

فإنْ حَلُـمُـوا فـإنّ الخَـيلَ فيهِـمْ ... خِـفافٌ والرِّمـاحَ بهـا عُـرامُ[٦]

وعِـندَهُـمُ الجِـفـانُ مُكَـلَّـلاتٍ ... وشَـزْرُ الطّـعْنِ والضّـرْبُ التُّـؤامُ[٧]

نُصَـرّعُـهُـمْ بأعْيُنِنـا حَـيَـاءً ... وتَنْبُـو عَـن وجُـوهِهِـمِ السّـهـامُ[٨]

---

(١) النوال العطاء . والذام العيب . يقول : إن قبول عطائه شرف لما فيه من دليل التقريب والإعزاز وأما عطية الدنيء فقبولها عار لما فيها من فضل المعطي على الآخذ .

(٢) الأيادي النعم . والحمـام عند العرب اسم جامع لذوات الأطواق من الطير . أي أن نعمته قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام .

(٣) عجل قبيلة الممدوح . والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق . يقول : إذا عد الكرام كان مجموعهم بني عجل كما أن الأنواء مجموعها العام يعني أن الكرم محصور فيهم لا يتجاوز إلى سواهم .

(٤) الذرا ، بالفتح والقصر ، كل ما استتر به الشخص ، يقال أنا في ذراه أي في ستره وكنفه . ويحتمل أن يكون بضم الذال أو كسرها ، جمع ذروة بالوجهين وهي من كل شيء أعلاه يعني في قصورهم . والشفار جمع شفرة وهي جانب النصل وحده . والضمير المضافة إليه للسيوف استغنى عن تقدم ذكرها بدلالة الحال . واللطام المضاربة . يقول : إنهم يقتحمون السيوف بجباههم ليدافعوا عما في منازلهم من الحرم والوفود .

(٥) يممتهم قصدتهم . والحشر القيامة . وتجدو تسأل العطاء . يقول : لو قصدهم سائل يوم القيامة لأعطوه صلاتهم وصيامهم لأنهم لم يتعودوا أن يردوا سائلا .

(٦) عرام يعنى شراسة . أي أنهم من ذوي الرزانة والرفق ولكن خيلهم خفيفة ورماحهم شرسة .

(٧) الجفان القصاع . ومكللات أي مغطاة باللحم وهي حال . والشزر ما كان عن اليمين والشمال . والتؤام جمع التوأم على غير قياس أي مزدوج . يعني أنهم بلغوا منتهى الكرم والشجاعة .

(٨) صرعه طرحه والتشديد للتكثير . ونبا السهم عن الهدف لم يعمل فيه . يقول : إنهم رقاق الوجوه من الحياء يصرعهم نظر الناظر أي يغلبهم الحياء عند نظرته احتشاماً ولكنهم إذا نازلوا العدو في الحرب ردوا بأوجههم السهام .

قَبيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ المَعالي كما حَمَلَتْ من الجسد العِظامُ[1]

يتحدث بعد هذا عن ممدوحه وأنه في الذروة من هؤلاء الناس ثم يختتم قصيدته بقوله :

لقد حَسُنتْ بكَ الأوقاتُ حتى كأنّكَ في فَمِ الزّمَنِ ابتِسامُ[2]
وأُعطيتَ الذي لم يُعْطَ خَلْقٌ عَلَيكَ صَلاةُ رَبّكَ والسّلامُ

★ ★ ★

.. عظيمة هي الجوائز .. وكثيرة هي المنح والعطايا .. ووفيرة هي الدنانير التي حظي بها المتنبي من الذين شملهم بمدحه فى قصائد منحتهم الخلود .. ولكن قصيدة واحدة لم يُجز عليها بغير دينار واحد فسُميت بالدينارية وهي التي يقول في مستهلها :

بأبي الشُّموسُ الجانِحاتُ غَوارِبَا أللّابِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبَا[3]
ألمُنْهِباتُ عُقُولَنَا وقُلُوبَنَا وجَناتِهِنّ النّاهِباتِ النّاهِبَا[4]
ألنّاعِماتُ القاتِلاتُ المُحْيِيَا تُ المُبْدِياتُ مِنَ الدّلالِ غَرائِبَا[5]
حاوَلْنَ تَفْدِيَتي وخِفْنَ مُراقِبا فوَضَعْنَ أيدِيَهُنّ فوْقَ تَرائِبَا[6]

---

(١) القبيل الجماعة وهو خبر عن محذوف يرجع إلى الممدوحين . أي أنهم يحملون المعالي ويقومون بها كما تحمل العظام الجسد .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وظهرت بشاشتها حتى كأنه مبتسم بك .

(٣) الباء للتفدية . والشموس يجوز فيها الرفع والنصب . والجانحات المائلات . والجلابب جمع جلباب وهو ما يتلحف به من الثياب وأصله جلابيب فحذف الياء للضرورة . كنى بالشموس عن النساء وبغروبهن عن الارتحال .

(٤) أي اللواتي جعلن عقولنا وقلوبنا نهباً لوجناتهن يسبينها بمحاسنهن . ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب أي الرجل الشجاع الذي ينهب الناس .

(٥) أي الناعمات الأبدان القاتلات بهجرهن المحييات بوصلهن . والمبديات أي المظهرات . والدلال جرأة المرأة على الرجل في تكسر وتغنج .

(٦) حاولن أي أردن . والتفدية أن تقول للرجل بنفسي أفديك . والترائب جمع تريبة وهي العظم تحت الترقوة . يقول : أردن أن يقلن لي نفديك بأنفسنا فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوفاً من سمع الرقيب .

وبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشيتُ أُذيبُهُ مـن حَرّ أنْفـاسي فكُنْتُ الذّائِبَـا[1]

يـا حَبّـذا المُتَـحَمّـلُونَ وحَبّـذا وَادٍ لَثَـمْـتُ بـهِ الغَـزالَـةَ كاعِـبَا[2]

كَيفَ الـرّجـاءُ منَ الخُـطوبِ تخَلُّصاً مِنْ بَعْـدِ مـا أنْشَبنَ فيّ مَـخالِبَـا[3]

أوْحَـدْنَـني وَوَجَـدْنَ حُـزْناً واحـداً مُـتَناهِـياً فجَعَلْـنَـهُ لي صـاحِـبَـا[4]

ونَصَبْنَـني غَـرَضَ الـرّماةِ تُصيبُـني مِـحَـنٌ أحَـدُّ منَ السّيـوفِ مَضارِبَا[5]

أَظْمَتْنِيَ الدّنْـيا فَلَمّـا جِئْتُهَـا مُسْتَسْـقِياً مَطَـرَتْ عليَّ مَصـائِبَـا[6]

وحُبِيتُ من خُـوصِ الرِّكابِ بأسْوَدٍ من دارِشٍ فغَدَوْتُ أمشي راكِبَا[7]

---

(١) يريد بالبرد أسنانهن أي اني كنت أخاف على ثغورهن أن تذوب من حرارة أنفاسي فلما رحلن ذبت أنا من شوقي إليهن .

(٢) المتحملون أي المرتحلون . والغزالة يمكن أن يراد بها الشمس أو الحيوان أي لثمت غزالة في صورة كاعب من النساء وهي الجارية التي بدأ ثديها للنهود .

(٣) الخطوب الأمور الثقال . وأنشبن علقن . والمخالب جمع المخلب ، بكسر الميم ، وهو للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للإنسان . يقول : كيف أرجو أن أتخلص من الخطوب بعد تمكنها مني ونفاذ حكمها في .

(٤) أوحدنني أي صيرنني واحداً والضمير للخطوب . يقول : تركتني الخطوب وحيداً بعد تفريقها بيني وبين الأحبة وجعلت قريني بعدهم ما أجده من الحزن الوحيد المتناهي وهو حزن الفراق .

(٥) الغرض الهدف يرمي بالسهام . ومضارباً تميز وهي جمع مضرب ، بفتح الراء وكسرها ، وهو حد السيف .

(٦) أظمتني أعطشتني وأصله أظمأتني بالهمزة فخففه . والاستسقاء طلب السقي . يقول : إن حظه كان من الدنيا الحرمان فلما أقبل يلتمس جودها أفرغت عليه المصائب .

(٧) حبيت أي أعطيت . والخوص جمع أخوص وهو الغائر العينين من الجهد والإعياء ومن الداخلة عليها للبدل . والركاب الإبل . والدارش جلد أسود . يقول : أعطيت بدلا من الإبل خفاً أسود فأنا راكب ماش .

ويتحدث بصفات ممدوحه فى أبيـات جزلة : منها هذه التي يختتم بها قصيدته .

أُسُدٌ فَرائِسُها الأُسُودُ يَقُودُهَا ... أَسَدٌ تصيرُ لهُ الأُسـودُ ثعالِبا
هـذا الذي أفنى النُّضارَ مَـواهِباً ... وعِـداهُ قَتْلًا والزّمانَ تَجَارِبَا[١]
ومُخَيِّبُ العُذّالِ مِمّا أمّلُوا ... مِنْهُ ولَيسَ يَرُدّ كَفّاً خائِبَا[٢]
هذا الذي أبصَرْتُ منهُ حاضِراً ... مثْلَ الذي أبْصَرْتُ مِنْهُ غائِبَا[٣]
كالبَدْرِ من حَيثُ التَفَتَّ رَأيْتَهُ ... يُهْدي إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقِبَا[٤]
كالبَحْرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهِراً ... جُوداً ويَبْعَثُ للبَعيدِ سَحائِبَا
كالشّمسِ في كَبِدِ السّماءِ وضَوْؤها ... يَغْشَى البِلادَ مَشارِقاً ومَغارِبَا[٥]
أمُهَجِّنَ الكُرَماءِ والمُزْري بهِمْ ... وتَرُوكَ كلِّ كريمِ قوْمٍ عاتِبَا[٦]
شادوا مَناقِبَهُمْ وشِدْتَ مَناقِباً ... وُجِدَتْ مَناقِبُهُمْ بهِنّ مَثَالِبَا[٧]
لَبّيْكَ غَيظَ الحاسِدينَ الرّاتِبَا ... إنّا لَنَخْبُرُ من يَدَيْكَ عَجَائِبَا[٨]

---

(١) النضار الذهب . ومواهباً وما بعده تمييز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطايا والأعداء بالقتل والزمان بالتجارب بمعنى أنه قد جرب من أحوال الزمان وغرائبه ما لم يدع عنه الزمان شيئاً لم يعرفه فلا يقع له شيء لم يجرب بمثله .

(٢) مخيب معطوف على الخبر في البيت السابق . والكف انثى في الفصيح ، وإنما ذكرها هنا قيل على معنى العضو وقيل على إرادة السائل . ويمكن أن يكون المراد خائباً صاحبها على رفع الوصف للسببي وحذف لضيق المقام .

(٣) ويروى أبصرت على الخطاب . وحاضراً وغائباً على الوجهين حال من فاعل أبصرت .

(٤) ثاقباً : مضيئاً .

(٥) كبد السماء وسطها . والمعنى في هذه الأبيات واحد يريد أنه عام النفع للقريب والبعيد .

(٦) هجنه قبحه والهمزة للنداء . وأزرى به عابه . وتروك بمعنى تارك . وعاتباً مفعول ثان لتروك والمفعول الأول المضاف إليه . ويروى عائباً . يقول : إنك هجنت الكرام لتقصيرهم عن مبلغ كرمك وتركتهم عاتبين عليك لما أظهرت من نقصهم أو عائبين لك حسداً .

(٧) شادوا بنوا ورفعوا . والمناقب المفاخر . والمثالب المعايب . أي لما قوبلت مناقبك بمناقبهم ظهرت مناقبهم أمامها كالعيوب .

(٨) لبيك كلمة إجابة وطوع . وغيظ الحاسدين منادى . والراتب الثابت المقيم . ونخبر أي نشاهد ونعلم أظهر الإجابة للممدوح كأن الممدوح يناديه بلسان جوده لصوغ الثناء عليه كما قال : لبى نداك لقد نادى فأسمعني ، وسماه غيظ الحاسدين إشارة إلى أنه قد بلغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك .

تَـدبيرَ ذي حُنَـكٍ يُفَــكِّرُ في غَـدٍ ... وهُـجُومَ غِرٍّ لا يَـخافُ عَـواقِبَـا[1]

وعَـطاءَ مالٍ لوْ عَـداهُ طالِـبٌ ... أنْفَقْتَـهُ في أنْ تُـلاقـيَ طالِبَـا[2]

خُـذْ مِـنْ ثَنـايَ عَلَيْـكَ ما أسطيعُـهُ ... لا تُلْـزِمَنّـي في الثّنـاءِ الواجِبَـا[3]

فلَقَـدْ دَهِشْـتُ لِمـا فَعَلْـتَ ودونَـهُ ... ما يُدهِـشُ المَلَكَ الحَفيـظَ الكاتِبَـا[4]

★ ★ ★

وفي أُخرىٰ .. يتحدث في مطلع قصيدة عن البين .. والحب .. والجمال ليذكر ممدوحه بما يحب . ولكن ليس لنا به حاجة ، ولذا فانا نكتفي بصدر القصيدة وما فيها من إبداع إذ يقول :

نَرَى عِظَـماً بالبَـينِ والصـّدُّ أعظَـمُ ... ونَتّهِـمُ الواشِـينَ والدّمْعُ مِنْهُـمُ[5]

ومَنْ لُبُّـهُ مَعْ غَـيرِهِ كَيفَ حالُـهُ ... ومَنْ سِـرّهُ في جَفْنِهِ كيفَ يُـكتَـمُ[6]

ولمّـا التَقَيْـنا والنّـوَى ورَقيبُنـــا ... غَفُـولانِ عَنّـا ظِلْـتُ أبكي وتَبسِمُ[7]

---

(١) التدبير النظر في عواقب الأمور وهو بدل من عجائب في البيت السابق أو مبتدأ محذوف الخبر أي لك تدبير . والحنك جمع حنكة وهي الخبرة والتجربة . والغر الجاهل الذي لم تحكمه التجارب . يقول : إنه يدبر ملكه تدبير حكيم مختبر ويهجم في الحرب هجوم جاهل لا ينظر في العواقب .

(٢) عطاء معطوف على تدبير . وعداه أي فاته . يقول : إنه لو لم يجد طالباً يعطيه أمواله لأنفقها في البحث عن طالب يعطيه .

(٣) أسطيعه أي أستطيعه بحذف التاء . يقول : إني أثني عليك بقدر ما أستطيع لا بقدر ما يجب لك علي لأنه فوق طاقتي .

(٤) دهش تحير . ودونه خبر مقدم عن الموصول بعده . وقوله الملك الحفيظ يعني ما ورد من إن لكل إنسان ملكاً موكلا به يكتب حسناته وسيئاته . يعتذر عما ذكره في البيت السابق يقول : كيف أستطيع أن أحصي ثناءك وقد تحيرت بأفعالك ومن دون إحصاء أفعالك ما يحير الملك الكاتب بكثرته .

(٥) البين البعد . والواشي النمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه لأن مسافته لا تقطع بالمسير كما تقطع مسافة البين . ونتهم الوشاة بإفشاء أسرارنا والدمع واحد منهم لكشفه عما في الصدور فهو أولى بالتهمة .

(٦) اللب العقل . وقوله يكتم يروى بالمعلوم والمجهول . يريد بكون السر في الجفن أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . والمعنى أن قلبه أسير غيره ودمعه دائم الهطلان فهو سيء الحال دائم الافتضاح .

(٧) النوى البعد والواو قبلها للحال . وظلت أي ظللت . وقوله أبكي وتبسم أي أبكي من الوجد وهي تضحك من التيه .

فلَمْ أرَ بَدراً ضاحِكاً قبلَ وجْهِها ولم تَرَ قَبْلي مَيّتاً يَتَكَلّمُ

ظَلومٌ كمَتنَيْها لِصَبٍّ كَخَصْرِها ضَعِيف القُوَى مِن فِعلِها يَتظَلَّمُ[١]

بفَرْعٍ يُعيدُ اللّيْلَ والصبْحُ نَيّرٌ ووَجهٍ يُعيدُ الصبْحَ واللّيلُ مُظلِمُ[٢]

فلَوْ كانَ قَلبي دارَها كانَ خالِياً ولكنّ جَيش الشّوْق فيهِ عرَمرَمُ[٣]

أثَافٍ بها ما بالفُؤادِ مِنَ الصَّلَى ورَسْمٌ كَجسمي ناحِلٌ مُتَهَدّمُ[٤]

بَلَلْتُ بها رُدْنَيَّ والغَيمُ مُسعِدي وعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وفي عَبرَتي دَمُ[٥]

ولَوْ لم يكُنْ ما انهَلّ في الخدّ من دمي لمَا كانَ مُحْمَرّاً يَسيلُ فأسْقَمُ[٦]

بنَفْسِي الخَيالُ الزّائري بعد هجعَةٍ وقوْلَتُهُ لي بعدَنا الغُمض تَطعَمُ[٧]

★ ★ ★

---

(١) المتنان ما على جانبي الصلب عن يمين وشمال . ويتظلم أي يتشكى . يصفها بدقة الخصر وامتلاء المتن ويشبه نفسه بخصرها في الضعف والنحول . يقول : إنها قد ظلمته بتكليفه ما لا يطيق حمله من ثقل الدلال كما ظلم متناها خصرها بتكليفه حملها .

(٢) الفرع شعر الرأس والباء متعلقة بمحذوف تقديره تبدو ونحوه .

(٣) العرمرم الكثير . يقول : إنها قد رحلت عن دارها وتركتها خالية ولكن قلبي لا يخلو مثلها لأن فيه من الشوق جيشاً عظيماً .

(٤) الأثافي الحجارة تنصب تحت القدر واحدتها أثفية وهي مبتدأ محذوف الخبر أي فيها أو هناك أثاف . والصلى الحريق . والرسم أثر الدار . يشبه الأثافي بقلبه في الاحتراق ورسم دارها بجسمه في النحول والانهدام وهو على عكس التشبيه للمبالغة .

(٥) بها أي فيها والضمير للدار . والردن أصل الكم . وأسعده أعانه . والعبرة الدمع . والصرف الخالص يستعمل للمذكر والمؤنث . يقول : بكيت في تلك الدار وجرى الغيث يساعدني في البكاء ولكن دموعه كانت ماء صرفاً ودموعي كانت ممزوجة بالدم .

(٦) انهل سال . وقوله يسيل خبر آخر لكان . يقول : لو لم يكن دمعي من دمى لم يكن أحمر ولم أسقم بعد سيلانه .

(٧) الباء للتفدية . والهجعة الرقدة . وقوله بعدنا أي أبعدنا بهمزة الإنكار فحذف لضيق المقام . وطعم الشيء ذاقه . يقول : عاتبني الخيال الزائر على المنام واتهمني بالسلو لأن من فارقته أحبته لا ينام .

ويَرْوِي كيف رأى الشمس والقمر في وقت واحد وذلك ضمن قصيدة يتحدث فيها عن كرم ممدوحه . تكفينا الأبيات الأولى منها . وهي التي يتحدث فيها عن التي أرته القمرين معاً إذ يقول :

أَرَكائِبَ الأَحْبابِ إنّ الأَدْمُعَا ... تَطِسُ الخُدودَ كما تَطِسْنَ اليَرْمَعا[1]

فاعْرِفْنَ مَن حمَلَتْ عليكنّ النَّوَى ... وامشينَ هَوْناً في الأَزِمَّةِ خُضَّعَا[2]

قد كانَ يَمنَعني الحَياءُ منَ البُكَا ... فاليَوْمَ يَمْنَعُهُ البُكا أنْ يَمْنَعَا[3]

حتى كأنّ لكُلّ عَظْمٍ رَنّةً ... في جِلْدِهِ ولكُلّ عِرْقٍ مَدْمَعَا[4]

وكَفَى بمَن فضَحَ الجَدايةَ فاضِحاً ... لمُحبّهِ وبمَصْرَعي ذا مَصْرَعَا[5]

سَفَرَتْ وبَرْقَعَها الفِراقُ بصُفْرَةٍ ... سَتَرَتْ مَحاجرَها ولم تَكُ بُرْقُعَا[6]

فكأنّها والدّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَها ... ذَهَبٌ بسِمْطَيْ لُؤلُؤٍ قد رُصّعَا[7]

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شَعْرِها ... في لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَاليَ أَرْبَعَا[8]

---

(١) الركائب جمع ركاب وهي الإبل والهمزة الداخلة عليها للنداء . والوطس الضرب الشديد . واليرمع حجارة رخوة . يعني أن الدموع تقرع الخدود بشدة انصبابها وتبريها من الهزال كما تفعل أخفاف الإبل بالحجارة التي تطأها .

(٢) النوى البعد وهي فاعل حملت . والهون الرفق والتمهل وهو منصوب على المصدر أو الحال . والأزمة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة . يخاطب الإبل يقول : اعرفن قدر الحبيبة التى تحملنها ولا تزعجنها بالسرعة والمرح ولكن امشين بها رويداً خاضعات .

(٣) يعني أن الحياء كان غالباً على البكاء واليوم غلب البكاء على الحياء .

(٤) الرنة صوت الباكي . والضمير في جلده للعظم ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع مجرى الدمع . يقول : إنه لكثرة بكائه وانتحابه صار كأن كل عظم من عظامه يرن وكل عرق يدمع .

(٥) الجداية الغزال . وفاضحاً تمييز . والمصرع كناية عن المقتل وهو مصدر ميمي من صرعه أي طرحه على الأرض . يعني أن محبوبه متناه في الحسن وهو متناه في العشق .

(٦) سفرت أي كشفت عن وجهها . والمحاجر ما حول العينين . يقول : سفرت عن وجهها للوداع فألبسها وجل الفراق صفرة غطت ما كان في لونها من البياض والحمرة حتى عادت كأنها مبرقعة .

(٧) الضمير من كأنها للصفرة . والسمط خيط القلادة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط .

(٨) ويروى كشفت . والذوائب جمع ذؤابة وهي الخصلة من الشعر والأصل ذآئب فأبدل من الهمزة الأولى واو تخفيفاً . يقول : صارت تلك الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها .

واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السّماءِ بوَجْهِها ... فأرَتْني القَمَرَينِ في وقْتٍ مَعَا[1]
رُدّي الوِصالَ سقَى طُلولَكِ عارِضٌ ... لوْ كانَ وَصْلُكِ مِثْلَهُ ما أقْشَعَا[2]

★ ★ ★

.. في إحدى رحلات المتنبي وما أكثر تنقلاته .. إجتاز بمكان يعرف بالفراديس من أرض قنسرين موضعاً تملأه الوحوش . وسمع زئير الأسد فقال :

أجارُكِ يا أُسْدَ الفَراديسِ مُكْرَمُ ... فتَسكُنَ نَفسي أمْ مُهانٌ فمُسلَمُ[3]
ورائي وقُدّامي عُداةٌ كَثيرَةٌ ... أُحاذِرُ مِنْ لِصٍّ ومنكِ ومِنْهُمُ
فهَلْ لكِ في حِلفي على ما أُريدُهُ ... فإنّي بأسْبابِ المَعيشَةِ أعْلَمُ[4]
إذاً لأتاكِ الرّزْقُ مِنْ كلّ وِجْهَةٍ ... وأثْرَيْتِ مِمّا تَغْنَمِينَ وأغْنَمُ[5]

★ ★ ★

.. ويمضي المتنبي متنقلاً بين ديار الشام يمدح هذا وذاك بقصائد مختلفة .. ولكن نحن لا يهمنا لا ذاك ولا هذا .. وإنما الذي يعنينا هو اقتناص الجواهر مما يستهل به تلك القصائد أو يرد في ثناياها من حكم وبدائع .. ومنها التي يقول في مستهلها :

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقَباءُ ... إذْ حَيثُ كنتِ مِنَ الظّلامِ ضِياءُ[6]

---

(١) القمر والشمس والمراد بالشمس وجهها .

(٢) الطلول جمع طلل وهو رسم الدار . والعارض السحاب المعترض في الأفق . واقشع انكشف وزال . يدعو لطلولها بالسقيا ويقول : لو كان وصلك مثل العارض الذي أتمناه لها لكان دائماً لا ينقطع .

(٣) مهان مخذول . يخاطب أسود هذا المكان فيقول : هل يكون من جاورك مكرماً عزيزاً فأطمئن إلى جوارك أم يكون مهاناً مخذولا .

(٤) الحلف المعاهدة . يقول : هل ترغبين في معاهدتي على ما أريده من جوارك فإني أعلم منك بالتصرف في كسب المعاش كأنه يرغبها في مجاورته .

(٥) اللام داخلة في جواب إذاً . والوجهة الناحية . وأثرى كثر ماله . يقول : إن رغبت في مصاحبتي أتاك الرزق من كل ناحية واستغنيت بالغنائم التي نغنمها .

(٦) الازديار افتعال من الزيارة . والدجى جمع دجية وهي الظلمة . والمعنى أن الرقباء قد أمنوا زيارتك لي لأن الظلام الذي تدخلين فيه يضيء بنورك فتفتضحين .

قَلَقُ المَليحَةِ وهْيَ مِسْكٌ هَتكُها ... ومَسيرُها في اللّيلِ وهيَ ذُكاءُ[1]

أسَفي على أسَفي الذي دَلّهْتِني ... عَنْ عِلْمِهِ فَبِهِ عَليّ خَفَاءُ[2]

وَشكِيّتي فَقْدُ السّقامِ لأنّهُ ... قَدْ كانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ

مَثّلْتِ عَيْنَكِ في حشَايَ جِراحَةً ... فتَشابَها كِلْتاهُما نَجْلاءُ[3]

نَفَذَتْ عَلَيّ السّابِرِيَّ ورُبّما ... تَنْدَقّ فيهِ الصَّعدَةُ السّمْراءُ[4]

أنا صَخرَةُ الوادي إذا ما زُوحمَتْ ... وإذا نَطَقْتُ فإنّني الجَوْزاءُ[5]

وإذا خَفيتُ على الغَبيّ فَعاذِرٌ ... أنْ لا تَراني مُقْلَةٌ عَمْياءُ[6]

شِيَمُ اللّيالي أنْ تُشَكّكَ ناقَتي ... صَدْري بها أفضَى أمِ البَيداءُ[7]

★ ★ ★

---

(١) القلق الاضطراب . وذكاء علم للشمس . يقول : إن المليحة مسك فمتى تحركت انهتك سترها بسطوع رائحتها وكذلك هي شمس فمتى سارت بالليل رأتها الناس .

(٢) أسفي مبتدأ خبره الظرف بعده . ودلهه العشق ونحوه أذهب عقله وأذهله . يريد أنه كان قبل ذلك يتأسف على زمان وصالها فلما ألحت عليه بالهجر ذهب عقله حتى لم يعد يعرف الأسف فصار يتأسف على ذلك الأسف الذي كان له لأنه كان حينئذ عاقلا . وعلى هذا الأسلوب يجري البيت الذي يليه .

(٣) مثلت أي صورت . والجراحة الجرح . وقوله فتشابها يريد العين والجراحة . والنجلاء الواسعة . يقول : لما نظرت إلي صورت في قلبي مثال عينك جرحاً واسعاً فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .

(٤) ضمير نفذت للعين . والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسج . وتندق تنكسر . والصعدة القناة المستوية من منبتها . أي أن نظرتها نفذت الدرع إلى قلبه فلم تحصنه الدرع منها مع أنها تحصنه من الرماح .

(٥) صخرة الوادي مثل في الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تقدر على اقتلاعها . والجوزاء من أبراج الفلك . يقول : إذا زوحمت لم يقدر أحد على إزالتي فأنا مثل هذه الصخرة وإذا نطقت لم يبلغ أحد طبقتي فأنا في علو المنطق مثل الجوزاء .

(٦) عاذر خبر عن محذوف أي فأنا عاذر . يقول : إذا خفي مكاني على الغبي فلم يعرف فضلي ولم يعترف بعلو قدري فأنا عاذر له على ذلك لأنه كالأعمى الذي لا يرى الأشباح وهو معذور على ذلك لعجزه عن رؤيتها .

(٧) الشيم جمع شيمة وهي الطبيعة والخلق . وشككه حمله على الشك . وقوله صدري أراد أصدري فحذف لضيق المقام . وأفضى من الفضاء وهو الاتساع . والبيداء الفلاة . يقول : من طبع الليالي أن تبعد علي مطالبي وترميني بالنصب وطول الأسفار حتى توقع الشك عند ناقتي هل يكون صدري أفضى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفضى وذلك لما ترى من سعة صدري وطول تجلدي على المشقات والأسفار .

.. ويعاود المتنبي الثناء على ممدوحه بقصيدة أخرى نتعامل معها كسابقتها فنأخذ مستهلها الذي يقول فيه :

بَقائي شاءَ لَيسَ هُمُ ارْتحالا ... وحُسْنَ الصّبرِ زَمّوا لا الجِمالا[1]
تَوَلّوْا بَغْتَةً فَكَأنّ بَيْناً ... تَهَيّبَني فَفاجأني اغْتِيالا[2]
فكانَ مَسيرُ عيسِهِم ذَميلاً ... وسَيْرُ الدّمْعِ إثْرَهُمُ انهِمالا[3]
كأنّ العِيسَ كانَتْ فَوْقَ جفني ... مُناخاتٍ فَلَمّا ثُرْنَ سَالا[4]
وحَجّبَتِ النّوَى الظّبَياتِ عني ... فَساعَدَتِ البراقِعَ والحِجالا[5]
لَبِسْنَ الوَشْيَ لا مُتَجَمّلاتٍ ... ولكِنْ كَيْ يَصنّ بهِ الجَمَالا[6]
وضَفّرْنَ الغَدائِرَ لا لحُسْنٍ ... ولكنْ خِفنَ في الشّعَرِ الضّلالا[7]
بجِسْمي مَن بَرَتْه فلَوْ أصارَتْ ... وِشاحي ثَقْبَ لُؤلُؤةٍ لجَالا[8]

---

(١) اسم ليس ضمير الشأن . وهم مبتدأ خبره محذوف أي ليس هم شاؤوا والجملة خبر ليس . وزم البعير خطمه بالزمام . يقول : لما ارتحل الأحبة ارتحلت حياته لأنه غير باق بعدهم فبقاؤه هو الذي أراد الارتحال لا هم . ولما جعل حياته راحلة جعل مطيتها حسن الصبر لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب . وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن حياته والأحبة شيء واحد فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال وإنما هم الحياة عينها ومطيهم الصبر نفسه .

(٢) تولوا أدبروا . والبين الفراق . وتهيبني بمعنى هابني . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري .

(٣) العيس الكرام من الإبل . ويروى عيرهم وهي الإبل التي تحمل الميرة . والذميل السير اللين . والانهمال الانسكاب . يصف سير إبلهم وسيل دمعه يقول : كانت إبلهم تسير الذميل ودمعي ينصب في أثرهم انصباباً .

(٤) أناخ البعير أبركه . وثرن أي نهضن للمسير . والبيت مبني على ما قبله ، يقول : كنت لا أبكي قبل فراقهم فكأن مطاياهم كانت باركة فوق جفني تمسك دمعي عن الهطلان فلما رحلوا هطل دمعي فكأنها ثارت من فوق جفني . قال ابن جني : ما قيل في سبب بكاء أظرف من هذا البيت .

(٥) النوى البعد . والحجال الخدور .

(٦) الوشي الثياب المنقوشة . والتجمل التزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بالوشي ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين.

(٧) الغدائر جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر . يقول : نسجن شعرهن ضفائر لا طلباً للحسن ولكن خفن أن يضللن به لو أرسلنه لأنه يغشاهن كالليل .

(٨) الباء للتفدية . وبرته أنحلته . والوشاح شبه قلادة تشده المرأة بين العاتق والكشح . يقول : أفدي بجسمي التي أنحلته حتى لو جعلت وشاحي ثقب لؤلؤة لوسعني حتى يدور علي إذا شئت أن أديره .

ولَوْلا أنّني في غَيرِ نَوْمٍ   لَكُنْتُ أُظُنّني مني خَيالا[1]
بَدَتْ قَمَراً ومالَتْ خُوطَ بانٍ   وفاحَتْ عَنْبراً ورَنَت غَزالا[2]
وجارَتْ في الحُكومَةِ ثمّ أبْدَتْ   لَنا من حُسنِ قامَتِها اعتِدالا[3]
كأنّ الحُزْنَ مَشْغُوفٌ بقَلبي   فَساعَةَ هَجرِها يَجِدُ الوِصالا[4]
كَذا الدّنْيا على مَن كانَ قَبْلي   صُروفٌ لم يُدِمْنَ عَلَيْهِ حَالا[5]
أشَدُّ الغَمّ عِنْدي في سُرورٍ   تَيَقّنَ عَنهُ صاحِبُهُ انْتِقالا[6]
ألِفْتُ تَرَحّلي وجَعَلْتُ أرضي   قُتُودي والغُرَيْرِيَّ الجُلالا[7]
فَما حاوَلْتُ في أرْضٍ مُقاماً   ولا أزْمَعْتُ عَن أرْضٍ زَوالا[8]
على قَلَقٍ كأنّ الرّيحَ تَحتي   أُوَجّهُها جَنُوباً أوْ شَمَالا[9]

---

(١) أظنني أي أظن نفسي . ومني حال من خيال . يقول : لولا أنني في اليقظة لظننت من شدة النحول أنني خيال من نفسي لكن الخيال لا يرى في اليقظة .

(٢) بدت ظهرت . والخوط الغصن الناعم . ورنت نظرت . والمنصوبات في البيت أسماء وضعت موضع الحال على معنى التشبيه .

(٣) جار عن الطريق مال وكثر استعماله في الظلم لأنه جور عن الحق . يقول : هي في حكمها جائرة ولكن قدها معتدل لا جور فيه .

(٤) يقول : كأن الحزن يعشق قلبي وهي رقيبة عليه فمتى هجرتني زار الحزن قلبي .

(٥) كذا خبر مقدم عن الدنيا . والصروف الأحداث . يقول : الدنيا كانت على من كان قبلي كما هي علي اليوم فهي صروف لم تدم عليه حالا حتى تبدلها . ويروى لا يدمن .

(٦) في سرور خبر أشد . والجملة بعده نعت سرور . يقول : إن السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندي أشد الغم لأنه يراقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور .

(٧) القتود جمع قتد ، بفتحتين ، وهو خشب الرحل . والغريري بلفظ التصغير المنسوب إلى غرير وهو فحل كريم من الإبل . والجلال ، بالضم ، بمعنى الجليل أي العظيم . يقول : إنه تعود الرحيل حتى صارت الرحال أرضاً له لأنه لا يزال عليها كما لا تزال الناس على الأرض .

(٨) حاولت طلبت . والمقام مصدر ميمي بمعنى الإقامة . وأزمع الأمر عزم عليه . والزوال البراح . يقول : ما طلبت الإقامة في أرض لأني أبداً على سفر ولا عزمت على الرحيل عنها لأن الرحيل إنما يكون بعد الإقامة ولا إقامة لي .

(٩) القلق الاضطراب والجار والمجرور في موضع الحال من التاء في ألفت . ويروى على قلق ، بكسر اللام ، أي على بعير قلق . يقول : لا أستقر في مقام كأني على ظهر الريح أوجهها مرة جنوباً ومرة شمالا . ويروى يميناً أو شمالا وعلى هذا تكون شمال بكسر الشين .

وفي ثنايا الأبيات التي يذكر فيها صفات ممدوحه يأتي بهذا البيت الحكمة إذ يقـول :

وَمَـنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَـرِيضٍ ... يَجِـدْ مُرّاً بِهِ المَـاءَ الـزُّلالا[1]

★ ★ ★

.. أبو البطولات .. لقب أطلقه البعض على المتنبي .. ولهذا فإن مما يعجبه كثيراً ويثير قريحته أن يرى الأعمال البطولية فيشيد بها ومن ذلك ما روي عن خروج صديق له هرب إلى أسد فهرب الأسد منه . وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

في الخَـدِّ أنْ عَزَمَ الخَليـطُ رَحيلا ... مَطَـرٌ تَزيدُ بِهِ الخُـدودُ مُـحُـولا[2]

يا نَظْـرَةً نَفَـتِ الرُّقـادَ وغـادَرَتْ ... في حَـدِّ قَـلبي ما حَيِيـتُ فُلُـولا[3]

كَـانَتْ مِـنَ الكَـحْلاءِ سُؤْلي إنّمـا ... أجَـلي تَمَـثّلَ في فُـؤادي سُـولا[4]

أجِـدُ الجَـفَـاءَ على سِـواكِ مُرُوءَةً ... والصَّـبْرَ إلّا في نَـواكِ جَـميلا[5]

وأرَى تَدَلُّلَكِ الكَـثيرَ مُحَـبَّـباً ... وأرَى قَليـلَ تَـدَلُّـلٍ مَـمْلُـولا[6]

---

(١) الزلال هو الصافي العذب . يقول : إنهم لقصورهم عن مبلغي وحسدهم لفضلي يعيبونني كما يعيب المريض الماء العذب والعيب من جهة المريض لا من جهة الماء .

(٢) في الخد خبر مقدم عن مطر . وقوله أن عزم يريد لأن عزم فحذف اللام . والخليط العشير . يقول : إن في خده لفراق أحبته مطراً من الدمع تزيد به الخدود محلا لا خصباً كما هو شأن المطر المعهود . ويريد بمحل الخدود شحوبها وذهاب نضرتها من الحزن .

(٣) غادرت تركت . والفلول الثلوم . يقول : إن نظرته للحبيبة عند الفراق ذهبت بنومه وتركت قلبه كالسيف المفلول لا يقوى على مقاومة النوائب واتقائها .

(٤) اسم كانت ضمير النظرة . والكحلاء صفة الحبيبة وهي السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما تسأله وتتمناه وهو خبر كانت والحرف قبله متعلق به . ولين السؤل في آخر البيت للقافية يقول : كانت هذه النظرة بغية لي أتمناها من الحبيبة ولكني قتلت بها لأنها كانت نظرة الفراق فكأن أجلي تصور في قلبي بصورة البغية .

(٥) الجفاء الإعراض وصله بعلى على تضمينه معنى الامتناع ونحوه . والنوى البعد . يقول : إني أجد إعراضي عن النساء مروءة إلا عنك والصبر على كل نازلة جميلا إلا على بعادك .

(٦) حببه اليه جعله يحبه . يقول : إن دلالك على كثرته محبوب عندي مع أن القليل من دلال غيرك يمل .

حَدَقُ الحِسانِ من الغواني هِجنَ لي يَوْمَ الفِـراقِ صَبابَـةً وغَليلًا[1]

.. ويتحدث عن مكارم صديقه ثم ينثني ليتحدث عن الشجاعة في شخصه وكيف هي تفعل المستحيل فيقول مخاطباً صديقه :

أمُعَفِّرَ اللّيْثِ الهِزَبْرِ بسَوْطِهِ لمَنِ ادّخَرْتَ الصّارِمَ المَصْقُولا[2]
وَقَعَتْ على الأرْدُنّ مِنْهُ بَلِيّةٌ نُضِدَتْ بها هامُ الرّفاقِ تُلُولا[3]
وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيرَةَ شارِباً وَرَدَ الفُراتَ زَئِيرُهُ والنّيلا[4]
مُتَخَضّبٌ بدَمِ الفَوارِسِ لابِسٌ في غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا[5]
ما قُوبِلَتْ عَيْناهُ إلّا ظُنّتَا تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفَريقِ حُلُولا[6]
في وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ إلّا أنّهُ لا يَعْرِفُ التّحْرِيمَ والتّحْليلا
يَطَأُ الثّرَى مُتَرَفّقاً مِنْ تِيهِهِ فكأنّهُ آسٍ يَجُسّ عَلِيلا[7]
ويَرُدّ عُفْرَتَه إلى يَأفُوخِهِ حتى تَصِيرَ لرَأسِهِ إكْليلا[8]

---

(١) الحدق جمع حدقة وهي سواد العين الأعظم . والغواني جمع غانية وهي التي غنيت بحسنها عن الزينة . والصبابة رقة الشوق . والغليل حرارة العطش يراد به لاعج الوجد .

(٢) عفره مرغه في التراب . والليث الأسد . والهزبر الشديد . والصارم السيف القاطع . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط وهو أشد الحيوان خلقة وأهوله بأساً فلمن خبأت سيفك .

(٣) نضدت أي جمع بعضها فوق بعض . والهام الرؤوس . والرفاق جمع الرفقة وهي الجماعة في السفر . وتلولا حال أي مماثلة للتلول . يقول : إنه كان بلية وقعت على هذا النهر فقد أكثر القتلى من المسافرين حتى اجتمعت رؤوسهم هناك مثل التلول .

(٤) الورد الذي يضرب لونه إلى الحمرة . والمراد بالبحيرة بحيرة طبرية . والزئير صوت الأسد . يعني أنه يزأر في طبرية فيبلغ زئيره العراق ومصر .

(٥) الغيل الغابة . واللبدة الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه قد تلطخ بدم الفوارس لكثرة ما قتل منهم . وشبه لبدتيه بالغابة لكثافتها فقال إنه إذا كان في غابته من الشجر فهو في غابة أخرى من لبدتيه .

(٦) الدجى جمع دجية وهي الظلمة والظرف في موضع الحال من نائب ظنتا . والفريق الجماعة . وحلولا أي نازلين وهو حال من الفريق .

(٧) الثرى الأرض . والتيه الكبرياء . والآسي الطبيب . يشبه تأنيه في الوطء بجس الطبيب ليد العليل وذلك أنه لعزة نفسه لا يسرع في الخطو لأنه لا يخاف شيئاً .

(٨) العفرة شعر القفا إذا غضب ردها إلى يأفوخه فتنتصب كالإكليل .

وتَظُنّهُ مِمّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ عَنْها لِشِدّةِ غَيظِهِ مَشْغُولا[١]

قَصَرَتْ مَخافَتُهُ الخُطَى فكأنّما رَكِبَ الكَميُّ جَوادَهُ مَشْكُولا[٢]

أَلْقَى فَريسَتَهُ وبرْبَرَ دونَهَا وقَرُبْتَ قُرْباً خالَهُ تَطْفِيلا[٣]

فتَشابَهَ الخُلُقانِ في إقْدامِهِ وتَخالَفَا في بَذْلِكَ المأكُولا[٤]

أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيهِ فيكَ كِلَيْهِما مَتْناً أَزَلَّ وساعداً مَفْتُولا[٥]

في سرْجِ ظامِئَةِ الفُصوصِ طِمِرّةٍ يأبَى تَفَرُّدُها لهَا التّمْثيلا[٦]

نَيَّالةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلا أَنَّهَا تُعْطي مَكانَ لِجامِها مَا نِيلا[٧]

تَنْدَى سَوالِفُها إذا استَحضَرْتَها ويُظَنّ عَقْدُ عِنانِها مَحْلُولا[٨]

ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ حتى حَسِبْتَ العَرْضَ منه الطّولا[٩]

---

(١) زمجر الأسد ردد زئيره . ونفسه فاعل تظنه . ومشغولا مفعول ثان للظن أي أن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة ما يزمجر من شدة غضبه وتغيظه .

(٢) القصر هنا التطويل . والخطى جمع خطوة وهي مسافة ما بين القدمين . والكمي لابس السلاح . والجواد الفرس الكريم . والمشكول المقيد بالشكال . يقول : إن خوفه تمكن من القلوب فأحجمت به قوائم الخيل وقصرت خطاها حتى كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله .

(٣) يريد بفريسته البقرة التي هاجه عنها . والبربرة كلام المغضب استعارها لزمجرة الأسد . وخاله ظنه . والتطفيل الدخول على الآكلين من غير دعوة . أي لما رآك مقبلا عليه ألقى فريسته وزمجر غضباً لأنه ظنك تتطفل على صيده .

(٤) الخلق الطبيعة ويريد بالخلقين خلق الأسد وخلق الممدوح . والضمير من إقدامه للأسد . يقول : تشابهتما في الإقدام والجرأة لكن تخالفتما في أنه حريص على طعامه وأنت كريم به باذل له .

(٥) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد . والمتن جانب الصلب . والأزل القليل اللحم . والمفتول المندمج الشديد . أي أنك تشبهه في هذين العضوين .

(٦) ظامئة الفصوص أي دقيقة المفاصل . والطمرة الوثابة . يقول : قربت منه وأنت في سرج فرس هذه صفتها وقد تفردت في الكمال فلا تمثل بغيرها من الخيل .

(٧) نيالة فعالة من النيل . والطلبات جمع طلبة ، بفتح فكسر ، وهي الشيء المطلوب . ومكان لجامها كناية عن رأسها ، وقوله ما نيل نفي . أي أنها شديدة الحضر لا يفوتها مطلب وهي طويلة العنق لولا أنها تحط رأسها للجام لم ينله فارسها لارتفاعه .

(٨) السوالف جمع سالفة وهي جانب العنق . واستحضرتها أي ركضتها . والعنان سير اللجام . يقول : إذا حثثتها على الركض جدت حتى يعرق عنقها وما حوله فإذا جذبت عنانها طاوعت وانثنت عند أول شعورها بالجذب غير مجاذبة بعنانها حتى تظن أن عقد عنانها محلول .

(٩) الزور وسط الصدر حيث تلتقي عظامه . يقول : إنه جمع نفسه للوثوب وجعل قواه كلها عند صدره حتى صار عرضه في قدر طوله .

وَيَدُقّ بالصّدْرِ الحِجارَ كأنَّه يَبْغي إلى ما في الحَضيض سَبيلا[1]

وكأنَّهُ غَرّتْهُ عَيْنٌ فادّنَى لا يُبْصِرُ الخَطْبَ الجَليلَ جَليلا[2]

أَنَفُ الكَريمِ مِنَ الدّنيئَةِ تارِكٌ في عَينِهِ العَدَدَ الكَثيرَ قَليلا[3]

والعارُ مَضّاضٌ ولَيسَ بخائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خافَ ممّا قِيلا[4]

سَبَقَ التِقاءَكَهُ بوَثْبَةِ هاجِمٍ لَوْ لم تُصادِمْهُ لجازَكَ مِيلا[5]

خَذَلَتْهُ قُوّتُهُ وقَدْ كافَحْتَهُ فاستَنْصَرَ التّسْليمَ والتّجْديلا[6]

قَبَضَتْ مَنِيّتُهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ فكَأنّما صادَفْتَهُ مَغْلُولا[7]

سَمِعَ ابنُ عَمّتِهِ بهِ وبحالِهِ فنَجا يُهَرْوِلُ أمسِ منكَ مَهُولا[8]

وأمَرُّ مِمّا فَرّ مِنْهُ فِرارُهُ وكَقَتْلِهِ أنْ لا يَمُوتَ قَتيلا[9]

---

(١) الدق : الكسر . ويبغي يطلب . والحضيض القرار من الأرض . أي أنه لشدة غيظه يضرب الحجارة بصدره فيدقها كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ سبيلا إلى قرارها .

(٢) ادنى افتعل من الدنو أي اقترب . والخطب الأمر . أي غره نظره إليك رجلا وهو أسد فاستهان بشجاعتك وأقدم عليك يطلب قتالك وهو لا يرى ما في ذلك من الخطب العظيم .

(٣) الأنف والأنفة الاستنكاف . والدنيئة النقيصة . يقول : إن أنفة الكريم من أن يعاب بالجبن تحمله على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلا . يشير إلى ثبات الممدوح وإقدامه على الأسد خوفاً من عار الهزيمة .

(٤) مضه الأمر آلمه . والحتف الموت . يقول : إن العار مؤلم فمن كان يخاف من كلام الناس فيه فإنه لا يخاف من الموت .

(٥) يقول : إنه أعجلك عن التقائك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند وثبها لجاوزك مسافة ميل من شدتها . والميل ثلث فرسخ .

(٦) خذله خانه وترك نصرته . وكافحه استقبله في الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة . والتجديل مصدر جدله إذا صرعه على الجدالة وهي الأرض . يقول : خانته قوته أي ضعفت فلم تنجده فطلب نصرته من التسليم إليك والسقوط أمامك على الأرض وهو من باب التهكم .

(٧) مقيداً بالغل وهو طوق من حديد تجمع به اليدان إلى العنق . يقول : إن منيته حانت على يدك فقبضت على يديه وعنقه لا يستطيع وثوباً ولا فراراً فكأنك لقيته مقيداً .

(٨) الهرولة بين المشي والعدو . ومهولا أي مذعوراً . يريد بابن عمته الأسد الذي هرب بعد ذلك ولم يرد تحقيق النسب بينهما بل أراد أسداً آخر من جنسه .

(٩) قوله مما فر منه أي من الهلاك . وكقتله خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل لأنه إنما سلم بالهرب وهو القتل على الشجاع سيان .

تَـلَـفُ الذي اتّخَـذَ الجـراءَةَ خُـلّـةً وعَـظَ الـذي اتّخَـذَ الفِـرارَ خَليلا[1]

ويعود ثانية للحديث عن صديقه وما يتحلى به من علم وكرم ثم يختم القصيدة بهذا البيت الحكمة إذ يقول :

ما كـلّ مَـنْ طَلَـبَ المَـعاليَ نافِـذاً فيهـا ولا كُـلّ الـرّجالِ فُـحُـولا

★ ★ ★

.. واعتذر إلى صديق له لتأخره عن الخروج معه بقصيدة طويلة لا يعنينا غير أولها وهو الذي يتحدث فيه عن الحب وأثر الفراق .. وخاتمتها التي تصف الوشاة .. والذين لا يوافق هواهم توافق الناس وانتعاش المحبة بينهم .. فيقول في المطلع :

الحُـبُّ ما مَنَـعَ الكَـلامَ الألْسُـنَـا وألَـذُّ شَـكْـوَى عاشِـقٍ ما أعْـلَـنَا[2]

ليتَ الحَبيبَ الهاجري هَجْرَ الكَرَى من غـيرِ جُـرْمٍ واصِلِي صِلَةَ الضّـنى[3]

بِنّـا ولَـوْ حَلّيْتَنـا لمْ تَدْرِ مَـا ألْـوانُنَا ممّـا اسْتُفِعْـنَ تَلَـوُّنَـا[4]

وتَـوَقّدَتْ أنْفاسُـنا حـتى لَقَـدْ أشْفَقْـتُ تَحْـتَرِقُ العَواذِلُ بَيْنَنَـا[5]

---

(١) تلف مبتدأ خبره وعظ . والخلة الخليلة . يقول : إن تلف الأسد الذى اجترأ عليك فهلك فذلك وعظ للأسد الذي فر منك فسلم .

(٢) ما في الشطرين موصولة خبر عن المرفوع قبلها . والألسن يروى بفتح السين ، أي الذليق اللسان ، وبضمها جمع لسان على لغة تأنيثه وهو الأجود . يقول : حق الحب ما غلب على اللسان حتى لا يقدر على وصف ما في قلب صاحبه وألذ الشكوى ما كانت جهراً لأنها تخفف عن الشاكي فقد وقع المحب في بلاء بين هذين النقيضين .

(٣) هجر وصلة مفعولان مطلقان . والكرى النوم . والجرم الذنب . وواصلي خبر ليت . والضنى المرض الملازم . يقول : ليت الحبيب الذي هجرني كهجر النوم لأجفاني يواصلني كمواصلة الضنى لجسدي .

(٤) بتنا تامة والواو بعدها حالية . ويروى بنا فلو حليتنا أي افترقنا . وحليتنا أي وصفت حليتنا وهي هيئة الشخص وما يتميز به . وما من قوله مما مصدرية . واستفع لونه تغير من حزن ونحوه . ويروى امتقعن وهو بمعناه . وتلوناً حال أو مفعول له . أي لو أردت أن تتبين حليتنا لم تعرف ما هي لتغير ألواننا من الحزن فلا تدري بأي لون تصفنا .

(٥) الإشفاق الخوف . وقوله تحترق أراد أن تحترق فحذف أن وقد مرت له نظائر . والعواذل جمع العاذلة .

أفْدي المُـوَدِّعَةَ التي أتْبَعْتُهَـا   نَظَـراً فُـرادَى بَـينَ زَفْـراتٍ ثُنَـا[1]
أنْكَـرْتُ طارِقَـةَ الحَـوادِثِ مَـرّةً   ثُـمّ اعْتَـرَفْتُ بها فصارَتْ دَيْدَنَا[2]
وقَطَعْـتُ في الدّنْيا الفَـلا ورَكائِبي   فيها وَوَقْتيّ الضّحَى والمَوْهِنَـا[3]

وفي ختام القصيدة يتحدث عن مكائد اللئام والحساد فيقول :

ومَكايِدُ السّفَهـاءِ واقِعَـةٌ بِهِـمْ   وعَـداوَةُ الشّعَـراءِ بِئْـسَ المُقْتَـنى
لُعِنَتْ مُـقارَنَـةُ اللّئيمِ فإنّهَـا   ضَيْـفٌ يَجـرُّ مِنَ النّـدامـةِ ضَيْفَنَـا[4]
غَضَـبُ الحَسُـودِ إذا لَقيتُـكَ راضِيـاً   رُزْءٌ أخَـفُّ علـيّ مِنْ أنْ يُوزَنَـا[5]
أمسَى الـذي أمْسَى بِرَبّـكَ كـافِـراً   مِنْ غَـيرِنا مَعَنـا بفَضْلِكَ مُـؤمِنَـا[6]
خَلَـتِ البِـلادُ مِنَ الغَـزالَةِ لَيْلَهـا   فأعاضَهـاكَ اللّهُ كَـيْ لا تَحْـزَنَا[7]

★ ★ ★

(١) ويروى المودعتي . وفرادى اسم جمع للفرد . والزفرات جمع زفرة وهي النفس الحار سكن فاءها ضرورة . وثناء من قولهم جاء القوم ثناء أى اثنين اثنين وإنما قصرها للقافية . أي كلما نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين لشدة ما في صدري من حرارة الوجد .

(٢) قوله مرة أى مرة واحدة . والديدن العادة . يقول : لما طرقته حوادث الدهر أول مرة استغربها لعدم سبق عهده بها فلما عاودته وكثر طروقها له اعترف بألفتها وصارت عادة لازمة له .

(٣) الفلا جمع فلاة وهي المفازة البعيدة . والركائب جمع ركاب وهي الإبل . والضمير من قوله فيها للفلا . والموهن نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وطول احتماله للمشقات يقول : إنه قطع الفلوات بالمسير وافنى الإبل في الفلوات بالتعب ونهاره وليله بقطع المسافات .

(٤) الضيفن الذي يتبع الضيف . يقول : إن معاشرة اللئيم مذمومة لما تجر وراءها من الندامة فهي كضيف يليه ضيف من الندم .

(٥) راضياً حال من الكاف في لقيتك . والرزء المصيبة . يقول : إذا رضيت عني لم أبال بعد ذلك بغضب الحسود لأنه يكون من أهون المصائب علي حتى لو كان له جرم لم يستحق أن يوزن لخفته .

(٦) أي من كان من غيرنا كافراً بالله فإنه مؤمن معنا بفضلك أي موافق لنا في الإقرار به وإن كان مخالفاً لنا في الإيمان بالله .

(٧) الغزالة اسم للشمس . وأعاضهاك أي جعلك لها عوضاً من الشمس والضمير للبلاد . وكان الوجه أن يقول أعاضها إياك لتقديم ضمير الغائب على المخاطب فعدل عنه لاقامة الوزن وهو ضرورة في الصحيح .

.. كل إنسان إلى زوال .. ولكن يبقى الذكر الحسن والعطاء الكريم ليخلد صاحبه على مر الدهور .. هذا هو الواقع وهو ما يصوره المتنبي في هذه الأبيات .. وهو يصف أحد كرماء عصره من الولاة وهو بدر بن عمار إذ يقول :

بَدْرٌ فَتًى لوْ كانَ مِنْ سُؤَّالِهِ يَوْماً تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مالِهِ[1]
تَتَحَيَّرُ الأفْعالُ في أفعالِهِ ويَقِلّ ما يأتيهِ في إقْبالِهِ[2]
قَمَراً نَرَى وسَحابَتَينِ بمَوضعٍ مِنْ وَجْهِهِ ويَمينِهِ وشِمَالِهِ
سَفَكَ الدّماءَ بجُودِهِ لا بأسِهِ كَرَماً لأنّ الطّيرَ بعضُ عِيالِهِ[3]
إنْ يَفنَ ما يحوي فَقَد أبْقَى لهُ ذِكْراً يَزولُ الدّهرُ قَبلَ زوالِهِ[4]

★ ★ ★

.. ويمضي المتنبي في تنقله .. فيلقى صديقاً ويسترسل في مدحه .. ولكن بعد أن يذكر محن الأيام والأذى الذي لقيه من الناس واحتمله عن اقتدار كما هو شأن العظام .. ثم يقرر أن الهوان لا يقبله إلا من ماتت همته وسهل عليه الذل والخنوع .. وهو ما جاء في مستهل القصيدة .. وذاك ما يعنينا منها إذ يقول :

لا افْتِخارٌ إلّا لمَنْ لا يُضامُ مُدْرِكٍ أوْ مُحارِبٍ لا يَنَامُ[5]
لَيسَ عَزْماً مَا مَرَّضَ المَرْءُ فيهِ لَيسَ هَمّاً ما عاقَ عنهُ الظّلامُ[6]

---

(١) يقول : إنه فرق أمواله على السائلين ولم يترك لنفسه شيئاً فلو جعل نفسه واحداً من أولئك السائلين لبقي له حصة من ماله كحصة واحد منهم .

(٢) يأتيه أي يفعله . يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عن مبلغه وما يفعله قليل بالنسبة إلى مكانته لاقتضائها أعظم من ذلك .

(٣) يقول : إنه سفك الدماء ليرزق الطير من لحم القتلى لا لينكل بأعدائه لأن الطير قد صارت عيالا له لما عودها من إطعامها اللحوم فالحامل له على قتلهم هو الجود لا الشجاعة .

(٤) الضمير في أبقى للموصول قبله . وفي له للممدوح . ويروى إن يفنِ بلفظ المتعدي أي الممدوح . وأبقى به بالباء مكان اللام فينعكس مرجع الضميرين .

(٥) لا هنا مشبهة بليس ولكن لا عمل لها . يقول : لا فخر إلا لمن لا يُظلم لامتناعه وقوته على دفع الظلم عن نفسه وهو إما مدرك ما طلب أو محارب لا ينام عن مطلوبه حتى يناله .

(٦) التمريض التقصير . والهم ما هممت به في نفسك . يقول : إن ما قصر الانسان فيه لا يعد عزماً وما عاقه الليل عن طلبه لا يعد همة لأن حق العازم أن لا يقصر وحق ذي الهمة أن لا يعوقه شيء .

وَاحتِمالُ الأَذَى ورُؤيَةُ جانِيـ ـهِ غِذاءٌ تَضْوَى بِهِ الأجسامُ[١]
ذَلّ مَنْ يَغْبِطُ الذّليلَ بعَيشٍ رُبّ عَيشٍ أخَفُّ منْهُ الحِمامُ[٢]
كُلُّ حِلْمٍ أتَى بغَيرِ اقْتِدارٍ حُجّةٌ لاجىءٌ إلَيها اللّئَامُ[٣]
مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيهِ ما لجُرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ[٤]

★ ★ ★

.. ويتعب المتنبي من طول المسير وقد هده طول الترحال ومضايقة الحساد الذين ينغصون عليه ما يلقاه من ترحاب الكرماء .. فيشكو الزمان وما فيه من عناء ثم يُعَرِّضُ بواش أعور قد لقي منه بعض الأذى فيقول :

عَذيري مِنْ عَذارَى مِنْ أُمورِ سَكَنّ جَوانحي بَدَلَ الخُدورِ[٥]
ومُبْتَسِماتِ هَيْجاواتِ عصرٍ عنِ الأسيافِ لَيسَ عنِ الثّغُورِ[٦]

---

(١) تضوى تهزل . يقول : إن الصبر على الإساءة والإقامة على رؤية المسيء يورثان دوام المشقة والكمد فيكونان غذاء للأجسام تهزل به كما تهزل بالأطعمة الخبيثة .

(٢) غبطه تمنى مثل حاله . والحمام الموت وهو مبتدأ خبره أخف . ولا يجوز رفع الحمام بالفاعلية لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا في مسئلة الكحل . يقول : لا يغبط الذليل على حياته إلا من كان ذليلا لأن الحياة إنما هي في العز فإذا فقده الإنسان كان الموت أخف محملا عليه لخلوه عما في الذل من غصص المشقة والهوان .

(٣) يقول : إن الحلم الذي لا يصدر عن مقدرة لا يسمى حلماً وإنما هو حجة يحتج بها اللئام ستراً لعجزهم .

(٤) يقول : من كان هيناً في نفسه لا يستصعب ورود الهوان عليه فهو كالميت الذي لا يتألم بالجراحة .

(٥) عذيري مبتدأ محذوف الخبر أي من عذيري . وهي كلمة تقال عند الشكاية يقولون عذيري من فلان ومَن عذيري منه أي من يعذرني إذا جازيته بصنعه . ومن الأولى صلة عذيري . والثانية بيانية وهي مع مجرورها في موضع النعت لعذارى . والجوانح الضلوع . أراد بالعذارى من الأمور الخطوب العظيمة التي لم يسبق العهد بمثلها . ولما سماها عذارى قال انها اتخذت ضلوعه خدوراً لها أي أنها نزلت على قلبه واستكنت بين ضلوعه .

(٦) مبتسمات عطف على عذارى . والهيجاوات الحروب وإضافة مبتسمات إليها بيانية . وعن الأسياف صلة مبتسمات . وليس هنا حرف بمنزلة لا . والثغور جمع ثغر وهو مقدم الأسنان . أي ومن حروب عصر تبتسم عن بريق السيوف لا عن الثغور .

رَكِبتُ مُشَمِّراً قَدَمي إليَها ... وكُلَّ عُذافِرٍ قَلِقِ الضُّفُورِ[1]

أواناً في بُيُوتِ البَدْوِ رَحْلي ... وآوِنَةً عَلى قَتَدِ البَعِيرِ[2]

أُعَرِّضُ للرِّماحِ الصُّمِّ نَحرِي ... وأنْصِبُ حُرَّ وَجْهي للهَجيرِ[3]

وأسري في ظَلامِ اللّيلِ وَحدْي ... كأنّي مِنْهُ في قَمَرٍ مُنِيرِ[4]

فَقُلْ في حاجةٍ لم أقْضِ مِنها ... على شَغَفي بها شَرْوَى نَقِيرِ[5]

ونَفْسٍ لا تُجيبُ إلى خَسِيسٍ ... وعَينٍ لا تُدارُ على نَظيرِ[6]

وكَفٍّ لا تُنازِعُ مَنْ أتاني ... يُنازِعُني سِوَى شَرَفي وخِيري[7]

وقِلّةِ ناصِرٍ جُوزِيتَ عَني ... بشَرٍّ مِنكَ يا شَرَّ الدّهورِ[8]

عَدُوّي كُلُّ شيءٍ فيكَ حتى ... لخِلْتُ الأُكْمَ مُوغَرَةَ الصُّدورِ[9]

---

(١) التشمير كناية عن الجد والأسراع . وقدمي مفعول ركبت . وإليها متعلق بركبت أيضاً والضمير للهيجاوات . والعذافر العظيم الشديد من الإبل . والضفور جمع ضفر وهو النسع تشد به الرحل . يقول : قصدتها راجلا وراكباً أي قاسيتها في كل حال . وكنى بقلق الضفور عن الهزال وشدة السير .

(٢) الرحل كل ما يستصحبه الراحل من أثاث ونحوه . والآونة جمع أوان . والقتد خشب الرحل . يصف طول ارتحاله وكثرة تردده في البوادي . وأفرد الأوان في الأول وجمعه في الثاني إشارة إلى أن ارتحاله كان أكثر من نزوله .

(٣) الصم الصلاب . ويروى السمر . وحر الوجه ما بدا منه . والهجر حر منتصف النهار .

(٤) السرى والإسراء مشي الليل . ويريد بالقمر ضوءه . يصف معرفته بالطرق واهتداءه فيها .

(٥) مفعول القبول محذوف أي فقل ما شئت أو ما يقال في مثل هذا . وعلى بمعنى مع والظرف في موضع الحال من فاعل أقض . وشروىً بمعنى مثل . والنقير نكتة في ظهر النواة يكون منها منبت النخلة وهو مثل للشيء الحقير . يصف كثرة تعبه وقلة نيله يقول : كم من حاجة سعيت إليها هذا السعي وأنا مشغوف بها ثم لم أنل منها شيئاً .

(٦) نفس معطوف على حاجة يريد نفسه . أي وقل ما شئت في نفس لا تطاوعني على أمر دنيء وعين لا تقع على نظير لي .

(٧) ينازعني حال من فاعل أتاني . وسوى مفعول تنازع . والخير ، بالكسر ، الكرم . يقول : إن كفه كف سخي تترك لمن ينازعه كل شيء إلا الشرف والكرم فإنها لا تجود بهما .

(٨) قلة ناصر معطوف على ما سبق . وما بعده كلام مستأنف . وشر أصله أشر تركوا همزته لكثرة الاستعمال . أي وقل ما شئت في قلة من ينصرني على ما أطلبه . ثم دعا على الدهر فقال : رماك الله بدهر شر منك يجني عليك كما جنيت علي وأنت شر الدهور .

(٩) عدوي خبر مقدم عما بعده . وخلت بمعنى ظننت واللام للتوكيد أدخلها على الماضي على إضمار قد . والأكم التلال . وقوله موغرة الصدور أي متوقدة من الغيظ . يقول : إن كل شيء في الدهر صار عدواً له حتى حسب التلال التي لا تعقل من جملة من يعاديه .

فلَوْ أنّي حُسِدْتُ عَلى نَفيسٍ   لجُدْتُ بهِ لِذي الجَدِّ العَثُورِ[1]
ولكِنّي حُسِدْتُ على حَياتي   وما خَيرُ الحَياةِ بِلا سُرُورِ[2]
فيا ابنَ كَرَوّسٍ يا نِصْفَ أعمى   وإن تَفخَرْ فيا نِصْفَ البَصيرِ[3]
تُعادينا لأنّا غَيرُ لُكْنٍ   وتُبْغِضُنا لأنّا غَيرُ عُورِ[4]
فلَوْ كنتَ امرأً يُهْجَى هَجَوْنا   ولكِنْ ضاقَ فِتْرٌ عَن مَسيرِ[5]

★ ★ ★

.. ويستمر بلاء المتنبي .. فتتواصل شكواه من الزمن فيرسل شعره في مدح قاضي إنطاكية التي سيكون بها التقاؤه في وقت لاحق بسيف الدولة ويكون له معه شأن . ولكنا لا نريد أن نسبق الزمن .. وإنما ندعه يحدثنا عن شكواه بما استهل به هذه القصيدة في قوله :

أفاضِلُ النّاسِ أغراضٌ لدى الزّمَنِ   يَخلُو مِنَ الهَمّ أخلاهم من الفِطَنِ[6]
وإنّما نَحْنُ في جيلٍ سَواسِيَةٍ   شَرٍّ على الحُرّ من سُقْمٍ على بدَنِ[7]

---

(١) قوله على نفيس أي على شيء نفيس وهو ضد الخسيس . والجد الحظ والبخت . والعثور التعس . يقول : لو حسدني الناس على مال نفيس لجدت به على المحروم منهم لأني سخي جواد . وتتمة المعنى في البيت التالي .

(٢) يقول : لكنهم إنما يحسدونني على حياتي ويسعون في إتلافها وليست بالشيء الذي يحسد عليه لأنها خالية عن السرور فلم يبق فيها خير ولا رغبة ولو كانت مما يرغب فيه وأمكن انتفاعهم بها لجدت بها عليهم .

(٣) يقول له ذلك لأنه كان أعور فهو باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى وباعتبار الباقية نصف بصير .

(٤) أي أنت إنما تعادينا حسداً لأنا فصحاء وأنت ألكن أي ثقيل اللسان ونحن أصحاء البصر وأنت أعور .

(٥) يقول : لو كنت ممن يعبأ به ويتكلف هجاؤه بالشعر لفعلنا ولكنك أخس قدراً من أن تستحق هذه العناية كما أن مسافة الفتر تضيق عن المسير فيها .

(٦) الأغراض جمع غرض وهو الهدف يرمى بالسهام . ويروى لذا الزمن . والضمير من أخلاهم للناس . يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يصيبهم بنوائبه وآفاته إذ هم أشد اهتماماً بها من سواهم فكأنهم هم المقصودون بها . ولذلك كلما خلا الانسان من الفطنة كان أخلى من الهم لأنه لا يبالي بالنوائب ولا يفكر في العواقب .

(٧) الجيل الصنف من الناس . وسواسية بمعنى متساوين قيل وهو خاص بالذم ولا يقال في المدح أي متساوين في اللؤم والخسة . وشر تفضيل بمعنى أشر . والحر خلاف العبد والمراد به هنا الكريم .

حَوْلي بكُـلّ مكـانٍ مِنهُمُ خِـلَقٌ ... تُخطي إذا جِئتَ في استِفهامِها بمَنِ[١]

لا أقْتَـري بَلَـداً إلّا على غَـرَرٍ ... ولا أمُـرّ بخَلْقٍ غيرِ مُضْطَغِـنِ[٢]

ثم يقول .. وقد اصطنع العذر لغدر اللئام والرعاع الذين يشبهون البهائم :

إنّي لأعْـذِرُهُمْ مِمّـا أُعَنّفُهُـمْ ... حتى أُعَنّـفُ نَفْسِي فيهِـمِ وأني[٣]

فَقْـرُ الجَهُـولِ بِـلا قَلْبٍ إلى أدَبٍ ... فَقْرُ الحِـمارِ بـلا رَأسٍ إلى رَسَـنِ[٤]

ومُـدْقِعِينَ بسُبْرُوتٍ صَحِبْتُهُـمُ ... عارِينَ من حُلَلٍ كاسِـينَ من دَرَنِ[٥]

خُـرّابِ بادِيَـةٍ غَـرْثَى بُطُونُهُـمُ ... مَـكْنُ الضِّبـابِ لهُمْ زادٌ بلا ثَمَنِ[٦]

يَسْتَخْبِرُونَ فَـلا أُعْطِيهِـمِ خَبَـري ... وما يَطيشُ لَهُـمْ سَهْـمٌ منَ الظِّـنَنِ[٧]

---

(١) خلق ، بكسر ففتح ، جمع خلقة وهي الصورة التي يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح . ويروى حلق ، بفتحتين بالحاء المهملة ، جمع حلقة ، بالإسكان ، وهي القوم يجتمعون مستديرين . يقول : حولي جماعة منهم لا تعقل فإذا أردت الاستفهام عن أحدها لا يجوز أن تقول من هذا لأن من تختص بالعقلاء .

(٢) أقتري أتتبع . والغرر الاسم من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة . والخلق المخلوق مسمى بالمصدر . ومضطغن حاقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر من أعدائي وحسادي ولا أمر بأحد لا يكون حاقداً علي . يعني أنهم لئام جهلاء ومثلهم لا بد أن يكون عدواً لمثله .

(٣) التعنيف التعيير والملام . والعائد على الموصول محذوف أي مما أعنفهم عليه . وحتى ابتدائية . وأني بمعنى أفتر وأقصر . يقول : ألومهم على ما بهم من خسة النفس وسقوط الهمة ثم أعذرهم من هذه الحال لما أجد بهم من الغفلة والجهل حتى أعود باللوم على نفسي وأقصر عن لومهم .

(٤) هذا البيت بيان لعذرهم عنده يقول : إن الإنسان إنما يتأدب بعقله وهؤلاء لا عقل لهم فهم لا يفتقرون إلى الأدب كما أن الحمار إذا كان بلا رأس لا يفتقر إلى الرسن .

(٥) الواو واو رب المحذوفة والمدقع اللاصق بالأرض ذلا . والسبروت القفر لا نبات به . والدرن الوسخ . أي رب صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب صحبتهم وهم عارون من الثياب مكتسون بما عليهم من الأقذار .

(٦) الخراب جمع خارب وهو الذي يسرق الإبل خاصة ثم سمي به كل لص . والبادية الصحراء . وَغَرْثَى ضامرة جوعاً وهو خبر مقدم عما بعده . والضباب جمع ضب وهو دويبة معروفة . ومكنها بيضها . يقول : هم لصوص وليس لهم زاد إلا بيض الضباب يأخذونه بلا ثمن .

(٧) طاش السهم إذا انحرف عن الرمية . والظنن جمع ظنة ، بالكسر ، وهي ما تظنه بالإنسان من سوء . أي يسألونني عن خبري فأكتم نفسي عنهم خوفاً من غدرهم لكنهم يظنون أني أنا فلان الذي يسمعون بذكره فلا يخطئون .

وخَلّـةٍ في جَليسٍ أَتّقيهِ بهَـا كَيمـا يَرى أنّنـا مِثْـلانِ في الوَهَـنِ[١]
وكِلْـمَةٍ في طَـريقٍ خِفْـتُ أُعْـرِبُهـا فيُـهْتَدَى لي فلَـمْ أقـدِرْ على اللَّـحَـنِ[٢]
قد هَـوّنَ الصّـبرُ عِنـدي كلَّ نازِلَـةٍ ولَيّـنَ العَزْمُ حَدَّ المَركَـبِ الخشـنِ[٣]
كـم مَخلَـصٍ وعُلًى في خوضِ مهلكةٍ وقَتْلَـةٍ قُـرِنَتْ بالذّمّ في الجُبُنِ[٤]
لايُعْجِبَـنّ مَضيمـاً حُسْنُ بِـزّتِهِ وهَلْ تَرُوقُ دَفيناً جَوْدَةُ الكفَـنِ[٥]
لله حَالٌ أُرَجّيـها وتُخْلِـفُنـي وأقْتَـضِي كَوْنَها دَهْري ويَمطُلـني[٦]
مَدَحْتُ قَوْماً وإنْ عِشنا نَظَمتُ لهم قَصائِداً مِنْ إناثِ الخَيلِ والحُصُـنِ[٧]
تَحْتَ العَجاجِ قَوافيها مُضَمَّـرَةٌ إذا تُنُوشِدْنَ لم يَدْخُلْنَ في أُذُنِ[٨]

---

(١) الخلة الخصلة . والوهن الضعف . أي رب خصلة في جليس لي أجاريه عليها وأستقبله بمثلها ليظن أني مماثل له في ضعف الرأي . يريد أنه يخفي نفسه وفضله خوفاً من الحسد .

(٢) أراد أن أعربها فحذف وقد مرت له نظائر أي آتي بها معربة . واللحن الخطأ في الإعراب . أي ورب كلمة أردت ترك إعرابها لئلا يهتدي سامعها إلى معرفتي ولكني لم أقدر على ارتكاب اللحن لأني مطبوع على الفصاحة والإعراب .

(٣) النازلة الحادثة من حوادث الدهر . ويريد بالمركب ما يركبه من الأمور الشاقة .

(٤) العلى جمع عليا وهي اسم للمكان العالي ثم استعملت في معنى الرفعة والشرف . والقتلة المرة من القتل . يقول : إن الإقدام على المهالك كثيراً مايكون سبباً في التخلص منها مع كسب الرفعة والمجد ، والجبن الإقدام كثيراً ما يكون سبباً لقتل الجبان مع المذمة والعار .

(٥) المضيم المظلوم . والبزة اللباس . وراقه الشيء أعجبه . يريد بحسن بزته اليسر وسعة الرزق ، يقول : لا ينبغي له أن يفرح بذلك على ما هو فيه من الذل فان حسن الكفن لا ينفع الميّت بشيء .

(٦) يقال عند التعجب من الشيء لله هو . والإخلاف ضد الوفاء . وأقتضي أطالب . وكونها بمعنى حصولها وهو مفعول ثان لأقتضي . ودهري مفعول أول . يقول : إنه يرجي أن يصل إلى حال ترضيه وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ويطالب دهره بحصولها فيماطله في تبليغه إياها .

(٧) جمع حصان وهو الفحل العتيق من الخيل . يقول : مدحت قوماً لا يستحقون المدح للؤمهم وجهلهم وإن عشت فسأغزوهم بخيل إناث وذكور . وسمى تلك الخيل قصائد على الاستعارة طلباً للمشاكلة يعني سأجعلها لهم بدلا من القصائد التي مدحتهم بها .

(٨) العجاج الغبار . والمضمرة من الخيل المعدة للسباق . يقول : قوافي هذه القصائد خيل مضمرة إذا أنشدت لم تدخل في الاذن بخلاف قوافي الشعر .

.. ويمضي في شكواه حتى يخلص إلى ذكر فطنة القاضي وكيف بسط عدله في الأحكام . الأمان .. وتيسير الأرزاق حيث يقول :

قاضٍ إذا التَبَسَ الأمرانِ عَنّ لَهُ	رأيٌ يُخَلِّصُ بَينَ الماءِ واللّبَنِ[١]
غَضٌّ الشّبابِ بَعيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِهِ	مُجانِبُ العَينِ للفَحْشاءِ والوَسَنِ[٢]
شَرابُهُ النَّشْحُ لا للرّيّ يَطْلُبُهُ	وطُعْمُهُ لِقَوامِ الجِسْمِ لا السِّمَنِ[٣]
ألقائِلُ الصّدْقَ فيهِ ما يُضِرّ بهِ	والواحِدُ الحالَتَينِ السّرِّ والعَلَنِ[٤]
ألفاصِلُ الحُكْمَ عَيَّ الأوّلونَ بهِ	والمُظْهِرُ الحَقَّ للسّاهي على الذّهِنِ[٥]
أفْعالُهُ نَسَبٌ لَوْ لم يَقُلْ مَعَها	جَدّي الخَصيبُ عَرَفنا العِرْقَ بالغُصُنِ[٦]

ومنها قوله :

مُنذُ احْتَبَيْتَ بأنْطاكِيّةَ اعتَدَلَتْ	حتى كأنّ ذَوي الأوْتارِ في هُدَنِ[٧]

---

(١) أل من قوله الأمران للجنس . وعن بمعنى ظهر . أي إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو امتزجا امتزاج الماء باللبن .

(٢) الغض الناعم . والفحشاء ما لا يحل . والوسن النوم . كنى ببعد فجر ليلته عن كونه يسهر الليل في درس العلوم والعبادات فيرى ليله طويلا كما يراه الساهر دون النائم .

(٣) النشح الشرب القليل . والطعم الطعام . والقوام ما يعاش به . يقول : هو على أخلاق العلماء والزهاد لا ينال من الطعام والشراب إلا القدر الذي يقوم به جسمه فهو إنما يأكل ويشرب لبقاء حياته لا لخصب البدن وقوته .

(٤) يجوز في الصدق النصب على المفعولية والجر على الإضافة تشبيهاً بالحسن الوجه . والضمير من قوله فيه للصدق والجملة حال منه . يقول : هو لا ينطق إلا بالصدق ولو كان فيه ما يضره ولا يتظاهر بغير ما في ضميره رئاء وإنما سره وعلنه سواء .

(٥) فصل الحكم قضاه وقطع به . وعي بالأمر عجز عنه . والساهي الغافل . والذهن الفطن الذكي والجار والمجرور صلة الحق . أي يظهر حق الخصم الغبي على الخصم الذكي .

(٦) جدي الخصيب مبتدأ وخبر . والجملة مفعول القول . وعرفنا جواب لو . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب حتى لو لم يقل جدي فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه كما يستدل بالغصن على الأصل .

(٧) الاحتباء أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . والأوتار جمع وتر وهو الثأر . والهدن جمع هدنة وهي المتاركة والصلح . يقول : منذ جلست محتبياً للحكم في هذه البلدة اعتدل ما فيها من الخلاف وسكن الشر حتى كأن أصحاب الأحقاد قد تهادنوا وزال من بينهم الشقاق .

.. أما خاتمة القصيدة .. فهو نتاج العدل الذي يحكم به القاضي .. سواء كان قاضي إنطاكية أو قاضي الواق واق إذا اتصف بالنزاهة والعدل دون مغبة تُسيء إلى أحد .. أو مصلحة مضرة لأحد دون آخر .

أخلَتْ مَواهبُكَ الأسواقَ من صَنَعٍ أغنى نَداكَ عنِ الأعمالِ والمِهَنِ[١]
ذا جُود مَن ليسَ مِنْ دَهرٍ على ثقةٍ وزُهْدُ مَنْ ليسَ من دُنياهُ في وَطنِ[٢]
وهَذِهِ هِمّةٌ لم يُؤتَهَا بَشَرٌ وذا اقْتِدارُ لِسانٍ لَيسَ في المُنَنِ[٣]
فمُرْ وأومئ تُطَعْ قُدّستَ من جبلٍ تَبارَكَ اللهُ مُجْرِي الرّوحِ في حَضَنِ[٤]

★ ★ ★

وطال ترحال المتنبي .. وطال غيابه .. فكان أن ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق دون أن يتمكن من دخول الكوفة حيث مقام جدته . فانحدر إلى بغداد . وكانت جدته قد يئست منه فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ولما وصل إليها الخطاب كانت الحمى قد اشتدت بها فما لبثت أن قبلت الكتاب الذي ملأها فرحاً فخفق قلبها بالسرور الذي قتلها على الفور .. ولما بلغه خبر ذلك كتب يرثيها :

ألا لا أُري الأحداثَ مَدحاً ولا ذَمّا فَما بَطشُها جَهلًا ولا كفُّها حِلمَا[٥]

---

(١) الصنع الصانع الحاذق . والندى الجود . والمهن جمع مهنة وهي الخدمة . يقول : إن مواهبك قد كثرت وعمت حتى أصاب منها أهل الأسواق ما استغنوا به عن العمل .

(٢) يقول : هذا الجود الذي نراه منك جود من لا يثق بدهره ولا يأمن حوادثه فهو يجود بالمال اغتناماً للأجر والمحمدة وهذا الزهد زهد من لم يتخذ الدنيا وطناً لعلمه بأنها دار قلعة وأن كل من عليها فانٍ .

(٣) ضمير ليس للاقتدار . والمنن جمع منة . بالضم ، وهي القوة أي وهذه قوة منطق ليس مثلها في القوى .

(٤) أومئ أي أشر وأكثرهم يرويه أوم بترك الهمز ، وقوله قدست دعاء . وجبل تمييز والجار . قبله زائد . وحضن جبل عظيم بأعلى نجد . جعله كجبل ذي روح لعظمته ووقاره .

(٥) الأحداث نوب الدهر . يريد أن الحوادث لا تستحق مدحا على إحسان ولا ذما على إساءة لأنها إذا بطشت لم يكن ذلك جهلا منها وإذا كفت عن البطش لم يكن حلماً إذ الفعل في ذلك لله وإنما ينسب إليها مجازاً .

إلى مثلِ ما كانَ الفتى مرْجعُ الفتى ... يَعُودُ كَمـا أُبْدي ويُكـرِي كما أرْمَى[١]

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُـوعَةٍ بحَبيبِهـا ... قَتيلَةِ شَـوْقٍ غَـيرِ مُلحِقها وَصْمَا[٢]

أحِنّ إلى الكأسِ التي شرِبَتْ بها ... وأهوى لمَثْـواها التّرابَ وما ضَمّا[٣]

بَكَـيْتُ عَلَيهـا خِيفَـةً في حَياتِهـا ... وذاقَ كِـلانا ثُكْـلَ صاحِبِهِ قِدْمَا[٤]

ولَوْ قَتَلَ الهَجْـرُ المُحبّينَ كُلَّهُـمْ ... مضَى بَلَـدٌ باقٍ أجَدّتْ لَهُ صَـرْمَا[٥]

عرَفْتُ اللّيالي قَبلَ ما صَنَعَـتْ بنـا ... فلَمّـا دَهَتْني لم تَزِدْني بها عِلْمَـا

مَنـافِعُها ما ضَرّ في نَفْـعِ غَـيرِها ... تغذّى وتَرْوَى أن تجوعَ وأن تَظْمَا[٦]

أتاهـا كِـتابي بَعـدَ يأسٍ وتَرْحَـةٍ ... فَـماتَتْ سُرُوراً بي فَمُـتُّ بها غَمّـا[٧]

---

(١) الإبداء الخلق وأصله الهمز فلينه للضرورة . وأكرى الشيء نقص . وأرمى زاد . يقول : إن كل أحد يرجع إلى مثل حالته التي كان عليها قبل وجوده فيعود إلى عناصره الأولى كما خلق منها وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد .

(٢) لك الله دعاء لها . والوصم العيب . يقول : إنها قتلت بفعل الشوق ولكن هذا الشوق ليس مما يعاب به لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) الحنين الشوق . وعنى بالكأس كأس الموت وهي استعارة . والمثوى المقام أراد به القبر . يقول : إني لأجل موتها أحن إلى الموت لأني لا أحب البقاء بعدها ولأجل مدفنها أهوى التراب وكل مدفون فيه .

(٤) الثكل : الفقد . وقدماً بمعنى قديماً . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها خوف فقدها وفرقت الأيام بيني وبينها فذاق كل واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت .

(٥) أجدت بمعنى جددت . والصرم القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب كما قتلها هجري لقتل بلدها أيضاً يعني أن بلدها كان ممن يحبها لما لها فيه من آثار الكرم والمبرة .

(٦) من رد الضمير إلى المرثية وهي الأجود روى تجوع وتظما ، بالتاء . ومن رده إلى الليالي وهو الأقرب رواهما بالتاء وبالنون . وقوله أن تجوع أي بأن تجوع فحذف الحرف على قياس حذفه قبل أن المصدرية . وتظما تعطش وأصله بالهمز فلينه للقافية . وقوله ما ضر ، ان جعلت الضمائر للمرثية فالتقدير ما ضرها والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل ضر . وان جعلتها لليالي فالتقدير ما هو ضار والجار والمجرور صلة ضر . والمعنى على الأول أن هذه المرثية كانت تنتفع بما يضرها في سبيل نفع الناس فهي تؤثرهم بطعامها وشرابها فتجوع وتعطش وتحسب غذاءها وريها في ذلك . والجوع والعطش مثل أراد به ما هو أعم منهما . وعلى الثاني يكون المعنى أن الليالي تنتفع بما يكون ضرراً في نفع أهلها لولوعها بأذاهم فكأنها تتغذى وتروى بأن تجوع أيها المخاطب وتعطش أو بأن نجوع نحن ونعطش .

(٧) الترحة الاسم من الترح وهو الحزن والهم . نسب الموت إلى نفسه مبالغة قصد بها المشاكلة .

حَـرامٌ على قَلـبي السّرُورُ فإنّـني — أعُـدّ الذي ماتَتْ بهِ بَعْدَها سُمّـا
تَعَجَّـبُ مِنْ لَفْظي وخَـطّي كأنّمـا — تـرَى بحُرُوفِ السّطرِ أغرِبَةً عُصْمَا[1]
ومـا انسَـدّتِ الدّنْيـا علـيّ لضِيقِهَا — ولكـنّ طَـرْفاً لا أراكِ بهِ أعمَـى[2]
فَوَا أسَـفا ألّا أُكِبّ مُقَبّـلًا — لرَأسِـكِ والصّدْرِ اللّذَيْ مُلِئا حزْمَا[3]
وألّا أُلاقي روحَـكِ الطّيّبَ الـذي — كأنّ ذكـيّ المِسـكِ كانَ له جسمَا[4]
ولَوْ لمْ تَكُـوني بِنْتَ أكْـرَمِ والِدٍ — لَـكانَ أباكِ الضّخْـمَ كونُكِ لي أُمّا[5]
لَئِنْ لَـذّ يَوْمُ الشّـامِتِينَ بيَوْمِهَـا — لَقَـدْ وَلَدَتْ مني لأنْفِهِمِ رَغْمَـا[6]
تَغَرّبَ لا مُسْتَعْظِمـاً غَيرَ نَفْسِهِ — ولا قابِلًا إلّا لخالِقِهِ حُكْمَـا[7]
ولا سالِـكاً إلّا فُـؤادَ عَـجاجَـةٍ — ولا واجِـداً إلّا لمَـكْرُمَـةٍ طَعْمَـا[8]

(١) تعجب أي تتعجب فحذف إحدى التاءين . والباء من قوله بحروف للتجريد . والأغربة جمع غراب . والعصم جمع أعصم وهو الذي في جناحه بياض . أي أنها عند رؤية خطه كانت تتعجب من سلامته لأنها كانت قد يئست منه فكأن كل حرف منه كان غراباً أعصم وهو عندهم مثل في الغرابة لعزة وجوده .

(٢) الطرف النظر ويطلق على الباصرة . يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك لا لأن الأرض قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله أسفا للندبة . وأكب انحنى على وجهه . وقوله اللذي أراد اللذين فحذف النون لطول الاسم بالصلة وقيل هي لغة لبعض العرب . يتأسف لغيبته عند وفاتها وأنه لم يودعها قبل مواراتها في التراب .

(٤) أي وواأسفا أني لم أدركك في الحياة قبل انفصال روحك .

(٥) الضخم أي العظيم . يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد لقامت ولادتك إياي مقام أب عظيم تنسبين إليه أي إذا قيل لك أم أبي الطيب استغنيت بذلك عن نسب الأب لو لم يكن لك نسب .

(٦) مني تجريد . ورغم أنفه ألصقه بالرغام أي التراب وهو كناية عن الإذلال والقهر . يقول : إن كان يوم موتها قد صار يوم لذة للشامتين فقد ولدت بولادتها إياي من يعاقبهم برغم الأنوف .

(٧) أي أن هذا الرجل الذي ولدته يعني نفسه تغرب عن بلاده أنفة من تعظم غيره عليه لأنه لا يستعظم على نفسه أحداً وفراراً من أن يحكم عليه أحد إلا الله الذي خلقه .

(٨) العجاجة الغبار يريد غبار الحرب . أي لا يسلك إلا في قلب غبار الحرب يستعين بها على بلوغ ما في نفسه من العظائم ولا يجد طعماً يستلذه إلا طعم المكارم .

يَقُـولونَ لي ما أنتَ في كـلِّ بَلـدَةٍ وما تَبتَغي ؟ ما أبتغي جَلّ أن يُسمى[1]

كأنّ بَنيهِمِ عـالمُـونَ بأنّنـي جَـلُوبٌ إليهِـمْ منْ مَعادِنه اليُتْمَا[2]

وما الجَمْـعُ بَينَ المـاءِ والنّارِ في يدي بأصعَبَ من أنْ أجمَعَ الجَدّ والفهما[3]

ولكِنّنـي مُسْتَنْصِـرٌ بذُبَـابِـهِ ومُـرتَكِـبٌ في كلّ حالٍ به الغَشمَا[4]

وجاعِلُهُ يَـوْمَ اللّقـاءِ تَحِيّتـي وإلّا فلَسْتُ السيّدَ البَطَـلَ القَرْمَا[5]

إذا فَلّ عَزْمي عن مدًى خوْفُ بُعده فأبْعَدُ شيءٍ ممكِـنٌ لم يَجِدْ عزْمَا[6]

وإنّي لمِنْ قَوْمٍ كـأنّ نُفُوسَهُمْ بها أنَـفٌ أن تسكنَ اللّحمَ والعَظمَا[7]

كذا أنَـا يا دُنْيا إذا شِئْتِ فاذْهَبي ويا نَفسِ زيدي في كرائهِها قُدْمَا[8]

---

(١) قوله ما أنت أي ما أنت صانع على حذف الخبر أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وتبتغي تطلب . ومصدر ان يسمى مجرور بعن محذوفة صلة جل . أي أن الناس يسألونني لما يرون من كثرة ترددي في البلاد ما تصنع في كل بلدة وماذا تطلب فأقول لهم ما أطلبه أجل من أن يذكر باسمه يعني التطلع للحكم والاستيلاء على الدويلات في عصره .

(٢) الضمير من معادنه لليتم . أي أن الناس يكرهونني خوفاً مني فكأن أولادهم قد علموا أنني سأقتل آباءهم وأصيرهم يتامى . يريد حساده الذين لا يزالون يسألونه عن أسفاره .

(٣) الجد الحظ والبخت . يقول : إن الحظ من الدنيا لا يجتمع مع الفهم لأن العاقل قلما يرى إلا محروماً فهما كالماء والنار لا يمكن الجمع بينهما حتى يمكن الجمع بين هذين .

(٤) ذباب السيف حده . وأضمر للسيف بدون تقدم ذكره للعلم به . والغشم من قولهم رجل مغشم بكسر الميم إذا كان يركب هواه فلا يثنيه شيء عن مراده . يقول : لكنني مع عدم استطاعتي أن أجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بحد سيفي لا تثنيني حال من الأحوال عما أطلبه حتى أفوز به .

(٥) الضمير من جاعله للسيف . والقرم بمعنى السيد . أي وأحيي أعدائي يوم لقائهم بسيفي أي أستقبلهم به وأجعله لهم بدل التحية .

(٦) فل السيف ثلمه استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف وهو من الاستعارة بالكناية . والمدى الغاية . وأبعد مبتدأ خبره ممكن . يقول : إذا أضعف عزمي عن غاية خوف بعدها فإن الغاية الممكنة أيضاً لا تنال إذا لم يكن عند طالبها عزم إذ لا يدرك شيء بغير عزم وإذا وجد العزم جاز أن يدرك البعيد به كما يدرك القريب .

(٧) الأنف الاستكبار والاستنكاف . يقول : أنا من قوم دأبهم خوض الغمرات والتطوح في الحروب حتى كأن نفوسهم ترى السكنى في أجسادها عاراً تأنف منه فهم يختارون القتل على الحياة للتخلص من هذا العار .

(٨) الكرائه جمع كريهة وهي النازلة . والقدم التقدم . يقول للدنيا : أنا على ما وصفت نفسي فاذهبي إن شئت فما أنا من يبالي بك . ثم يقول لنفسه . امضي على عزمك ولا تثنك نوازل الدنيا وشدائدها عما أنت عليه من العزة والإقدام .

فلا عَبَرَتْ بي ساعَـةٌ لا تُعِزّني ‏ ‏ ولا صَحِـبَتْني مُهجَـةٌ تقبلُ الظُّلْمَا[1]

.. بهذا انتهت مرثيته .. وقد تقولون : ما أطولها وأكثر ما فيها من فخر .. وهو ما قاله الأولون .. فرد عليهم بقوله :

يَسْتَعْظِمُـونَ أُبَيّاتاً نَـأمْتُ بهَـا ‏ ‏ لا تَحْسُـدُنّ على أنْ يَنْأمَ الأسَدَا[2]

لَوْ أنّ ثَمّ قُلُـوباً يَعْقِلُونَ بهَـا ‏ ‏ أنْساهُمُ الذّعْرُ ممّا تحتَها الحَسَدَا[3]

★ ★ ★

.. يروىٰ أن أبا العلاء المعرى كان في مجلس أحد الولاة الذين يحقدون على المتنبى ويحاولون الانتقاص من قيمته في مجالسهم .. وكان الحديث كذلك . فسأل الوالي أبا العلاء عما يعجبه في شعر المتنبي ؟. فقال أبوالعلاء : لو لم تكن للمتنبي غير قصيدة « لك يا منازل في القلوب منازل » لكان ذلك كافياً لأن يكون أعظم شاعر . فما كان من الوالي إلا أن ضرب أبا العلاء وأمر بإخراجه إلى الشارع . فاستغرب الحضور لذلك من الوالي لعلمهم بمحبته لأبي العلاء .. واستفهموه عما أغضبه ؟ فقال : إنما أراد هذا الأعمى أن يعيرني بما تضمنه البيت الذي اشتملت فيه القصيدة من قول المتنبي : « وإذا أتتك مذمتي من ناقص » .. فعجب الحضور من ذكاء أبي العلاء .. وسرعة بديهة الوالي ..

والقصيدة إياها يقول مطلعها :

لَكِ يا مَنـازِلُ في القُلـوبِ مَنازِلُ ‏ ‏ أقفَرْتِ أنْتِ وهنّ منكِ أواهِلُ[4]

---

(١) أي تقبل أن يظلمها أحد .

(٢) الأبيات تصغير أبيات وإنما صغرها تحقيراً لها يعني أنهم يستعظمونها وهي عندي حقيرة . والنئيم زئير الأسد وهو من الاستعارة بالكناية . والأسد مفعول تحسدن .

(٣) ثم بمعنى هناك والإشارة إلى حيث هم أي لو أن لهم أو معهم قلوباً . والذعر الخوف . والضمير من قوله تحتها للأبيات . والجار قبله متعلق بالذعر . والحسد مفعول أنساهم . أي لو كان لهم عقول يفهمون بها ما تضمنته أبياتي من الوعيد لأخذهم من الخوف ما يذهبون به عن الحسد .

(٤) ذوات أهل . يخاطب منازل الأحبة يقول لها : قد تمثل خيالك في قلوب العاشقين فكانت لك فيها منازل غير أنك أنت قد أقفرت من أهلك والقلوب ما برحت آهلة بك لأن مثالك لا يبرح منها .

يَعْلَمْنَ ذاكِ وما عَلِمْتِ وإنّمَا | أوْلاكمَا يُبْكَى عَلَيْهِ العاقِلُ[1]
وأنَا الذي اجتَلَبَ المَنيّةَ طَرْفُهُ | فَمَنِ المُطالَبُ والقَتيلُ القاتِلُ[2]
تَخْلُو الدّيارُ منَ الظّباءِ وعِنْدَهُ | من كُلّ تابِعَةٍ خَيالٌ خاذِلُ[3]
ألّلاءِ أفْتَكُهَا الجَبانُ بمُهْجَتي | وأحَبُّهَا قُرْباً إليّ البَاخِلُ[4]
ألرّامِياتُ لَنَا وهُنّ نَوافِرٌ | والخاتِلاتُ لَنَا وهُنّ غَوافِلُ[5]
كافأنَنَا عَنْ شِبْهِهِنّ مِنَ المَهَا | فَلَهُنّ في غَيرِ التّرابِ حَبَائِلُ[6]
مِنْ طاعِني ثُغَرِ الرّجالِ جآذِرٌ | ومِنَ الرّماحِ دَمَالِجٌ وخَلاخِلُ[7]

---

(١) ذاك خطاب للمنازل . وأولاكما مبتدأ خبره العاقل . وقوله يبكي أي بأن يبكي فحذف الجار على قياس حذفه ثم حذف أن . يقول : إن القلوب التي هي منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا وتركوها خالية ولكن الديار لا تعلم ذلك فالذي يعلمه هو الأولى بالبكاء عليه لعلمه بما أصابه .

(٢) المنية الموت . والطرف النظر . وقوله والقتيل حال . يقول : أنا جلبت الموت لنفسي بنظرة عيني فأنا القتيل وأنا القاتل وإذا كان القتيل هو القاتل فمن يطالب بدمه .

(٣) الضمير من قوله عنده للموصول في البيت السابق يعني به نفسه . والظباء الغزلان يريد بها الحبائب . والتابعة الظبية الصغيرة تتبع أمها . والخاذل الذي تخلف عن أصحابه فلم يلحق . يقول : تخلو الديار من أشخاص الحبائب ولا يزال عندي من كل صغيرة منهن خيال يأتيني كأنه قد تخلف عنهن .

(٤) اللاء بمعنى اللواتي وهو بدل من الظباء أو من كل تابعة . وأفتكها مبتدأ خبره الجبان . وبمهجتي صلة أقحم الخبر بينهما ضرورة . والجبان والباخل خلف عن موصوف يريد به الظبي . يقول : أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي الجبان أي الذي ينفر من الرجال خوفاً وحياء وأحبهن إلي قرباً البخيل بالوصل .

(٥) يجوز في الراميات والخاتلات الجر على التبعية والرفع على الإخبار . والختل أخذ الصيد من حيث لا يدري . أي يرميننا بسهام لحاظهن وهن نافرات عنا غير مقبلات علينا ويصدننا وهن غير قاصدات لذلك ولا عالمات به .

(٦) المها بقر الوحش تشبه به النساء لحسن عيونها . والحبائل جمع حبالة وهي الشرك ينصب للصيد . يقول : جازيننا عما نصيده من بقر الوحش الشبيهة بهن لكن حبائلهن التي يصدننا بها منصوبة في غير التراب لأنهن يصدننا بعيونهن .

(٧) الثغر جمع ثغرة وهي نقرة النحر بين الترقوتين . والجآذر الصغار من بقر الوحش واحدها جؤذر . والدمالج جمع دملج وهو حلي يلبس في العضد . والخلاخل جمع خلخل ، بالفتح ، لغة في الخلخال . وجآذر وخلاخل مبتدآن خبرهما الظرف قبلهما . يريد أن الحسان يفعلن بالعشاق فعل الأبطال المقاتلين فهن من جملة الطاعنين ورماحهن الحلي الذي عليهن .

وِلِذا اسمُ أغطِيَةِ العُيُونِ جُفُونها   مِنْ أنّها عَمَلَ السّيُوفِ عَوامِلُ[1]
كَم وقْفَةٍ سَجَرَتكَ شوْقاً بَعدَما   غَرِيَ الرّقيبُ بنا ولَجّ العاذِلُ[2]
دونَ التّعانُقِ ناحِلَينِ كشَكْلَتيْ   نَصْبٍ أدَقَّهُمَا وضَمَّ الشّاكِلُ[3]
إنْعَمْ ولَذّ فَلِلأمورِ أواخِرٌ   أبَداً إذا كانَتْ لَهُنّ أوائِلُ[4]
ما دُمْتَ مِنْ أرَبِ الحِسانِ فإنّما   رَوْقُ الشّبابِ علَيكَ ظِلٌّ زائِلُ[5]
لّلهْوِ آوِنَةٌ تَمُرّ كأنّهَا   قُبَلٌ يُزَوَّدُهَا حَبيبٌ راحِلُ[6]
جَمَحَ الزّمانُ فَلا لَذيذٌ خالِصٌ   ممّا يَشُوبُ ولا سُرُورٌ كامِلُ[7]

---

(١) من بيان لذا . والضمير من قوله أنها للعيون . وعمل مفعول مطلق . وعوامل خبر أن . يقول : إنما سميت أغطية العيون جفوناً لأن ضمنها أحداقاً تفعل فعل السيوف فسمي غطاؤها باسم غمد السيف وهو الجفن .

(٢) سجرتك أي ملأتك أو ألهبتك . ويروى شجرتك بالشين المعجمة أي حبستك عن الكلام من قولهم شجر الدابة إذا جذب لجامها ليكفها . ويروى سحرتك بالسين والحاء المهملتين أي تركتك مسحوراً . وغري به أولع . واللجاج التمادي في المماحكة . يخاطب نفسه يقول : كم وقفة لك مع الحبيبة تركتك على تلك الحال . وتمام الكلام في البيت التالي .

(٣) دون التعانق متعلق بوقفة . وناحلين حال من محذوف بعد وقفة أي كم وقفة لنا . والشاكل الذي يرسم شكل الكتاب وهو فاعل أدق أو ضم ففي الكلام تنازع . أي مع ما نحن فيه من شدة الشوق لم نتعانق في تلك الوقفة خوفاً من الرقيب والعاذل ولكن وقفنا متقاربين فكنا ونحولنا كأننا شكلتا نصب أي فتحتان قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداهما من الأخرى .

(٤) يقول : تمتع بنعيم العيش ولذته ما دام لك الشباب فإنه عن قليل سينقضي لأن كل ما له أول له آخر .

(٥) ما مصدرية زمانية والظرف المتأول منها صلة انعم . وقوله فإنما إلى آخره تعليل . والأرب الحاجة . وروق الشباب أوله وأفضله . أي ما دام للحسان أرب فيك يعني ما دمت شاباً فإن روق الشباب يزول عنك زوال الظل . ويروى مائل .

(٦) الآونة جمع أوان . يقول : إن ساعات اللهو مع لذتها قصيرة سريعة المرور كأنها القبل التي يزودها الراحل فإن لذتها في غاية القصر ثم تفوت إلى ما شاء الله .

(٧) جمح ركب هواه فلا يمكن رده . وما من قوله مما يشوب نكرة موصوفة بمعنى شيء . ويشوب يخالط .

.. ويتحدث المتنبي عن محامد ممدوحه بما له من صفات الكرم والشجاعة والرأي الحكيم العادل ثم ينثنى فيقول :

فأفخَرْ فإنّ النّاسَ فيكَ ثَلاثَةٌ ... مُسْتَعْظِمٌ أو حاسِدٌ أو جاهِلُ[1]
ولَقَدْ عَلَوْتَ فَما تُبالي بَعدَ مَا ... عَرَفُوا أيَحْمَدُ أمْ يَذُمّ القاتِلُ[2]
أُثْني عَلَيْكَ ولَوْ تَشاءُ لقُلتَ لي ... قَصّرْتَ فالإمْساكُ عنّي نائِلُ[3]
لا تَجْسُرُ الفُصَحاءُ تُنشِدُ ههُنا ... بَيْتاً ولكِنّي الهِزَبْرُ البَاسِلُ[4]
ما نالَ أهْلُ الجاهِلِيّةِ كُلُّهُمْ ... شِعْرِي ولا سمعتْ بسحري بابِلُ[5]
وإذا أتَتْكَ مَذَمّتي من نَاقِصٍ ... فَهيَ الشّهادَةُ لي بأنّي كامِلُ[6]
مَنْ لي بفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدّعي ... أنْ يَحْسُبَ الهِنديَّ فيهِمْ باقِلُ[7]
وأمَا وحَقّكَ وهْوَ غايَةُ مُقْسِمٍ ... لَلْحَقُّ أنتَ وما سِواكَ الباطِلُ[8]

---

(١) فأفخر . يعني فخرك ثابت وإن أنكر الجاحدون عظمة شأنك فإن من لم يعترف باستعظامك فهو حاسد لفضلك أو جاهل لقدرك .

(٢) ضمير عرفوا للناس والعائد إلى ما محذوف أي بعد ما عرفوه . يقول : قد عرف الناس من علو قدرك مالا تبالي بعده بذم الحاسد لأنه لا يحط منزلتك ولا بحمد الحامد لأنه لا يزيدك علواً .

(٣) النائل العطاء . يقول : إني قد قصرت في ثنائي عليك فكان حقك أن تؤاخذني بهذا التقصير ولكنك أمسكت عني حلماً وتكرماً فعددت ذلك جائزة منك لو لم تتجاوزها كفتنى .

(٤) أراد أن تنشد فحذف أن . والهزبر الأسد . والباسل الشجاع . أي أن الفصحاء لهيبتك وعلمك بالشعر لا يجسرون على الإنشاد بين يديك ولكني أقدمت على ذلك لاقتداري وجرأتي .

(٥) أي أهل بابل وهي المدينة المشهورة يقولون إنه كان بها ملكان يعلمان السحر .

(٦) يقول : إذا ذمني ناقص فمذمته تشهد لي بالكمال لأن الناقص لا يمدح الكامل لما بينهما من تنافي الطباع . ويروى من جاهل وبأنى فاضل .

(٧) من لي بكذا كلمة تقال عند افتقاد الشيء أي من يكفل لي به ونحو ذلك . وأهيل تصغير أهل أراد به التحقير . وباقل رجل يضرب به المثل في البلاهة وهو فاعل يدعى . يقول : من لي بفهم أهل هذا العصر الذين لا يميزون الحق من الباطل ولا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى باقل بينهم معرفة حساب الهند لم يجد فيهم من يكذب دعواه .

(٨) غاية الشيء منتهاه . ومقسم ، يروى بكسر السين وفتحها ، على أنه اسم فاعل أو مصدر ميمى .

أَلطِّيبُ أَنْتَ إذا أصابَكَ طِيبُهُ والماءُ أنتَ إذا اغتَسَلْتَ الغاسِلُ[1]
ما دارَ في الحَنَكِ اللّسانُ وقَلّبَتْ قَلَماً بأحْسَنَ مِنْ ثَنَاكَ أَنامِلُ[2]

★ ★ ★

.. العود فى أرضه نوع من الخشب .. هكذا القاعدة .. والمتنبى يؤكد ذلك فيقول في قصيدة بعنوان : « النفيس غريب حيثما كان » .

فمن قصيدة يمدح بها صديقاً له .. نأخذ منها مطلعها الذى يتحدث فيه عن الفراق وأثره .. ثم عن النمامين والمنافقين فيما يلي ذلك من أبيات تسبق ثناءه على ممدوحه الذي لا يعنينا منه شيء إذ يقول :

قَدْ عَلّمَ البَينُ مِنّا البَينَ أجْفانَا تَدْمَى وألّفَ في ذا القَلبِ أحزانَا[3]
أَمّلْتُ ساعةَ ساروا كَشفَ مِعصَمِها لِيَلْبَثَ الحَيُّ دونَ السّيرِ حَيرانَا[4]
ولَوْ بَدَتْ لأتاهَتْهُمْ فَحَجّبَهَا صَوْنٌ عُقُولَهُمُ من لحظِها صانَا[5]
بالواخِداتِ وحاديها وبي قَمَرٌ يَظَلّ من وَخْدِها في الخِدرِ خَشيانَا[6]

---

(١) الطيب مبتدأ . وأنت مبتدأ آخر . وطيبه خبر أنت والجملة خبر الطيب . وكذا في الشطر الثاني والعائد إلى الماء محذوف أى أنت الغاسل له . أي إذا أصابك الطيب فأنت طيب له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . والمعنى أنه أطيب من الطيب وأطهر من الماء .

(٢) ويروى نثاك بتقديم النون وهو ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . والأنامل أطراف الأصابع . أي ما روى اللسان ولا خط القلم كلاماً أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٣) البين البعد . ومنا حال من الأجفان مقدمة عليها . وتدمى أي يسيل دمها وهو نعت للأجفان . يقول : إن بعد الأحبة علم أجفاننا الدامية من طول البكاء أن يبتعد بعضها عن بعض كناية عن إدامة السهر وكان باعثاً للجمع بين أحزان القلب فتألفت .

(٤) ضمير ساروا للأحبة استغنى عن تقدم ذكرهم بدلالة المقام . والمعصم موضع السوار . ولبث أقام . يقول : رجوت حين ساروا أن تكشف معصمها أي تظهره عند ركوب الهودج ليراه الحي فيتحيروا بجماله ويدهشوا عن المسير فأغتنم الزيادة من إقامتها .

(٥) أتاهتهم أي أضلتهم وحيرتهم. يقول : لو ظهرت لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم ما عندها من الصيانة التي صانت عقولهم من لحظها يعني أن صيانتها لنفسها حجبتها عن البروز فكان في ذلك صون عقولهم عن أن تصاب بلحظها فتفتن .

(٦) الباء للتفدية . والواخدات المسرعات يريد النياق . والحادي الذي يسوق الإبل بالغناء . والخدر الستر . وخشيان خائفاً . يقول : يفدي بالنياق الواخدة في السفر ويحاديها وبي قمر يظل في خدره خائفاً من وخدها لأنه لم يتعود الأسفار .

أمّا الثّيابُ فَتَعْرَى مِنْ مَحاسِنِهِ ... إذا نَضاها ويَكسَى الحُسنَ عُرْيانَا[١]

يَضُمّهُ المِسكُ ضَمَّ المُسْتَهامِ بهِ ... حتى يَصيرَ على الأعكانِ أعكانَا[٢]

قد كنتُ أُشفِقُ من دَمعي على بصري ... فاليَوْمَ كُلُّ عزيزٍ بَعدَكمْ هَانَا[٣]

تُهدي البَوارِقُ أخلافَ المِياهِ لكُمْ ... وللمُحِبِّ مِنَ التّذكارِ نِيرانَا[٤]

إذا قَدِمْتُ على الأهوالِ شَيّعَنِي ... قَلْبٌ إذا شِئْتُ أنْ أسلاكُمُ خانَا[٥]

أبدو فيَسجُدُ مَنْ بالسّوءِ يذكُرُني ... فَلا أُعاتِبُهُ صَفْحاً وإهْوَانَا[٦]

وهكذا كُنتُ في أهْلي وفي وَطَني ... إنّ النّفِيسَ غَرِيبٌ حَيثُمَا كَانَا[٧]

★ ★ ★

---

(١) نضاها ألقاها عنه . ويكسى بمعنى يكتسى ، يقال كسوته الثوب فكسيه من باب علم . وعرياناً حال من فاعل يكسى . يقول : إذا خلع ثيابه عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه وإذا عرى منها بقي مكتسياً بالحسن .

(٢) الضمير من به للمحبوب . والأعكان مطاوي البطن وهي جمع عكن جمع عكنة . يقول : كأن المسك يحبه فهو يضمه ضم المستهام به حتى يصير على أعكانه كالاعكان .

(٣) أشفق أخاف . يقول : كنت أخاف على بصري من البكاء وأما اليوم فقد هان عليَّ بعد فرقتكم كل عزيز .

(٤) البوارق السحائب ذات البرق . والاخلاف جمع خلف ، بالكسر ، وهو الضرع استعاره للمياه لأنها تغذو النبات . يقول : إذا برقت السحائب من نحوكم أهدت إليكم أخلاف المياه التي تغذو أرضكم وأهدت إليَّ نيراناً لتجديدها الشوق بتجديد ذكراكم .

(٥) شيعني تبعني . وأسلاكم مثل اسلوكم . يقول : قلبي يتبعني ويطاوعني في كل هول إلا إذا أردت أن أسلوكم فإنه يخونني ولا يطيعني .

(٦) الصفح الإعراض عن المسيء . والإهوان الإهانة أخرجه على الأصل ضرورة . يقول : إذا ظهرت لمن يذكرني بالسوء عظمني وخضع لي فأترك عتابه إعراضاً عنه واحتقاراً له .

(٧) يقول : لما كنت بين أهلي وفي وطني كنت على ما أنا عليه اليوم أي غريباً قليل الأشكال والمساعدين . ثم قال : إن النفيس حيثما حل غريب لأن هذه الغربة وردت عليه من فقد النظير لا من فقد النسيب .

.. ويتحدث في قصيدة مدح طويلة عن البخل ومساوئه .. والإقدام ومحامد الشجاعة فيه حيث لا يرى المجد في غير السيف والضربة البكر .. وهو مانكتفي به من هذه القصيدة على طولها :

أُطاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوارِسِها الدّهْرُ ... وَحيداً وما قَوْلي كذا ومَعي الصَّبْرُ[1]

وأشْجَعُ مني كُلَّ يَوْمٍ سَلامَتي ... وما ثَبَتَتْ إلاّ وفي نَفْسِها أمْرُ[2]

تَمَرّسْتُ بالآفاتِ حتى تَركْتُهَا ... تَقولُ أماتَ المَوْتُ أم ذُعِرَ الذُّعْرُ[3]

وأقْدَمْتُ إقْدامَ الأتيّ كأنّ لي ... سوَى مُهجَتي أو كان لي عندها وِتْرُ[4]

ذَرِ النّفْسَ تأخذْ وُسعَها قبلَ بَينِها ... فمُفْتَرِقٌ جارانِ دارُهُما العُمْرُ[5]

ولا تَحْسَبَنّ المَجْدَ زِقّاً وقَيْنَةً ... فما المَجدُ إلاّ السّيفُ والفتكةُ البِكرُ[6]

---

(١) ما قولي استفهام . وكذا مفعول قولي . أراد بالخيل حوادث الدهر يقول . أقاتل فرساناً بعضهم الدهر وأنا وحيد لا ناصر لي . ثم رجع فقال : لست بوحيد فإن الصبر يقاتل معي أي ينجدني على نوائب الدهر فلا تغلبني .

(٢) يقول : إن كل يوم تحت خطر الهلكة ولكني مع ذلك سلمت منها فكانت سلامتي أشجع مني في ثباتها إذ لولا ثباتها لم أثبت أنا . ثم يقول : وما بقيت لي هذه السلامة إلا لأمر عظيم ستجريه الأقدار على يدي . وفي البيت مجاز لا يخفى .

(٣) تمرس به تحكك . والذعر الخوف . يقول : تحككت بالآفات في الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتي وثباتي بينها وقالت هل مات الموت أم خافت المخاوف فإن هذا الرجل لم يصب بعطب ولاجبن عن الإقدام .

(٤) الأتي السيل يأتي من موضع بعيد . والوتر الثأر . يقول : أقدمت على الأهوال إقدام السيل الذي لا يرده شيء حتى كأن لي نفساً أخرى أعتاضها إذا هلكت نفسي أو كأن لي عند نفسي ثأراً فأنا أطلب إهلاكها .

(٥) ذر بمعنى دع . والوسع الجدة والطاقة . ومفترق مبتدأ سد المرفوع بعده مسد الخبر جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف يريد بالجارين الروح والبدن يجتمعان مدة العمر فإذا فرغ افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما يمكنها أخذه من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد .

(٦) الزق السقاء يجعل فيه الخمر . والقينة الجارية . والفتكة المرة من الفتك وهو البطش والاغتيال . والبكر التي لم يسبق إليها أحد . يقول : لا تحسب المجد الاشتغال بشرب الخمر ومغازلة النساء فإن المجد لا يكتسب إلا بضرب السيف وإتيان أفعال من الفتك لم يسمع بمثلها .

وتـرْكُكَ في الدّنيـا دَوِيّــاً كأنّمــا تَداوَلَ سَمْعَ المَرْءِ أُنْمُلُهُ العَشْرُ[1]

إذا الفضْلُ لم يَرْفَعكَ عن شكرِ ناقصٍ على هِبَةٍ فالـفضْلُ فيمَـن له الشّكْـرُ[2]

ومَـنْ يُنفِـقِ السّاعـاتِ في جمعِ مالِـهِ مَخافـةَ فَقْـرٍ فالـذي فَعَـلَ الفَقْــرُ[3]

★ ★ ★

أي والله .. إنه لمن نكد الدنيا على الإنسان أن يبتلى بالعدو فلا يجد مفراً من مصادقته . وما أكثر أمثال هذا في زماننا .. والمتنبي يتحدث عن أمثال هؤلاء ممن كان مبتلى بهم فى عصره وذلك في مستهل قصيدة يمدح به أحد كرماء عصره فيقول :

أَقَلُّ فَعَالي بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْـدُ وذا الجِدُّ فيهِ نِلْتُ أم لم أَنَلْ جَدُّ[4]

سأطْلُبُ حَقّي بالقَنَا ومَشايخٍ كأنّهُمُ من طولِ ما التَثَموا مُرْدُ[5]

ثِقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا كَثيرٍ إذا اشتَدّوا قَليلٍ إذا عُدّوا[6]

وطَعْنٍ كأنّ الطّعنَ لا طَعنَ عندَهُ وضَرْبٍ كأنّ النّارَ من حَرّهِ بَرْدُ[7]

---

(١) الدوي صوت الريح ونحوه .. والأنمل رؤوس الأصابع . أي وأن تكثر في الدنيا الوقائع والغارات حتى يسمع فيها دوي من صلصلة السلاح وجلبة المقاتلين كما يسمع المرء إذا سد أذنيه بأنامله .

(٢) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها فالفضل حينئذ له لا لك لأنه قد استوجب شكرك فصار له عليك فضل المشكور على الشاكر .

(٣) الفقر خبر الذي والعائد محذوف أي فالذي فعله . يقول : من أفنى عمره في جمع المال ولم ينفقه خوف الفقر واختزنه وعاش عيشة الفقراء .. فذلك هو الفقر مهما كان في خزائنه .

(٤) فعالي ، بالفتح ، مصدر . وبله إسم فعل بمعنى دع . والجد ، بالكسر ، الاجتهاد . وبالفتح ، الحظ . يقول : أقل فعلي مجد فلا تسل عن أكثره أي جميع أفعالي قليلها وكثيرها مصروفة في طلب المجد . وهذا الجد في طلبه يعد حظاً لي سواء نلت مطلوبي منه أم لم أنل لأني لم أطلبه إلا بما أوتيته من علو النفس وشرف الهمة وهما الحظ الذي لا أعدمه في جميع الأحوال .

(٥) عادة العرب أن يتلثموا في الحرب لئلا تسقط عمائمهم . يقول : إن هؤلاء المشايخ لا يفارقون الحرب فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحاهم فكأنهم مرد . قال الواحدي : أراد أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره فكنى بالقنا عن نفسه وبالمشايخ عن أصحابه وأراد أنهم محنكون مجربون ولذلك جعلهم مشايخ .

(٦) ثقال وما يليه نعت لمشايخ . كنى بثقلهم عن شدة وطأتهم على العدو وبخفتهم عن سرعة إجابتهم للنجدة وبكثرتهم عن قيام الواحد منهم مقام جماعة فهم كثيرون عند البطش وإن كانوا قليلين في العدد .

(٧) طعن معطوف على القنا . وعنده حال من إسم كأن والعامل فيها معنى التشبيه . أي وأطلب حقي بطعن شديد كأن سائر الطعن بالنسبة إليه لا شيء وضرب حار كأن حر النار في جنبه برد .

إذا شِئتُ حَفَّتْ بي على كلّ سابحٍ   رِجالٌ كأنّ المَوْتَ في فَمِها شَهْدُ[1]
أذُمّ إلى هذا الزّمانِ أُهَيْلَهُ   فأعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأحزَمُهمْ وَغْدُ[2]
وأكرَمُهُمْ كَلْبٌ وأبصرُهُمْ عمٍ   وأسهَدُهُمْ فَهدٌ وأشجَعُهم قِرْدُ[3]
ومن نَكَدِ الدّنْيا على الحُرّ أن يَرَى   عَدُوّاً لَهُ ما من صَداقَتِهِ بُدّ[4]
بقَلبي وإنْ لم أرْوَ منها مَلالَةٌ   وبي عن غَوانيها وإن وَصَلَتْ صَدّ[5]
خَليلايَ دونَ النّاسِ حُزْنٌ وعَبرةٌ   على فَقْدِ مَن أحبَبتُ ما لهُما فَقْدُ[6]
تَلَجُّ دُمُوعي بالجُفونِ كأنّما   جُفُوني لعَيْنَيْ كلّ باكِيَةٍ خَدّ[7]
وإنّي لتُغْنيني مِنَ الماءِ نُغْبَةٌ   وأصبرُ عَنْهُ مثلَما تَصبرُ الرُّبْدُ[8]

---

(١) حفت بي أحاطت . والسابح الفرس السريع الجري .

(٢) الفدم العيي في ثقل وقلة فهم . والوغد الأحمق الخسيس .

(٣) العمي ، بالتخفيف ، الأعمى . وأسهدهم أي أسهرهم وأيقظهم . أي أكرمهم في خسة الكلب وأبصرهم بالأمور أعمى القلب . والفهد مثل في كثرة النوم . والقرد مثل في شدة الخوف حتى قيل إنه لا ينام إلا وفي كفه حجر .

(٤) النكد قلة الخير . والمراد بالحر الكريم . أي مع علمه بأنه عدو له لا يجد بداً من إظهار الصداقة له ليأمن شره . ويروى له بعد هذا البيت :

فيا نكد الدنيا متى أنت مقصر   عن الحر حتى لا يكون له ضد
يروح ويغدو كارها لوصاله   وتضطره الأيام والزمن النكد

وهما ساقطان من كثير من نسخ الديوان .

(٥) بقلبي خبر مقدم عن ملالة . وضمير منها للدنيا . والغواني جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجمالها عن الزينة . يقول : قد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظي منها وبي إعراض عن نسائها وإن كنت شاباً يصلنني ولا يعرضن عني وذلك لكثرة ما أرى فيها من الحيف عن الكرام وإرغام النفوس الأبية وإدالة ذوي النقص من أرباب الفضل .

(٦) دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها . والعبرة الدمع . والجار والمجرور صلة الحزن أو العبرة على التنازع . وجملة ما لهما فقد نعت . جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس لانقطاعه إليهما وملازمتهما له أي فقدت من أحببته فصاحبني لفقده حزن وعبرة لا يفقدان .

(٧) لج به الهم وغيره لزمه فلم يبرح . ويروى تلح ، بالمهملة ، ومن قولهم الح السحاب بالمكان إذا أقام به . يقول : إن دموعه لا تزال دائمة الهطلان حتى كأن جفونه قد جعلت خدوداً لجميع البواكي فكلما هطلت دمعة من عين باكية جرت تلك الدمعة في جفنه فهو لا يخلو من الدمع كما لا تخلو الأرض من باكية . ويجوز أن يكون أراد كثرة ما يجري من جفونه حتى كأنها قد جمعت كل دمع في الدنيا .

(٨) النغبة الجرعة . والربد التي في لونها غبرة أراد بها النعام ، يقال ظليم أربد ونعامة ربداء وهي مثل في الصبر على العطش .

وأمضي كما يَمضي السّنانُ لِطِيّتي ... وأطوَى كما تَطْوَى المُجَلِّحةُ العُقدُ[١]

وأكْبِرُ نَفسي عَن جَزاءٍ بغِيبَةٍ ... وكلُّ اغتِيابٍ جُهدُ مَن ماله جُهدُ[٢]

وأرْحَمُ أقواماً منَ العِيّ والغَبَى ... وأعْذِرُ في بُغضِي لأنّهُمُ ضدّ[٣]

★ ★ ★

.. وأراد سفراً وودعه صديق له فقال ارتجالاً :

أمّا الفِراقُ فإنّهُ ما أعْهَـــدُ ... هُوَ تَوْأمي لوْ أنّ بَيْنـاً يُولَـدُ[٤]

ولَقَـد عَلِمْنـا أنّنـا سَنُطيعُـــهُ ... لمّـا عَلِمْنَـا أنّنَـا لا نَخلُـــدُ[٥]

وإذا الجِيادُ أبا البَهِيّ نَقَلْنَنا ... عنكُم فأرْدأُ ما ركِبتُ الأجوَدُ[٦]

مَن خَصّ بالذّمّ الفراقَ فإنّني ... مَن لا يَرى في الدهر شيئاً يُحمَدُ

★ ★ ★

.. سئل نابليون وقد انتصر على الجيوش التي واجهها كيف تواجه المرأة فقال : بالهرب منها .. والمتنبي يقول إن الحسناء إذا غدرت بالعهد فذلك هو الوفاء بالعهد منها . وقد عبر عن هذا الرأى فى قصيدة له مطلعها :

---

(١) الطية المكان الذي ينوى القصد إليه . وأطوى أجوع . والمجلحة نعت لمحذوف يريد الذئاب ، يقال جلح السبع على القوم إذا حمل عليهم وإنما يفعل ذلك عند شدة الجوع . والعقد جمع أعقد وهو الذي في ذنبه عقدة والتواء . يصف نفسه في هذين البيتين بالجلد والمضاء في أموره وعدم المبالاة بالمشرب والمطعم شأن النفوس الكبيرة التي لا يهمها خصب البدن ونعمته .

(٢) الغيبة الاسم من الاغتياب وهو الوقوع في عرض الغائب . والجهد الطاقة . يقول : أجل نفسي عن التشفي بغيبة أعدائي فإن ذلك طاقة من لا طاقة له بمواجهة عدوه وشفاء نفسه منه في الحرب وهذا كما قال الآخر : ونشتم بالأفعال لا بالتكلم .

(٣) العي العجز في المنطق . والغبى بمعنى الغباوة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل العي والغباوة أخذتني الشفقة عليهم لقلة خلاقهم وإذا أبغضوني عذرتهم لأنهم أضداد لي بسبب ما بيننا من التباين والضد يبغض ضده .

(٤) التوأم الذي يكون مع غيره في بطن واحد . يقول : الفراق شيء أعهده قديماً حتى لو جاز أن يكون مولوداً لقلت هو توأمي لأني عرفته مذ وجدت فكأنه ولد معي .

(٥) أي لما كان خلودنا في الأرض محالاً علمنا أن الفراق مسلط علينا حتماً فلا بد لنا أن ننقاد لحكمه إما عاجلاً وإما آجلاً .

(٦) أبا البهي منادى . يقول : إذا نقلتنا الخيل عنكم فأجودها حينئذ أردأها لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم .

لقد حازني وجدٌ بمن حازه بُعْدُ فياليتني بعدٌ وياليته وَجْدُ[1]

ثم يقول بعد ذلك هذه الأبيات التي تمثل رأيه :

سُهادٌ أتانا منكِ في العَينِ عِنْدنَا رُقادٌ وقُلّامٌ رَعَى سَرْبُكم وَرْدُ[2]

مُمَثَّلَةٌ حتى كأنْ لمْ تُفارِقي وحتى كأنَّ اليأسَ من وَصْلكِ الوَعدُ[3]

وحتى تَكادي تَمْسَحينَ مَدامعي ويَعْبَقُ في ثَوْبيّ من رِيحِكِ النّدّ[4]

إذا غَدَرَتْ حَسناءُ وفّتْ بعَهدها فمِنْ عَهدِها أن لا يَدومَ لها عَهدُ[5]

وإنْ عَشِقَتْ كانَتْ أشَدّ صَبابَةً وإن فَرِكَتْ فاذهبْ فما فِركها قَصدُ[6]

وإنْ حقَدَتْ لم يَبقَ في قَلبِها رِضىً وإنْ رَضِيَتْ لم يَبْقَ في قَلْبِها حِقدُ

كذلِكَ أخلاقُ النّساءِ ورُبّمَا يَضِلّ بها الهادي ويخفى بها الرّشدُ[7]

ولكنّ حُبّاً خامَرَ القَلْبَ في الصِّبَا يَزيدُ على مَرّ الزّمانِ ويَشْتَدُّ[8]

---

(١) يقول : قد اشتمل عليَّ الوجد بحبيب قد اشتمل عليه البعد فياليتني بعد لاشتمل على هذا الحبيب وياليته وجد ليشتمل عليَّ .

(٢) عندنا أي في وجداننا وهذا والظرف الذي قبله من صلة رقاد . والقلام نبت من الحمض يكون في السباخ . والسرب بالفتح الراعية ، وبالكسر القطيع . يقول : السهاد الذي يكون من أجلك تلذ به أعيننا كالرقاد والقلام الذي ترعاه ماشية قومك طيب عندنا كالورود .

(٣) ممثلة خبر عن محذوف ضمير المخاطبة . يقول : لا تزالين مصورة في وهمي حتى أتخيلك حاضرة لم تفارقيني وأتخيل اليأس من وصلك وعداً منك بالوصل .

(٤) أى وحتى أكاد أراك بجانبى تمسحين مجارى دمعى بيدك فيعبق طيبك فى ثوبى .

(٥) يقول : إذا غدرت الحسناء بمن تعاهده فذلك هو الوفاء بعهدها لأن من عهدها أن لاتبقى على عهد .

(٦) الصبابة رقة الشوق . وفركت المرأة زوجها أبغضته . يقول : المرأة إذا عشقت كانت أشد صبابة من الرجال لأنها أرق طبعاً وأقل صبراً وإذا أبغضت فاذهب لشأنك ولا تطمع في تلافي بغضها فإنه ليس عن قصد منها وإنما هي مقتادة إليه بما في طبعها من السأم والطبع لا يغالب .

(٧) الإشارة إلى الوصف السابق . يقول : هذه صفة أخلاق النساء إلا أنهن خلابات لعقول الرجال حتى يضل بهن من يهدي غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وهذا كالتعريض بنفسه يريد أنه مع علمه بما وصفه من أخلاق النساء وتحذيره من غدرهن لم يصن قلبه عن هواهن . ثم اعتذر عن ذلك في البيت التالي .

(٨) خامره خالطه . يقول : إن الحب قد خالط قلبه في زمن الصبى واستحكم فيه قبل أن تحكمه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه لأنه قد ألفه حتى صار خلقاً له يزداد ويشتد على مر الأيام .

.. ويختم القصيدة ببيت جعل الشراح لديوانه يعنونون به قصيدته إذ يقول فيه :

وأصْبَحَ شِعري منهُما في مكانِهِ وفي عُنُقِ الحَسْناءِ يُستَحسن العِقدُ[١]

★ ★ ★

طعم الموت واحد .. وما دام أنه لا مفر منه فليكن من أجل غاية سامية .. وفي عز وكرامة .. هذا مايقوله المتنبي في هذه المقطوعة :

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرُومِ فَلا تَقنَعْ بما دونَ النّجـومِ[٢]

فطَعْمُ المَوْتِ في أمْرٍ حَقِيرٍ كطَعْمِ المَوْتِ في أمْرٍ عَظِيمِ[٣]

ستَبكي شَجوهَا فَرَسي ومُهري صَفائـحُ دَمْعُهَـا ماءُ الـجُسَومِ[٤]

قُرِيـنَ النّـارَ ثـمّ نَشَأنَ فيهَـا كمَا نَشأ العَذارَى في النّعيـمِ[٥]

وفارَقْـنَ الصّياقِـلَ مُخْـلَصاتٍ وأيْديهَـا كَثيراتُ الكُلُـومِ[٦]

يرَى الجُبَناءُ أنّ العَجزَ عَقْلٌ وتِـلْكَ خَديعَـةُ الطّبـعِ اللّئيـمِ[٧]

---

(١) منهما حال عن مكانه . وفي مكانه خبر أصبح والضمير للشعر . أي أصبح شعري منهما في المكان الذي يليق به لأنهما أهل للمدح فاستحسن وقعه فيهما كما يستحسن العقد في عنق المرأة الحسناء .

(٢) غامرت دخلت في الغمرات وهي المهالك . وقوله في شرف أي في طلب شرف فحذف للعلم بالمحذوف . ومروم أي مطلوب . يقول : إذا خاطرت بنفسك في طلب الشرف فلا تقنع باليسير منه .

(٣) يريد أن الموت لا يصير حقيراً بحقارة المطلب ولا يعظم بعظمته وإنما طعمه واحد في الحالين وإذا كان ذلك فلا وجه للمخاطر إلا أن يقصد أسمى الأمور .

(٤) فاعل تبكي الصفائح . والشجو الحزن وهو مصدر وضع موضع الحال على تقدير مشجوة شجوها ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه والضمير للصفائح أيضاً . وفرسي مفعول تبكي . والصفائح السيوف العريضة . وماء الجسوم كناية عن الدم . أي ستبكي حزناً على فرسي ومهري سيوف دمعها الدماء يعني أنه سيقتل الذين قتلوهما فتكون دماؤهم بمنزلة دمع تبكي به السيوف .

(٥) قرين من القرى . والنار مفعول ثان . أى أن هذه السيوف جعلت النار غذاء لها لأنها خالطت أحشاءها عند الطبع ثم نشأت فيها لرجوعها إلى النار مرة بعد أخرى إلى أن تمت صنعتها فخرجت منها وقد استوفت نضارتها وحسنها كالعذارى إذا نشأن في نعيم العيش ولذته .

(٦) الصياقل جمع صيقل وهو صانع السيوف . ومخلصات أي خالصات من الغش والخبث . والكلوم الجراح . يعني أن الصياقل لم تستطع أن تقي أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها .

(٧) أي أن الجبان يتقاعد عن اقتحام العظائم عجزاً منه وهو يظن أن ذلك عقل وإنما هي خديعة يزينها له لؤم طبعه بما فيه من ضعف النفس وصغر الهمة .

وكلّ شجاعةٍ في المَرْءِ تُغْني ولا مِثلَ الشّجاعَةِ في الحَكيمِ[1]
وكَمْ من عائِبٍ قوْلاً صَحيحاً وآفَتُــهُ مِنَ الفَهْــمِ السّقيــمِ[2]
ولكِـنْ تأخُــذُ الآذانُ مِنْـــهُ على قَدَرِ القَرائـــحِ والعُلُـــومِ[3]

★ ★ ★

ويؤكد المتنبي ما أورده من معاني في مقطوعته السابقة .. بهذه الأبيات التي يذكر فيها مقتل أحد الذين لا يؤبه لهم .. ولا شيء من الفعال الطيبة تذكر بهم ولهذا فلا أسف عليه إذ يقول :

قالوا لَنا : ماتَ إسحاقٌ ! فقُلتُ لهُمْ : هذا الدّواءُ الذي يَشـفي منَ الحُمُقِ
إنْ مـاتَ ماتَ بِـلا فَقْدٍ ولا أسَـفٍ أو عاشَ عاشَ بـلا خَلْقٍ ولا خُلُـقِ[4]
مِنْهُ تَعَلّـمَ عَبْـدٌ شَـقّ هامَتَـهُ خوْنَ الصّديقِ ودَسَّ الغدرِ في المَلَقِ[5]
وحَـلْفَ ألْفِ يَمـينٍ غَـيْرِ صادِقَةٍ مَطرودَةٍ ككُعوبِ الرّمـح في نَسَـقِ[6]
مـا زِلْـتُ أعـرِفُهُ قِرْداً بِـلا ذَنَبٍ خِلْـواً مِنَ البأسِ مَملُـوءاً من النّزَقِ[7]

---

(١) مثل اسم لا وان كان مضافاً إلى معرفة لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف . والخبر محذوف أي ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة . يقول : الشجاعة كيفما كانت تغني صاحبها وتكفيه مؤونة الخسف والعار ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم فتكون أبعد عن الفشل . يريد أن العقل لا يغني في موضع الشجاعة وهي تغني كيفما كانت فتستغنى عن العقل ولكن إذا اجتمعا تعززت الشجاعة بالعقل فضلاً عن أنه لا تنافي بينه وبينها وهو كالتقرير لما ذكره في البيت السابق .

(٢) الآفة العاهة والضمير للقول .

(٣) القرائح الطبائع . أي كل سامع يتناول من معاني الكلام على قدر سجيته وعلمه فإن كان حاذقاً أحاط بفحواه وعلم صحته وإن كان غبياً خفي عليه المراد منه فأنكره وعابه .

(٤) إسحٰق كنية للمقتول يقول : موته وحياته سيان فهو إن مات لم يشعر أحد بفقده فيأسف عليه لأنه لم يكن فيه خير ولا غناء وإن عاش لم يكترث أحد به لأنه ليس له صورة جميلة ولا خلق كريم .

(٥) هامته رأسه والجملة نعت عبد . والدس الإخفاء . والملق التودد وإظهار الحب . يقول : إن عبده الذي قتله منه تعلم خيانة الصديق والغدر به فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

(٦) حلف معطوف على خون . وقوله مطرودة أراد مطردة أي متتابعة . والكعب من الرمح العقدة بين الأنبوبتين .

(٧) الخلو الخالي . ويروى صفراً وهو بمعناه . والنزق الخفة والطيش .

كَـريشَةٍ في مَهَبّ الرّيـحِ ساقِطَةٍ   لا تَسْتَقِـرّ على حـالٍ منَ القَلَقِ[1]
تَستَغرِقُ الكَـفُّ فَوْدَيهِ ومَنْـكِبَهُ   فتَكْتَسي منهُ ريـحَ الجَوْرَبِ العَرِقِ[2]
فَسائِلُوا قاتِلِيهِ كَيـفَ ماتَ لَهُـمْ   مَوْتاً من الضّرْبِ أمْ موْتاً من الفَرَقِ[3]
وأينَ مَوْقعُ حَـدّ السّيـفِ من شَبَـحٍ   بغَـيرِ جِسْـمٍ ولا رَأسٍ ولا عُنُقِ[4]
لَوْلا اللّئَامُ وشيءٌ مِنْ مُشـابَهَةٍ   لَـكانَ ألأمَ طِفْلٍ لُفّ في خِرَقِ[5]
كَـلامُ أكـثرِ مَنْ تَلقَى ومَنظَـرُهُ   ممّا يَشُقّ على الآذانِ والحَـدَقِ[6]

★ ★ ★

.. أبو العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي .. هو الكريم الذي سيلتقي عنده المتنبي في القريب بسيف الدولة بعد أن يتعرف عليه وبمكانته .. وهذه أولى قصائد المتنبي في مدح أبي العشائر نأخذ منها مستهلها ثم خاتمتها :

يقول فى مستهلها وهو يتحدث عن هوى العشاق :

أتُـراهـا لـكَثْـرَةِ العُـشّـاقِ   تَحْسَـبُ الدّمعَ خِلقَـةً في المـآقي[7]

---

(١) مهب الريح مجراها . ومن القلق صلة تستقر .
(٢) استغرقه أخذه بجملته . والفودان جانبا الرأس . والمنكب مجمع العضد والكتف . والجورب ما تلف به الرجل من صوف ونحوه . والعرق الذي بله العرق . أي أنه صغير الرأس قصير العنق فإذا صفع أحاطت الكف بهذه المواضع من بدنه فاكتست نتناً من خبث ريحه .
(٣) موتاً مفعول مطلق أي أمات لهم موتاً . والفرق الخوف .
(٤) الشبح الشخص . يقول : إنه حقير دميم حتى كأنه لا أعضاء له .
(٥) يريد باللئام آباءه يقول : لولا أن يسبقوه في اللؤم ويجيء مشابهاً لهم لكان ألأم طفل ولكنهم شركاؤه في ذلك فليس هو الألأم .
(٦) يشق يثقل . يقول : أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الأسماع لما فيه من السقط والهذر ومنظره على الأبصار لما ترى فيه من تلون الظاهر على خبث الباطن .
(٧) تراها ، بضم التاء ، بمعنى تظنها . والمآقي جمع المأقي لغة في المؤق وهو طرف العين مما يلي الأنف . يقول : أتراها لكثرة العشاق الذين لا تراهم إلا باكين تحسب أنهم خلقوا هكذا فلا ترحمهم ولا ترثي لهم .

كيفَ تَرْثي التي ترَى كلَّ جَفْنٍ رآءَها غَيرَ جَفْنِها غَيرَ راقي[١]

أنْتِ منّا فَتَنتِ نفسَكِ لَكِنّـ ـكِ عُوفيتِ مِنْ ضَنًى واشتياقِ[٢]

حُلتِ دونَ المَزارِ فاليَوْمَ لَوْ زُرْ تِ لحالَ النُّحولُ دونَ العِناقِ[٣]

إنّ لَحْظاً أدَمْتِهِ وأدَمْنَا كانَ عَمداً لَنا وحَتفَ اتّفاقِ[٤]

لَوْ عَدا عَنكِ غيرَ هجرِكِ بُعدٌ لأَرَارَ الرّسيمُ مُخَّ المَناقي[٥]

ولَسِرْنا ولَوْ وَصَلْنا عَلَيها مثلَ أنْفاسِنا على الأرْماقِ[٦]

ما بِنا مِنْ هوَى العُيونِ اللّواتي لَوْنُ أشفارِهن لَوْنُ الحِداقِ[٧]

قَصّرَتْ مُدّةَ اللّيالي المَواضِي فأطالَتْ بها اللّيالي البَواقي[٨]

---

(١) راءها مقلوب رآها المهموز العين والجملة نعت جفن . وغير الأولى استثناء . والثانية حال . وراقي منقطع الدمع وأصله راقىء بالهمز فلينه . يقول : كيف ترثي المعشوقة التي ترى كل جفن ما خلا جفنها سائل الدمع لهجرها . وهذا بيان لما في البيت السابق أي أنها لا محالة تظن أن الجفون خلقت دامعة لأنها لا تراها إلا كذلك .

(٢) منا خبر أنت . والجملة بعده خبر ثان أو حال من الضمير المستتر في الخبر . يقول : أنت أيضاً من معشر العاشقين لك أي أنك عاشقة لنفسك لأنك حجبتها عنا غيرة ولكنك سلمت مما بنا من السقم والشوق لأنك واصلت نفسك دوننا .

(٣) حلت اعترضت . والمزار مصدر بمعنى الزيارة . يقول : منعتنا من زيارتك حتى نحلنا شوقاً إليك فاليوم لو زرتنا لمنعنا النحول من عناقك لأن العناق إنما يكون بالأجسام والنحول لم يترك لنا جسماً .

(٤) العمد القصد . ولنا نعت عمداً . والحتف الهلاك . والاتفاق حدوث الشيء عن غير قصد . أي أن النظر الذي كررته إلينا وكررناه إليك كان عن تعمد منا ولكن اتفق لنا فيه الحتف لأنه أوقعنا في حبائل الهوى .

(٥) عداه عن كذا صرفه ومنعه . وغير استثناء مقدم . وبعد فاعل عدا . وأرار بمعنى أذاب . والرسيم ضرب من سير الإبل . والمخ الذي يكون في العظم . والمناقي النوق السمان . يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك البعد لحملنا الإبل على إدمان السير في قطعه حتى يسيل مخها ولكن الذي يمنعنا عنك الهجران وهو ما لا سبيل إلى قطع مسافته بالسير .

(٦) ضمير عليها للمناقي . والأرماق جمع رمق وهو بقية الروح . أي ولو وصلنا ونحن لا جرم لنا من شدة الشوق والهزال حتى نصير كأنفاسنا ومطايانا قد بلغ منها الجهد حتى لا يبقى إلا أرماقها .

(٧) ما بنا استفهام تعجب . والأشفار منابت الأهداب . والحداق جمع حدقة وهي سواد المقلة . بمعنى أنها كحلاء الجفون سوداء الحدق .

(٨) كنى بتقصير الليالي الماضية عن الوصل لأن أوقات السرور توصف بالقصر وبتطويل الليالي الباقية عن الهجر لأن أوقات الحزن توصف بالطول . وقوله بها الضمير لليالي أي فأطالت ليالي الهجر بذكر ليالي الوصل والتحسر عليها .

وفي خاتمة القصيدة التي ذكرنا أنا سنأتي بها .. يتحدث المتنبي عن الحياة .. والموت وما نشعر بهما .. ثم يذكر الفارق بين مدح غيره من الشعراء، ومدحه لأبي العشائر فيقول :

إلْـفُ هـذا الهَـواءِ أوْقَعَ في الأنْـ ـفُسِ أنّ الحِمامَ مُرُّ المَـذاقِ[١]

والأسَى قبلَ فُرْقَةِ الرّوحِ عجـزٌ والأسَى لا يكونُ بَعدَ الفِراقِ[٢]

كَمْ ثَراءٍ فَرّجتَ بالرّمْحِ عنهُ كانَ مِن بُخلِ أهلِه في وِثاقِ[٣]

والغِنى في يَدِ اللّئيمِ قَبيـحٌ قَدْرَ قُبْحِ الكَريمِ في الإمْـلاقِ[٤]

ليس قوْلي في شمس فعلك كالشّمْـ ـسِ ولكن كالشّمْـسِ في الإشـراقِ[٥]

شاعرُ المَجْدِ خِدْنُهُ شـاعرُ اللّفْـ ـظِ كِـلانا رَبُّ المَعاني الدّقاقِ[٦]

لم تَزَلْ تَسمَعُ المَديحَ ولكِنّ صَهيلَ الجِيـادِ غَيـرُ النُّهـاقِ[٧]

---

(١) يريد بالهواء النفس الذي هو سبب الحياة . والحمام الموت . أي أن ألفتنا لهذه الحياة صورت في أنفسنا أن الموت مر الطعم لأنه يقطع بيننا وبين ما ألفناه كأنه يعتذر عن أعدائه إذا جبنوا وفروا منه .

(٢) الأسى الحزن . يقول : الجزع من الموت قبل وقوعه عجز يبعث عليه الجبن وضعف النفس لأن الجزع لا يغني من الموت شيئاً وإذا وقع الموت فلا جزع حينئذ لعدم علم الميت بشيء مما هو فيه .

(٣) الثراء المال الكثير . يقول : كم مال كان موثقاً في حوزة أربابه لبخلهم به فقتلتهم وفرجت عن ذلك المال فجعلته مباحاً .

(٤) الفقر . وأراد قدر قبح الإملاق في الكريم فقلب الكلام ضرورة .

(٥) في الإشراق حال من الشمس أي أن قوله في فعل الممدوح الذي هو كالشمس ليس كالشمس أيضاً فيكون كفؤاً له ولكنه بالنسبة إليه كالشمس بالنسبة إلى إشراقها فإنه أوسع من جرمها بأضعاف كثيرة . يشبه قوله بنفس الشمس وفعل الممدوح بأشعة الشمس التي تملأ الكائنات . ويروى في الشمس كالإشراق أي أن قوله لا يبلغ فعل الممدوح في الشرف والرفعة ولكنه يدل عليه فيكون بمنزلة الإشراق من الشمس .

(٦) الخدن الصديق والصاحب . يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه وأنا شاعر اللفظ فكل واحد منا خليل الآخر وكل واحد صاحب المعاني الدقيقة فهو يفتن في صناعته .

(٧) يقول : لم تزل تسمع مديح الشعراء فيك ولكن شعري يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الخيل نهيق الحمير .

ليتَ لي مثل جَدّ ذا الدّهرِ في الأد　　هرِ أوْ رِزْقِـــهِ منَ الأرزاقِ[1]
أنْتَ فيهِ وكانَ كلُّ زَمـانٍ　　يَشتَهي بَعضَ ذا على الخَـلّاقِ[2]

* * *

(١) أي كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطمع في كلها .

(٢) الجد الحظ والسعد . يقول : دهرك مسعود مرزوق بك فليت لي مثل حظه ورزقه حتى أكون بين الناس مثله بين الدهور .

في رحاب سيف الدولة

.. سيف الدولة هو : أبو الحسن على بن عبدالله بن حمدان العدوي . تربع على عرش حلب الشهباء (سنة ٣٣٣ هـ) .. وكان ــ كما ذكرنا في المقدمة مختصراً عن وفيات الأعيان ــ أديباً وشاعراً يحب الشعر ويطرب لسماعه فاجتمع ببابه شعراء عصره وكانت له معهم أخبار بحكم إجادته هو نفسه لنظم الشعر .. ومما يروى له في هذا الصدد قوله في جارية تَوَلَّهَ بها وهام فيها حباً حتى خاف من بقية الجواري أن يقتلنها غيرة منها وحسداً لها فنقلها إلى مكان غير معلوم إحتياطاً وأنشد في ذلك :

راقبتني العيون فيك فأشفقت ... ولم أخل قط من إشفاق
ورأيت العدو يحسدني فيك ... مجدّاً بأنفس الأعلاق
فتمنيت أن تكوني بعيداً ... والذي بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر ... وفراق يكون خوف فراق

.. ولئن أقبل الشعراء على سيف الدولة يمدحونه ويطلبون نواله .. فإن المتنبي لم يسع به قدم إليه .

.. وإنما كان سيف الدولة هو الراغب في الصحبة .. والمتقبل للاشتراطات التي فرضها المتنبي .. فقد ذكر الشيخ ناصيف اليازجي في ثنايا شرحه لديوان المتنبي والذي اعتمدنا فيه وعليه فيما ذكرناه بالهوامش من هذا الكتاب ، نصاً لما ألمحنا إليه في المقدمة ويقول فيه :

وكان سبب اتصال المتنبي بسيف الدولة أن سيف الدولة قدم إنطاكية في هذه السنة وأبو العشائر بها فقدم المتنبي إليه وأثنى عنده عليه وعرفه منزلته من

الشعر والأدب . واشترط المتنبي على سيف الدولة أول اتصاله به أنه لا ينشده إلا وهو جالس ولا يُكَلَّفُ بتقبيل الأرض بين يديه ، فدخل سيف الدولة تحت اشتراطه ، وانقطع المتنبي إليه لا يمدح أحداً سواه ، وكان جملة ما قاله فيه يعادل ثلث شعره وهو عيون قصائده ولباب مدائحه» .

.. وفي رأيي .. ورأي عامة أهل الفكر والنقاد أن هذا الكم الهائل من شعر المتنبي في مدح سيف الدولة هو الذي خلّده كل هذه العصور .. فلولا المتنبي لما عَرف أحد سَيْفَ الدولة . فما أكثر الذين مدحوه من شعراء عصره دون أن يكون له ذكر بشعرهم .. بل وما أكثر من عاصر سيف الدولة من الحكام ومدحهم الكثير من الشعراء دون المتنبي فلم يسمع بهم أحد .

وحكاية خلود الأسماء لمجرد ظهورها إلى جانب الخالدين .. يُذكرني بما قاله ذات مساء بالقاهرة آخر شعراء القرن الأستاذ طاهر أبو فاشا ــ رحمه الله ــ : لو لم يعاصر حافظ إبراهيم أحمد شوقي .. لما سطع نجم حافظ ولا بقي له ذكر . فالقمر يسكب النور على ما ومن حوله ، وهكذا شأن حافظ مع شوقي .. كما هو شأن سيف الدولة مع المتنبي .

التقى سيف الدولة بالمتنبي (سنة ٣٣٧ هـ) بعدما ظفر سيف الدولة بحصن بَرْزُوَيْهِ، وعودته إلى انطاكية. وقد جلس في فازة «كوشة» من الديباج عليها صورة ملك الروم محاطاً برسم وحش وحيوان . فانطلق المتنبي لمدحه بأولى قصائده التي يقول في مطلعها :

وَفاؤكُما كالرَّبْعِ أشجاهُ طاسِمُهْ   بأنْ تُسعِدا والدّمعُ أشفاهُ ساجِمُهْ(١)

---

(١) وفاؤكما مبتدأ خبره كالربع . وأشجاه تفضيل من شجاه الأمر إذا أحزنه . وطاسمه دارسه والجملة حال من الربع . وتسعدا بمعنى تساعدا والباء متعلقة بوفاء وهو من الضرورات . وساجمه ساكبه . يخاطب صاحبيه اللذين عاهداه على مساعدته بالبكاء عند ربع الأحبة ، يقول : وفاؤكما بمساعدتي كهذا الربع فإن الربع كلما درس كان أدعى إلى الحزن وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقلت مساعدتكما لي بالبكاء اشتد حزني لفقد من أتأسى به . وقوله والدمع أشفاه ساجمه بيان لعذره في البكاء وحجة على صاحبيه بأنهما خاليان عما هو فيه من الحزن لأنهما لو كانا محزونين لاستشفيا بالدمع كما هو شأن الحزين .

.. ثم يتحدث عن العشق والهوىٰ وما ابتلي به في مسيرته حتى وصوله إلى سيف الدولة .. وحاله معه .. ومكانة سيف الدولة في عصره فيقول :

وما أنا إلّا عـاشِقٌ كُـلّ عاشِـقٍ | أعَـقّ خَليلَيْهِ الصّفِيّيـنِ لائِمُـهْ[١]
وقَـدْ يَتَزَيّا بالهَوَى غَـيرُ أهْلِـهِ | ويَستَصْحِبُ الإنسانُ مَن لا يُلائِمُه[٢]
بَليـتُ بِلى الأطْـلالِ إنْ لم أقِفْ بهَا | وُقوفَ شَحيحٍ ضاعَ في التّربِ خاتمُه[٣]
كَئيباً تَوَقّاني العَواذِلُ في الهَوَى | كمَا يَتَوَقّى رَيّضَ الخَيلِ حازِمُـهْ[٤]
قِفي تَغرَمِ الأولى من اللّحظِ مُهجتي | بثانيَةٍ والمُتْلِفُ الشّيْءَ غـارِمُـهْ[٥]
سَقاكِ وحَيّـانَـا بكِ اللهُ إنّمَـا | على العِيسِ نَوْرٌ والخُـدورُ كمائِمُـهْ[٦]
ومـا حاجةُ الأظعانِ حَوْلَكِ في الدّجى | إلى قَمَرٍ مـا واجـدٌ لكِ عـادِمُـهْ[٧]
إذا ظَفِـرَتْ منكِ العُيونُ بنَظرَةٍ | أثابَ بهـا مُعيـي المَطيّ ورازِمُهْ[٨]

---

(١) كل عاشق مبتدأ والجملة استئناف . وأعق ضد أبر . يقول : ما أنا إلا عاشق فلا يكون شأني إلا شأن جميع العشاق . ثم ذكر ذلك الشأن في الشطر الثاني أي أن كل عاشق كان له خليلان فعاملاه بالعقوق فالذي يلومه منهما على الجزع والبكاء فهو أشدهما عقوقاً .

(٢) تزيا بالشيء اتخذه زياً وهو اللباس والهيئة . واستصحبه دعاه إلى صحبته . يعرض بصاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تظاهرا به وادعياه ولا ممن تلائمه صحبتهما لأنهما غير موافقين له في أحواله .

(٣) بليت دعاء . والأطلال آثار الديار . يدعو على نفسه بالبلى إن لم يقف بأطلالهم حائراً منحنياً كما يصنع البخيل إذا وقف يلتمس خاتمه في التراب .

(٤) الكئيب الحزين وهو حال من ضمير أقف في البيت السابق . وفي الهوى صلة العواذل . والريض الصعب في أول ترويضه . أي اللواتي يعذلنني في الهوى يتجنبنني ويحذرن جانبي كما يحذر الريض من الخيل من يشد له الحزام .

(٥) غرم ما أتلفه لزمه أداؤه ، يريد أنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته فيقول لها قفي لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحييها فإن فعلت كانت النظرة الثانية غرماً لما أتلفته النظرة الأولى .

(٦) العيس الإبل . والنور بالفتح الزهر . والكمائم جمع كمامة وهي غلاف الزهر . كما جعل هؤلاء النسوة زهراً وجعل الخدور كمائم لهن دعا لهن بالسقيا وجعلهن مما يحيّا به على عادة الناس أن يحيي بعضهم بعضاً بالأزهار والرياحين .

(٧) الأظعان النساء في الهوادج . وقوله ما واجد لك عادمه استئناف والضمير للقمر . يقول ما حاجة هؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل فإن من وجدك لم يعدم القمر لأنك قمر مثله .

(٨) أثاب عاد إليه جسمه بعد الهزال . والمعيي الكليل . والمطي جمع المطية الرَّكُوبَة (أى المخصصة للركوب) . والرازم الذي سقط من الإعياء فلم يبرح . يقول : إن رؤيتك تحيي الناظرين حتى لو نظرت إليك الإبل الرازحة لعاشت أرواحها وعادت إليها قوتها ونشاطها .

حَبيبٌ كأنّ الحُسنَ كانَ يُحِبّهُ ... فآثَرَهُ أوْ جارَ في الحُسنِ قاسِمُهْ[١]

تَحُولُ رِماحُ الخَطّ دونَ سِبائِهِ ... وتُسبَى لَهُ مِنْ كلّ حَيٍ كرائِمُهْ[٢]

وَيُضْحي غُبارُ الخَيلِ أدنَى سُتُورِهِ ... وآخِرُها نَشْرُ الكِباءِ المُلازِمُهْ[٣]

وما اسْتَغْرَبَتْ عَيني فِراقاً رأيْتُهُ ... ولا عَلّمَتْني غَيرَ ما القلبُ عالمُهْ[٤]

فَلا يَتّهِمْني الكاشِحونَ فإنّني ... رَعيتُ الرّدى حتى حَلَتْ لي علاقمُهْ[٥]

مُشِبُّ الذي يَبكي الشّبابَ مُشيبُهُ ... فكَيفَ تَوَقّيهِ وبانِيهِ هادِمُهْ[٦]

وتَكْمِلَةُ العَيشِ الصِّبا وعَقيبُهُ ... وغائِبُ لَوْنِ العارِضَينِ وقادِمُهْ[٧]

وما خَضَبَ النّاسُ البَياضَ لأنّهُ ... قَبيحٌ ولكِنْ أحْسَنُ الشَّعرِ فاحِمُهْ[٨]

---

(١) ذكّر الحبيب على إرادة الشخص . وآثره أي فضله واختاره . والجور خلاف العدل . يقول : هذا الحبيب منفرد بالحسن دون سائر الناس فكأن الحسن كان يحبه فاختاره دون غيره أو كأن الذي قسم الحسن على الناس أعطاه الحسن كله ولم يترك لغيره نصيباً .

(٢) تحول تعترض . والخط موضع باليمامة تقوم فيه الرماح . يقول : هو منيع بين قومه تحول رماحهم دون سبيه ولكن كرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها لخدمته .

(٣) أدنى أقرب . والكباء عود البخور . يريد أن الغبار أدنى ستوره من جهة الطالب لأنه أول ما يصل إليه وآخرها دخان البخور الذي يغطيه كالستر .

(٤) يريد أنه مبتلى بفراق الأحبة حتى صار شيئاً مألوفاً له لا تستغربه عينه ولا يقع من قبله موقع الشيء المجهول .

(٥) الكاشح الذي يضمر العداوة . والردى الهلاك وأثبت له الرعي على تشبيهه بالنبات الذي يرعى . والعلاقم جمع علقم وهو الحنظل . يقول : لا يتهمني الأعداء بالجزع من الفراق فإني قد مارست أسباب الهلاك واعتدت ذوقها حتى لا أجد لها مرارة .

(٦) مشب مبتدأ خبره مشيبه . ويجوز العكس . يعني أن الذي يبكي على فقد الشباب إنما أشابه الذي أشبّه فقد حصل له الشيب من عند الذي حصل له منه الشباب فلا سبيل له إلى توقي الشيب لأن أمره في يد غيره .

(٧) عقيبه تاليه . والعارضان جانبا الوجه . يريد بالغائب من لون العارضين سواد شعرهما أيام الشباب وبالقادم بياض المشيب بعد ذلك . أي تمام العيش الصبا وما يتلوه من الاحتلام وبلوغ الأشد ثم الشباب والمشيب ، يريد أن هذه كلها من أطوار الحياة فلا يدوم الإنسان على شيء منها .

(٨) أسوده . أي أن الناس لا يخضبون بياض الشعر بالسواد لكون البياض قبيحاً ولكن لأن أحسن ألوان الشعر السواد .

وأحسَنُ مِنْ ماءِ الشّبيبَةِ كُلّهِ حَيَا بارِقٍ في فازَةٍ أنا شائِمُهْ[1]
عَلَيها رِياضٌ لم تَحُكْها سَحابَةٌ وأغصانُ دَوْحٍ لمْ تُغَنّ حَمَائِمُهْ[2]
وفَوْقَ حَواشي كلّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ من الدُّرّ سِمْطٌ لم يُثَقّبْهُ ناظِمُهْ[3]
تَرَى حَيَوانَ البَرّ مُصْطَلِحاً بِهِ يُحارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ ويُسالِمُهْ[4]
إذا ضَرَبَتْهُ الرّيحُ ماجَ كَأنّهُ تجولُ مَذاكيهِ وتَدأى ضَراغِمُهْ[5]
وفي صورةِ الرّوميّ ذي التّاجِ ذِلّةٌ لأبْلَجَ لا تيجانَ إلّا عَمائِمُهْ[6]

.. ويصف عزة سيف الدولة .. وهيبة جيشه وقدرته .. وما هو عليه من قمم المجد التى لم تلق من الشعراء ما تستحقه من وصف .. فجاء هو ليؤدي هذا الدور إذ يقول :

لَهُ عَسكَرَا خَيْلٍ وطَيرٍ إذا رَمَى بها عَسكَراً لم يَبْقَ إلّا جَماجمُهْ[7]

---

(١) الحيا المطر . والبارق السحاب ذو البرق . والفازة المظلة بعمودين . والشائم الناظر إلى البرق يرجو المطر . أراد بماء الشبيبة حسنها ونضارتها أخذاً من ماء السيف ونحوه . وعنى بالبارق الممدوح وهو سيف الدولة وبمطره جوده . يقول : أحسن من ماء الشبيبة الذي فقدته ما أنا راجيه من ندى الممدوح وكرمه .

(٢) الضمير من عليها للفازة . والدوح الشجر العظيم . يريد بالرياض والشجر صوراً منقوشة عليها . يقول : إن تلك الرياض ليست مما أنبتته السحاب وحاكته وأغصان تلك الأشجار لا تتغنى حمائمها لأنها صور غير ذات روح .

(٣) الموجه ذو الوجهين . والسمط خيط النظم ويطلق على القلادة . أراد بالدر نقوشاً بيضاء في حواشي الثياب التي اتخذت منها الفازة غير أن الذي نظمه لم يثقبه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٤) يريد صور حيوانات عليها مما لا يسالم بعضه بعضاً وقد صورت متحاربة وهي في الحقيقة مسالمة لأنها جماد لا تقاتل .

(٥) المذاكي الخيل المسنة . ودأى الصيد ختله . والضراغم الأسود . يقول : إذا ضربت الريح تلك الثياب ماجت وتحركت صورها فكأن الخيل التي عليها تجول والأسود تختل الظباء لتصيده .

(٦) الأبلج المشرق والنقي ما بين الحاجبين . وكان قد صور في هذه الفازة ملك الروم مطأطىء الرأس لسيف الدولة وهو ما أراده بالذلة ووصف سيف الدولة بأنه لا تاج له لأنه عربي وتيجان العرب عمائمها .

(٧) يقول : له عسكران أحدهما خيله والثاني الطير التي تصحبه إلى الحرب لتقع على القتلى فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجماجم لأن عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكل لحومهم . والضمير من قوله بها عائد على الخيل والطير .

أجِلّتُهـا مِنْ كلّ طـاغٍ ثِيـابُـهُ ... ومَـوْطِئُهـا مِن كلّ بـاغٍ مَلاغمُـهْ[1]

فَقَـدْ مَـلّ ضَـوْءُ الصّبْحِ ممّـا تُغيرُهُ ... ومَـلّ سَـوادُ اللّيـلِ ممّـا تُزاحِمُـهْ[2]

ومَـلّ القَنَا ممّـا تَدُقّ صُـدورَهُ ... ومَـلّ حَـديدُ الهِنْـدِ ممّا تُـلاطِمُهْ[3]

سَحابٌ مِنَ العِقبـانِ يزْحَفُ تحتَها ... سحابٌ إذا استَسقتْ سقتها صَوارِمُهْ[4]

سلَكتُ صرُوفَ الدّهـرِ حتى لقيتُهُ ... على ظَهـرِ عَـزْمٍ مُؤيَدَاتٍ قَوائِمُهْ[5]

مَهالِكَ لم تَصْحَـبْ بها الذئبَ نَفسُه ... ولا حَمَلَـتْ فيها الغُـرابَ قَـوادِمُهْ[6]

فأبصَرْتُ بَـدراً لا يَرَى البدرُ مِثْلَهُ ... وخاطَبْتُ بحْراً لا يرى العِبرَ عائِمُهْ[7]

---

(١) الأجلة جمع جلال وهو ما يجعل على ظهر الدابة والضمير للخيل في البيت السابق . والملاغم ما حول الفم . أي أنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لخيله ويوطىء حوافرها وجه كل باغ منهم .

(٢) الضمير المرفوع في تغيره للمخاطب أو للخيل . وكذا في تزاحمه . وأراد مما تغير فيه فحذف الحرف ونصب الضمير على حد قوله ويوماً شهدناه سليماً وعامراً وهو من النوادر . وما من قوله مما مصدرية . يقول : مل ضوء الصبح من كثرة إغارتك فيه مباغتة للعدو ومل سواد الليل من كثرة مزاحمتك له لأنه لا يكفك عن القتال فكأنك تزاحمه . ويجوز أن يكون تغيره بمعنى تحمله على الغيرة فيكون المعنى أنك تغير الصبح ببريق سيوفك وتزاحم الليل بسواد الغبار حتى كأنه ليل آخر قد زاحم الليل .

(٣) القنا الرماح . وتدق بمعنى تكسر . وصدر الرمح أعلاه . يقول : ملت الرماح من طول مقاتلتك بها وتكسيرك صدورها في أضلاع الفرسان وملت السيوف من كثرة ما تلاطمها بالرؤوس .

(٤) سحاب مبتدأ محذوف الخبر أي هناك سحاب ونحوه . واستسقت طلبت السقيا والضمير للسحاب الأول وضمير صوارمه للسحاب الثاني والتأنيث في الأول على معنى الجمعية والتذكير في الثاني على اللفظ . جعل العقبان الطائرة فوق جيشه سحاباً وجيشه تحتها سحاباً آخر فإذا استسقت سحاب العقبان سقاها جيشه الدماء التي تريقها سيوفه .

(٥) صروف الدهر حوادثه . وعلى ظهر عزم حال من فاعل لقيته . والمؤيد القوي . أراد بصروف الدهر ما مر به من أهواله قبل لقاء الممدوح فجعلها كالمسافة التي يسلكها المسافر . وجعل عزمه مركوبه لأنه به سلك الحوادث واجتازها ولذلك استعار له الظهر والقوائم .

(٦) المهالك المفاوز أراد بها مسافات الخطوب التي قطعها وهي بدل من صروف الدهر . وقوادم الغراب صدور جناحيه . يقول : الصروف التي قطعتها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعاً ولو سلكها الغراب لم يستطع قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوان على الجوع والغراب من أسرع الطير .

(٧) يقول : رأيت من سيف الدولة بدراً في الطلاقة والبشر لا يمر بدر السماء بمثله بين الناس مع إشرافه على الأرض كلها وخاطبت منه بحراً في العلم والسخاء لو عام فيه عائم لم ير ساحله لبعده .

غَضِبْتُ لَهُ لمّا رَأيْتُ صِفاتِهِ بلا واصِفٍ والشّعْرُ تهذي طَماطِمُهْ[1]
وكنتُ إذا يَمّمْتُ أرضاً بَعيدَةً سَرَيتُ فكنْتُ السرّ واللّيلُ كاتمُهْ[2]
لقد سَلّ سيفَ الدّولَةِ المَجدُ مُعْلِماً فلا المَجدُ مخفيه ولا الضّرْبُ ثالمُهْ[3]
على عاتِقِ المَلْكِ الأغَرّ نِجادُهُ وفي يَدِ جَبّارِ السّماواتِ قائِمُهْ[4]
تُحارِبُهُ الأعداءُ وهْيَ عَبيدُهُ وتَدّخِرُ الأمْوالَ وهْيَ غَنائِمُهْ[5]
ويَستَكبرُونَ الدّهْرَ والدّهْرُ دونَهُ ويَستَعظِمونَ المَوتَ والمْوْتُ خادمُهْ[6]
وإنّ الذي سَمّى عَلِيّاً لمُنْصِفٌ وإنّ الذي سَمّاهُ سَيفاً لَظالمُهْ[7]
وما كلّ سَيفٍ يَقْطَعُ الهَامَ حَدُّهُ وتَقْطَعُ لَزْباتِ الزّمانِ مَكارِمُهْ[8]

★ ★ ★

---

(١) هذى تكلم من غير معقول والواو الداخلة على الشعر للحال . والطماطم جمع طمطم بالكسر وهو الذي في لسانه عجمة .

(٢) يممت قصدت . والسرى مشي الليل . يقول : كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة أسري بالليل مستتراً بغاشية الظلام فكأني سر والليل كاتم ذلك السر .

(٣) المجد فاعل سل . والمعلم الذي يميز نفسه بعلامة في الحرب وهو حال من المجد . يقول : هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللئام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلماً إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين . ثم قال : فلا المجد الذي سله يرده إلى غمده ولا الضرب يثلمه لأنه ليس كسيوف الحديد .

(٤) العاتق موضع الرداء من المنكب . والأغر الشريف . ويروى الأعز . والنجاد حمالة السيف . والقائم المقبض . يريد بالملك الأغر الخليفة أي هو سيف يتقلده الخلفاء ويضرب الله به أعداءه . ويروى الملك بالضم فيكون على حد قوله في موضع آخر :

فأنت حسام الملك واللّه ضارب وأنت لواء الدين واللّه عاقد

(٥) يقول : أعداؤه يحاربونه وهم عبيد له لأنه يسبيهم ويسترقهم ويدخرون الأموال وهي غنائم له لأنه يستولي عليها .

(٦) أي يستكبرون الدهر لما يأتيه من إسعاد قوم وإشقاء آخرين والدهر دونه لأنه إنما يفعل في ذلك هواه ويستعظمون الموت والموت خادم له لأنه ينفذ مراده فيمن عصاه .

(٧) أي سماه بدون ما يستحقه وبيان ذلك في البيت التالي .

(٨) الهام الرؤوس . ولزبات الزمان شدائده وهذه اللفظة تجمع بسكون الزاي . يذكر فضل الممدوح على السيف ، يقول : عادة السيف أن يقطع الرؤوس ولا يزيد ولكن هذا الممدوح يقطع رؤوس الأبطال بحده أي عزمه ويقطع شدائد الزمان بمكارمه فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

.. ويتأهب سيف الدولة لمغادرة إنطاكية .. لاستئناف الجهاد .. وخدمة الأهداف العليا التي نذر نفسه لها .. فتنطلق قريحة المتنبي وترويه شعراً يؤكد فيه أن ذوي النفوس الكبيرة والهمم العالية يتعبون أجسادهم .. ويحملونها المشاق في سبيل غاياتهم دون إحساس بمشقة ولا كبد إذ يقول :

أيْنَ أزْمَعْتَ أيّهذا الهُمامُ ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَى وأنتَ الغَمامُ[1]
نَحْنُ مَن ضايَقَ الزّمانُ له فيـ ـكَ وخانَتْهُ قُرْبَكَ الأيّامُ[2]
في سَبيلِ العُلى قِتالُكَ والسّلْـ ـمُ وهذا المُقامُ والإجْذامُ[3]
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ احْتِمالٌ جَديدٌ ومَسيرٌ للمَجْدِ فيهِ مُقامُ[4]
وإذا كانَتِ النّفُوسُ كِباراً تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ[5]
وكَذا تَطْلُعُ البُدورُ عَلَيْنا وكَذا تَقْلَقُ البُحورُ العِظامُ[6]
ولَنا عادَةُ الجَميلِ مِنَ الصّبْـ ـرِ لَوَ انّا سِوَى نَوَاكَ نُسامُ[7]

---

(١) الإزماع العزم على الأمر أي أين أزمعت أن تسير . والربى التلال خصها لأن نباتها لا يشرب إلا من ماء المطر فهو أحوج إليه من نبات غيرها لأنه يمكن أن يشرب من الماء الجاري .

(٢) أراد من ضايقه الزمان فزاد اللام وهو من الشواذ . يقول : نحن من ضايقهم الزمان لنفسه ولأجله فيك أي لتكون له دونهم كما تقول هم الذين رضيهم عمرو له أي لنفسه . يشير إلى أن الزمان يحبه فيغار على قربه ويريد أن يستأثر به دون الناس فلذلك منعهم لقاءه وخانتهم الأيام في قربه .

(٣) الإجذام الإسراع أو الإقلاع . يقول : أفعالك كلها مصروفة في طلب العلى قاتلت أم سالمت وأقمت أم رحلت فإنك لا تفعل من جميع ذلك إلا ما يكسبك شرفاً .

(٤) الاحتمال التحمل للمسير . ويروى ارتحال . والمقام مصدر بمعنى الإقامة . يقول : كل يوم يحدث لك سفر جديد ومسير يقيم فيه المجد عندك ولا يرتحل عنك . يريد أنه بعيد الهمة سعيد الأسفار .

(٥) أي إذا كانت النفوس كبيرة تطلب عظائم الأمور تعبت الأجسام في تحصيل مرادها لما يقتضيه من المشقة وركوب الأهوال .

(٦) الإشارة إلى حال سيف الدولة في الحل والترحال أي هكذا البدور تطلع وتغيب لأنها لا تزال سائرة وهكذا تقلق البحور العظيمة فلا تستقر .

(٧) النوى البعد . وسامه الأمر . كلفه إياه . يقول : لو كلفنا احتمال أمر غير بعدك لصبرنا عليه صبراً جميلا كما هي عادتنا في الصبر على المحن .

كُلُّ عَيْشٍ ما لم تُطِبْهُ حِمامٌ كلُّ شَمسٍ ما لم تكُنْها ظَلامُ[1]

أزِلِ الوَحْشَةَ التي عِندَنَا يا مَن به يأنَسُ الخَميسُ اللُّهامُ[2]

والذي يَشهَدُ الوَغَى ساكِنَ القَلـ ـبِ كَأنّ القِتالَ فيها ذِمَامُ[3]

والذي يَضرِبُ الكَتائِبَ حتى تَتَلاقَى الفِهاقُ والأقدامُ[4]

وإذا حَلّ ساعَةً بمَكانٍ فأذاهُ عَلى الزّمانِ حَرامُ[5]

والذي تُنبِتُ البِلادُ سُرُورٌ والذي تَمْطُرُ السّحابُ مُدامُ[6]

كُلّما قيلَ قَد تَناهَى أرانَا كَرَماً ما اهتَدَتْ إليهِ الكِرامُ[7]

وكِفاحاً تَكِعّ عَنْهُ الأعادي وارْتِياحاً تَحارُ فيهِ الأنامُ[8]

إنّما هَيْبَةُ المُؤمَّلِ سَيْفِ الـ ـدوْلَةِ المَلْكِ في القلوبِ حُسامُ[9]

فكَثيرٌ مِنَ الشّجاعِ التّوَقّي وكَثيرٌ مِنَ البَليغِ السّلامُ[10]

★ ★ ★

(١) ما في الشطرين مصدرية زمانية . والحمام بالكسر الموت . والمعنى إذا غاب أنسك عن النفوس كان العيش عندها والموت سيين لأن العيش لا يطيب إلا بقربك وإذا حرمت منظرك العيون لم تنتفع بنور الشمس لأنك أنت شمسها وضياؤها .

(٢) الخميس الجيش . واللهام الكثير الذي يلتهم كل شيء . يقول : أقم عندنا وأزل عنا وحشة فراقك يا من يأنس بوجوده الجيش الكثير فيزول عنهم الخوف ويتشجعون على لقاء الأهوال .

(٣) الذي عطف على من في البيت السابق والتوابع يجوز فيها ما لا يجوز في المتبوعات . ويشهد بمعنى يحضر . والوغى الحرب . والذمام العهد . أي يشهد الحرب وقلبه ساكن لا خوف فيه كأن القتال ذمام بينه وبينها يضمن له السلامة .

(٤) الكتائب فرق الجيش . والفهاق جمع فهقة وهي موصل الرأس والعنق . أي يضرب الجيوش بسيفه ويقطع أعناقهم فتتلاقى هي والأقدام .

(٥) الضمير من أذاه للمكان . أي أن المكان الذي يحل فيه يحرم على الزمان أن يناله بسوء من جدب ونحوه لأنه قد صار في ذمته .

(٦) الذي مبتدأ خبره سرور والجملة عطف على الشطر الثاني من البيت السابق . أي يقيم السرور والطرب في ذلك المكان حتى كأن الأرض تنبت السرور والسماء تمطر المدام .

(٧) تناهى بلغ النهاية . أي كلما ظن أنه بلغ نهاية الكرم ابتدع من المكارم شيئاً جديداً .

(٨) تكع تجبن وتضعف . والارتياح الهشاشة للبذل واصطناع المعروف .

(٩) سيف قاطع . أي أن هيبته في قلوب الناس تزجرهم عن الإقدام عليه فتغني عن استعمال السيف .

(١٠) يعني : إذا أمكن الشجاع أن يحفظ نفسه منه في الحرب فذلك كثير منه وإذا استطاع البليغ أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته .

.. وتحين ساعة الرحيل عن إنطاكية فإذا بالمطر ينهمر من السماء كشلال دافق فيتخوف المتنبي على سيف الدولة ويسترجي بقاءه الذي يشبه المطر في عطائه .. ولكن عندما يرى عزم سيف الدولة على السفر يعود فيؤكد أن الإنسان صاحب العزم الذي لا يهاب خوض المنايا ويواجه الجيوش بشجاعة وإقدام . فإنه لا يأبه بشيء وخاصة الوحول التي تخلفها الأمطار .. وهذه المعاني هي التي تعنينا من هذه القصيدة التي استهلها بقوله :

رُوَيْدَكَ أيّها المَلِكُ الجَليلُ ... تَأنّ وعُدَّهُ ممّا تُنيلُ[1]

وَجُودَكَ بالمُقامِ ولَوْ قَليلًا ... فَما فيما تَجُودُ بِهِ قَليلُ[2]

لأكْبُتَ حاسِداً وأرى عَدُوّاً ... كأنّهُما وَداعُكَ والرّحيلُ[3]

ويَهْدَأ ذا السّحابُ فقد شكَكنا ... أتَغلِبُ أمْ حَياهُ لَكُم قَبيلُ[4]

وكنتُ أعيبُ عَذْلًا في سَماحٍ ... فَها أنَا في السّماحِ لَهُ عَذولُ[5]

وما أخشَى نُبُوّكَ عَنْ طَريقٍ ... وسَيفُ الدّوْلَةِ الماضي الصّقيلُ[6]

وكلُّ شَواةِ غِطْريفٍ تَمَنّى ... لسَيرِكَ أنّ مَفرِقَها السّبيلُ[7]

---

(١) تأن تمهل . ويروى تأي أي توقف . والضمير من عده يعود إلى المصدر المفهوم من تأن . وتنيل تعطي . أي تمهل واحسب هذا التمهل من جملة إنعامك .

(٢) جودك مصدر نائب عن عامله منصوب به أي جد جودك . والمقام مصدر بمعنى الإقامة . أي جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة فإن الذي تجود به لا يعد قليلا باعتبار عظمة المنعم وإن كان قليلا في نفسه .

(٣) كبته غاظه وأذله . وأرى مضارع رآه إذا أصاب رئته . يقول : جد بالمقام لأذل من يحسدني على قربك وأوجع رئة عدوّي المكروهين عندي مثل وداعك ورحيلك .

(٤) يهدأ معطوف على أكبت . أي إذا أقمت فإن هذا السحاب يمسك عن المطر خجلا من أياديك فقد أفرط حتى شككنا أبنو تغلب قبيلكم أم مطره تشبيهاً لهم بالمطر في الكثرة .

(٥) الضمير من له للسحاب . يقول : كنت قبلا أعيب الملامة على الجود وقد صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه في السماح مخافة أن يكدر عليك الطريق .

(٦) النبو الكلال . يقول : لا أخشى أن تكل عن قطع طريق وأنت سيف الدولة الماضي الصقيل والسيف إذا كان ماضياً لا يخشى عليه الكلال .

(٧) الشواة جلدة الرأس . والغطريف السيد . وتمنى أي تتمنى . والمفرق وسط الرأس . أي لشرفك يتمنى كل سيد شريف لو أن مفرقه طريق لسفرك لأنه يتشرف بوطئك .

وَمِثْلِ العَمْقِ مَمْلُوءٍ دِمـاءً ... جَرَتْ بكَ في مجاريهِ الخُيُولُ[1]
إذا اعتادَ الفَتى خوْضَ المَنايا ... فأهْوَنُ ما يَمُرّ بهِ الوُحُولُ[2]
ومَن أمَرَ الحُصُونَ فَما عَصَتْه ... أطاعَتْهُ الحُزُونَةُ والسّهُولُ[3]

.. ثم يمضي في وصف سيف الدولة وكريم فعاله .. ليختم القصيدة وليقول الحقيقة الأبدية : أن ليس للدنيا خليل :

ونَدعوكَ الحُسامَ وهَلْ حُسامٌ ... يَعيشُ بهِ مِنَ المَوْتِ القَتيلُ[4]
وما للسّيفِ إلّا القَطْعَ فِعْلٌ ... وأنْتَ القاطعُ البَرُّ الوَصُولُ[5]
وأنْتَ الفارِسُ القَوّالُ صَبراً ... وقَد فَنِيَ التكلّمُ والصّهيلُ[6]
يَحيدُ الرّمحُ عنكَ وفيهِ قَصْدٌ ... ويَقصُرُ أنْ يَنالَ وفيهِ طُولُ[7]
فلَوْ قَدَرَ السّنانُ على لِسانٍ ... لَقالَ لكَ السّنانُ كما أقولُ[8]
ولَوْ جازَ الخُلودُ خَلَدتَ فَرْداً ... ولكِنْ ليسَ للدّنْيا خَليلُ[9]

★ ★ ★

---

(١) الواو واو رب . والعمق الموضع العميق وقيل المراد واد بعينه . يقول : رب مكان عميق مثل هذا المكان قد اشتد فيه القتال حتى امتلأ من دماء القتلى جرت بك الخيل في مجاري دمائه ولم تبال بقطعه .

(٢) هذا مبني على البيت السابق . يقول : إذا تعود الإنسان أن يخوض معارك الحرب ويتعرض للمنايا لم يبال بالوحول ، يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه معتاد ان يواجه ما هو أشد من ذلك .

(٣) الحزونة جمع حزن وهو ضد السهل . يقول : من أطاعته حصون الأعداء وانفتحت له لم يعصه مكان من الحزن والسهل ولم يمتنع عليه سلوكه .

(٤) الحسام السيف القاطع . يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال وأنت تحيي من قتله الفقر وأماته الذل .

(٥) نصب القطع على الاستثناء المقدم . والبر المحسن . والوصول الذي يصل الناس أي يجيزهم بالعطايا . يقول : فعل السيف مقصور على القطع وأنت تجمع بين القطع والوصل لأنك تقطع الأعداء وتصل الأولياء .

(٦) صبراً مفعول مطلق نائب عن عامله وهو مقول القول . أي أنت الفارس الثابت الجأش الذي يقول للجيش اصبروا وقد اشتد الخطب وعظم الدهش حتى لا تقدر الأبطال على الكلام ولا الخيل على الصهيل .

(٧) القصد الاستقامة . يقول : قد بلغ من مهابتك أن الرمح يخافك فيحيد عنك مع استقامته ويقصر عن أن ينالك مع طوله فلا يجترىء عليك .

(٨) يقول : لو قدر الرمح أن يتكلم لقال لك الذي قلته وهو ما ذكره في البيت السابق .

(٩) أي لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك من دون الناس لما فيك من الفضائل والمنافع ولكن الدنيا لا تثبت على خليل من أهلها فهي أبداً تنتقل من قوم إلى آخرين .

.. وتوفيت والدة سيف الدولة .. وليس في هذا ما يهمنا .. فرثاها المتنبي بقصيدة طافحة بشتى المعاني ومختلف الصور وذلك ما يعنينا . فنختار منها الاستهلال .. وبعض ما جاء في ثناياها ثم البيت الخاتمة الذي يقول فيه المتنبي أن المسك بعض دم الغزال كما تقول الحقيقة العلمية :

نُعِدّ المَشْرَفِيّةَ والعَوالي ... وتَقْتُلُنا المَنونُ بِلا قِتالِ[1]

ونَرْتَبِطُ السَّوابِقَ مُقْرَباتٍ ... وما يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللّيالي[2]

ومَنْ لم يَعشَقِ الدّنيا قَديماً ... ولكِنْ لا سَبيلَ إلى الوِصالِ[3]

نَصيبُكَ في حَياتِكَ من حَبيبٍ ... نَصيبُكَ في مَنامِكَ من خَيالِ[4]

رَماني الدّهرُ بالأرزاءِ حتى ... فُؤادي في غِشاءٍ مِنْ نِبالِ[5]

فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ ... تكَسّرَتِ النّصالُ على النّصالِ[6]

وهانَ فَما أُبالي بالرّزايا ... لأنّي ما انْتَفَعتُ بأنْ أُبالي[7]

---

(١) المشرفية السيوف . والعوالي جمع عالية وهي صدر الرمح ، والمراد الرماح أنفسها . والمنون المنية . يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ولكن المنية تقتل من تقتله منا بلا قتال فلا تغني عنا تلك الأسلحة شيئاً .

(٢) السوابق الخيل . ومقربات أي محبوسة قرب البيوت معدة للركوب . والخبب ضرب من العدو وهو المراوحة بين اليدين والرجلين . يقول : نرتبط الخيل لننجو عليها إذا دهمنا حادث ولكنها لا تنجينا من غارة الدهر لأنه يدركنا حيثما كنا .

(٣) من استفهام إنكار . يقول : الناس من قديم الزمان مولعون بحب الدنيا والبقاء فيها ولكن لم يتمتع أحد من وصالها لأنها لا تدوم على أحد .

(٤) نصيبك الأول مبتدأ خبره نصيبك الثاني . يقول : الحياة كالمنام ولذتها كالأحلام فحظك من حبيب تتمتع به في اليقظة كحظك من خيال تتمتع به في النوم لأن كلتا الحالتين تنقضي كأن لم تكن .

(٥) الأرزاء المصائب . وحتى ابتدائية . يقول : كثرت علي مصائب الدهر وفجائعه حتى لم يبق من قلبي موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من السهام .

(٦) أي صرت بعد ذلك إذا أصابتني سهام من تلك المصائب لا تجد لها موضعاً تنفذ منه إلى قلبي وإنما تقع نصالها على النصال التي قبلها فتتكسر عليها . قال الواحدي : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالت علي حتى هانت عندي والشيء إذا كثر اعتاده الإنسان وقد صرح بهذا في البيت التالي .

(٧) ضمير هان للدهر أو لرميه . ويروى وها أنا ما أبالي . أي لست أبالي بمصائب الدهر لأني وجدت المبالاة لا تدفع قضاء ولا تخفف مصاباً .

.. إلى أن يقول عن دفع المصيبة .. وعن مكانة النساء .. وكيف يدفن بعضنا بعضاً .. ويمشي آخرنا على رؤوس الأوائل منا :

ولوْ كانَ النّساءُ كَمَنْ فَقَدْنا لَفُضّلَتِ النّساءُ على الرّجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عَيبٌ ولا التّذكيرُ فَخْر للهِلالِ
وأفجَعُ مَنْ فَقَدْنا مَن وَجَدْنا قُبَيلَ الفَقْدِ مَفْقُودَ المِثالِ[1]
يُدَفِّنُ بَعْضُنا بَعضاً وتَمْشِي أواخِرُنا على هامِ الأوالي[2]
وكَمْ عَيْنٍ مُقَبَّلَةِ النّواحي كَحيلٌ بالجَنادِلِ والرّمالِ[3]
ومُغْضٍ كانَ لا يُغْضِي لخَطبٍ وبالٍ كانَ يَفكُرُ في الهُزالِ[4]

.. ثم يوجه المخاطبة إلى سيف الدولة معزياً ليختم القصيدة بالبيت الذي ألمحنا إليه آنفاً فيقول :

فلا غِيضَتْ بحارُكَ يا جَمُوماً على عَلَلِ الغَرائبِ والدِّخالِ[5]
رأيتُكَ في الذّينَ أرَى مُلُوكاً كأنّكَ مُسْتَقيمٌ في مُحالِ[6]

---

(١) افجع مبتدأ خبره من وجدنا . ومفقود المثال مفعول ثان لوجدنا . أي أشد المفقودين إيلاماً للفاقد من كان في حياته مفقود النظير فإذا مات لم يجد فاقده عوضاً يتسلى به عنه .

(٢) الهام الرؤوس . والأوالي بمعنى الأوائل . يقول : الحي منا يدفن الميت والمتأخر يمشي على رأس المتقدم أي يطأ تربته بعد دفنه غير مبال بمن تحتها .

(٣) النواحي الجوانب . وكحيل بمعنى مكحولة . والجنادل الحجارة . أي كم عين كانت تقبل إعزازاً وإكراماً فصارت تحت الأرض مكحولة بالحجارة والرمال .

(٤) الإغضاء مقاربة الجفون . والخطب الأمر العظيم . والهزال النحول . أي وكم من أغضى للموت عينه وكان لا يغضيها لخطب ينزل به ومن أصبح بالياً تحت التراب وكان إذا رأى في جسمه هزالا يشتغل قلبه به ويفكر في معالجته .

(٥) غيض الماء نقص . والجموم الذي يزداد ماؤه وقتاً بعد وقت . وعلى بمعنى مع والظرف في موضع الحال من فاعل جموماً . والعلل الشرب مرة بعد أخرى . والغرائب يريد بها الإبل الغريبة ليست لأهل الواردة . والدخال أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شرباً . والكلام تمثيل يدعو له بأن لا تنقطع مادة صبره على توالي المحن وشدتها .

(٦) ملوكاً مفعول ثان لأرى والمفعول الأول محذوف عائد الموصول . والمحال المعوج من قولهم حالت القوس والعصا وغيرها إذا اعوجت بعد استواء وأحلتها أنا .

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُمْ فإنّ المِسكَ بَعضُ دَمِ الغزالِ(١)

★ ★ ★

.. بعد ألف عام من عصر المتنبي يأتي أحمد شوقي أمير شعراء عصره ليقـول :

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

.. في الوقت الذي قال المتنبي هذا المعنى، في شكل يناسب عصره من خلال قصيدة يثني بها على سيف الدولة وقد سار لنصرة أخيه ناصر الدولة لما غزاه معز الدولة الديلمي بالموصل سنة ٣٣٧ هـ .. جاء في مستهلها :

أعْلى المَمالكِ ما يُبْنى على الأسَلِ والطّعْنُ عِندَ مُحِبّيهِنّ كالقُبَلِ(٢)
وما تَقِرّ سُيوفٌ في مَمالِكِها حتى تُقَلْقَلَ دَهراً قبلُ في القُلَلِ(٣)
مِثْلُ الأميرِ بَغَى أمراً فَقَرّبَهُ طولُ الرّماحِ وأيدي الخيلِ والإبِلِ(٤)
وعَزْمَةٌ بَعَثَتْها هِمّةٌ زُحَلٌ من تَحتِها بمَكانِ التُّرْبِ من زُحَلِ(٥)

---

(١) أي لا عجب إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فإن بعض الشيء قد يفوق جملته كالمسك فإنه بعض دم الغزال وهو يفضله فضلا كثيراً .

(٢) الأسل الرماح . والقبل جمع قبلة وهي الاسم من التقبيل . أي أعلى الممالك شأناً هي التي تبنى على الرماح ، أي التي تؤخذ قهراً وغلاباً لا التي تجيء عفواً ، ومن أحب الممالك كان الطعن مستعذباً عنده كالقبل .

(٣) تقلقل تحرك . والقلل الرؤوس . أي لا تستقر السيوف في الملك الذي أنشأته حتى يطول تنقلها في رؤوس الأعداء ، يعني لا يبلغ إلى توطيد الملك إلا بعد أن تقطع رؤوس المقاومين .

(٤) يقول : مثل الأمير إذا طلب أمراً بعيد المنال قربته عليه الرماح وأيدي الخيل والمطايا أي بلغه بالعدد والجيش وما عطف عليها في البيت الثاني .

(٥) عزمة معطوف على طول الرماح . وزحل مبتدأ خبره بمكان الترب والجملة نعت همة . أي هذه الهمة تعلو على زحل بقدر علو زحل عن التراب .

على الفُراتِ أعاصِيرٌ وفي حَلَبٍ تَوَحّشٌ لمُلَقّى النّصرِ مُقْتَبَلِ[1]
تَتْلُو أسِنّتُهُ الكُتْبَ التي نَفَذَتْ ويَجْعَلُ الخَيلَ أبدالًا مِنَ الرّسُلِ[2]

.. ويتحدث عن الشجاعة .. وكيف يختفي ضوء الشمس بالعجاج الذي يثيره مسير الجيش المقاتل للأعداء .. وكيف هو يفنيهم عن بكرة أبيهم حتى لا يذر منهم أحداً على وجه الأرض التي كانت تضيق بهم إذ يقول :

صانَ الخَليفَةُ بالأبطالِ مُهْجَتَهُ صِيانَةَ الذّكَرِ الهنديّ بالخِلَلِ[3]
الفاعِلُ الفِعْلَ لم يُفْعَلْ لشِدّتِهِ والقائِلُ القَوْلَ لَمْ يُترَكْ ولم يُقَلِ[4]
والباعِثُ الجَيشَ قد غالَتْ عَجاجَتُه ضَوْءَ النّهارِ فصارَ الظُّهرُ كالطَّفَلِ[5]
الجَوّ أضيَقُ ما لاقاهُ ساطِعُها ومُقْلَةُ الشّمسِ فيها أحْيرُ المُقَلِ[6]
يَنالُ أبْعَدَ منها وهيَ ناظِرَةٌ فَما تُقابِلُهُ إلّا على وَجَلِ[7]

---

(١) الأعاصير جمع إعصار وهو الريح ذات الغبار الشديد . والتوحش بمعنى الوحشة . وقوله لملقى النصر أي لرجل ملقى النصر أي مستقبل به يريد سيف الدولة . ومقتبل من قولهم رجل مقتبل الشباب إذا لم يبن فيه أثر كبر . أي على الفرات رياح تثير الغبار من جيوش أخيك وفي حلب وحشة لك لغيابك عنها .

(٢) تتلو تتبع . ونفذت أي مضت . والأبدال جمع بدل . أي أنه ينفذ إلى أعدائه الكتب والرسل يدعوهم إلى الطاعة فإن أجابوا وإلا أردف الكتب بالرماح وجعل الخيل بدلا من الرسل . والمعنى أن سلاحه من وراء كتبه وجيشه على اثر رسله فمن لم يطعه مختاراً أطاعه مضطراً .

(٣) الضمير من مهجته لسيف الدولة . والذكر من أوصاف السيف . والخلل أغشية الأغماد . أي أن الخليفة صانه بما وجه إليه من الأبطال والرجال كما يصان السيف بالخلل .

(٤) أي الفاعل الفعل الصعب الذي لم يقدر على فعله أحد لشدته والقائل القول البليغ الذي يحاول أهل البلاغة أن يقولوه فلا يقدرون عليه فهو لم يترك لأنهم قصدوه وحاولوه ولم يقل لأنهم عجزوا عنه .

(٥) غاله ذهب به . والعجاجة الغبرة . والطفل آخر النهار . أي يبعث الجيش الكثيف الذي يستر ضوء الشمس بكثرة الغبار حتى يصير الظهر مثل وقت الطفل .

(٦) الساطع المنتشر والضمير المضاف إليه للعجاجة . أي أن ما سطع من غبار هذا الجيش ملأ كل فضاء فكان الجو أضيق شيء به لأنه على سعته ملأه حتى ساوى أضيق ما فيه وكانت عين الشمس فيه أحير العيون لأنه بلغ إليها وأحاط بها .

(٧) خوف . أي أنه ينال ما هو أبعد من الشمس وهي ترى ذلك فما تقابله إلا وهي خائفة أن ينالها أيضاً .

قد عـرّضَ السّيـفَ دونَ النّازِلاتِ بـهِ		وظـاهرَ الحـزْمَ بيـنَ النّفسِ والغِيَلِ[1]
ووَكّـلَ الظّـنَّ بالأسـرارِ فانكَشَفَتْ		لَـهُ ضَمائِرُ أهلِ السّهلِ والجَبَـلِ[2]
هُـوَ الشّـجاعُ يَعُـدّ البُـخلَ من جُبُنٍ		وهْوَ الجَوادُ يَعُدّ الجُبنَ من بَخَلِ[3]
يَعودُ مِنْ كلّ فَتْحٍ غيرَ مُفْتَخِـرٍ		وقَـدْ أغَـذّ إلَـيهِ غـيرَ مُـحْتَفِلِ[4]
ولا يُـجيرُ عَلَيْهِ الـدّهْرُ بُغْيَتَهُ		ولا تُحَصِّـنُ دِرْعٌ مُهْجَـةَ البَطَـلِ[5]
إذا خَلَعْـتُ على عِـرْضٍ لهُ حُـلَلاً		وجَـدتُهـا مِنـهُ في أبهَى منَ الحُلَلِ[6]
بذي الغَـباوَة مـنْ إنْشـادِهـا ضَـرَرٌ		كمَـا تُضِرّ رِيـاحُ الوَرْدِ بالجُعَـلِ[7]
لَقَـد رَأتْ كلُّ عَينٍ منكَ مالِئَهـا		وجَـرّدَتْ خيرَ سَيفٍ خَيرَةُ الدّوَلِ[8]
فَـما تُكَشّفُكَ الأعـداءُ عن مَلَلٍ		من الحُروبِ ولا الآراءُ عـن زَلَلِ[9]

---

(١) عرضه أي جعله معترضاً . والنازلات النوائب . ويقال ظاهر بين ثوبين أي لبس أحدهما فوق الآخر . والغيل جمع غيلة وهي أخذ الإنسان من حيث لا يدري . أي جعل سيفه معترضاً بينه وبين نوائب الدهر فلا تصل إليه ولبس الحزم بمنزلة درع فوق درعه فجعله حاجزاً بين نفسه والغوائل .

(٢) أي أنه صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان فشجاعته تمنعه من البخل لأن فيه خوف الفقر فهو ضرب من الجبن وجوده يمنعه من الجبن لأن فيه الحرص على الروح فهو ضرب من البخل .

(٤) أغذ أسرع . واحتفل بالأمر اهتم . يقول : إنه لكثرة فتوحه يعود عنها غير مفتخر بها وهو قد سار إليها غير مهتم بها لسهولتها عليه .

(٥) أجرت الشيء عليه منعته منه . والبغية المطلوب . يقول : إذا رام مطلوباً لم يحمه الدهر منه وإذا تحصن قرنه بالدرع لم يمتنع بها عليه .

(٦) العرض موضع المدح والذم من الإنسان . والحلل الثياب . والبهاء الحسن ، وأراد بالحلل المدائح . يقول : إذا أفرغت مدائحي على عرضه وجدت عرضه أبهى من تلك المدائح فهي تتزين به أكثر مما يتزين بها .

(٧) ضرب من الخنافس . أي إذا أنشدت تلك المدائح اغتاظ منها الجاهل فتضرر بها كما يتضرر الجعل بريح الورد .

(٨) خيرة مؤنث خير بمعنى أفضل ، أنثها بالتاء تشبيهاً لها بالوصف المحض لمفارقتها صيغة التفضيل . ويروى وجربت . أي رأت كل عين منك رجلا يملأها هيبة وجمالا وكنت خير سيف لخير دولة .

(٩) كشفه عن كذا أكرهه على إظهاره . أي أنك قد تعودت المراس فلا تحملك الأعداء على الملل من الحروب وأوتيت السداد في التدبير فلا يفضي بك الرأي إلى الزلل .

وكَـمْ رِجـالٍ بـلا أرضٍ لكَـثْرَتِهِمْ تَرَكْـتَ جَمْعَهُـمُ أَرْضـاً بـلا رَجُـلِ[١]
ما زالَ طِـرْفُكَ يَجـري في دِمائِهِـمِ حتى مشَى بكَ مشْيَ الشّارِبِ الثَّمِلِ[٢]
يا مَن يَسيرُ وحـكْمُ النّاظرَينِ لَـهُ فيما يَـراهُ وحكمُ القلبِ في الجَدَلِ[٣]
إنّ السّعادَةَ فيما أنْتَ فاعِلُـهُ وُفّقْتَ مُرْتَحِلًا أوْ غَيرَ مُرْتَحِلِ[٤]

★ ★ ★

لئن قال الشاعر المهجري الكبير ايليا أبو ماضي بعد الف عام من وفاة المتنبي وهو يصف الكريم :

لا يشتهي أبداً لصاحبه الذي لا يشتهيه

فإن المتنبي يقول في قصيدة يذكر فيها مناقب سيف الدولة :

ان هذا الشجاع يحمي رجال جيشه بحياته التي يغامر بها ليفديهم .. بعد أن يتحدث عن هيامه .. وصلة الخيال على البعاد لمن لا يتذكر ولا حتى في المنام كما يقول في مستهل القصيدة :

لا الحُلْمُ جـادَ بِهِ وَلا بمِثالِـهِ لَـوْلا ادِّكـارُ وداعِـهِ وزِيَـالِـهِ[٥]
إنّ المُعِيـدَ لَنـا المَنـامُ خَيـالَهُ كانَتْ إعادَتُـهُ خَيـالَ خَيـالِـهِ[٦]

---

(١) أي كم أناس من أعدائك كانت تضيق الأرض عنهم لكثرتهم أهلكتهم حتى أخليت أرضهم فصارت بلا رجال .

(٢) الطرف بالكسر الفرس العتيق . والثمل السكران . أي أكثرت قتلاهم حتى تعثر فرسك بجثثهم فصار يمشي مشية السكران .

(٣) الناظرين أي العينين . وله خبر حكم . والجدل الخصومة . أي وله فيما يراه حكم عينيه وفيما ينازع عليه حكم قلبه ، يريد أنه يأخذ ما استحسنته عينه ويفعل ما أراده قلبه فلا ينازع في شيء من ذلك .

(٤) وفقت دعاء والجملة معترضة . ومرتحلا حال من الضمير المستتر في قوله فاعله .

(٥) المثال الصورة . والزيال المبارحة . والضمير للمحبوب استغنى عن تقدم ذكره بدلالة المقام . يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقي يتذكر وداعه ورحيله فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسمت صورته في وهمه وصار إذا رأى خياله في الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور لا عن العيان . فيقول : لولا استدامة هذا التذكر ما جاد علي الحلم بمرأى خياله ولا خيال صورته .

(٦) البيت مبني على معنى البيت الأول يقول : إن الحبيب الذي أعاد لنا المنام خياله فرأيناه في الحلم إنما أعاد لنا خيال صورته التي كنا نمثلها في اليقظة فنحن إنما نرى خيال خياله .

بِتْنَا يُناوِلُنَا المُدامَ بكَفِّهِ مَنْ لَيسَ يَخطُرُ أنْ نَراهُ ببالِهِ(١)

نجني الكَواكِبَ من قَلائِدِ جيدِهِ ونَنالُ عينَ الشمسِ من خَلخالِهِ(٢)

بِنْتُم عَنِ العَينِ القَريحَةِ فيكُمُ وَسَكَنْتُمُ طَيِّ الفُؤادِ الوَالِهِ(٣)

فَدَنَوْتُمُ ودُنُوّكُمْ من عِنْدِهِ وَسَمَحتُمُ وسَماحُكُمْ من مالِهِ(٤)

إنّي لأبغِضُ طَيفَ من أحْبَبْتُهُ إذْ كانَ يَهجُرُنا زَمانَ وِصَالِهِ(٥)

مِثْلُ الصّبابَةِ والكَآبَةِ وَالأسَى فارَقْتُهُ فَحَدَثنَ من تَرْحالِهِ(٦)

وقَدِ استَقدتُ من الهَوَى وأذَقْتُهُ من عِفّتي ما ذُقتُ مِنْ بَلبالِهِ(٧)

---

(١) من فاعل يناولنا . وبباله صلة يخطر . يصف ما رآه في الحلم من طيف حبيبه . يقول : رأيناه يناولنا الشراب بكفه وهو لا يجري في خاطره أن نراه للبعد الذي بيننا .

(٢) جيده عنقه . أي كنا نراه مجالساً لنا حتى نمس قلائده وننال خلخاله مع أنهما كالكواكب والشمس في البعد .

(٣) بنتم بعدتم . والقريحة التي بها قروح من طول البكاء . والواله المتحير .

(٤) الضمير للفؤاد . أي فقربتم من فؤادي لانطباع مثالكم فيه ولكن هذا القرب كان من عنده لا من عندكم وسمحتم له أن يواصلكم وكأنكم سمحتم له بشيء من ماله لأن هذا الوصال كان من تصوره وأنتم لم تسمحوا له بشيء .

(٥) الطيف الخيال في النوم . وضمير يهجرنا للمحبوب . وضمير وصاله للطيف . يقول : إنه يكره طيف محبوبه لأنه كلما واصله الطيف كان المحبوب هاجراً فوصاله مترتب على هجر المحبوب .

(٦) مثل خبر عن محذوف ضمير الطيف . والصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . وفارقته الضمير للمحبوب والجملة تفسير للمماثلة أو حال من الصبابة وما يليها والعائد إليها النون من قوله فحدثن على حد قولك جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس . يقول : الطيف مثل هذه المذكورات فإنها لم تحدث إلا بسبب فراق الحبيب وكذلك الطيف فإنه لا يزور إلا عند هجره .

(٧) استقدت أي اقتصصت وأصله طلب القود وهو قتل القاتل بالقتيل . يقول : إني قد انتقمت من الهوى بتعففي عنه وإعراضي عن إجابة داعيه فأذقته بذلك من الغيظ مثل ما أذاقني من الحزن . وفي الكلام مجاز لا يخفى .

.. ويمضي في سرد مواهب وقدرات سيف الدولة وجيشه بما لا حاجة لنا به حتى يأتي إلى نهاية القصيدة ليقول في أبياتها الأخيرة ما نصه :

كُلٌّ يُرِيدُ رِجالَهُ لِحَيَاتِهِ ... يا مَنْ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ[١]

دونَ الحَلاوَةِ في الزّمانِ مَرارَةٌ ... لا تُخْتَطَى إلّا على أهْوالِهِ[٢]

فَلِذاكَ جاوَزَها عَليٌّ وَحْدَهُ ... وَسَعَى بِمُنْصُلِهِ إلى آمَالِهِ[٣]

★ ★ ★

.. ويتمنى أن يكون هوى الأحبة عدلًا في قصيدة يمدح بها سيف الدولة .. فيقول في مطلعها :

أَيَدْري الرَّبْعُ أيّ دَمٍ أراقَا ... وَأيّ قُلُوبِ هذا الرّكْبِ شَاقَا[٤]

لَنَا ولأهْلِهِ أبَداً قُلُوبٌ ... تَلاقَى في جُسُومٍ ما تَلاقَى[٥]

ومَا عَفَتِ الرّياحُ لَهُ مَحَلًّا ... عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمِ وَسَاقَا[٦]

فَلَيْتَ هَوى الأحبّةِ كانَ عَدلًا ... فَحَمّلَ كُلّ قَلْبٍ ما أطَاقَا

---

(١) قيل إن المتنبي بنى هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الاخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بيني وبينك ولكن ابرز إلي فأينا قتل صاحبه ملك البلاد . فامتنع الاخشيد ووجه إليه يقول : ما رأيت أعجب منك أأجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقي به نفسي ثم أبارزك والله لا فعلت ذلك أبداً .

(٢) تختطى أي تتجاوز . يقول : حلاوة الزمان لا يوصل إليها إلا بعد ذوق مرارته وتلك المرارة لا يتجاوزها أحد إلا بركوب الأهوال .

(٣) منصله سيفه . أي فلما كانت تلك المرارة على ما ذكر جاوزها الممدوح وحده لأنه ممن يركب الأهوال ووصل بسيفه إلى حلاوة آماله .

(٤) أراق سفك . والركب جماعة الركبان . يذكر مروره بربع أحبته يقول : أيدري هذا الربع بما فعل من إراقة دمي وما هيج في قلبي من الشوق بذكر الأحبة وهو استفهام إنكار واستعظام . والشوق مقدم على إراقة دمه لكنه ابتدأ بالأهم ثم عاد إلى ذكر سببه وهو الشوق .

(٥) تلاقى أي تتلاقى فحذف إحدى التاءين . وفي جسوم حال من فاعل تلاقى الأول . يقول لنا وللراحلين من أهله قلوب يتلاقى بعضها ببعض وهي في جسوم لا تتلاقى أي نحن نذكرهم وهم يذكروننا فنتلاقى بالقلوب وإن لم نتلاق بالأشخاص .

(٦) عفت الريح الأثر درسته . يقول : ما درست الرياح هذا الربع ولا أخفت مكانه ولكن الذي درسه هو الحادي الذي ساق الجمال بأهله حتى فارقوه فدرس .

نَظَرْتُ إلَيْهِمِ والعَينُ شَكْرَى   فَصارَتْ كُلُّهَا للدّمعِ مَاقَا(١)
وَقَدْ أخَذَ التّمامَ البَدْرُ فيهِمْ   وَأعْطاني مِنَ السّقَمِ المُحاقَا(٢)
وَبَينَ الفَرْعِ والقَدَمَينِ نُورٌ   يَقُودُ بِلا إزِمَّتِهَا النّياقَا(٣)
وَطَرْفٌ إنْ سَقَى العُشّاقَ كأساً   بهَا نَقْصٌ سَقانِيهَا دِهَاقَا(٤)
وَخَصْرٌ تَثْبُتُ الأبصارُ فِيهِ   كأنّ عَلَيهِ مِن حَدَقٍ نِطاقَا(٥)
سَلي عَنْ سِيرَتي فَرَسي ورُمحي   وَسَيْفي والهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا(٦)

ثم يتحدث بعد ثنائه على ممدوحه عن تجاربه في الحياة .. وخداع الناس بها .. ونفاقهم في مسيرتها فيقول :

إذا ما النّاسُ جَرّبَهُمْ لَبِيبٌ   فإنّي قَدْ أكَلْتُهُمُ وَذاقَا(٧)
فَلَمْ أرَ وُدّهُمْ إلّا خِداعاً   وَلم أرَ دينَهُمْ إلّا نِفَاقَا

★ ★ ★

(١) شكرى ملأى من الدمع . والماق طرف العين مما يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إليهم وعيني ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كأنها بجملتها ماق يسيل الدمع منه .

(٢) نقصان القمر في آخر الشهر . أي أن الحبيب الذي هو كالبدر أخذ التمام لنفسه وأعطاني المحاق فهو لا يزال تام الجمال مشرق النور وأنا لا أزال سقيم الأعضاء ناحل الجسم .

(٣) الفرع الشعر . والأزمة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة . يريد بالنور وجه الحبيب أي أنه يضيء للنياق فتهتدي به في الظلمة فكأنه يقودها بلا أزمة . وقوله بين الفرع والقدمين ظرف للوجه وما يليه في البيتين التاليين .

(٤) ممتلئة . أراد أن طرفه يبعث على سكر الهوى فشبهه بالخمر واستعار له كأساً . والمعنى أنه أعشق العشاق له .

(٥) أي لشدة استحسان العيون له تشخص إليه دائرة حوله تصير كالنطاق عليه .

(٦) الهملعة الناقة السريعة . والدفاق المتدفقة في السير . يقول لحبيبته : سلي عن مسيري هذه الأشياء تحدثك بشجاعتي وإقدامي في الأهوال والأسفار . يعني أنه كان وحده ولم يصحبه غير هذه المذكورات .

(٧) يقول : أنا أعرف المجربين بأحوال الناس فإن كان غيري يعد ذائقاً لهم فإني قد كررت ذوقهم حتى صرت آكلا .

.. تهيأ سيف الدولة للغزو فصف الجيش لملاقاة العدو .. فقال المتنبي في ذلك قصيدة نختار منها مطلعها وما يليه من أبيات أربعة يقول في خاتمتها إن وجه البحر يعرف من بعيد وهو ساج .. فكيف به إذا ثار موجه . مشبهاً بذلك سيف الدولة في عزمه إذ يقول :

لهذا اليَومِ بَعْدَ غَدٍ أرِيجُ وَنَارٌ في العَدُوّ لهَا أجيجُ[1]

تَبيتُ بهَا الحَواضِنُ آمِنَاتٍ وَتَسْلَمُ في مَسالِكِهَا الحَجيجُ[2]

فلا زَالَت عُداتُكَ حَيْثُ كانَت فَرائِسَ أيّهَا الأسَدُ المَهيجُ[3]

عَرَفْتُكَ والصّفُوفُ مُعَبّآتٌ وَأنْتَ بغَيرِ سَيفِكَ لا تَعيجُ[4]

وَوَجْهُ البَحْرِ يُعْرَفُ مِن بَعيدٍ إذا يَسْجُو فكَيفَ إذا يَمُوجُ[5]

★ ★ ★

---

(١) الأريج الرائحة الطيبة . والأجيج الاشتعال . أي هذا اليوم الذي أنت سائر فيه للحرب سيكون له بعد قليل أخبار طيبة تسر نفوس الأولياء ونار حرب يضطرم لهيبها على الأعداء .

(٢) الضمير من بها للنار . والحواضن النساء المربيات لأطفالهن . ويروى الحواصن بالصاد المهملة أي ذوات العفاف . والضمير من مسالكها للحجيج وهم جماعة الحجاج . أي أن نار هذه الحرب تأمن بها النساء من السبي ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا تتعرض لهم الروم .

(٣) فرائس خبر زالت . ويقال : هجته إذا أثرته فهو مهيج .

(٤) عبأ الجيش جهزه . وما عاج به ما بالى . وكان من خبر هذه الأبيات أن أبا الطيب كان مع سيف الدولة في بلاد الروم فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رمحاً فعرفه وانثنى إليه فسايره وأنشده . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لا تبالي إلا بسيفك . يشير إلى شجاعته وقلة اعتماده على الجيش .

(٥) يسجو يسكن . يقول : البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك . وضرب هذا مثلا له لما رآه يدير الرمح بيده فشبهه بالبحر المائج .

ويُبتلى سيف الدولة « بنكسة » إذ يظفر به العدو .. وقد انفتل عنه الجيش .. فتنطلق قريحة المتنبي تتحدث عن تجاربه وكيف يتخاذل مُدَّعُو الشجاعة عندما تفاجئهم الحوادث بالنكبات(*) إذ يقول المتنبي في مستهل قصيدة طويلة لا يعنينا منها غير ما نختاره من الجواهر فيها :

غَيرِي بأكْثرِ هذا النّـاسِ يَنْخَـدِعُ ... إنْ قاتَلُـوا جَبُنوا أوْ حدّثوا شجُعُوا[1]

أهلُ الحَـفيظَةِ إلّا أنْ تُجَـرّبَهُـمْ ... وَفي التّجـارِبِ بَعـد الغَيّ ما يَزَعُ[2]

وَما الحَـياةُ ونَفسي بَعدَمَـا عَلِمَتْ ... أنّ الحَياةَ كَـما لا تَشتَـهي طَبَعُ[3]

(*) مر سيف الدولة في هذه الغزوة بسمندو وعبر آلس وهو نهر عظيم على يوم من طرسوس ونزل على صارخة وهي مدينة هناك فأحرق ربضها وكنائسها وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياماً . ثم عبر آلس راجعاً فلما أمسى ترك السواد وأكثر الجيش وسرى حتى جاز خرشنة وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد فلقي الدمستق في ألوف من الخيل . فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها فانتشب القتال بين الفريقين فانهزم الدمستق وقتل من فرسانه خلق كثير وأسر من بطارقته وزرازرته نيف على ثمانين وأفلت الدمستق . وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة تعرف بمقطعة الأثفار فصادفه العدو على رأسها فأخذ ساقة الناس يحميهم ولما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو فجرح من الفرسان جماعة . ونزل سيف الدولة على بردى وهو نهر بطرسوس وأخذ العدو عليه عقبة المسير وهي عقبة طويلة فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها فعدل متياسراً في طريق وصفه بعض الأدلة وجاء العدو آخر النهار من خلفه فقاتل إلى العشاء وأظلم الليل وتساند أصحاب سيف الدولة أي أخذوا في سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة قريبة من بحيرة الحدث فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ومن نجا من العقبة نهاراً لم يرجع ومن بقي تحتها لم تكن فيه نصرة وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى فكانوا مئات وانصرف . واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم فقال يصف ذلك .

(١) أي غيري يغتر بأكثر الناس لقلة التجارب فإنهم يوهمونه الشجاعة عند الحديث ولكنهم يجبنون عند القتال .

(٢) الحفيظة الحمية والأنفة . والغي خلاف الرشد . ويزع يكف ويردع . يقول : هؤلاء الناس أهل حمية وأنفة ما لم تجربهم فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك . ويريد بالغي الاغترار أي وفي تجربة الشيء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكف عن الاغترار به .

(٣) ما استفهامية . وقوله كما لا تشتهي حال . والطبع الشين والعيب . يقول : ما الحياة ونفسي أي ما لنفسي والحياة بعدما علمت أن حياتها على غير الحال التي تشتهيها شين لها .

لَيسَ الجَمالُ لِوَجْهٍ صَحّ مارِنُهُ ، أنْفُ العَزيزِ بقَطعِ العِزّ يُجْتَدَعُ[(١)]
أأطرَحُ المَجْدَ عَنْ كِتْفي وَأطْلُبُهُ وَأتْرُكُ الغَيثَ في غِمْدي وَأنْتَجعُ[(٢)]
وَالمَشْرَفِيّةُ لا زَالَتْ مُشَرَّفَةً دَواءُ كلّ كَريمٍ أوْ هيَ الوَجَعُ[(٣)]
وفارِسُ الخَيْلِ مَن خَفّتْ فوَقّرَهَا في الدّرْبِ والدّمُ في أعطافِهِ دُفَعُ[(٤)]
فَأوْحَدَتْهُ وَما في قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأغضَبَتْهُ وَمَا في لَفْظِهِ قَذَعُ[(٥)]
بالجَيْشِ تَمْتَنِعُ السّاداتُ كُلّهُمُ وَالجَيشُ بابنِ أبي الهَيْجاءِ يَمتَنِعُ[(٦)]

ثم يتحدث عن الجيش المتخاذل .. وكيف أراد الله لسيف الدولة أن يُسلم لأعدائه هؤلاء الجبناء من أفراد جيشه ليتخلص منهم حتى إذا عاود الكرة لملاحقة أعدائه كان جيشه من الأبطال الذين لا يهابون الموت ولا ينسلون عند الغمرات .. لأن قائدهم من الكرام الذين يصنعون ما يريدون إذ هو فوق محل الشمس موضعه .. لا يعيقه شيء عن مبتغاه . ولا يُنقصه عارض .. فيقول في ذلك :

لا تحسَبوا مَن أسرْتم كانَ ذا رَمَقٍ فَلَيْسَ يأكُلُ إلّا المَيْتَةَ الضَّبُعُ[(٧)]

---

(١) لوجه خبر ليس . والمارن ما لان من طرف الأنف . وجدع أنفه واجتدعه قطعه . يقول : ليس جمال الوجه بأن يبقى مارنه صحيحاً فإن العزيز متى انقطع العز عنه ذل فصار كالمقطوع الأنف .

(٢) اطلب مواقع الغيث . كنى بالمجد والغيث عن السيف لأنهما يدركان به والمراد بالغيث لازمه من الخصب وسعة العيش . يقول : أألقي السيف عن عاتقي وأطلب المجد بدونه وأتركه في غمدي وأسعى في طلب الخصب بغيره .

(٣) المشرفية السيوف وهي مبتدأ خبره دواء . وجملة لا زالت مشرفة دعاء . يقول : السيوف دواء الكريم أو داؤه لأنه إما أن يدرك بها غايته فيملك أو يقتل بها فيهلك .

(٤) خفت أي أسرعت في الهزيمة . ووقرها سكنها وثبتها . والدرب المضيق ويسمى به كل مدخل إلى بلاد الروم . وأعطافه جوانبه . ويروى في أعطافها . والدفعة من الشيء ما انصب منه بمرة . أراد بفارس الخيل سيف الدولة لأن خيله أرادت الهزيمة فثبتها في مضيق من مضايق الروم .

(٥) أوحدته أي تركته وحيداً . والقذع الفحش . أي تفرقت عنه خيله وتركته وحده ولم يقلق قلبه لشجاعته وأغضبته بجبنها وانحيازها عنه ولم يكن في كلامه فحش لرزانة حلمه وحسن أدبه .

(٦) امتنع به احتمى وتحصن . وابن أبي الهيجاء سيف الدولة .

(٧) الرمق بقية الحياة . يقول للأعداء : لا تفتخروا بالذين أسرتموهم فإنهم كانوا أمواتاً من شدة الخوف والجبن وأنتم لا تقدرون إلا على من كان كذلك كما أن الضبع لا تفترس إلا الجثث الميتة .

هَـلّا على عَقبِ الوادي وقـد طَلَعَتْ أُسْـدٌ تَمُـرّ فُرادَى لَيـسَ تجتَـمعُ[1]
تَشُقّـكُـمْ بفتَاهَـا كُـلُّ سَـلْهَبَـةٍ والضّرْبُ يأخذُ منكُم فوْقَ ما يدَعُ[2]
وَإنّمـا عَرّضَ اللّهُ الجُنُـودَ بِكُــمْ لكَيْ يَـكونوا بلا فَسْـلٍ إذا رَجعوا[3]
فكُـلّ غَـزْوٍ إلَيـكُـمْ بَعـدَ ذا فَلَهُ وَكُـلّ غازٍ لسَيْـفِ الدّوْلةِ التّبَـعُ[4]
تَمْشِي الكِـرامُ على آثارِ غَـيرِهِمِ وَأنتَ تَخْلُقُ ما تأتي وَتَبْتَدِعُ[5]
وَهَـلْ يَشينُكَ وَقتٌ كنتَ فَارِسَهُ وَكانَ غـيرَكَ فيهِ العاجزُ الضَّـرَعُ[6]
مَن كانَ فوْقَ مَحلّ الشّمسِ موْضِعُه فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شيءٌ وَلا يَضَـعُ[7]

ويختم المتنبي قصيدته بالثناء على سيف الدولة وقد تغرر به العدو فلم يجبن أو يفر ليؤكد أن حمل السلاح شرف ليس كل الناس أهلاً له كصاحبه .

وَمَـا حَمِـدْتُكَ في هَـوْلٍ ثَبَـتَّ بِـهِ حتى بَلَـوْتُكَ وَالأبْـطالُ تَمتَصِـعُ[8]

---

(١) هلا حرف توبيخ وتقريع يريد هلا قاتلتم ونحوه . والعقب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب . وفرادى جمع فردان بمعنى فرد . أي هلا قاتلتم أو وقفتم هناك وقد طلعت رجال كالأسود يقاتلون أفراداً لا ينتظر بعضهم نجدة بعض لشجاعتهم .

(٢) السلهبة الطويلة من الخيل . وفوق هنا مفعول به أي زيادة على ما يدع يقول : هؤلاء الرجال تشق صفوفكم كل فرس من خيلهم بفارسها ويعمل فيكم السيف حتى يكون الذين يذهب بهم الضرب أكثر من الذين يتركهم .

(٣) صلة عرض محذوفة أي عرضهم بكم للبلاء ونحو ذلك . والفسل الرذل الذي لا مروءة له . يقول : إنما جعل الله الجنود عرضة للبلاء على يدكم ليجردهم من الخونة الذين قتلتموهم حتى إذا رجعوا إليكم بعد ذلك رجعوا وكلهم أبطال منتخبون .

(٤) أي فكل غزوة إليكم بعد الآن تكون العاقبة فيها له لأن جنوده قد تنقت من الأوباش وبقي منها الأبطال وكل غاز تبع له لأنه أمير الغزاة وسيدهم .

(٥) تأتي أي تفعل . يقول : غيرك من الكرام يقتدي بمن سلفه في الكرم وأنت أفعالك مبتكرة لا تقتدي فيها بأحد .

(٦) يشينك يعيبك . والضرع الضعيف . أي هل يعيبك وقت أقدمت فيه وأحجم أصحابك فكنت أنت الفارس الشجاع وكانوا هم العاجزين الضعفاء يريد أن أسرهم ضعاف أصحابك لا شين به عليك .

(٧) أي ولا يضعه شيء .

(٨) بلوتك اختبرتك . وتمتصع تذهب في الأرض هاربة . يقول : لم أحمدك في مواقف الهول إلا بعد أن اختبرتك ورأيت ثباتك على القتال والأبطال من حولك ينهزمون .

فَقَـدْ يُظَنّ شُـجاعـاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ   وَقَـدْ يُظَـنّ جَبَـاناً مَنْ بِهِ زَمَـعُ[1]
إنّ السّـلاحَ جَـميعُ النّـاس تَحْمِـلُهُ   وَلَيسَ كلّ ذواتِ المِـخْلَبِ السَّبُعُ[2]

★ ★ ★

.. ويهم سيف الدولة للخروج فيعوق الثلج مسيره وليس في هذا ما يعنينا .. وإنما نأخذ من القصيدة مستهلها الذي يتحدث فيه المتنبي عن عواذله من الحساد .. وما يعتلج في أحشائه من الشوق لمحبوبته .. ووحدته بعد تنافر الخلان عنه وقد تعاظم عليهم مطلبه العظيم إذ يقول :

عَـوَاذِلُ ذاتِ الخَـالِ فيّ حَوَاسِـدُ   وَإنّ ضَجيعَ الخَـوْدِ منّي لمَـاجِـدُ[3]
يَرُدّ يَـداً عَنْ ثَوْبِهَـا وَهْـوَ قَـادِرٌ   وَيَعصي الهَوَى في طَيفِها وَهْوَ راقِدُ[4]
متى يَشتفي من لاعِجِ الشّوْقِ في الحشا   مُـحِبٌ لهـا في قُرْبِهِ مُتَبَـاعِـدُ[5]
إذا كنتَ تخشَى العـارَ في كلّ خَلْوَةٍ   فَلِمْ تَتَصَبّـاكَ الحِسـانُ الخَـرائِدُ[6]
ألَـحّ عَـليّ السّقْمُ حتى ألِفْتُهُ   وَمَـلّ طَبيبي جانِـبي وَالعَـوائِدُ[7]
مَـرَرْتُ على دارِ الحَبيبِ فَحَمْحمتْ   جَوادي وهل تُشجي الجيادَ المعاهدُ[8]

---

(١) الخرق الخفة والطيش . والزمع الارتعاد . أي قد يظن من به خفة ونزق شجاعاً وقد يظن من به رعدة من غضب جباناً وإنما يتحقق الأمر بعد التجربة . والمعنى أني مدحتك بالشجاعة بعد اختبارك ومعاينة أفعالك فأنا أقول ما أقوله عن يقين .

(٢) اسم ليس ضمير الشأن والجملة بعدها خبرها . والمخلب للطير والسباع بمنزلة الظفر للإنسان . والسبع المفترس من الحيوان . أي ليس كل من يحمل السلاح يستعمله كما أنه ليس كل ذي مخلب يفترس .

(٣) فيّ صلة عواذل . وقوله مني تجريد . والخود المرأة الناعمة . أي اللواتي يعذلن هذه المرأة في محبتها لي هن حاسدات لها علي لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٤) ضمير يرد للضجيع . والطيف الخيال في النوم . يقول : إنه يعف عنها مع كونه قادراً على ترك العفاف وإن ذلك قد صار سجية له حتى صار يعف عن طيفها أيضاً إذا زاره في نومه .

(٥) متى استفهام . واللاعج المحرق . والحشا ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قربه حال من فاعل متباعد . أي متى يشتفي من شوقه إليها محب لها إذا قرب منها بشخصه تباعد عنها بعفافه .

(٦) تتصباك أي تشوقك وتدعوك إلى الصبوة . والخرائد الحييات . يخاطب نفسه يقول : إذا كنت تخشى العار في خلوتك فما لك ولعشق الحسان .

(٧) ألح عليه لازمه . وجانبي مفعول به . والعوائد جمع عائدة وهي التي تزور في المرض .

(٨) الجواد الفرس الكريم يستعمل للذكر والأنثى . وأشجاه وشجاه أحزنه. والمعاهد المنازل التي عهد فيها أهلها . يقول : مررت على دار الحبيب فحمحمت فرسي حنيناً إليها لأنها عرفتها ثم استفهم متعجباً فقال : وهل المنازل تشجي العجماوات أيضاً .

وما تُنكِرُ الدّهْمَاءُ مِن رَسْمِ منزِلٍ ... سَقَتها ضَرِيبَ الشَّوْلِ فيهِ الوَلائِدُ[1]

أهُمّ بشَيْءٍ واللّيَالي كأنّهَا ... تُطارِدُني عَنْ كَوْنِهِ وَأُطارِدُ[2]

وَحيدٌ مِنَ الخُلاّنِ في كلّ بَلْدَةٍ ... إذا عَظُمَ المَطلُوبُ قَلّ المُساعِدُ[3]

وَتُسْعِدُني في غَمرَةٍ بَعدَ غَمْرَةٍ ... سَبُوحٌ لهَا مِنهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ[4]

تَثَنّى عَلى قَدْرِ الطِّعانِ كَأنّمَا ... مَفاصِلُهَا تَحْتَ الرِّماحِ مَرَاوِدُ[5]

وَأُورِدُ نَفْسِي والمُهَنّدُ في يَدي ... مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَن لا يُجالِدُ[6]

وَلَكِنْ إذا لَمْ يَحْمِلِ القَلْبُ كفَّهُ ... على حَالَةٍ لم يَحْمِلِ الكَفَّ ساعِدُ[7]

ومنها قوله عن الحياة .. وكيف ينتفع أناس ببعض أحداثها ويتضرر آخرون :

بذا قضَتِ الأيّامُ ما بَينَ أهْلِهَا ، ... مَصائِبُ قَوْمٍ عِندَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

---

(١) ما استفهام إنكار . والدهماء السوداء يعني فرسه . ومن رسم منزل بيان لما . والضريب اللبن يحلب من عدة لقاح . والشول النياق التي بعد عهدها بالنتاج فخف لبنها . والولائد جمع وليدة وهي الجارية . أي ليست الدهماء تنكر رسم هذا المنزل الذي أقامت به تشرب لبن النياق .

(٢) هم به أراد فعله . وعن كونه أي عن حصوله . يقول : أهم بشيء عظيم والليالي تدافعني عنه فكأنها تطاردني عن الوصول إليه وأنا أطاردها عن الوقوف بيني وبينه .

(٣) ويروى وحيداً بالنصب على الحال من ضمير أهم . أي لا أجد من يساعدني على ما أطلبه لأن مطلوبي أمر عظيم وإذا كان المطلوب عظيماً قل من يضطلع بالمساعدة عليه .

(٤) أسعده بمعنى ساعده . والغمرة الشدة . والسبوح الفرس التي كأنها تسبح في عدوها . ولها خبر مقدم عن شواهد والجملة نعت . ومنها حال وعليها صلة شواهد . أي تعينني على شدائد الحرب فرس تشهد خصالها على كرمها .

(٥) جمع مرود وهو حديدة تدور في اللجام . أي للين مفاصلها تميل مع الرماح كيفما اتجهت إليها كأن مفاصلها مراود يدور بعضها في بعض . ويروى له في بعض النسخ بعد هذا البيت :

محرمة أكفال خيلي على القنا ... محللة لباتها والقلائد

القنا الرماح . واللبات أعالي الصدور . ويريد بالقلائد مواضعها من الأعناق . أي أنه يستقبل الحرب فتنال الرماح صدور خيله وأعناقها ولا تنال أعجازها لأنه لا ينهزم أمامها .

(٦) المهند السيف الهندي . والمجالدة المضاربة بالسيوف . أي أورد نفسي في الحرب موارد مهلكة لا يصدر واردها حياً إذا لم يجالد ويدافع عن نفسه بحد السيف .

(٧) على حالة صلة يحمل . يعني أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف فإذا لم تقو الكف بقوة القلب لم تقو بقوة الساعد .

ثم يقفل القصيدة بهذا البيت الذي يمثل حكمة هي نتاج تجاربه إذ يقول :

فإنّ قَليلَ الحُبّ بالعَقْلِ صالِحٌ وَإنّ كَثيرَ الحُبّ بالجَهْلِ فاسِدُ

★ ★ ★

.. حب الشجاع الحرب أورده الحرب .. عنوان قصيدة يمدح بها سيف الدولة .. بعد أن يتحدث عن تجاربه التي كشفت له عن خداع الحياة .. ومعشوقته التي تشبه الدر في صفاء بشرتها ، فهي كالبدر حسناً ، وقلائدها كالدراري إشراقاً وقد اخترنا من هذه القصيدة الأبيات التي يقول فيها :

وَمن صَحِبَ الدّنيا طَويلًا تَقَلّبَتْ على عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدْقَها كِذبَا[١]

وَكيفَ التذاذي بالأصائِلِ وَالضّحَى إذا لم يَعُدْ ذاكَ النّسيمُ الذي هَبّا[٢]

ذكَرْتُ بهِ وَصْلًا كأنْ لم أفُزْ بِهِ وَعَيْشاً كأنّي كنتُ أقْطَعُهُ وَثْبَا[٣]

وَفَتّانَةَ العَيْنَينِ قَتّالَةَ الهَوَى إذا نَفَحَتْ شَيْخاً رَوَائِحُها شَبّا[٤]

لهَا بَشَرُ الدُّرّ الذي قُلّدَتْ بِهِ وَلم أرَ بَدْراً قَبْلَهَا قُلّدَ الشُّهْبَا[٥]

فَيَا شَوْقُ ما أبْقَى وَيا لي من النّوَى ويَا دَمْعُ ما أجْرَى وَيا قلبُ ما أصبَى[٦]

---

(١) يشير إلى حاله اوحال الربع بعد ارتحال الأحبة يقول : من طالت صحبته للدنيا تقلبت أحوالها عليه حتى يرى ما وثق به من صفائها ونعيمها قد حال عما كان عليه وأصبح كأن لم يكن .

(٢) الأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب . والضحى جمع ضحوة على حد قرية وقرى وهو نادر . يقول : كيف ألتذ في هذا الربع بالعشايا والغدايا إذا لم أستنشق نسيم الأحبة الذين كانوا فيه .

(٣) الضمير من به للربع . ووثباً حال . أي ذكرت به وصلا تقضت أيامه فكأنه لم يكن وعيشاً هنيئاً كأني كنت أقطعه وثباً من سرعة مره .

(٤) نفحت الريح هبت وتحركت أوائلها واستعمله متعدياً على تضمينه معنى أصابت . أي وذكرت به محبوبة هذه صفتها إذا مرت روائحها بشيخ دعته إلى الهوى فكأنها ردته إلى الشباب .

(٥) البشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد . والشهب الدراري من النجوم . يقول : بشرتها كلون الدر الذي عليها وهي في حسنها كالبدر وقلائدها كالدراري .

(٦) ما أبقى أي ما أبقاك . وكذا مثله في الشطر الثاني . وقوله ويالي استغاثة . والنوى البعد . ويروى وبالي بالموحدة فيكون مفعول أبقى . وأصبى أشوق .

لَقد لَعِبَ البَينُ الـمُشِتُّ بهَـا وَبي   وَزَوّدَني في السّيرِ ما زَوّدَ الضبّـا[1]
وَمَن تكُنِ الأُسْدُ الضّواري جُدودَه   يكُنْ لَيلُهُ صُبْحاً وَمَطعمُـه غصْبَـا[2]
وَلَسْتُ أُبـالي بَعـدَ إدراكـيَ العُلَـى   أكانَ تُراثاً ما تَناوَلْتُ أمْ كَسْبَـا ؟[3]

.. ويمضي المتنبي في إرسال المدح لسيف الدولة .. حتى يقارب نهاية القصيدة فيختتمها بأبيات تؤكد حرص الإنسان على الحياة وهيامه بها يستوي في ذلك الشجاع والجبان وما قد يكون لهما من فعل يختلف مسماه باختلاف فاعله إذ يقول :

أرَى كُلَّنَـا يَبْـغي الحَيَـاةَ لنَفْسِـهِ   حَـريصاً عَلَيهـا مُسْتَـهاماً بها صَبّـا[4]
فحُـبُّ الجَبَـانِ النّفْسَ أوْرَدَهُ البَقَـا   وَحُبُّ الشّجاعِ الحَرْبَ أوْرَدهُ الحَرْبَا[5]
وَيخْتَلِـفُ الرِّزْقانِ والفِعْلُ وَاحِـدٌ   إلى أنْ تَرَى إحسانَ هذا لِذا ذَنْبَا[6]

★ ★ ★

ويتكاثر حساد المتنبي والذين أزعجتهم محبة سيف الدولة له وما منحه إياه من حظوة وعطاء وفير .. كما هو شأن الحساد في كل مكان وزمان .. فيسعون بتحقير المتنبي والدس له والتقليل من شأنه والانتقاص من شعره .. وفي المقدمة من هؤلاء شاعر منافس هو ابن عم سيف الدولة . أبو فراس الحمداني .. وفي الصبح

---

(١) البين البعد . والمشت المفرق . والضب دويبة معروفة وهو مثل في الحيرة يقال أحير من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدي إليه عند الرجوع . يقول : لعب البين بشملنا وزودني في مسيري الحيرة فلا أهتدي وجهاً .

(٢) الضواري المولعة بالصيد . والغصب أخذ الشيء قهراً . يقول : من كانت جدوده كالأسود كان هو كذلك وعاش عيش الأسود فجعل ليله صبحاً لأنه لا يهاب المسير فيه ورزقه ما يغتصبه من الأعداء .

(٣) التراث الإرث . كأنه يعتذر من الغصب الذي ذكره في البيت السابق يقول : إذا استوليت على معالي الأمور لم أبال بعد نيلها أن أكون بلغتها عن إرث أو كسب .

(٤) يبغي يطلب . والمستهام الذي غلب عليه العشق فخرج على وجهه . والصب العاشق .

(٥) أي لما كان كل واحد منا حريصاً على حياته كان ذلك باعثاً للجبان على طلب البقاء باتقاء مواقع الهلكة وللشجاع على صيانة نفسه بركوب الحرب ودفع المهالك فالجبان والشجاع سواء في حب النفس وطلب البقاء وإن تخالفا في جهة الطلب .

(٦) أي أن الرجلين يفعلان فعلا واحداً فيرزق أحدهما ويحرم الآخر فيعد هذا الفعل بالنسبة إلى أحدهما احساناً استحق به الرزق وبالنسبة إلى الآخر ذنباً استحق به الحرمان .

المنبى قال ابن الدهان في المآخذ الكندية من المعاني الطائية إن أبا فراس بن حمدان قال لسيف الدولة : إن هذا المتشدق ــ يعني المتنبي ــ كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره . فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه ، وكان المتنبي غائباً فبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده هذه الأبيات .

ألا ما لسَيفِ الدّوْلَةِ اليَوْمَ عَاتِبَا ... فَداهُ الوَرَى أمضَى السّيُوفِ مَضَارِبَا[1]

وما لي إذا ما اشتَقْتُ أبصَرْتُ دونَهُ ... تَنَائِفَ لا أشْتَاقُهَا وَسَبَاسِبَا[2]

وَقد كانَ يُدْني مَجلِسِي من سَمائِهِ ... أُحادِثُ فيها بَدْرَهَا وَالكَوَاكِبَا[3]

حَنَانَيْكَ مَسْؤولًا وَلَبّيْكَ داعياً ... وَحَسبيَ مَوْهُوباً وحَسبُكَ وَاهِبَا[4]

أهذا جَزاءُ الصّدْقِ إنْ كنتُ صادقاً ... أهذا جَزاءُ الكِذبِ إنْ كنتُ كاذِبَا[5]

وَإنْ كانَ ذَنْبي كلَّ ذَنْبٍ فإنّهُ ... محَا الذّنْبَ كلَّ المَحوِ مَن جاءَ تائِبَا[6]

.. سمع سيف الدولة ذلك .. وأطرق صامتاً دون أن ينظر نحو المتنبي كعادته .. وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء الذين يشاركونه الحقد على

---

(١) عاتبا حال . وأمضى تفضيل من المضاء وهو منصوب على المدح . ومضارب السيوف حدودها وهو تمييز أيضاً . وجملة فداه وما يتصل به دعاء .

(٢) التنائف جمع تنوفة وهي المفازة الواسعة . والسباسب الفلوات . أي ما لي إذا اشتقت إليه رأيت بيني وبينه فلوات بعيدة من عتبه واستيحاشه .

(٣) يدني يقرب . أراد بسمائه مجلسه جعله كالسماء رفعة له وهو فيه كالبدر ومن حوله حواشيه وندمائه كالكواكب .

(٤) حنانيك كلمة استعطاف أي حناناً بعد حنان وهو ولبيك مصدران نائبان عن عاملهما . وحسبي وحسبك خبران مبتدأهما محذوف أي وأنت حسبي وأنا حسبك . والمنصوبات في البيت أحوال . أي تَحَنَّنْ علي إذا كنت مسؤولا ولك الإجابة مني إذا كنت داعياً وأنت حسبي إذا كنت موهوباً أي لا أفتقر بعد هبتك إلى واهب آخر وأنا حسبك إذا كنت واهباً أي في شكر هبتك والقيام بحق الثناء عليك .

(٥) قال الواحدي : أي إن كنت صادقاً في مديحك فليس ما تعاملني به جزاء لصدقي وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين لأني إن كذبت فقد تجملت لك في القول فتجمل لي أنت أيضاً في المعاملة .

(٦) أي إن كان ذنبي إليك لا ذنب فوقه فإني قد تبت منه والتوبة من الذنب محو لا محو بعده .

المتنبي فبالغوافي الوقيعة واسترسلوا في الوشاية والانتقاص من شعر المتنبي فما كان منه إلا أن غادر المجلس . ونظم قصيدته الخالدة .. وآحر قلباه .. لينتقم لنفسه . ويوقف الحاسدين والوشاة عند حدهم أو يفارق سيف الدولة وصحبته .. وهو ما حدث .

.. تمضي الأيام والليالي .. ولا يأتي المتنبي .. فتصمت الموسيقى الرائعة .. ولم يعد سيف الدولة يسمع تلك الأنغام العذبة التي كانت تُطربه . ويهتز لها بعد أن تُثري مشاعره ببديع المعاني . وجميل الصور . ونفائس الكلم . فشق ذلك على سيف الدولة . خاصة بعدما سمع عليل الشعر من منافسي المتنبي والحاقدين عليه ممن انتهزوا فرصة غيابه فأمعنوا في الوشاية به ليوغروا عليه قلب سيف الدولة . الذي توهم أنه باستقباله لأولئك المتشاعرين ومجاراتهم في التعرض لأبي الطيب والنيل منه . ما قد يُعيده إليه خانعاً .. ولكن المتنبي صاحب النفس الأبية . والشعر الذي أنشده الدهر . وشغل الناس . لا يقبل الانتقاص والإهانة ولا حتى اللمز وإن كان مصدره سيف الدولة نفسه . فكيف وقد جاء ذلك من الذين لا يعيرهم أبو الطيب أدنى اهتمامه أو يأبه بنفثهم عليه لتفاهة شأنهم وغثاثة شعرهم ودون أن يمنع عنه سيف الدولة ذلك ويذود عنه . أو حتى يرفض سماعه بمجلسه . فيجيء المتنبي إلى مجلس سيف الدولة . وقد غص بالمتشاعرين وفي مقدمتهم « أبو فراس الحمداني » .. ويدخل عليهم كالطود الشامخ أو الأسد الهصور ليفجأهم برائعته العصماء والتي خلدها الدهر وشغلت جميع الناس على مر العصور حتى قالوا عنها : إنها القصيدة الملحمة .. ونثبتها هنا بكاملها لأنها من أغلى الجواهر بإجماع النقاد . وعامة الناس . إذ تقول أبياتها :

وَا حَرّ قَلْبـاهُ ممّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَـمُ[1]

ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي ... وَتَدّعي حُبّ سَيِفِ الدّوْلةِ الأُمَمُ[2]

---

(١) قوله واحر قلباه الألف للندبة وأراد واحر قلبي فحذف الضمير المضاف إليه دفعاً لالتقاء الساكنين بينه وبين الألف . والهاء للسكت زادها في الوصل وهو من الضرورات الخاصة بالشعر وحينئذ فيجوز فيها الضم على التشبيه بهاء الضمير والكسر على أصل تحريك الساكن . والشبم البارد . يقول : واحر قلبي وشغفه بمن قلبه بارد عني وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعاني فيه سقيم الحال لفساد اعتقاده في .

(٢) براه أنحله وهزله . وتدعي منصوب بأن مضمرة بعد الواو وسكنه ضرورة أو على لغة . يقول : ما لي لا أبوح بحبه وهو قد برح جسمي وأسقمه والناس يدعون أنهم يحبونه وهم على خلاف ما يظهرون .

إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ   فَلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ[(١)]

قد زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ   وَقد نَظَرْتُ إلَيْهِ وَالسّيُوفُ دَمُ

فكانَ أحْسَنَ خَلقِ اللهِ كُلّهِمِ   وَكانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ[(٢)]

فَوْتُ العَدُوّ الذي يَمّمْتَهُ ظَفَرٌ   في طَيّهِ أسَفٌ في طَيّهِ نِعَمُ[(٣)]

قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ وَاصْطنعتْ   لَكَ المَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ البُهَمُ[(٤)]

ألزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيسَ يَلزَمُها   أنْ لا يُوارِيَهُمْ أرْضٌ وَلا عَلَمُ[(٥)]

أكُلّمَا رُمْتَ جَيْشاً فانْثَنَى هَرَباً   تَصَرّفَتْ بِكَ في آثَارِهِ الهِمَمُ[(٦)]

عَلَيْكَ هَزْمُهُمُ في كلّ مُعْتَرَكٍ   وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عارٌ إذا انهَزَمُوا[(٧)]

أمَا تَرَى ظَفَراً حُلْواً سِوَى ظَفَرٍ   تَصافَحَتْ فيهِ بِيضُ الهِنْدِ وَاللِّمَمُ[(٨)]

يا أعدَلَ النّاسِ إلّا في مُعامَلَتي   فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ والحكَمُ[(٩)]

---

(١) غرته أي طلعته . يقول : إن كان حبه جامعاً لنا أي كنا كلنا مشتركين فيه فليتنا نقتسم مواهبه بمقدار ذلك الحب حتى ينال كل منا ما يستحقه .

(٢) الشيم : الأخلاق . أي أنه نزل به في السلم وصحبه في الحرب فكان في الحالين أحسن الناس وكانت أخلاقه أحسن ما فيه .

(٣) يممته قصدته . يقول : إن العدو الذي قصدته ففر منك خوفاً على نفسه يعد فوته ظفراً لك به لكن في هذا الظفر أسفاً لأنك لم تدركه وفي هذا الأسف نعمة لأنك قد حجبت دماء رجالك .

(٤) جمع بهمة والمراد بها هنا الجيش . أي أن خوف عدوك منك قد ناب عنك في قتاله وهزيمته فصنع لك ما لا تصنعه الجيوش لأنه بلغك الفوز من غير أن تباشر القتال .

(٥) يواريهم يسترهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم . يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفيه ما يكفي غيره من الظهور عليهم .

(٦) رمت طلبت . وانثنى ارتد . وهرباً حال . أي أكلما هزمت جيشاً حملتك همتك على اقتفاء آثاره وهو استفهام تعجب .

(٧) يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك في الحرب ولا عار عليك إذا انهزموا فلم تدركهم .

(٨) بيض الهند السيوف . واللمم جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن . أي لا يحلو لك الظفر على العدو حتى تتمكن من قتلهم وتتلاق سيوفك وشعورهم .

(٩) الحاكم . أي أنا إنما أخاصم فيك وأنت خصمي في هذه المخاصمة وأنت الحاكم فيها وإذا كان الخصم هو الحاكم فكيف ينتصف منه .

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ... أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ[1]

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنْيا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ والظُّلَمُ[2]

سَيَعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا ... بأنّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي ... وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ[3]

أنَامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاهَا وَيخْتَصِمُ[4]

وَجاهِلٍ مَدّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي ... حَتى أتَتْهُ يَدٌ فَرّاسَةٌ وَفَمُ[5]

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً ... فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يَبْتَسِمُ[6]

وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي من هَمّ صَاحِبِها ... أدرَكْتُهَا بجَوَادٍ ظَهْرُه حَرَمُ[7]

رِجلاهُ في الرّكضِ رِجلٌ وَاليدانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُريدُ الكَفُّ وَالقَدَمُ[8]

---

(١) الضمير من أعيذها يرجع إلى نظرات وهي تفسير له . يقول : أعيذ نظراتك الصادقة أي التي تصدقك حقائق المنظورات أن تخدعك في التمييز بيني وبين غيري ممن يتظاهرون بمثل فضلي وهم براء منه . والشحم والورم مثل لما يتشابه ظاهره وهو في الحقيقة على طرفي نقيض .

(٢) الناظر العين يعني أن الفرق بينه وبين غيره ظاهر مثل الفرق بين النور والظلمة فينبغي أن لا يستويا في عين البصير .

(٣) انسداد الأذن . يقول : قد شاع فضلي بين الناس ولم يبق فيهم إلا من عرف مزيتي وبلغه ذكري حتى رأى أدبي من لا يميز الأدب وسمع شعري من لا يعير الشعر أذناً .

(٤) ملء نائب مفعول مطلق أي أنام نوماً مالئاً جفوني . والضمير من شواردها للكلمات يريد الأشعار . وجراها بمعنى أجلها وسببها ، يقول : أنام ملء جفوني عن شوارد الشعر لأني أدركها متى شئت على السهولة وغيري من الشعراء يسهرون في تحصيلها وينازع بعضهم بعضاً على ما يظفرون به منها لعزته .

(٥) مده أي أمهله وطول له . أي اغتر بضحكي واستخفافي فاسترسل في جهله حتى بطشت به .

(٦) أي إذا كشر الأسد عن أنيابه فليس ذلك تبسماً بل قصداً للافتراس يريد أنه إذا أبدى ابتسامه للجاهل فليس ذلك رضى منه .

(٧) المهجة الروح . ومهجتي مبتدأ خبره الظرف . والهم ما اهتممت به . والجواد الفرس الكريم . والحرم ما لا يحل انتهاكه . أي ورب مهجة من هم صاحبها إتلاف مهجتي أدركتها أي هذه المهجة بجواد من ركبه أمن من أن يلحق فكأن ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٨) أي أنه لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه في الركض كأن رجليه رجل واحدة لأنه يرفعهما ويضعهما معاً وكذا يداه وهو طوع لما يراد منه ففعله في السرعة ما تريد القدم لأنه بها يستحث وفي المؤاتاة ما تريد الكف لأنه بها يعطف ويستوقف .

وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بِهِ	حتى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ[1]
ألخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني	وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ[2]
صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِداً	حتى تَعَجّبَ مني القُورُ وَالأكَمُ[3]
يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ	وِجْدانُنَا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ[4]
مَا كانَ أخلَقَنَا مِنكُمْ بتَكرِمَةٍ	لَوْ أنّ أمْرَكُمُ مِن أمرِنَا أَمَمُ[5]
إنْ كانَ سَرّكُمُ ما قالَ حاسِدُنَا	فَمَا لجُرْحٍ إذا أرْضاكُمُ ألَمُ[6]
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ	إنّ المَعارِفَ في أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ[7]
كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِزُكمْ	وَيَكْرَهُ اللهُ ما تَأتُونَ وَالكَرَمُ[8]
ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي	أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ[9]

---

(١) المرهف السيف الرقيق الحد وهو معطوف على ما قبله . والجحفل الجيش الكثير .

(٢) البيداء الفلاة . ويروى في مكان تعرفني تشهد لي وفي مكان السيف والرمح الضرب والطعن وروى الواحدي والحرب والضرب .

(٣) الفلوات القفار . والقور جمع قارة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء . ويروى الغور وهو المطمئن من الأرض . والأكم جمع أكمة وهي الجبل الصغير .

(٤) أي إذا فارقناكم ووجدنا كل شيء فوجدانه والعدم سواء لأنه لا يغني غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .

(٥) أخلقنا أحرانا . وأمم قريب . يقول : ما كان أحرانا ببركم وتكرمتكم لو كان أمركم في الاعتقاد لنا على نحو أمرنا في الاعتقاد لكم أي لو تقارب ما بيننا بالحب لكرمتمونا لأنا أهل للتكرمة .

(٦) يقول : إن كان قد سركم ما قاله فينا الحاسد وتناولنا به عندكم من السعاية والقدح فنحن راضون بذلك تقرباً من رضاكم وميلا إلى ما يسركم فإن الجرح الذي يرضيكم لا نجد له ألماً .

(٧) بيننا خبر مقدم عن معرفة . وقوله لو رعيتم ذاك اعتراض والإشارة إلى مضمون الجملة أي لو رعيتم أن بيننا معرفة . والنهى العقول . والذمم العهود . يقول : إن لم يكن بيننا ذمة يجب حفظها فإن بيننا معرفة لو رعيتم حصولها لم ترضوا بضياعها فإن المعارف عند ذوي العقول بمنزلة الذمم التي لا تضاع .

(٨) قوله يكره الله استئناف . وتأتون أي تفعلون . يقول : كم تطلبون أن تجدوا لي عيباً تعتذرون به في مقاطعتي فيعجزكم وجوده ، وهذا الذي تفعلونه يكرهه الله لأنه اعتداء ويكرهه ما فيكم من الطبع الكريم لأني لم أقدم إلا ما يوجب مكافأتي بالجميل .

(٩) يقول : ما تلتمسونه فيَّ من العيب والنقصان بعيد عني مثل بعد الشيب عن الثريا فما دامت الثريا لا تشيب ولا تهرم فأنا لا يلحقني عيب ولا نقصان .

لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صَواعِقُهُ يُزيلُهُنّ إلى مَن عِنْدَهُ الدِّيَمُ[1]

أرى النّوَى يَقتَضيني كلَّ مَرْحَلَةٍ لا تَستَقِلّ بها الوَخّادَةُ الرُّسُمُ[2]

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيراً عَنْ مَيامِنِنا لَيَحْدُثَنّ لمَنْ وَدّعْتُهُمْ نَدَمُ[3]

إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ[4]

شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ بِهِ وَشَرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[5]

وشَرُّ ما قَنَصَتْهُ رَاحَتي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ والرَّخَمُ[6]

بأيّ لَفْظٍ تَقُولُ الشّعْرَ زِعْنِفَةٌ تَجُوزُ عِندَكَ لا عُرْبٌ وَلا عَجَمُ[7]

هَذا عِتابُكَ إلّا أنّهُ مِقَةٌ قد ضُمّنَ الدُّرَّ إلّا أنّهُ كَلِمُ[8]

★ ★ ★

---

(١) الديم الأمطار . يشبه سيف الدولة بالغمام وسخطه بالصواعق وبره بالمطر . يقول : أنالنى سخطه وأذاه وأنال غيري رضاه وبره فليته يحيل هذا الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان .

(٢) النوى البعد . ويقتضيني أي يطالبني وعداه إلى اثنين على تضمينه معنى يكلفني . والوخادة السريعة السير . والرسم جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الأرض بأخفافها . أي أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة بعيدة لا تقوم بقطعها الإبل السريعة الشديدة .

(٣) اللام من قوله لئن موطئة لقسم محذوف ومن قوله ليحدثن رابطة لجواب القسم . وضمير تركن للوخادة . وضمير جبل عن يمين الراحل إلى مصر من الشام . والمعنى لئن لحقت ركابي بمصر ليندمن سيف الدولة على فراقي .

(٤) أي إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك فكأنهم هم الراحلون عنك .

(٥) يعيب .

(٦) الشهب جمع أشهب وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم طائر ضعيف . يشير إلى تسوية سيف الدولة بينه وبين غيره من خساس الشعراء يقول : إذا ساواني في أخذ مواهبك من لا قدر له فأي فضل لي عليه .

(٧) الزعنفة الجماعة من الأوباش . وتجوز من جواز الدرهم وهو رواجه والجملة نعت . وعرب نعت آخر . وروى بعضهم تخور عندك من خوار البقر ، قال الواحدي : وهو تصحيف وإن كان صحيحاً في المعنى . يقول : هؤلاء الأوباش من الشعراء بأي لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً لأنهم ليست لهم فصاحة العرب ولا كلامهم أعجمي تفهمه الأعجام أي أنهم ليسوا شيئاً .

(٨) المقة المحبة . والضمير من أنه مقة للعتاب ومن أنه كلم للدر . يقول : هذا عتاب مني لك إلا أنه لا يخرج عن المودة والحب كما هي العادة في مثله وقد ضمنته الدر إلا أن هذا الدر من درر الكلم .

.. سمع سيف الدولة هذه الرائعة الغاضبة العاتبة . دون أن تستفزه أو تثير غضبه .. بل لقد أُعجب بها وهزته معانيها . وما تضمنته من تعبيرات جزلة تمثل ذروة القدرة على الإبداع في النظم .. رغم ما أثاره أبو فراس الحمداني من مناكفات بيزنطية .. بل ورغم تحفز بعض حاضري المجلس لقتل المتنبي عند إنشاده البيت القائل :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي   فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

.. لم يلتفت سيف الدولة إلى شيء من ذلك .. وإنما سارع إلى التعبير عن إعجابه بالقصيدة ورضاه على المتنبي بتقريبه منه وتقبيل رأسه ومنحه جائزة مقدارها ألف دينار أتبعها بألف دينار أخرى .

وكيف لا تعجب مثل هذه الرائعة سيف الدولة .. وغير سيف الدولة .. وكل بيت فيها يجسد معاني جمة للعلاقات الانسانية كما يمثل جانباً منها سعي السفلة من الوشاة على من يحسدونه أو يحقدون عليه لما يناله من حظوة أو عطاء بدعوى الحب الكاذب .. ويجدون بكل أسف من يسمع منهم ويستمع لوشايتهم دون التدبر في الدوافع أو حتى إعطاء الطرف الآخر فرصة التوضيح وتفنيد ما قد قيل في حقه من مزاعم وافتراءات باطلة ...

.. رضي سيف الدولة .. فارتضى أبو الطيب البقاء .. ولو إلى حين . قال الواحدي في نفح الطيب : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً « من ذلك اليوم المشهود الذي ألقى فيه رائعته » فتلقاه الغلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية فخلع عليه ونضح بالطيب ثم أدخل على سيف الدولة فسأله عن حاله وهو مستحي ، فقال أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحب إلي من الحياة عند غيرك . فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعا له ، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة فقال أبو الطيب يمدحه بعد ذلك بقصيدة أنشده إياها في شعبان (سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة) . ويقول في مستهلها :

أجابَ دَمعي وما الدّاعي سوَى طَلَلٍ دَعَا فَلَبّاهُ قَبلَ الرَّكبِ وَالإبِلِ[1]

ظَلِلْتُ بَينَ أُصَيْحابي أُكَفكِفُهُ وَظَلّ يَسفَحُ بَينَ العُذْرِ وَالعَذَلِ[2]

أشكُو النّوَى ولهُمْ من عَبرَتي عجبٌ كذاكَ كنتُ وما أشكو سوَى الكِلَلِ[3]

وَمَا صَبابَةُ مُشْتاقٍ على أمَلٍ مِنَ اللّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بلا أمَلِ[4]

متى تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيارَتَهَا لا يُتْحِفُوكَ بغير البِيضِ وَالأسَلِ[5]

وَالهَجْرُ أقْتَلُ لي مِمّا أُراقِبُهُ أنَا الغَريقُ فَما خَوْفي منَ البَلَلِ[6]

مَا بالُ كُلّ فُؤادٍ في عَشيرَتِهَا بهِ الذي بي وَما بي غَيرُ مُنتَقِلِ[7]

مُطاعَةُ اللّحْظِ في الألحاظِ مالِكَةٌ لمُقْلَتَيْها عَظيمُ المُلْكِ في المُقَلِ[8]

---

(١) الطلل ما تلبد من آثار الدار . والركب جماعة الراكبين . يقول : إن طلل الأحبة استدعى بكاءه بدروسه فلباه بدمعه قبل سائر أصحابه وقبل الإبل يريد أن الإبل أيضاً تعرف ذلك الطلل وتبكي عليه .

(٢) أكفكفه أي أكفه مرة بعد أخرى . ويسفح يسيل . يقول : ظللت أكفكف الدمع خوفاً من ملام أصحابي وظل الدمع يسيل بين عذرهم ولومهم لا يبالي بشيء منهما .

(٣) النوى البعد . والعبرة الدمع . وقوله وما أشكو حال من ضمير كنت . والكلل جمع كلة وهي الستر الرقيق . أي يتعجبون من بكائي للفراق ولا عجب في ذلك فإني كنت على مثل ما يرون من البكاء أو كانت عبرتي تجري كذلك حين كانت المحبوبة بقربي لا يحجبها عني غير الستور فكيف الآن وقد حجبها عني البعد .

(٤) الصبابة رقة الشوق . وقوله كمشتاق أي كصبابة مشتاق فحذف المضاف . يعني أن من فارق محبوبه وهو يأمل لقاءه يتعلل بذلك الأمل فيكون أخف اشتياقاً ممن لا أمل له في اللقاء .

(٥) البيض السيوف . والأسل الرماح . يخاطب نفسه يقول : إن محبوبته ممنعة بأسلحة قومها فإذا زارهم لأجلها كانت تحفتهم له السيوف والرماح يعني أن الوصول إليها متعذر لما يتعرضه من شوكة قومها وأنفتهم .

(٦) يريد بما يراقبه ما يتوقع من بأس قومها يقول : هجرها أقتل لي من سلاحهم فإذا كنت مقتولا بالهجر لم أبال بعده بالسلاح . والغريق مثل أي من غرق بجملته في الماء لم يخف من البلل .

(٧) أجود ما يتناول في هذا البيت أنه يدعي بلوغه في حبها مبلغاً لا يمكن أن يبلغه أحد ما لم ينتقل إليه منه ، وهذا وجه التعجب في البيت . يقول : ما لي أرى كل قلب من قلوب عشيرتها فيه من حبها مثل ما في قلبي مع أن ما في قلبي باق فيه لم ينتقل عنه إلى غيره . والمعنى أنها قد بلغت مبلغاً من الجمال حببها إلى كل أحد حتى بلغ فيها كل قلب أقصى مبلغ من الغرام .

(٨) أي أن لحظها مطاع من بين ألحاظ الحسان إذا دعا أحداً إلى هواها لبى مطيعاً فهي مالكة بين ذوات القناع تعلوهن جمالا ودلا ومقلتاها مالكتان في دولة المقل لهما من دونها الأمر النافذ .

تَشَبَّهُ الخَفِراتُ الآنِسَاتُ بهَا ... في مَشيِهَا فيَنَلنَ الحُسنَ بالحِيَلِ[1]
قَدْ ذُقْتُ شِدّةَ أيّامي وَلَذّتَهَا ... فَمَا حَصَلْتُ على صابٍ وَلا عَسَلِ[2]
وَقَد أراني الشّبابُ الرّوحَ في بَدَني ... وَقد أراني المَشيبُ الرّوحَ في بَدَلي[3]

وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الحَيّ مُرْتَدِياً ... بصاحِبٍ غَيرِ عِزْهاةٍ وَلا غَزِلِ[4]
فَبَاتَ بَينَ تَراقِينَا نُدَفّعُهُ ... ولَيسَ يَعلَمُ بالشّكوَى وَلا القُبَلِ[5]
ثمّ اغْتَدَى وَبِهِ مِنْ دِرْعِهَا أثَرٌ ... على ذُؤابَتِهِ وَالجَفْنِ وَالخِلَلِ[6]
لا أكْسِبُ الذِّكْرَ إلّا مِنْ مَضارِبه ... أوْ مِنْ سِنَانٍ أصَمِّ الكَعْبِ مُعتَدِلِ[7]

ويمضي في مدح سيف الدولة .. ثم يعرض بشاعر آخر أخذ من مجد الجاهليين من أجداد سيف الدولة وسيلة لمدحه واعتبر ذلك عجزاً وَعِيّاً إذ يقول :

(١) الخفرات الحييات . والآنسات الطيبات النفوس . أي أنهن يقصرن عن محاسنها فيتشبهن بها في مشيتها ويرين مثل دلها فيكسبن شيئاً من حسنها بالاحتيال .

(٢) الصاب شجر مر . أي مرت بي حلاوة الدهر ومرارته ثم انقضت الحالتان كلتاهما فكأني لم أذق منهما صاباً ولا عسلا .

(٣) أي إنما كنت حياً حينما كنت شاباً فلما شبت فارقتني لذة الحياة فكأني مت وانتقل روحي إلى جسم آخر .

(٤) طرقه أتاه ليلا . والعزهاة الذي لا يرغب في النساء . والغزل الذي يحب محادثتهن . يريد بالصاحب السيف وانه جعله موضع الرداء والسيف لا يوصف بالميل إلى النساء ولا بالميل عنهن .

(٥) التراقي أعلى عظام الصدر . أي بات السيف بينهما وهما متعانقان يدفعه كل منهما عن جانبه وهو لا يعلم بما يجري بينهما من شكوى الاشتياق والقبل . يشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر وانه حين زارها لم يخلع السيف عنه .

(٦) اغتدى بمعنى غدا . والدرع الذي تلبسه المرأة . ويروى من ردعها وهو أثر الطيب . والمراد بذؤابة السيف حمائله . والجفن الغمد . والخلل جمع خلة وهي ما يغشى به الغمد . أي اغتدى السيف وقد علقت به آثار الطيب من ثوبها فعمت حمائله وغمده وغشاءه .

(٧) المضارب جمع مضرب وهو حد السيف . والسنان نصل الرمح . والأصم الصلب وهو نعت لمحذوف أي سنان رمح أصم الكعب وهو العقدة بين الأنبوبين . أي لا أطلب الشرف إلا من حد السيف أو سنان الرمح .

وَالمَـدْحُ لابنِ أبي الهَيْـجاءِ تُنجِدُهُ بالجـاهِلِيّـةِ عَينُ العِيّ وَالخَطَـلِ[١]

لَيْتَ المَدائحَ تَسْتَوْفي مَنَـاقِبَـهُ فَمـا كُلَيْـبٌ وَأهْـلُ الأعصُـرِ الأُوَلِ[٢]

خُـذْ ما تَراهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعَـةِ البَـدرِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ[٣]

وَقد وَجـدتَ مـكانَ القَوْلِ ذا سَعَةٍ فإنْ وَجَدْتَ لِسـاناً قائِـلًا فَقُـلِ[٤]

إنّ الهُمَامَ الذى فَخْرُ الأنَامِ بِهِ خيرُ السّيوفِ بكَفّيْ خَيْرَةِ الدّوَلِ[٥]

تُمسِي الأمانيُّ صَـرْعَى دونَ مَبْلَغه فَمَـا يَقُـولُ لشيءٍ لَيتَ ذلكَ لي[٦]

.. ويواصل مدح سيف الدولة والثناء على مكارمه وشجاعته إلى أن يخاطبه بقوله :

يا أيّها المُحسِنُ المَشكورُ من جهتي وَالشـكرُ من قِبَلِ الإحسانِ لا قِبَلي[٧]

---

(١) ابن أبي الهيجاء سيف الدولة . وتنجده تعينه والجملة حال . والعي العجز عن الكلام . والخطل فساد المنطق . قال الواحدي : هذا تعريض بأبي العباس النامي فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا في الجاهلية ، يقول : إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين العي . وتمام الكلام في الأبيات التالية .

(٢) مناقبه فضائله . يقول : ليت الشعراء يستوفون ذكر مناقبه الكثيرة فكيف يتفرغون لذكر كليب وأهل الزمان القديم وأين مكان أولئك منه .

(٣) ويروى في طلعة الشمس . أي امدحه بما تراه منه واترك ما سمعت به من شرف أجداده فان من ظهر له البدر استغنى بطلعته ونوره عن زحل وهو نجم بعيد خفي .

(٤) ويروى مجال القول . يقول : قد وجدت من كثرة مآثر الممدوح وشهرتها مكاناً واسعاً للقول فإن وجدت لساناً يقدر على وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئاً تقوله . والمعنى انه لا ينقصه شيء يمدح به وإنما ينقصه لسان يقوم بمدح ما فيه .

(٥) الهمام الملك العظيم الهمة . وخيرة مؤنث خير بمعنى أفضل لما ألقوا الهمزة من أوله استسهلوا تأنيثه بالتاء لأنه قد أشبه سائر الصفات . والمعنى ان هذا الهمام الذي يفتخر به الخلق لكونه فيهم هو أفضل السيوف في كف أفضل الدول يعني دولة الخليفة .

(٦) الأماني جمع أمنية وهي الشيء الذي تتمناه . وصرعه طرحه على الأرض ويقال تركته صريعاً أي قتيلا والجمع صرعى . شبه الأماني بالطرائد . يقول : إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته لأن همته أبعد شوطاً منها فلم يبق في الدنيا شيء يستحق أن يتمناه لأن كل شيء في قبضة إمكانه .

(٧) أي لا فضل لي في الشكر فإن إحسانك عندي هو الناطق بشكرك الحامل لي على إذاعة برك .

ما كانَ نَوْميَ إلّا فَوْقَ مَعْرِفَتي ... بأنّ رَأيَكَ لا يُؤتَى مِنَ الزَّلَلِ[1]

أقِلْ أنِلْ أقطِعِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ ... زِدْ هَشَّ بَشَّ تفضّلْ أَدْنِ سُرَّصِلِ[2]

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... فَرُبّمَا صَحّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ[3]

وَمَا سَمِعْتُ وَلا غَيرِي بمُقْتَدِرٍ ... أذَبَّ مِنكَ لزُورِ القَوْلِ عن رَجُلِ[4]

.. والسبب في ذلك كما يقول أبو الطيب في الأبيات الأخيرة من القصيدة هو الحلم .. والكرم المتأصل :

لأنّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلّفُهُ ... ليسَ التكحّلُ في العَينَينِ كالكَحَلِ[5]

---

(١) وروى ابن جني بعد معرفتي . يقول : إني كنت واثقاً بأصالة رأيك وأنه لا يعرض له الزلل فيؤتى من جهته ولذلك لم أسكن ولم يأخذني نوم إلا بعد هذه المعرفة ويقيني بأن الحساد لا يعجلونك عن الرفق في أمري ولا يستزلون رأيك بوشاياتهم .

(٢) يقال أقاله عثرته أي تاركه إياها . والإنالة الإعطاء . وأقطعه أرض كذا إذا جعل له غلتها رزقاً . واحمل من قولهم حمله على فرس ونحوها أي جعلها ركوبة له . وعلاه وأعلاه بمعنى أي ارفع منزلتي . وسل من التسلية وهي إذهاب الغم . وأعد أي أعدني إلى ما كنت عليه من حسن رأيك . وزد أي زدني من إحسانك . وهش إليه وبش أي ابتسم إليه وآنسه . والإدناء التقريب . وسر من المسرة . وصل من الصلة وهي العطية أو خلاف القطيعة . قيل إن سيف الدولة وقع تحت قوله أقل أقلناك وتحت أنل يحمل إليه كذا من الدراهم وتحت اقطع قد أقطعناك الضيعة الفلانية وهي ضيعة بباب حلب وتحت عل قد رفعنا مقامك وتحت سل قد فعلنا فاسل وتحت أعد قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا وتحت زد يزاد كذا وتحت تفضل قد فعلنا وتحت أدن قد أدنيناك منا وتحت سر قد سررناك وتحت صل قد وصلناك وسنصلك . قيل وكان حينئذ بحضرة سيف الدولة شيخ ظريف يقال له المعقلي فحسد المتنبي وقال لسيف الدولة قد أجبت كل ما سألك فهلا وقعت تحت هش بش هيء هيء هيء يعني حكاية الضحك ، فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

(٣) أي لعل عتبك يكون سبباً لتحقق وفائي وإخلاصي في خدمتك ويقطع عني ألسنة الحساد فأحمد عواقبه كما أن من العلل ما قد يكون سبباً لصحة الأجسام وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها .

(٤) غيري معطوف على ضمير المتكلم وهو جائز للفصل بلا كما في نحو ما أشركنا ولا آباؤنا . وبمقتدر صلة سمعت . وأذب تفضيل من قولهم ذب عنه أي دفع . يقول : ما سمعت ولا سمع غيري بملك قادر يقدر على إنفاذ العقوبة التي يريدها من غير معارض ثم يتولى الذب عمن يغتاب عنده زوراً ولا يسرع إلى تصديق ما وشي به إليه .

(٥) تكلفه أي تتكلفه . والكحل ، بفتحتين ، سواد الجفون خلقة . وهذا تعليل لما ذكره في البيت السابق أي إنما تفعل ذلك لأنك مطبوع على الحلم لا متكلف له فهو قار فيك لا يزدهيه الغضب ولا يستخفه كلام القائلين . ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للمصنوع والمطبوع .

وَمَا ثَنَاكَ كَلامُ النّاسِ عَنْ كَرَمٍ   وَمَنْ يَسُدّ طَرِيقَ العارِضِ الهطِلِ[1]
أنتَ الجَوادُ بِلا مَنٍّ وَلا كَدَرٍ   وَلا مِطالٍ وَلا وَعْدٍ وَلا مَذَلِ[2]
أنتَ الشّجاعُ إذا ما لم يَطأْ فَرَسٌ   غَيرَ السَّنَوّرِ والأشلاءِ وَالقُلَلِ[3]
وَرَدَّ بَعضُ القَنَا بَعضاً مُقارَعَةً   كأنّها مِنْ نُفُوسِ القَوْمِ في جَدَلِ[4]
لا زِلْتَ تضرِبُ من عاداكَ عن عُرُضٍ   بعاجِلِ النّصرِ في مُستأخِرِ الأجَلِ[5]

.. وقد بلغ الإعجاب بهذه القصيدة حداً أطلق قريحة المتنبي لأن يقول هذه الأبيات الثلاثة :

إنّ هَذا الشّعرَ في الشّعْرِ مَلَكْ   سارَ فَهوَ الشّمْسُ وَالدّنيا فَلَكْ[6]
عَدَلَ الرّحْمَنُ فيهِ بَيْنَنَا   فَقَضَى باللّفْظِ لي وَالحَمْدِ لكْ[7]
فإذا مَرّ بِأُذْنَيْ حَاسِدٍ   صارَ مِمّنْ كانَ حَيّاً فَهَلَكْ[8]



(١) ثناك ردك . والعارض السحاب المعترض في نواحي الأفق . والهطل المتتابع المطر العظيم القطر .
(٢) الجواد الكريم . ومننت على فلان إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له كأن تقول له أعطيتك كذا وفعلت لك كذا وعطف الكدر عليه للتأكيد . والمطال بالكسر المماطلة . والمذل الضجر يقال مذلت بكذا .
(٣) السنور لباس من جلد كالدرع . والأشلاء جمع شلو بالكسر وهو الجسد . والقلل الرؤوس . أي أنت الشجاع في مثل هذه الحال التي تنخلع فيها قلوب الشجعان .
(٤) رد معطوف على لم يطأ . والجدل المجادلة . أي وحين تتقارع الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أربابها .
(٥) عن عرض أي كيفما اتفق . يقول : لا زلت تضرب أعداءك كيفما وجدتهم مقبلين أو مدبرين بنصر عاجل في أجل مستأخر .
(٦) في الشعر أي بينه . والملك واحد الملائكة وأصله ملأك فتركت همزته تخفيفاً ونقلت حركتها إلى اللام . أي هو أعلى من سائر الشعر فمنزلته من غيره كمنزلة الملائكة من البشر .
(٧) أي قسمه الرحمن بيننا قسمة عادلة فحكم بلفظه لي وبالحمد الذي فيه لك .
(٨) أي إذا تلي على سمع حاسد لي من الشعراء أو حاسد لك من الحكام مات من الحسد لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله وما فيه من المناقب لم يمدح به أحد سواك .

.. وفي إحدى المناسبات ينشد المتنبي بين يدي سيف الدولة أبياتاً شعرية قصيرة يخفى بعض ما فيها من معاني على نفر من حاضري المجلس فيقول المتنبي في ذلك :

أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ العَرَبِ الأصِيلِ ... وَكانَ بقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِيلي[١]
فَعَارَضَهُ كَلامٌ كانَ مِنْهُ ... بمَنْزِلَةِ النّسَاءِ مِنَ البُعُولِ[٢]
وَهذا الدُّرُّ مَأمُونُ التّشَظّي ... وَأنْتَ السّيْفُ مأمُونُ الفُلُولِ[٣]
وَلَيسَ يَصِحّ في الأفهامِ شيءٌ ... إذا احتَاجَ النّهارُ إلى دَليلِ[٤]

★ ★ ★

.. ويواصل المتنبي مدح سيف الدولة .. فيقول في مستهل إحدى قصائده التي لا يعنينا منها غير هذه الأبيات .

لعَيْنَيْكِ ما يَلقَى الفُؤادُ وَمَا لَقي ... وللحُبّ ما لم يَبقَ منّي وما بَقي[٥]
وَما كنتُ ممّنْ يَدْخُلُ العِشْقُ قلبَه ... وَلكِنّ مَن يُبصِرْ جفونَكِ يَعشَقِ[٦]
وَبينَ الرّضَى وَالسُّخطِ وَالقُرْبِ وَالنَّوَى ... مَجَالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرَقرِقِ[٧]

---

(١) القيل بمعنى القول . أي الذي أتيت به هو الكلام العربي الأصيل وكان بياني فيه مطابقاً لما عاينته وإن تسامحت في الإيضاح اعتماداً على دلالة الحال والمشاهدة .

(٢) أي ينحط عنه كما تنحط النساء عن منزلة الرجال .

(٣) التشظي التفرق . والفلول جمع فل وهو الثلمة . يريد بالدر شعره أي أن هذا النظم لا وهن فيه فهو كالدر الذي لا يتقطع لمتانة سلكه وكذلك أنت فإنك السيف الذي لا ينفل بكثرة الضرب .

(٤) ويروى في الأذهان . أي أن كلامي ظاهر ظهور النهار ومن كان لا يدرك النهار إلا بدليل يدله عليه لم يصح في فهمه شيء لأنه لا فهم له .

(٥) اللام من قوله لعينيك للتعليل . وفي قوله للحب . يروى وللشوق . أي جميع بلائي في الحب ما قاسيته منه وما أقاسيه هو لأجل عينيك لأنهما سبب فتنة الهوى وحبك مستول على جسمي يذيبه ويفنيه فما لم يبق مني وهو الذاهب وما بقي كلاهما له .

(٦) أراد ولكنه بضمير الشأن فحذفه وجزم بعده على الشرط .

(٧) النوى البعد . والمقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض . وترقرق الدمع إذا تردد في الجفن . أي أنه يبكي في جميع هذه الأحوال فعينه تدمع عند سخط الحبيب أو بعده لأجلهما وعند رضاه خوفاً من السخط وعند قربه خوفاً من البعد .

وَأحلى الهَوَى ما شكّ في الوَصْلِ رَبُّهُ ... وَفي الهجرِ فَهْوَ الدّهرَ يَرْجو وَيَتّقي[١]

وَغضْبَى من الإدلالِ سكرَى من الصِّبَا ... شَفَعْتُ إلَيها مِنْ شَبَابي بِرَيِّقِ[٢]

وَأشنَبَ مَعْسُولِ الثّنِيّاتِ وَاضِحٍ ... سَتَرْتُ فَمي عَنهُ فَقَبّلَ مَفْرِقي[٣]

وَأجيادِ غِزْلانٍ كجيدِك زُرْنَني ... فَلَمْ أتَبَيّنْ عاطِلاً مِنْ مُطَوَّقِ[٤]

وَما كلّ مَن يهوَى يَعِفّ إذا خَلا ... عَفَافي وَيُرْضي الحُبّ وَالخَيلُ تلتقي[٥]

سَقَى اللهُ أيّامَ الصِّبَا ما يَسُرّهَا ... وَيَفْعَلُ فِعْلَ البَابِليّ المُعَتَّقِ[٦]

إذا ما لَبِسْتَ الدّهْرَ مُستَمِتعاً بِهِ ... تَخَرّقْتَ وَالمَلْبُوسُ لم يَتَخَرّقِ[٧]

وَلم أرَ كالألحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ ... بَعثنَ بكلّ القتل من كلّ مُشفِقِ[٨]

---

(١) ربه صاحبه . والدهر ظرف . يقول : أعذب الهوى ما كان صاحبه واقفاً موقف الشك بين رجاء الوصل وخوف الهجر لأنه إذا تيقن الوصل ضعفت لذة اغتنامه له وإذا يئس منه فقد لذة الرجاء .

(٢) شفعت من الشفاعة . وريق الشباب أوله . جعلها غضبى أي ترى من نفسها الغضب دلالا على عاشقها وقد عبث بها سكر الصبا فزادها زهواً واختيالا . ثم إنه جعل شبابه شفيعاً إليها على حد قول الآخر :

كفاك بالشيب ذنباً عند غانية ... وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

(٣) الأشنب البارد الأسنان وهو معطوف على غضبى . والمعسول الذي جعل فيه العسل . والثنيات الأسنان التي في مقدم الفم . والواضح المشرق . والمفرق موضع افتراق الشعر من الرأس . أي ورب محبوب بارد الأسنان حلو ريق الثنايا مشرق الوجه سترت فمي عنه عفة كي لا يقبلني فقبل رأسي إجلالا لي .

(٤) الأجياد جمع جيد وهو العنق . والعاطل الذي لا حلي عليه . يريد بالغزلان النساء الحسان أي أنه لم ينظر إليهن فلم يعرف العاطل من المطوق لعفته ونزاهته .

(٥) يريد أنه مع شدة عفافه وتصونه حتى في أوقات الخلوة ليس بعزهاة ولكن في قلبه صبوة من الغرام يذكرها حتى في الحرب حين لا يشتغل أحد إلا بمحبته فيرضي الحب في تلك الحال .

(٦) ما يسرها مفعول ثان لسقى . والبابلي المنسوب إلى بابل من المعتقات . أي سقاها ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل المعتقة وفي الكلام مجاز لا يخفى لأن الأيام ليست مما يسقى .

(٧) يقول : الدهر مشتمل على أهله اشتمال الثوب على لابسه إلا أن هذا الثوب لا يرث ولا يبلى فمن لبسه واستمتع به أفناه وبقي هو على جدته .

(٨) الكاف من قوله كالألحاظ اسم بمنزلة مثل مفعول به . وقوله بعثن حال . أي كانوا يلحظوننا يوم الرحيل لحظاً أوجع القلوب بما دل عليه من شدة البث والأسف على مفارقتنا فكان لحظهم يبعث إلينا بالقتل من أناس يشفقون علينا ولا يريدون قتلنا .

أدْرَنَ عُيُوناً حائِراتٍ كأنّهَا مُرَكَّبَةٌ أحْداقُهَا فَوْقَ زِئْبِقِ[1]
عَشيّةَ يَعْدُونَا عَنِ النّظَرِ البُكَا وعن لَذّةِ التّوْديعِ خوْفُ التّفَرّقِ[2]
نُوَدّعُهُمْ وَالبَينُ فينَا كأنّهُ قَنَا ابنِ أبي الهَيْجاءِ في قلبِ فَيلَقِ[3]
قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسجُ داوُدَ عندَها إذا وَقَعَتْ فيهِ كَنَسْجِ الخَدَرْنَقِ[4]

★ ★ ★

.. طاب السهر .. وتموسق المجلس بأنغام الشعر .. فأخذ سيف الدولة يتذكر ويردد أبياتاً لشيخه أبي ذر الذي هو سهل بن محمد الكاتب . ثم طلب من المتنبي إجازتها ..

والأبيات التي تغنى بها سيف الدولة هي :

يا لائمي كف الملام عن الذي أضناه طول سقامه وشقائه
إن كنت ناصحه فداو سقامه وأعنه ملتمساً لأمر شفائه
حتى يقال بأنك الخل الذي يرجى لشدة دهره ورخائه
أو لا فدعه فما به يكفيه من طول الملام فلست من نصحائه
نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي في حبه لم أخش من رقبائه
الشمس تطلع من أسرة وجهه والبدر يطلع من خلال قبائه

---

(١) الضمير من أدرن للمعشوقات دل عليهن المقام . والأحداق جمع حدقة وهي سواد العين . يقول : أكثرن من تقليب أعينهن لشدة ما أخذهن من الحيرة والوجد لفراقنا فكانت أعينهن لكثرة اضطرابها كأن أحداقها مركبة على زئبق .

(٢) يعدونا يمنعنا . أي كان البكاء يمنعنا من النظر لامتلاء العيون بالدمع وما أخذنا من خوف الفراق يعترض لذة اجتماعنا للوداع فيمنعنا من اغتنامها .

(٣) البين البعد . والقنا الرماح . والفيلق الجيش . أي للبعد فينا وجد يفتك في القلوب كما تفتك رماح الممدوح في جيوش أعدائه .

(٤) قواض أي قواتل وهو خبر عن محذوف ضمير القنا . ومواض نوافذ . والمراد بنسج داود الدروع . والخدرنق العنكبوت . أي إذا وقعت في دروع الأبطال خرقتها إليهم كما تخرق نسج العنكبوت .

.. وحلق المتنبي .. كما هو دائماً .. فأجاز هذه الأبيات بمقطوعة ارتجلها لحينه .. أتى فيها على ذكر محامد سيف الدولة وشجاعته إذ يقول :

أَلقَلْبُ أعلَمُ يا عَذُولُ بدائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بجَفْنِهِ وبمَائِهِ[1]

فَوَمَنْ أُحِبّ لأعْصِيَنّكَ في الهَوى قَسَماً بِهِ وَبحُسْنِهِ وَبَهائِهِ

أأُحِبّهُ وَأحِبّ فيهِ مَلامَةً ؟ إنّ المَلامَةَ فيهِ من أعْدائِهِ[2]

عَجِبَ الوُشاةُ منَ اللُّحاةِ وَقوْلِهِم دَعْ ما نَراكَ ضَعُفْتَ عن إخفائِهِ[3]

ما الخِلّ إلّا مَنْ أوَدُّ بِقَلْبِهِ وَأرَى بطَرْفٍ لا يَرَى بسَوَائِهِ[4]

إنّ المُعِينَ عَلى الصّبَابَةِ بالأسَى أوْلى برَحْمَةِ رَبّهَا وَإخائِهِ[5]

مَهْلًا فإنّ العَذْلَ مِنْ أسْقَامِهِ وَتَرَفّقاً فالسّمْعُ مِنْ أعْضائِهِ[6]

وَهَبِ المَلامَةَ في اللّذاذَةِ كالكَرَى مَطْرُودَةً بسُهادِهِ وَبُكَائِهِ[7]

---

(١) يقول للعاذل القلب أعلم منك بدائه وما يشفيه وأحق منك بالتسلط على جفنه وماء جفنه لأنهما له . يريد أن القلب يعلم أن شفاءه في البكاء فهو يأمر الجفن بذلك والعاذل ينهاه عنه وإذا وجبت طاعة أحد الفريقين فطاعة القلب أولى لأنه ملك الأعضاء يصرفها كما يهوىٰ .

(٢) الاستفهام للإنكار وهو واقع على الجمع بين الفعلين لا على كل منهما على حدته . أي أن الملامة فيه إنما هي النهي عن حبه والصرف عن موالاته ففيها معنى العداوة له ومن أحب حبيباً لم يجمع بين حبه وحب عدوه .

(٣) الوشاة السعاة . واللحاة اللوام . وقولهم عطف على اللحاة . أي أن اللحاة يقولون له دع هذا الحب الذي لا تطيق كتمانه فيعجب الوشاة من قولهم هذا لأنه إذا غلب عليه الحب حتى يعجز عن كتمانه فهو عن تركه أعجز . وإنما خص الوشاة إشارة إلى أنه لا يرى حوله إلا لاحياً أو واشياً فهو أبداً بين هذين الفريقين .

(٤) الطرف أي العين . وسواء بمعنى غير تمد مع فتح السين وتقصر مع كسرها . أي ليس الصديق إلا من إذا وددت أحداً وده وإذا رأيت شيئاً على حال رآه على تلك الحال عينها حتى كأني أود بقلبه وأرى بعينه .

(٥) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . وربها أي صاحبها والضمير للصبابة . أراد أن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها فاستعان على ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذكر ما يسوءه وكان أولى في إعانته بأن يرحمه من شقائه ويؤاخيه في بلواه حتى يكون مبثاً لشكايته .

(٦) يقول : ترفق أيها العاذل فإن العذل من جملة أسقام هذا المحب والأذن من جملة أعضائه التي يتعلق بها السقم فإذا عذلته فقد جلبت عليه سقماً .

(٧) هب بمعنى احسب . والكرى النعاس . والسهاد السهر .

لا تَعْـذُلِ المُشْتَاقَ في أشْـواقِـهِ حتى يَـكونَ حَشاكَ في أحْشائِهِ[1]
إنّ القَتيلَ مُضَرَّجاً بدُمُـوعِــهِ مِثْلُ القَتيـلِ مُضَـرَّجاً بِدمائِـهِ[2]
وَالعِشْقُ كالمَعشُـوقِ يَعذُبُ قُـرْبُهُ للمُبْتَلَـى وَيَنَــالُ مِنْ حَوْبَائِــهِ[3]
لَوْ قُلْـتَ للدّنِفِ الحَـزينِ فَدَيْتُهُ مِمّــا بِهِ لأغَـرْتَــهُ بِفِـدائِــهِ[4]
وُقيَ الأمـيرُ هَوَى العُيُونِ فإنّهُ مَـا لا يَـزُولُ ببَـأسِـهِ وسَخَـائِهِ[5]
يَسْتَـأسِـرُ البَطَـلَ الكَمِيَّ بنَـظْرَةٍ وَيَحُـولُ بَينَ فُـؤادِهِ وَعَـزائِــهِ[6]
إنّي دَعَوْتُكَ للنّـوائِبِ دَعْــوَةً لم يُـدْعَ سامِعُهَا إلى أكْفَائِـهِ[7]
فأتَيْـتَ مِنْ فَوْقِ الزّمانِ وَتَحْتِهِ مُتَصَلْصِلًا وَأمَـامِـهِ وَوَرائِــــهِ[8]
مَنْ للسّيُـوفِ بأنْ يكـونَ سَمِيَّهَـا في أصْلِـهِ وَفِـرِنْـدِهِ وَوَفَـائِـهِ[9]

---

(١) أي حتى تجد ما يجده . ويروى لا تعذر فتكون لا نافية .

(٢) مضرجاً حال من ضرج الثوب إذا صبغه بالحمرة . ومثل خبر . يشير إلى أن دموع العاشق تجري دماً . يقول : القتل إنما يكون باستفراغ الدم فمن استفرغ دمه من طريق الدمع مثل من استفرغ دمه من طريق الجراح .

(٣) روحه . وقوله وينال حال . أي أن عشق الحبيب مستلذ عند العاشق فيحلو له كقرب الحبيب وإن كان يتلف روحه .

(٤) الدنف ذو المرض الثقيل الملازم . وأغرته حملته على الغيرة . أي لو قلت له ليت الذي بك من السقم والحزن كان بي لغار من هذا الفداء لأنه لا يحب مفارقة العشق وإن شقيت به حاله . والبيت مبني على الذي قبله .

(٥) يدعو للممدوح بالسلامة من الهوى فإنه متى استحوذ عليه لم يستطع دفعه بشجاعته وجوده لأنه غالب لا يرد ومالك لا يدفع .

(٦) ضمير يستأسر للهوى استعمله في موضع يأسر . والكمي لابس السلاح . ويحول يعترض . أي أنه يأسر البطل الشاكي السلاح ويذهب بصبره وجلادته حتى لا يترك بين فؤاده والعزاء سبيلا .

(٧) النوائب شدائد الدهر . والأكفاء الأقران والنظراء . يريد بسامعها سيف الدولة يعني أنه أشد بطشاً من نوائب الدهر فإذا دعاه لدفعها لم يكن مدعواً إلى أكفائه .

(٨) متصلصلا أي له صلصلة من وقع الحديد . يقول : لما استجرت بك من الزمان أحطت به دوني وحبسته عني من جميع جهاته فلم تترك له سبيلا إلي .

(٩) يقال من لي بكذا أي من يكفل لي به ونحوه . وفرند السيف جوهره استعاره للممدوح لأنه مسمى باسم السيف . والمعنى هو شريك السيوف في التسمية فمن لها أن يكون شريكها في أصله وأخلاقه .

طُبِـعَ الحَـديـدُ فكانَ مِنْ أجْنَاسِهِ وَعَلـيٌّ المَطْبُـوعُ مِنْ آبَـائِــهِ[1]

.. وقد انبهر سيف الدولة بالقصيدة وما فيها من عذوبة وإبداع خيال .. فطلب من المتنبي المزيد فما كان منه إلا أن استجاب على التَّوِّ بقوله :

عَـذْلُ العَواذِلِ حَـوْلَ قَلبي التّائِهِ وَهَوَى الأحِبّةِ مِنْهُ في سَوْدائِهِ[2]
يَشْـكُو المَـلامُ إلى اللّـوائِمِ حَـرَّهُ وَيَصُـدّ حينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرَحائِهِ[3]
وبمُهْجَتي يا عَـاذِلي المَلِكُ الـذي أسخَـطتُ أعـذَلَ مِنكَ في إرْضائِهِ[4]
إنْ كانَ قَدْ مَلَكَ القُـلُوبَ فإنّهُ مَلَكَ الزّمَـانَ بأرْضِـهِ وَسَـمائِـهِ[5]
ألشّـمسُ مِـنْ حُسّـادِهِ وَالنّصْـرُ من قُرَنائِهِ وَالسّـيفُ مِنْ أسمَـائِـه
أينَ الثّـلاثَةُ مِنْ ثَلاثِ خِـلالِـهِ مِنْ حُسْـنِـهِ وَإبَائِـهِ وَمَضـائِــهِ[6]
مَضَـتِ الدّهُـورُ وَمَـا أتَينَ بمِثْلِهِ وَلَقَدْ أتَى فَعَجِزْنَ عَنْ نُظَرَائِهِ[7]

★ ★ ★

(١) طبع السيف ضربه . أي سيوف الحديد مطبوعة من الحديد فهي تنزع إلى ما طبعت منه وسيف الدولة ينزع إلى آبائه في المجد والكرم .

(٢) عذل العواذل مبتدأ والظرف بعده الخبر . والتائه المتحير . وسوداء القلب العلقة السوداء في جوفه كأنها قطعة كبد . أي أن العذل حول قلبه والهوى في داخله فلا يبلغ هذا إلى حيث يبلغ ذاك . ويروى قلب التائه بالإضافة .

(٣) الضمير من حره وبرحائه للقلب . والبرحاء وزان شعراء من برحاء الحمى وهي شدة أخذها . أي أن الملام يشكو إلى اللوائم حرارة قلبي لشدة ما يجد فيه من لواعج الهوى فإذا لمنني أعرض اللوم عن ورود قلبي مخافة أن تمسه ناره .

(٤) المهجة الروح والباء للتفدية . والملك يجوز فيه الرفع والنصب وقد مر مثله . يريد بالملك سيف الدولة وهو اقتضاب عدل به عن النسيب إلى المديح . يقول للعاذل : أفدي بروحي هذا الملك الذي أسخطت في سبيل إرضائه من كان أشد عذلا منك أي لم أفارقه ولم أقصد غيره مع شدة ما ورد علي من اللوم في حبه وخدمته .

(٥) الباء من بأرضه بمعنى مع . يقول : لا عجب ان ملك قلوب الناس فإنه قد ملك الزمان بما فيه . وأراد بالسماء الأفلاك التي تنسب إليها السعود والنحوس أي أن ذلك يجري على مقادير مشيئته لأنه يجعل أصحابه في السعود وأعداءه في النحوس .

(٦) يريد بالثلاثة الشمس والنصر والسيف المذكورات في البيت السابق . والخلال الخصال . والإباء الامتناع . أي أنه أحسن من الشمس وأشد إباء للذل من النصر وأمضى عزيمة من السيف .

(٧) أمثاله . أي لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما جاء عجز أن يأتي له بنظير .

.. ويخلو سيف الدولة إلى نفسه فيستذكر أسراره التي يأتمن عليها بعض أصدقائه ويخشىٰ مغبة إفشائهم لها .. فترد على ذهنه بيتان من الشعر في هذا المعنى للعباس بن الأحنف هما :

أمني تخاف انتشار الحديث وحظي في ستره أوفر[1]
ولو لم أصنه لبقيا عليك نظرت لنفسي كما تنظر

.. فيبعث بها مع رسول له . إلى المتنبي لإجازتهما فيدرك المتنبي بفطنته ما خامر نفس سيف الدولة من شكوك .. فيؤكد له في إجازته لِبَيْتَيْ ابن الأحنف . أن إفشاء السر غدر والحر لا يمكن أن يغدر مطلقاً إذ يقول :

رِضاكَ رِضايَ الّذي أُوثِرُ وَسِرُّكَ سِرّي فَما أُظْهِرُ[2]
كَفَتْكَ المُرُوءَةُ ما تَتّقي وَآمَنَكَ الوُدُّ مَا تَحْذَرُ[3]
وَسِرُّكُمُ في الحَشَا مَيّتٌ إذا أُنْشِرَ السّرُّ لا يُنْشَرُ[4]
كَأنّي عَصَتْ مُقْلَتي فيكُمُ وَكَاتَمَتِ القَلْبَ مَا تُبْصِرُ[5]
وإفشَاءُ مَا أنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنَ الغَدْرِ وَالحُرُّ لا يَغْدُرُ[6]

---

(١) أوفر أتم . والبقيا اسم من أبقى عليه أي رحمه . أي لو لم أصن حديثك رحمة لك من ظهوره لنظرت إلى نفسي كما تنظر أنت إلى نفسك فصنته رحمة لنفسي وخوفاً من أن يفسد أمري معك إذا اطلع الناس على ما بيننا .

(٢) أوثر أختار والعائد محذوف أي أوثره . وقوله فما أظهر استفهام للإنكار . يقول : إذا أرضاك أمر فرضاك به هو رضاي الذي اختاره وسرنا واحد فأي شيء أظهر منه أي لا أظهر سرك لأنه سري .

(٣) كفاه الأمر أغناه عن معاناته . والمروءة مصدر المرء ويراد بها كرم الأخلاق وعلو الهمة . وتتقي بمعنى تحذر . يقول : أنت أمين من إفشائي لسرك لأني ذو مروءة وذو المروءة لا يفشي سراً وأنا مع ذلك محب لك والمحب لا يفعل ما يسوء حبيبه .

(٤) أنشر من النشور وهو بعث الأموات يوم القيامة . يقول : سركم في قلبي كالميت الذي لا يحيا في هذه الدنيا بعد موته .

(٥) كاتمته سري أي كتمته عنه . يقول : كأن مقلتي عصت قلبي في حبكم وكتمت عنه ما رأت منكم فلم أعلمه وإذا كنت لم أعلم ذلك فكيف أظهره .

(٦) إفشاء مبتدأ خبره الظرف . والحر بمعنى الكريم .

إذا مَا قَدَرْتُ عَلى نَطْقَةٍ فإنّي عَلى تَرْكِها أقْدَرُ[١]
أُصَرّفُ نَفْسِي كَمَا أشْتَهي وَأمْلِكُهَا وَالقَنَا أحْمَرُ[٢]
دَوَالَيْكَ يا سَيْفَهَا دَوْلَةً وَأمْرَكَ يا خَيرَ مَنْ يَأمُرُ[٣]
أتَاني رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلًا فَلَبّاهُ شِعْرِي الذي أذْخَرُ
وَلَوْ كانَ يَوْمَ وَغًى قاتِماً لَلَبّاهُ سَيْفيَ وَالأشْقَرُ[٤]
فَلا غَفَلَ الدّهْرُ عَن أهْلِهِ فإنّكَ عَينٌ بهَا يَنْظُرُ[٥]

★ ★ ★

.. ظفر سيف الدولة بعدوه الذي كان يُحارب المسلمين في ديارهم . فانطلقت قريحة المتنبي تتغنى بهذا النصر وتمدح صانعه في قصيدة طويلة يقول في مستهلها :

لَيَاليّ بَعْدَ الظّاعِنِينَ شُكُولُ طِوالٌ وَلَيْلُ العاشِقينَ طَويلُ[٦]
يُبِنَّ ليَ البَدْرَ الذي لا أُريدُهُ وَيُخْفِينَ بَدْراً مَا إلَيْهِ سَبيلُ[٧]
وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعدِ الأحِبّةِ سَلوَةً وَلَكِنّني للنّائِبَاتِ حَمُولُ[٨]

---

(١) النطقة المرة من النطق . يريد أنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل والكتمان ترك ومن قدر على فعل شيء فهو على ترك فعله أقدر .

(٢) القنا الرماح . يريد أنه ضابط لنفسه يصرفها كما يهوى ويملكها في مواقع الحرب حين تخضب الرماح بالدم أفلا يملكها في كتمان السر .

(٣) دواليك مفعول مطلق نائب عن عامله أي دل دولة بعد دولة . ودولة تمييز . وأمرك مفعول مطلق أيضاً أي مر أمرك .

(٤) اسم كان ضمير الرسول وخبرها محذوف دل عليه ما قبل أي ولو كان أتاني . والقاتم المغبر وهو نعت يوم . أي ولو جاءني رسولك يدعوني في يوم حرب مظلم للبيته بسيفي ومهري .

(٥) يقول : أنت عين الدهر التي ينظر بها إلى الناس فإذا هلكت غفل الدهر عنهم فدعا له بأن لا يغفل كناية عن أن لا يفقد هذه العين .

(٦) الظاعنين الراحلين . وشكول جمع شكل بمعنى شبيه . يقول : ليالي بعدهم متشاكلة في الطول وطول الليل كناية عن السهر أي أنه لم يطرأ عليه السلو بتقادم عهدهم ولم تصر لياليه قصاراً لأنه لا يزال يحييها بالسهر كما هو شأن العاشقين .

(٧) الضمير في الفعلين لليالي . ويريد بالبدر الأول القمر وبالثاني الحبيب .

(٨) سلوة مفعول له . والنائبات مصائب الدهر . أي إنما أعيش بعدهم تصبراً لا سلواً .

وَإنّ رَحِيلًا وَاحِداً حَالَ بَيْنَنَا   وَفي المَوْتِ مِنْ بَعدِ الرّحيلِ رَحيلُ[1]

إذا كانَ شَمُّ الرَّوحِ أدْنَى إلَيْكُمُ   فَلا بَرِحَتْني رَوْضَةٌ وَقَبُولُ[2]

وَمَا شَرَقي بالمَاءِ إلّا تَذَكّراً   لمَاءٍ بِهِ أهْلُ الحَبيبِ نُزُولُ[3]

يُحَرّمُهُ لَمْعُ الأسِنّةِ فَوْقَهُ   فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إلَيْهِ وَصَولُ[4]

أما في النّجوم السّائراتِ وغَيرِهَا   لِعَيْني عَلى ضَوْءِ الصّباحِ دَليلُ[5]

ألَمْ يَرَ هذا اللّيْلُ عَيْنَيْكِ رُؤيَتي   فَتَظْهَرَ فيهِ رِقّةٌ وَنُحُولُ[6]

لَقيتُ بدَرْبِ القُلّةِ الفَجْرَ لَقْيَةً   شَفَتْ كَبِدي وَاللّيْلُ فِيهِ قَتيلُ[7]

وَيَوْماً كأنّ الحُسْنَ فيهِ عَلامَةٌ   بعَثْتِ بهَا والشّمسُ منكِ رَسُولُ[8]

---

(١) حال اعتراض والجملة خبر . يقول : إن ارتحالهم عني ارتحال واحد فإذا مت من وجدي بهم حدث لي عنهم ارتحال آخر يريد أنه يتصبر على بعدهم خوفاً من أن يشفع فراقهم بفراق الحياة فيزداد بعداً عنهم .

(٢) الروح نسيم الريح . وأدنى أي أشد إدناء فبني أفعل من المزيد . وبرحتني فارقتني . والقبول ريح الصبا . يقول : إذا كان تشمم النسيم يدنيني إليكم بأن يذكرني منازلكم فلا فارقتني روضة طيبة وريح لينة تحمل إلي روائحها .

(٣) الشرق الغصص . وتذكراً حال سدت مسد الخبر وضع المصدر موضع الوصف . ونزول جمع نازل . يقول : إذا شربت الماء شرقت به لأني أتذكر الماء الذي نزل أهل الحبيب عنده فلا يسوغ لي الماء الذي أشربه .

(٤) الأسنة نصال الرماح . والظمآن العطشان . يقول : ذلك الماء ممنوع عن وارده بالرماح المركوزة حوله فلا يصل إليه عطشان . وأشار بهذا إلى عزة قوم الحبيب وامتناعه بينهم فلا يقدر على زيارته .

(٥) في النجوم خبر مقدم على قوله دليل في آخر البيت . يشير إلى طول ليله واستبطائه لظهور الصبح . يقول : أليس في هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلني على الصباح فاهتدي إليه وأتخلص من هذا الليل الطويل .

(٦) يقول : ألم ينظر هذا الليل إلى عينيك كما نظرت إليهما أنا فيفتتن بهما افتتاني وتظهر فيه الرقة والنحول فينكشف عني .

(٧) درب القلة موضع وراء الفرات . والدرب كل مدخل إلى بلاد الروم . والقلة أعلى الجبل . وقوله والليل فيه قتيل حال ويروى شفت كمدي . أي أنه بدا له الفجر عند هذا المكان فاشتفت كبده بانصرام الليل كما يشتفي العدو بنكبة عدوه وجعل الليل قتيلا لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبهها بالدم .

(٨) يوماً عطف على الفجر . أي ولقيت بعد ذلك الليل الكريه يوماً جميل الطلعة تذكرت به محاسنك فكأن حسنه علامة منك قد بعثت بها وجعلت رسولها الشمس لأنها هي التي جاءت بذلك الحسن .

.. ويمضي أبو الطيب في وصف المعارك التي خاضها سيف الدولة وشجاعته التي حققت النصر على العدو وسبي نسائه والظفر بابنه .. ثم يتحدث عن نفسه ومكانة شعره الذي يحسده عليه المنافسون ليردف ذلك بحكمة معبرة إذ يقول :

أُعَادَى على ما يُوجِبُ الحُبَّ للفَتى ... وَأهْدَأُ وَالأفكارُ فيّ تَجُولُ[١]

سِوَى وَجَعِ الحُسّادِ داوِ فإنّهُ ... إذا حَلّ في قَلْبٍ فَلَيسَ يحُولُ[٢]

وَلا تَطْمَعَنْ من حاسِدٍ في مَوَدّةٍ ... وَإنْ كُنْتَ تُبْديهَا لَهُ وَتُنيلُ[٣]

وَإنّا لَنَلْقَى الحادِثاتِ بأنْفُسٍ ... كَثيرُ الرّزايا عندَهنّ قَليلُ

يَهُونُ عَلَيْنَا أنْ تُصابَ جُسُومُنَا ... وَتَسْلَمَ أعْراضٌ لَنَا وَعُقُولُ

★ ★ ★

.. ويمرض سيف الدولة بدمل أصابه ، وليس في هذا ما يهمنا بشيء . وإنما تعنينا تلك المعاني التي ضمنها مستهل قصيدته التي نظمها خلال عيادته لسيف الدولة .. ويقول فيها :

أيَدْري ما أرَابَكَ مَنْ يُريبُ ... وَهَل تَرْقى إلى الفَلَكِ الخطوبُ[٤]

وَجِسمُكَ فَوْقَ هِمّةِ كلّ داءٍ ... فَقُرْبُ أقَلّها منهُ عَجيبُ[٥]

(١) أي إنما يعادونني على فضلي وهو مما يوجب لي الحب لا العداوة وأهدأ عن التعرض لهم وأفكارهم جائلة في تلتمس مني ريبة يرمونني بها .

(٢) سوى مفعول داو . يقول : لا تشتغل بمداواة الحسد فإنه داء عياء إذا حل في قلب أحد فلا مطمع في زواله .

(٣) تعطي . أي أن الحاسد لا يطمع في مودته لأنه لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذلها له من نفسه حقيقة . ويجوز أن يراد بقوله تنيل معنى الهبة أي لا يود ذا نعمة ولو أظهر له المودة وشاركه في نعمته بالعطاء .

(٤) أرابه أوقع به أمراً يقلقه ويحدث عنده الشك في عاقبته . وترقى تصعد . والخطوب الحوادث . يقول : أيدري هذا الدمل الذي أقلقك أي الناس يقلق وهو استفهام تعجب واستعظام . ثم قال متعجباً : وهل تصعد حوادث الدهر إلى الفلك فجعل الممدوح كالفلك لرفعة شأنه وشرف همته .

(٥) أقلها أي أقل الأدواء . فرد الضمير على المجموع المستفاد من المعنى ويجوز أن يكون عائداً على كل . يقول : جسمك أعلى منزلة من أن تبلغه الأدواء بهمتها وسيرها فمن العجب أن يقربه أقل شيء منها .

يُجَمّشُكَ الزّمانُ هَوىً وحُبّاً ... وَقد يُؤذَى مِنَ المِقَةِ الحَبيبُ[1]
وَكَيفَ تُعِلُّكَ الدّنْيا بشَيْءٍ ... وَأنْتَ لِعِلّةِ الدّنْيَا طَبيبُ[2]

★ ★ ★

.. ويشفى سيف الدولة .. فيسارع المتنبي إلى زيارته مهنئاً بهذه المقطوعة المعبرة :

ألمَجْدُ عُوفيَ إذْ عُوفيتَ وَالكَرَمُ ... وَزَالَ عَنكَ إلى أعدائِكَ الألَمُ[3]
صَحّتْ بصِحّتكَ الغاراتُ وَابتَهَجتْ ... بها المكارِمُ وَانهَلّتْ بها الدِّيَمُ[4]
وَرَاجَعَ الشّمسَ نُورٌ كانَ فارَقَهَا ... كأنّمَا فَقْدُهُ في جِسْمِهَا سَقَمُ[5]
وَلاحَ بَرْقُكَ لي من عارِضَيْ مَلِكٍ ... ما يَسقُطُ الغَيثُ إلّا حينَ يَبتَسِمُ[6]
يُسْمَى الحُسامَ ولَيستْ من مُشابَهَةٍ ... وَكيفَ يَشتَبِهُ المَخدومُ وَالخَدَمُ[7]
تَفَرّدَ العُرْبُ في الدّنْيا بمَحْتِدِهِ ... وَشارَكَ العُرْبَ في إحسانِهِ العَجَمُ[8]
وَأخْلَصَ اللهُ للإسْلامِ نُصْرَتَهُ ... وَإنْ تَقَلّبَ في آلائِهِ الأُمَمُ[9]
وَمَا أُخُصّكَ في بُرْءٍ بتَهْنِئَةٍ ، ... إذا سَلِمْتَ فكُلّ النّاسِ قد سَلِموا

★ ★ ★

---

(١) التجميش شبه المغازلة وهو الملاعبة بين الحبيبين . والمقة المحبة . يقول : الزمان لم يرد بك شراً ولكن الذي أصابك تجميش منه لحبه إياك وشغفه بك ورب حب كان سبباً لإيذاء المحبوب .

(٢) يقول : أنت طبيب الدنيا الشافي لعللها وفساد أهلها فكيف تقصد إعلالك وأنت طبيبها .

(٣) يريد أن الأعداء يتألمون بصحته لعوده بعد ذلك إلى غزوهم كما أومأ إليه في البيت التالي .

(٤) الضمير من بها في الموضعين للصحة . وانهلت سالت . والديم جمع ديمة وهي مطر يدوم أياماً في سكون .

(٥) أي أن الشمس فقدت نورها أيام مرضه وكان فقد ذلك النور كأنه سقم لها . والبيت مجاز يريد أن الشمس فقدت بهجتها في عيون أوليائه لاغتمامهم لعلته فلما شفي عاد إليها حسنها .

(٦) العارضان صفحتا الوجه . يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساماً فلاح لي منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبتسم فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحييها .

(٧) يشتبه بمعنى يتشابه . أي هو أشرف من السيف وان استويا في الاسم لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم .

(٨) المحتد الأصل . والعجم كل من ليس بعربي . يقول : هو عربي الأصل فالعرب منفردون بشرف أصله لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه لأنه شامل للجميع .

(٩) الآلاء النعم . يقول : نصرته خاصة بتأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم .

.. في عيد الفطر وقد شملت مكارم سيف الدولة وعطاياه الجميع .. يسارع المتنبي للتهنئة بالعيد والثناء على من كان العطاء السخي بعض صفاته فيقول :

أَلصَّوْمُ وَالفِطْرُ وَالأَعْيادُ وَالعُصُرُ مُنيرَةٌ بكَ حتى الشَّمسُ والقَمَرُ[1]

تُرِي الأهِلَّةَ وَجْهاً عَمَّ نَائِلُهُ فَما يُخَصّ بِهِ من دُونِها البَشَرُ[2]

ما الدّهرُ عندَكَ إلّا رَوْضَةٌ أُنُفٌ يا مَنْ شَمَائِلُهُ في دَهْرِهِ زَهَرُ[3]

مَا يَنتَهي لكَ في أيّامِهِ كَرَمٌ فَلا انْتَهَى لكَ في أعْوامِهِ عُمُرُ[4]

فإنّ حَظّكَ من تَكْرَارِها شَرَفٌ وَحَظّ غَيرِكَ منها الشّيبُ والكِبَرُ[5]

★ ★ ★

.. وتمضي الليالي والأيام . ويحل عيد الأضحى المبارك فيسارع المتنبي إلى سيف الدولة حيث هو بالميدان على فرسه . ويقف هو الآخر على فرسه إلى جانبه وينشد قصيدة مطولة يقول في مستهلها :

لكُلّ امرِىءٍ مِنْ دهْرِهِ ما تَعَوّدَا وعادَةُ سيفِ الدّوْلةِ الطعنُ في العِدى

وَأنْ يُكذِبَ الإرْجافَ عنهُ بضِدّهِ وَيُمْسِي بمَا تَنوي أعاديهِ أسْعَدَا[6]

---

(١) الفطر ، بالكسر ، الاسم من الإفطار . والعصر ، بضمتين ، بمعنى العصر وهو الدهر ويأتي أيضاً جمعاً له وهو من النوادر . وحتى عاطفة ولذلك رفع ما بعدها . يقول : كل هذه منيرة بك حتى الشمس والقمر اللذان يستضاء بهما .

(٢) النائل العطاء . أي لا يختص البشر بنائلك فقد أنلت الأهلة بوجهك كمال النور فعم هذا النائل البشر والكواكب .

(٣) الأنف ، بضمتين ، التي لم ترع . والشمائل الأخلاق . يقول : الدهر بحضرتك كالروضة الأنف التي توفرت محاسنها وتم جمالها وأخلاقك كالزهر على هذه الروضة فهي أحسن ما فيها .

(٤) ما نافية . والضمير من أيامه وأعوامه للدهر . وقوله فلا انتهى إلى آخر دعاء .

(٥) الضمير من تكرارها للأعوام . وروى ابن جني وحظ غيرك منه برد الضمير إلى التكرار . يقول : حظك من تكرار السنين استزادة الشرف بما تجدد من المكارم وحظ غيرك ممن لا مكارم لهم الشيب والهرم . ويروى النوم والسهر .

(٦) أن يكذب عطف على الطعن . والإرجاف الإكثار من الأخبار الكاذبة . أي وعادته أن يكذب إرجاف أعدائه عنه بضد ذلك الإرجاف أي أنهم يرجفون بخذلانه وفشله فيكذبهم بنجاحه وظفره وهم ينوون معارضته فيتحككون به فيكون ذلك سبباً لتقدمه في السعادة لأنه يؤتى الظفر عليهم ويملك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان . ويروى بما تحوي أعاديه .

وَرُبّ مُريدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ	وَهادٍ إلَيهِ الجيشَ أهدى وما هدَى[1]
وَمُستَكْبِرٍ لم يَعرِفِ اللهَ ساعَةً	رَأى سَيْفَهُ في كَفّهِ فتَشَهّدَا[2]
هُوَ البَحْرُ غُصْ فيهِ إذا كانَ ساكناً	على الدُّرّ وَاحذَرْهُ إذا كان مُزْبِدَا[3]

★ ★ ★

.. وفي أبيات متواصلة بعد هذا يتحدث المتنبي عن قدرات سيف الدولة التي يرهب بها العدو .. وكل من يوقعه سوء حظه في مواجهته ليرفع التهنئة بعد ذلك بقوله :

هَنيئاً لكَ العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ	وَعِيدٌ لمَنْ سَمّى وَضَحّى وَعَيّدَا[4]
وَلا زَالَتِ الأعْيادُ لُبسَكَ بَعْدَهُ	تُسَلِّمُ مَخرُوقاً وَتُعْطَى مُجدَّدَا[5]
فَذا اليَوْمُ في الأيّامِ مثلُكَ في الوَرَى	كمَا كنتَ فيهِم أوْحداً كانَ أوْحَدَا
هوَ الجَدّ حتى تَفْضُلُ العَينُ أُختَهَا	وَحتى يكونُ اليَوْمُ لليَوْمِ سَيّدَا[5]

---

(١) مريد اسم فاعل من أراد . وضره مصدر ضر . وهاد من الهداية وهو عطف على مريد . وأهدى من الهدية . أي رب عدو أراد أن يضره فضر نفسه بتعرضه لبأسه وقاد إليه الجيش على نية أن يوقع به فصار الجيش غنيمة له فكأنه أهدى إليه هدية .

(٢) قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ . أي رب كافر يستكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده فجهر بالإيمان خوفاً منه .

(٣) على الدر أي لأجله . وأزبد البحر إذا قذف بالزبد عند جيشانه . يقول : هو موضع النفع والضرر فمن جاءه موادعاً فاز بإحسانه ومن جاءه مغاضباً لم يأمن الهلكة فهو كالبحر إذا سكن أمكن إتيانه والغوص على ما فيه من الجواهر وإن ماج وأزبد وجب التحذر منه .

(٤) هنيئاً حال من العيد محذوفة العامل أي ثبت لك هنيئاً ثم حذف الفعل فارتفع فاعله بها . وسمى أي ذكر اسم الله يعني عند ذبح الضحايا . يقول : أنت عيد لهذا العيد لأنه يبتهج بك ابتهاج الناس بالعيد وأنت عيد لكل مسلم .

(٥) اللبس ، بالضم ، ما يلبس استعاره للأعياد فأجراها مجرى الملبوسات أي لا زلت تستدبر العيد القديم فتستقبل الجديد .

(٦) هو ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد . والجد الحظ والبخت . وحتى في الشطرين ابتدائية . يقول : الحظ يفرق بين الشيء وما يساويه فيجعل لأحدهما مزية على الآخر حتى لقد يقع التفاضل بين العين وأختها بأن تصح إحداهما وتسقم الأخرى ويكون لأحد اليومين شرف على الآخر حتى يكون منه بمنزلة السيد من المسود . يعني أن يوم العيد ليس إلا واحداً من أيام السنة لكن ميزه الجد من بينها فجعله يوم فرح وسرور .

فَيَا عَجَبا مِنْ دائِلٍ أنْتَ سَيفُهُ   أمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتَيْ مَا تَقَلَّدَا[١]
ومَنْ يَجعَلِ الضِّرْغامَ للصّيْدِ بازَهُ   تَصَيّدَهُ الضّرْغامُ فيما تَصَيّدَا[٢]

.. ويصف الكرم .. والحلم وما يفعلانه في الأحرار من أسر لمن يكرمهم بذلك أو العفو عنهم .. ثم يطالب سيف الدولة بإزالة حسد الحساد عنه لأن كرمه هو الذي اصطنع الضغينة في نفوسهم عليه .. وينثني ليتحدث عن المكانة التي لشعره .. وكل ذلك في أبيات هي من روائع الجواهر إذ يقول فيما بعد ذلك حتى نهاية القصيدة :

رَأيتُكَ مَحْضَ الحلْمِ في مَحْضِ قُدرَةٍ   وَلَوْ شئتَ كانَ الحِلمُ منكَ المُهنّدَا[٣]
وَما قَتَلَ الأحرارَ كالعَفوِ عَنهُمُ   وَمَنْ لكَ بالحُرّ الذي يحفَظُ اليَدَا[٤]
إذا أنتَ أكْرَمتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ   وَإنْ أنْتَ أكْرَمتَ اللّئيمَ تَمَرّدَا[٥]
وَوَضْعُ النّدى في مَوْضعِ السّيفِ بالعلى   مضرٌّ كوضْعِ السيفِ في موضعِ النّدى[٦]
وَلكنْ تَفُوقُ النّاسَ رَأياً وَحِكمَةً   كما فُقتَهمْ حالًا وَنَفساً وَمحْتِدَا[٧]

---

(١) الدائل ذو الدولة . وشفرة السيف حده . يريد بالدائل الخليفة . يقول : تقلدك الخليفة سيفاً له يقطع بك دابر أعدائه أفما يخشى أن تكون سيفاً عليه فيتوقى بأسك ويحذرك على نفسه .

(٢) الضرغام الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازاً يصيد به لم يأمن أن يجعله الأسد من جملة صيده فيذهب فريسة له . ويروى بازاً لصيده . ويروى يصيره وهو حينئذ مرفوع بضرورة الوزن .

(٣) المحض الخالص . والمهند السيف الهندي . يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز ولا تقصير ولو شئت أن تجعل السيف مكان الحلم لفعلت .

(٤) الحرية هنا بمعنى الكرم . والكاف من قوله كالعفو اسم بمنزلة مثل فاعل قتل . ومن لي بكذا أي من يكفل لي به ونحوه . واليد النعمة . ويروى يعرف مكان يحفظ . يقول : ما قتل الكريم شيء مثل العفو عنه لأنك متى قدرت عليه لم يبق بينه وبين القتل إلا إمضاء قدرتك فيه فكأنك قتلته ثم يكون الرجوع عن هذه القدرة نعمة عليه تسترقه بها فكان ذلك أبلغ في قتله . ثم استدرك في عجز البيت فذكر قلة وجود من يحفظ هذه النعمة ويستحقها .

(٥) أنت في الشطرين فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور . والبيت تأكيد لما سبقه .

(٦) الندى الجود . وبالعلى صلة مضر . يقول : ينبغي أن يوضع كل من المحاسنة والمخاشنة في موضعه فلا يعامل المسيء بالثواب لأن ذلك يبعثه على التمادي في الإساءة ويجرئ غيره عليها ولا يعامل المحسن بالعقاب لأن ذلك يوهن أسباب الإحسان ويقلل الأولياء وكلا الأمرين مضر بالعلى هادم لأركان الدولة .

(٧) المحتد الأصل . يقول : أنت أعرف بمواقع الإساءة والإحسان لأنك فوق الناس في الرأي والحكمة فلا تعارض آراؤك بآرائهم كما أنت فوقهم في بقية الأمور المذكورة فلا يضاهيك فيها أحد منهم .

يَدِقّ على الأفكارِ ما أنْتَ فاعِلٌ	فيُترَكُ ما يخفَى وَيُؤخَذُ ما بَدَا[١]
أزِلْ حَسَدَ الحُسّادِ عَنّي بكَبتِهِمْ	فأنتَ الذي صَيّرْتَهُمْ ليَ حُسّدَا[٢]
إذا شَدّ زَنْدي حُسنُ رَأيكَ فيهِمُ	ضَرَبْتُ بسَيفٍ يَقطَعُ الهَامَ مُغمَدَا[٣]
وَمَا أنَا إلّا سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ	فزَيّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا[٤]
وَمَا الدّهْرُ إلّا مِنْ رُواةِ قَصائِدي	إذا قُلتُ شِعراً أصبَحَ الدّهرُ مُنشِدَا[٥]
فَسَارَ بِهِ مَنْ لا يَسيرُ مُشَمِّراً	وَغنّى بهِ مَنْ لا يُغَنّي مُغَرِّدَا[٦]
أجِزْني إذا أُنْشِدْتَ شِعراً فإنّمَا	بشِعري أتَاكَ المادِحونَ مُرَدَّدَا[٧]
وَدَعْ كلّ صَوْتٍ غَيرَ صَوْتي فإنّني	أنَا الطّائِرُ المَحكيّ وَالآخَرُ الصّدَى[٨]
تَرَكْتُ السُّرَى خَلفي لمَنْ قَلّ مالُه	وَأنعَلْتُ أفراسي بنُعْماكَ عَسْجَدَا[٩]

(١) ظهر . أي أن ما تفعله أدق من أن تستوضحه الأفكار فهي تتناول ما ظهر لها منه فتجول فيه وتترك ما خفي منه لرأيك لأنها لا تصل إليه .

(٢) كبته أذله والباء متعلقة بأزل . يقول : أنت صيرتهم حاسدين لي بما أفضت علي من نعمتك وإحسانك فاصرف شر حسدهم عني بإذلالهم ورد كيدهم عليهم .

(٣) فيهم صلة رأيك . والهام الرؤوس . يقول : إذا قويت ساعدي بحسن رأيك فيهم أي إذا آنست منك انحرافاً عنهم كفاهم ذلك خذلاناً بين يدي حتى لو ضربتهم بسيفي وهو في غمده لقطع .

(٤) السمهري الرمح . ومعروضاً أي محمولا بالعرض وذلك حين لا يقصد به الطعن . وراع خوف . ومسدداً أي موجهاً إلى المطعون . يقول : أنا لك كالرمح إن حملته معروضاً زينك وإن حملته مسدداً راع أعداءك أي أنا حلية لك أزينك بمدحي إياك وإبرازي مناقبك وعدة على أعدائك أكيدهم بقوارع لساني .

(٥) ويروى قلائدي يريد أن قصائده في الحسن كقلائد الجوهر . يقول : الدهر من حملة شعري لأن الألسنة لا تزال تتناقله على مر الأوقات حتى كأن الدهر كله إنسان ينشد قصائدي .

(٦) مشمراً حال من الموصول قبله . وكذا مغرداً في الشطر الثاني . أي لحسن شعره أولع الناس بحفظه وروايته فسيره في الآفاق من لا يسير من مكانه وغنى به من لا عادة له بالغناء لشدة طربه واهتزازه به .

(٧) أجزني من الجائزة . ومردداً حال من شعري . يقول : إذا أنشدك شاعر شعراً فاجعل جائزته لي لأن الذي أنشدته هو شعري أتاك به المادحون يرددونه عليك ، والمعنى أنهم يسلخون معاني أشعاري فيك ويأخذون ألفاظي فيأتونك بها .

(٨) ويروى بعد صوتي . ويروى أنا الصائح وأنا الصائت وهو اسم فاعل من الصوت . يقول : لا تبال بشعر غير شعري فإن شعري هو الأصل وغيره حكاية له كالصدى الذي يحكي به صوت الصائح .

(٩) السرى مشي الليل . وخلفي متعلق بتركت . والعسجد الذهب . يقول : استغنيت عن السرى بوصولي إليك فتركته خلفي لمن أحوجه الفقر إليه وأثريت بنعمتك حتى لو شئت لأنعلت أفراسي بالذهب .

وَقَيّدْتُ نَفْسِي في ذَرَاكَ مَحَبّةً ... وَمَنْ وَجَدَ الإحْسانَ قَيْداً تَقَيّدَا [1]

إذا سَأَلَ الإنْسَانُ أيّامَهُ الغِنى ... وَكنتَ على بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدَا [2]

★ ★ ★

.. تتواكب إنتصارات سيف الدولة .. فيبعث ملك الروم بسفير يحمل رسالة يتحدث المتنبي عنها وعن السفير وما ناله خلال مقابلته لسيف الدولة صاحب الانتصارات الباهرة .. والكرم المعطاء . إذ يقول :

دُرُوعٌ لمَلْكِ الرّومِ هذي الرّسائِلُ ... يَرُدّ بهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ [3]

هيَ الزّرَدُ الضّافي علَيْهِ وَلَفْظُها ... عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضائِلُ [4]

وَأنّى اهْتَدَى هذا الرّسُولُ بأرْضِهِ ... وَما سكَنَتْ مذْ سرْتَ فيها القساطِلُ [5]

وَمن أيّ ماءٍ كانَ يَسقي جِيادَهُ ... وَلم تَصْفُ مِن مَزْجِ الدّماءِ المَناهِلُ [6]

أتَاكَ يكادُ الرّأسُ يَجْحَدُ عُنقَهُ ... وَتَنْقَدّ تحتَ الذّرْعِ منهُ المَفاصِلُ [7]

---

(١) الذرى ، بالفتح ، الستر والكنف ، وبالضم والكسر ، جمع ذروة بالوجهين وهي من كل شيء أعلاه . ومحبة مفعول له . يقول : ألزمت نفسي المقام عندك حباً لك لأنك قيدتني بإحسانك ونعم القيد الإحسان .

(٢) أيامه الغنى مفعولا سأل . أي إذا طلب الإنسان من دهره أن يغنيه وكنت بعيداً عنه وعده بالغنى عند وصوله إليك .

(٣) دروع خبر مقدم . وملك بسكون اللام مخفف ملك بكسرها . أي هذه الرسائل التي بعث بها ملك الروم إليك هي بمنزلة دروع له يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله .

(٤) الضافي والسابغ بمعنى الطويل التام . يؤكد ما ذكره في البيت السابق يقول : هذه الرسائل تقوم له مقام الزرد لأنه يتوقاك بها وقد تضمن لفظها من الخضوع والاستسلام لك ما يكون ثناء عليك ويثبت في جملة فضائلك .

(٥) أنى بمعنى كيف والاستفهام للتعجب . والقساطل جمع قسطل وهو غبار الحرب . أي كيف اهتدى في مسيره إليك وغبار جيشك منتشر في أرضه لم يسكن فيها منذ سرت لغزوهم .

(٦) الجياد الخيل . والمناهل الموارد . أي لكثرة من قتلت منهم لم يبق ماء إلا مزج بالدماء فمن أي ماء كان يسقي خيله .

(٧) يجحد ينكر . وتنقد تنقطع . ويروى تحت الذعر وهو الخوف الشديد . أي أتاك وقد داخله من خوف الإقدام عليك ما أراه القتل نصب عينيه ومثل له السيف واقعاً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه لتوهمه أنه قد انفصل منه وتكاد مفاصله تتقطع من الخوف وهي في داخل الدرع .

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّماطَينِ مَشْيَهُ — إلَيكَ إذا ما عَوّجَتْهُ الأفَاكـلُ[1]

فَقَاسَمَكَ العَينَينِ منهُ وَلَحْظَهُ — سَمِيُّكَ وَالخِلُّ الذي لا تُزايِلُ[2]

وَأبصَرَ منكَ الرّزْقَ والرّزْقُ مُطمِعٌ — وَأبصَـرَ منهُ المَوْتَ وَالمَوْتُ هَائِلُ[3]

وَقَبّلَ كُمّاً قَبّلَ التُّرْبَ قَبْلَهُ — وَكُـلُّ كَمِيٍّ وَاقِـفٌ مُتَضائِـلُ[4]

وَأسْعَدُ مُشتاقٍ وَأظْفَرُ طَالِبٍ — هُمَـامٌ إلى تَقبيلِ كُمّـكَ وَاصِلُ[5]

مَـكانٌ تَمَنّـاهُ الشّفَـاهُ وَدونَـهُ — صُـدورُ المَذاكي وَالرّماحُ الذّوَابِلُ[6]

فَمـا بَلّغَتْهُ مـا أرادَ كَـرامَـةٌ — عَلَيْكَ وَلَـكِنْ لم يخِبْ لكَ سـائِلُ[7]

وَأكْبَرَ مِنْهُ هِمّـةً بَعَـثَتْ بِهِ — إلَيْكَ العِدى وَاسْتَنْظَرَتْه الجَـحافِلُ[8]

فأقْبَلَ مِنْ أصْحابِهِ وَهوَ مُرْسَلٌ — وَعادَ إلى أصْحابِهِ وَهْوَ عاذِلُ[9]

---

(١) السماط الصف من الناس يريد صفين من الجند كانا بين يدي سيف الدولة . والأفاكل جمع أُفكل وهو الرعدة . يقول : دخل إليك بين السماطين فكان إذا تعوج مشيه من الرعدة قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فمر مستقيماً .

(٢) سميك فاعل قاسمك . وتزايل تفارق . يريد بسميه السيف وهو خليله الذي لا يفارقه . يقول : إن سيفك قاسمك عيني الرسول ونظره فكان ينظر بإحدى عينيه إليك وبالأخرى إلى السيف . وقد بين سبب هذه المقاسمة في البيت التالي .

(٣) الضمير من قوله منه للسيف . والهائل المخيف . يقول : أبصر منك الرزق فأطمعه وتخيل من سيفك الموت فهاله فتجاذبه طرفان من الطمع واليأس وقسم عينيه بين شطرين من الرجاء والمخافة .

(٤) الضمير في الفعلين للرسول . ومن قوله قبله للكم . والكمي البطل عليه السلاح . ومتضائل متصاغر . يقول : قَبّلَ كُمك بعد أن قبل الأرض والأبطال من رجالك ماثلون بين يديك متصاغرون هيبة لك .

(٥) الهمام الملك العظيم الهمة . يعني أن الرسول قد نال في ذلك شرفاً خطيراً فإن كبراء الحكام تتمنى ما بلغه من تقبيل كم سيف الدولة .

(٦) مكان خبر عن محذوف ضمير الكم . والمذاكي الخيل المسنة . أي هو مكان تتمنى الشفاه أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٧) يقول : لم تبذل له ما أراد من تقبيل كمك لكرامة له عليك ولكنه سألك ذلك وأنت لا تخيب سائلا .

(٨) أكبر ماض بمعنى استكبر وفاعله العدى . وقوله بعثت به نعت همة وأراد بعثته فأدخل عليه الباء . قالوا كل شيء ينبعث بنفسه كالعبد فان الفعل يتعدى اليه بنفسه فيقال بعثته وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به . والجحافل الجيوش . أي أن الروم استعظموا همته التي حملته إليك مع ما يعترضه من المهابة ولبثوا ينتظرون قدومه ليبلغهم جوابك .

(٩) لائم . أي اقبل من عندهم وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم فلما عاد إليهم صار لائماً لهم يعنفهم على محاربتك والطمع في معارضتك حين رأى جنودك وكثرة عددك .

تَحَيّرَ في سَيْفٍ رَبيعَةُ أصْلُهُ ... وَطابِعُهُ الرّحْمَنُ وَالمَجدُ صاقِلُ(1)
وَمَا لَوْنُهُ مِمّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ ... وَلا حَدُّهُ مِمّا تَجُسّ الأنامِلُ(2)
إذا عايَنَتْكَ الرُّسْلُ هانَتْ نُفُوسُها ... عَلَيْها وَما جاءَتْ بِهِ وَالمُرَاسِلُ(3)
رَجَا الرّومُ مَنْ تُرْجى النّوَافلُ كلّها ... لَدَيهِ وَلا تُرْجى لَدَيهِ الطّوَائِلُ(4)
فإنْ كانَ خوْفُ القَتلِ وَالأسرِ ساقَهم ... فقَد فعَلوا ما القَتلُ وَالأسرُ فاعِلُ(5)
فخافُوكَ حتى ما لقَتلٍ زِيادَةٌ ... وَجاؤوكَ حتى ما تُرَادُ السّلاسِلُ

وبعد أن يصور تضاؤل غيره من الحكام بالنسبة لسيف الدولة وفقر فكرهم وقلة عطائهم بالقياس لدهائه وكريم عطائه السخي .. يعاود وصف هذه الخلال .. وشأنه مع شانئيه فيقول :

كريمٌ متى استُوهِبْتَ ما أنتَ رَاكبٌ ... وَقد لَقِحتْ حَرْبٌ فإنّكَ نازِلُ(6)
أذا الجُودِ أعْطِ النّاسَ ما أنتَ مالكٌ ... وَلا تُعْطِيَنّ النّاسَ ما أنَا قائِلُ(7)
أفي كلّ يوْمٍ تحتَ ضِبْني شُوَيْعِرٌ ... ضَعيفٌ يُقاويني قَصِيرٌ يُطاوِلُ(8)

---

(1) ربيعة قبيلة الممدوح الذي هو سيف الدولة . وطبع السيف عمله .

(2) المقلة شحمة العين التي تجمع السواد والبياض . والأنامل رؤوس الأصابع . أراد بلون السيف فرنده وجوهره وعنى به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه وأراد بحده مضاء عزيمته وكلا الأمرين معنى يعرف بالقلب ولا يدرك بالحواس .

(3) أي إذا زارتك الرسل وشاهدت ما أنت فيه من الفخامة والمهابة احتقرت أنفسها وما أرسلت به واستصغرت الذين أرسلوها من الملوك .

(4) النوافل جمع نافلة وهي العطية يتبرع بها . والطوائل الأحقاد يقال بينهم طائلة أي عداوة وثأر . أي رجوا عفو من ترجى كل الهبات عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر .

(5) أي إن كان الذي ساقهم إليك خوفهم من القتل والأسر فهذا الخوف والانقياد هما عين ما يفعله القتل والأسر .

(6) كريم خبر عن محذوف ضمير المخاطب . ولقحت الحرب أي حقت ووقعت . يقول : أنت كريم لو سئلت فرسك وقد ثارت الحرب لنزلت عنها في تلك الحال ولم تمسكها على السائل .

(7) ويروى أخا الجود . أي اعط الناس أموالك ولا تعطهم شعري أي لا تحوجني إلى مدح غيرك .

(8) الاستفهام للتعجب والاستنكار . والضبن ما بين الإبط والكشح . وشويعر تصغير شاعر . يقول : أفي كل يوم أرى بين صغار الشعراء من يقاويني ويطاولني وهو بحيث لو أردت أن أحمله تحت ضبني لقدرت على ذلك لصغره .

لِساني بنُطْقي صامِتٌ عنهُ عادِلٌ وَقلبي بِصَمْتي ضاحِكٌ منهُ هازِلُ[١]

وَأتْعَبُ مَنْ ناداكَ مَنْ لا تُجيبُهُ وَأغيَظُ مَنْ عاداكَ مَن لا تُشاكِلُ[٢]

وَما التّيهُ طبّي فيهِم غيرَ أنّني بَغيضٌ إليّ الجاهِلُ المُتَعاقِلُ[٣]

وَأكْبَرُ تيهي أنّني بكَ وَاثِقٌ وَأكْثَرُ مالي أنّني لَكَ آمِلُ[٤]

لَعَلّ لسَيْفِ الدّوْلَةِ القَرْمِ هَبّةً يَعيشُ بها حَقٌّ وَيَهلِكُ باطِلُ[٥]

رَمَيْتُ عِداهُ بالقَوافي وَفَضْلِهِ وَهُنّ الغَوَازي السّالماتُ القَوَاتِلُ[٦]

وَقَدْ زَعَمُوا أنّ النّجومَ خَوالِدٌ وَلَوْ حارَبَتْهُ نَاحَ فيها الثّواكِلُ[٧]

وَمَا كانَ أدْناها لَهُ لَوْ أرَادَهَا وَألْطَفَهَا لَوْ أنّهُ المُتَنَاوِلُ[٨]

---

(١) الباء في الشطرين بمعنى في . أي إذا نطقت صمت لساني عنه وعدل عن مخاطبته وقلبي يضحك منه ازدراء به .

(٢) يذكر هنا سبب صمته يقول : أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد في النداء كما أن أغيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشتفي منه . والمعنى اني أتعبهم بترك الجواب كما أنهم يغيظونني بالمعاداة وهم غير أشكال لي .

(٣) التيه الكبر . وطبي أي شأني . وبغيض خبر مقدم عن المرفوع بعده والجملة خبر أن . وإلي بمعنى عندي . يقول : ليس شأني فيهم التيه والتكبر أي ليس يمنعني من مخاطبتهم التيه ولكني أبغض الجاهل الذي ينزل نفسه منزلة العقلاء فأعرض عنه كراهة له .

(٤) ويروى وأكثر تيهي . يقول : أعظم شيء أتيه به أنني واثق بحسن رأيك فيّ كما أن أكثر غناي أنني مؤمل لإحسانك .

(٥) القرم السيد . وهبة أي انتباهة . يقول : لعله ينتبه مرة لهؤلاء الشعراء وينتقد كلامهم وكلامي فيهلك باطلهم أي شعرهم ويبقى الحق وهو شعري .

(٦) القوافي أي القصائد . يقول : أذعت فضله بمدائحي فكانت كأنها خيل رميت بها أعداءه فقتلتهم حسداً فهي غواز قاتلات لمن تغزوه لكنها سالمات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٧) الفاقدات . أي يقولون إن النجوم خالدات لا يعرض لها الفناء ولو صارت أعداء له فحاربته لقتلها وأفناها فناحت بينها النوائح .

(٨) أدناها أقربها . وألطفها أي أخفها . وروى الواحدي وألطفه برد الضمير إلى الممدوح على معنى ما أحذقه وأرفقه بذلك التناول من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر أي رفيق به يعنون أنه يحسنه وليس فيه بأخرق . والنجوم في البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذي يستحيل على غيره بلوغه كما بين ذلك في البيت التالي .

قَـريبٌ عَلَيْهِ كُلُّ ناءٍ على الوَرَى إذا لَثَّمَتْـهُ بالغُبَـارِ القَنابِـلُ[1]

تُـدَبِّرُ شَرْقَ الأرْضِ وَالغرْبَ كَفُّهُ وَلَيسَ لها وَقْتاً عنِ الجُودِ شَاغِلُ[2]

يُتَبِّـعُ هُرّابَ الرِّجـالِ مُرَادَهُ فَمَنْ فَرّ حَرْباً عارَضَتْهُ الغَوَائِلُ[3]

وَمَـنْ فَرّ مِنْ إحْسَانِهِ حَسَداً لَـهُ تَلَقّـاهُ منْـهُ حَيثُـما سـارَ نَائِلُ[4]

فَتىً لا يَرَى إحْسانَهُ وَهْـوَ كامِـلٌ لهُ كامِـلًا حتى يُرَى وهوَ شَامِلُ[5]

إذا العَـرَبُ العَرْباءُ رَازَتْ نُفُوسَها فأنْـتَ فَـتَاهَا وَالمَليكُ الحُـلاحِـلُ[6]

أطاعَتْـكَ في أرْواحِـهَا وَتَصَـرّفَتْ بأمـرِكَ وَالتَفّـتْ عَلَيْكَ القَبَائِـلُ[7]

وَكُـلُّ أنَابِيبِ القَنَا مَـدَدٌ لَـهُ وَمـا يَنكُـتُ الفُرْسـانَ إلّا العَوَامِلُ[8]

رَأيتُك لوْ لم يَقتَضِ الطّعنُ في الوَغى إلَيكَ انقِياداً لاقتَضَتْهُ الشّمائِـلُ[9]

---

(١) النائي البعيد . والورى الخلق . والقنابل جماعات الخيل . أي كل ما يبعد على غيره من المطالب فإنه يكون قريباً عليه إذا طلبه بخيله فانعقد عليه الغبار من كثرتها حتى يصير له كاللثام .

(٢) لها خبر ليس . يقول : تدبير ممالك الشرق والغرب بكفه يدبرها بسيفه وقوة يده ومع كل هذا الشغل العظيم فليس له شيء يشغله وقتاً عن الجود أو ليس له وقت يشغله بما فيه عن الجود .

(٣) هراب جمع هارب . وحرباً أي من الحرب فنصبه بنزع الخافض . والغوائل المهالك تأخذ الإنسان من حيث لا يدري . يريد أن سعده يقاتل مع سيفه وينفذ مراده في أعدائه فمن فر من حربه جرى مراده على أثره فصادفته غائلة يهلك بها .

(٤) يريد أن إحسانه شامل الأرض فكيفما توجه حاسده فيها أصابه شيء من إحسانه .

(٥) وهو كامل حال من إحسانه . أي مع كون إحسانه كاملا في نفسه لا يشوبه شح ولا منّ فهو لا يعتقده كاملا بالنسبة إلى كرمه وعلو همته حتى يكون عاماً يشمل الناس كلهم . والبيت تأكيد للبيت السابق .

(٦) العرب مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور . والعرباء أي الخالصة وهو توكيد كما يقال ليلة ليلاء . ورازت اختبرت . والفتى الكريم السخي . والحلاحل السيد الركين . أي إذا اختبروا نفوسهم في الجود والإقدام علموا أنك فتاهم وسيدهم لأنك أسخاهم يداً وأعلاهم همة .

(٧) أي أطاعوك حتى لو أمرتهم ببذل أرواحهم لبذلوها في طاعتك وقد تصرفوا في حربهم وسلمهم بأمرك والتفت قبائلهم حولك أي اجتمعت لنصرتك أو أحاطت أنسابها بنسبك فأنت وسيط بينها .

(٨) الأنبوب والأنبوبة ما بين الكعبين من الرمح ونحوه . والقنا عيدان الرماح . ويقال طعنه فنكته أي ألقاه على رأسه . والعوامل جمع عامل وهو ما يلي السنان من الرمح . يشبه قبائل العرب بأنابيب الرمح وسيف الدولة بالعامل يقول : الرمح إنما يطعن بإمداد الأنابيب له ولكن العامل هو الذي يصيب الفرسان فينكتهم لأن السنان فيه وكذلك القبائل كلهم أعوان لك ولكنك أنت شوكتهم وبك يقهرون أعداءك .

(٩) الوغي الحرب . وإليك صلة انقياداً . والشمائل الأخلاق . أي لو لم يطعك الناس خوفاً منك أطاعوك حباً لشمائلك وكرمك .

وَمَنْ لم تُعَلّمْهُ لكَ الذّلّ نَفسُهُ … مِنَ النّاسِ طُرّاً عَلّمَتْهُ المَناصِلُ[1]

★ ★ ★

.. الرفق بالجاني عتاب .. ولكن الرفق الذي هو قرين العفو لا يتأتى لغير الكرام الذين يعز عليهم أن يلحق الأذى حتى بغريمهم فضلًا عن الصديق أو الرفيق .!

أبو الطيب المتنبي يتحدث عن ذلك وقد أبقى سيف الدولة على مناوئيه من بني قومه بعد انتصاره عليهم فيقول في هذه القصيدة التي هي من الجواهر :

بغَيرِكَ رَاعِياً عَبِثَ الذّئَابُ … وَغَيرَكَ صَارِماً ثَلَمَ الضِّرَابُ[2]

وَتَمْلِكُ أنْفُسَ الثّقَلَينِ طُرّاً … فكَيفَ تَحُوزُ أنفُسَها كِلابُ[3]

وَمَا تَرَكُوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ … يُعَافُ الوِرْدُ وَالمَوْتُ الشّرَابُ[4]

طَلَبْتَهُمُ عَلى الأمْوَاهِ حَتى … تَخَوّفَ أنْ تُفَتّشَهُ السّحَابُ[5]

فَبِتَّ لَيَالِياً لا نَوْمَ فِيهَا … تَخُبّ بكَ المُسَوَّمَةُ العِرابُ[6]

يَهُزّ الجَيشُ حَوْلَكَ جانِبَيْهِ … كمَا نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقَابُ[7]

---

(١) السيوف . أي من لم ترشده نفسه إلى الخضوع لك اختياراً أرشدته إلى ذلك سيوفك فخضع اضطراراً .

(٢) راعياً وصارماً منصوبان على التمييز كما في قولهم إن لنا غيرها إبلا . وأصل العبث اللعب ويقال عبث به إذا ابتذله واستباح حرمته . والصارم السيف القاطع . والضراب بمعنى المضاربة . يقول : غيرك من الرعاة تسطو عليه الذئاب فتفسد في رعيته وغيرك من السيوف يتثلم على المضاربة والجلاد . يشبهه بالراعي ويشبه هؤلاء الثائرين بالذئاب والمعنى غيرك من الحكام يعيث أهل الفتنة في رعيته ويعجز عن قتالهم وردعهم .

(٣) الثقلان الإنس والجن . وطراً بمعنى جميعاً . والضمير من أنفسها يعود على كلاب وهو اسم القبيلة . يقول : أنت تملك أنفس الخلائق بأسرها فكيف يكون لهذه القبيلة أن تملك أنفسها دونهن .

(٤) يعاف يكره ويجتنب . والورد إتيان الماء . يقول : ما تركوك حين طلبتهم عصياناً لك وابتغاء للخروج عن سلطانك ولكنهم علموا أن في ثباتهم ورود الموت ففروا بأنفسهم خوفاً منه .

(٥) أي طلبتهم متتبعاً أمواه البادية حتى خاف السحاب أن تطلبهم منه لوجود الماء فيه .

(٦) خب الفرس عدا فراوح بين يديه ورجليه والجملة خبر بت . والمسومة من الخيل المعلمة بعلامات تعرف بها . والعراب العربية .

(٧) يشبهه بالعقاب ويشبه الجيش المضطرب حوله للسير بجناحي العقاب إذا حركتهما في الطيران .

وَتَسْأَلُ عَنهُمُ الفَلَوَاتِ حتى أجابَكَ بَعضُها وَهُمُ الجَوَابُ[1]
فَقاتَلَ عَنْ حَرِيمِهِمِ وَفَرّوا نَدَى كَفّيْكَ وَالنّسَبُ القُرَابُ[2]
وَحِفْظُكَ فيهِمِ سَلَفَيْ مَعَدٍّ وَأنّهُمُ العَشائِرُ وَالصّحابُ[3]
تُكَفْكِفُ عَنهُمُ صُمَّ العَوَالي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُعْنِهِمِ الشِّعابُ[4]
وَأُسْقِطَتِ الأجِنّةُ في الوَلايَا وَأُجْهِضَتِ الحَوائِلُ وَالسِّقابُ[5]
وَعَمْرٌو في مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعْبٌ في مَياسِرِهِمْ كِعَابُ[6]
وَقَدْ خَذَلَتْ أبُو بَكْرٍ بَنِيهَا وَخاذَلَها قُرَيْطٌ وَالضِّبَابُ[7]
إذا ما سِرْتَ في آثَارِ قَوْمٍ تخَاذَلَتِ الجَماجِمُ وَالرِّقَابُ[8]

---

(١) الفلوات القفار . جعل طلبه لهم في الفلوات كالسؤال وظفره بهم كالجواب وإن لم يكن ثم سؤال ولا جواب أي ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في واحدة منها .

(٢) الحريم ما يحميه الرجل ويقاتل عنه وهو هنا كناية عن النساء . وقوله وفروا حال أي وقد فروا فحذف قد . والندى الجود وهو فاعل قاتل . والقراب بمعنى القريب . أي فروا أمامك وتركوا حريمهم في يدك فأحسنت إليه بجود كفيك وصنته عن السبي لما بينك وبين القبيلة من قرب النسب فكان جودك والنسب الذي بينك وبينهم قائمين مقام المقاتل عن حريمهم الكافل بحفظه وصيانته .

(٣) حفظك عطف على ندى كفيك . وسلفي معد مفعول الحفظ والإضافة على معنى من لأن مراده بالسلفين ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان وسيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تغلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قيس . أي حفظك للقرابة التي بينك وبينهم من جانب ربيعة ومضر ، والبيت تفسير وتقرير للنسب المذكور في البيت السابق .

(٤) تكفكف تكف مرة بعد أخرى . والصم الصلاب . والعوالي صدور الرماح . وشرقت أي غصت . والظعن النساء في الهوادج الواحدة ظعينة مثل سفينة وسفن . والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق في الجبل . أي تكف عنهم الرماح رحمة بهم وقد انهزموا وانتشرت ظعائنهم فملأت شعاب الجبال .

(٥) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه . والولايا جمع ولية وهي البرذعة أو نحوها . وأجهضت الناقة ولدها أسقطته ناقص الخلق . والحوائل الإناث من أولاد الإبل . والسقاب الذكور . أي لشدة ما لحقهم من الجهد والخوف أسقطت النساء أجنتها في براذع الإبل أي على ظهورها وألقت الإبل حملها لغير وقته .

(٦) عمرو قبيلة منهم تفرقت ذات اليمين فصارت عموراً أي صارت فرقاً شتى بعد أن كانت فرقة واحدة وكذلك كعب وهي قبيلة أخرى تفرقت ذات اليسار فصارت كعاباً .

(٧) خذله ترك نصرته . وخاذله إذا خذل كل منهما الآخر . وأبو بكر وما ذكر بعده بطون من بني كلاب وأنث أبا بكر ذهاباً إلى القبيلة أو العشيرة . والمعنى أنهم هربوا وتفرقوا فخذل بعضهم بعضاً .

(٨) أي لا عجب من تخاذل هؤلاء القبائل فإنك إذا طلبت قوماً تخاذلت رقابهم وجماجمهم أي إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من سيفك وكذلك عند العكس فيكاد كل فريق منهما يطلب الفرار بنفسه ويترك الآخر .

فَعُدْنَ كَمَا أُخِذْنَ مُكَرَّمَاتٍ عَلَيْهِنّ القَلائِدُ وَالمَلابُ[1]
يُثِبْنَكَ بالذي أوْلَيْتَ شُكْراً وَأينَ مِنَ الذي تُولي الثّوَابُ[2]
وَلَيْسَ مَصيرُهُنّ إلَيْكَ شَيْناً وَلا في صَوْنِهِنّ لَدَيْكَ عَابُ[3]
وَلا في فَقْدِهِنّ بَني كِلابٍ إذا أبصَرْنَ غُرّتَكَ اغتِرَابُ[4]
وَكَيفَ يَتِمّ بأسُكَ في أُنَاسٍ تُصيبُهُمُ فَيُؤلِمُكَ المُصَابُ[5]
تَرَفّقْ أيّهَا المَوْلى عَلَيهِمْ فإنّ الرِّفْقَ بالجاني عِتَابُ[6]
وَإنّهُمُ عَبيدُكَ حَيثُ كانُوا إذا تَدْعُو لحَادِثَةٍ أجَابُوا
وَعَينُ المُخْطِئِينَ هُمُ وَلَيْسُوا بأوّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا[7]
وَأنْتَ حَياتُهُمْ غَضِبَتْ عَلَيهِمْ وَهَجْرُ حَيَاتِهِمْ لَهُمُ عِقَابُ[8]
وَمَا جَهِلَتْ أيادِيَكَ البَوَادي وَلكِنْ رُبّمَا خَفيَ الصّوَابُ[9]

---

(١) الضمير من عدن وما بعده للنساء ولم يجر لهن ذكراً اعتماداً على ما سبق . والملاب ضرب من الطيب . أي عدن إلى أماكنهن مصونات من الابتذال وعليهن حليهن وطيبهن .

(٢) أثابه كافأه . وأوليت بمعنى أنعمت . أي يكافئنك بدل إنعامك عليهن بالشكر وإن كان إنعامك لا تقابله مكافأة .

(٣) الشين والعاب بمعنى العيب . ويروى سبباً ويروى في كونهن . أي لم يعبن بمصيرهن إليك لأنهن لم يكن مسبيات عندك ولم يلحقهن في صونك لهن عيب لأنك نزهتهن عن الابتذال .

(٤) غرتك أي وجهك . يقول : إذا رأينك وكن في كنفك فلا غربة عليهن وإن بعدن عن أزواجهن وأقاربهن لأنهن من أهلك وعشيرتك فكأنهن في أوطانهن .

(٥) البأس الشدة . والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول : لا يتم بأسك فيهم لأنك متى أصبتهم بمكروه تألمت لمصابهم فكففت عنهم .

(٦) يقول : ترفق بهم وإن جنوا فإن الجاني إذا عومل بالرفق لان ورجع عن جنايته فكان الرفق به بمنزلة العتاب .

(٧) يقال أخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره وخطىء إذا تعمد ما لا ينبغي فعله . يعتذر عنهم يقول : هم مخطئون بمعصيتهم لك وعادة الناس أن تذنب وتتوب ومن أذنب ثم تاب فقد غفر ذنبه .

(٨) يقول : أنت حياتهم لأنهم لا بقاء لهم إلا بك وقد غضبت عليهم وهجرتهم فكان ذلك بمنزلة هجر حياتهم لهم ولا عقاب فوق هجر الحياة .

(٩) أياديك أي نعمك . وقوله البوادي يريد أهل البوادي وهي خلاف المدن . يقول : لم يجهلوا نعمك فيهم ووجه المكافأة فيها ولكن الصواب قد يخفى على طالبه فيأتي غيره .

وَكَـمْ ذَنْبٍ مُوَلِّـــدُهُ دَلالٌ ... وَكَـمْ بُعْـدٍ مُوَلِّـدُهُ اقْتِـرَابُ[1]

وَجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُفَهَـاءُ قَـوْمٍ ... وَحَـلَّ بغَـير جارِمِه العَـذابُ[2]

فإنْ هَـابُوا بجُـرْمِهِـمِ عَلِيّـاً ... فَقَـدْ يَرْجُـو عَلِيّاً مَـنْ يَهَـابُ[3]

وَإنْ يَكُ سيفَ دَوْلَةِ غيرِ قيسٍ ... فَمِنْهُ جُلُـودُ قَيْـسٍ والثّيَـابُ[4]

وَتَحْـتَ رَبَـابِه نَبَتُـوا وَأثُّـوا ... وَفي أيّـامِـه كَثُـرُوا وَطـابُـــوا[5]

وَتحـتَ لِوَائِه ضَـرَبُوا الأعَـادي ... وَذَلّ لهُـمْ مـنَ العَرَبِ الصِّعـابُ[6]

وَلَوْ غَـيرُ الأمـير غَـزَا كِـلاباً ... ثَنَـاهُ عَـنْ شُمُـوسِهِـمِ ضَبَـابُ[7]

وَلاقَـى دونَ ثَـايِهِـمِ طِعَـانـاً ... يُـلاقي عِنْـدَهُ الذّئْبَ الغُـرابُ[8]

وَخَيْـلًا تَغْتَـذي ريـحَ المَـوَامي ... وَيَـكْفيها مِـنَ المَـاءِ السّرَابُ[9]

وَلَـكِنْ رَبُّهُـمْ أسْرَى إلَيْهِـمْ ... فَمَـا نَفَـعَ الوُقُـوفُ وَلا الذّهـابُ[10]

وَلا لَيْـلٌ أجَـنَّ وَلا نَهَـارٌ ... وَلا خَيْـلٌ حَمَـلْنَ وَلا رِكَـابُ[11]

---

(١) ويروى وكم هجر مولده دلال . أي قد يكون الدلال سبباً للجرأة فتتولد عنه الذنوب وقد يكون القرب مدرجة لإفساد ذات البين فيكون سبباً في التباعد .

(٢) الجرم الذنب وقد جرم الرجل وأجرم . أي وكم جرم جناه السفهاء فعم عقابه القبيلة كلها .

(٣) أي إن خافوه بجرمهم فهم يرجونه أيضاً لأنه مع بأسه حليم .

(٤) أي إن يكن من أبناء عمهم لا منهم فإنهم يعيشون بنعمته فمنها قوام أبدانهم وكسوتها .

(٥) الرباب السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب . وأث النبات كثر والتفت . أي نشأوا في نعمته وأثروا بإحسانه كالنبات الذي ينمى بماء السحاب .

(٦) أي بانتسابهم إلى خدمته تمكنوا من أعدائهم وانقاد لهم من العرب من لا ينقاد لأحد .

(٧) يريد أنهم قوم أعزة لو غزاهم غير سيف الدولة لما ظفر بهم . وكنى بالشموس عن النساء وبالضباب عن غبار الحرب . قال الواحدي : ويجوز أن يكون هذا مثلا ومعناه أنه كان يستقبله من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين أكثر منهم فجعل الضباب مثلا للرعاع والشموس مثلا للسادة .

(٨) الثاي جمع ثاية مثل آي وآية وهي مأوى الإبل والغنم حول البيوت . أي كان يلاقي قبل وصوله إليها حرباً يكثر فيها القتلى ويجتمع عليهم الذئب والغراب طلباً للقوت .

(٩) الموامي جمع موماة وهي الفلاة . والسراب الذي تراه نصف النهار كأنه ماء . أي ولاقى خيلا مضمرة قد تعودت قطع المفاوز على غير علف ولا ماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها السراب .

(١٠) سرى وأسرى لغتان أي سار ليلا . أي ما نفعهم الوقوف في ديارهم للدفاع ولا الذهاب للهرب لأنهم إن وقفوا قتلوا وإن هربوا أدركوا .

(١١) واجن ستر وهو نعت ليل . وحملن نعت خيل . والركاب الإبل . أي لا نفعهم ليل يستترون تحته ولا نهار يقاتلون فيه ولا خيل وإبل تحملهم للهرب .

رَمَيْتَهُمُ ببَحْرٍ مِنْ حَديدٍ لَهُ في البَرّ خَلْفَهُمُ عُبَابُ[1]
فَمَسّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَريرٌ وَصَبّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ[2]
وَمَنْ في كَفّه مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ في كَفّه منهُمْ خِضابُ[3]
بَنُو قَتْلَى أبِيكَ بأرْض نَجْدٍ وَمَنْ أبْقَى وَأبْقَتْهُ الحِرابُ[4]
عَفَا عَنهُمْ وَأعْتَقَهُمْ صغاراً وَفي أعناقِ أكثرهمْ سِخابُ[5]
وَكُلّكُمُ أتَى مَأتَى أبِيهِ وَكُلُّ فَعَالِ كُلّكُمُ عُجَابُ[6]
كَذا فَلْيَسْرِ مَن طَلَبَ الأعادي وَمثلَ سُراكَ فَلْيَكُنِ الطِّلابُ

★ ★ ★

يقول اليازجي :

كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها وكان أهلها قد سلموها إلى الدمستق بالأمان (سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة) فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأخرى (سنة ثلاث وأربعين) وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ووقع القتال يوم الاثنين سلخ جمادى الأخرى من أول النهار إلى العصر فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمس مئة من غلمانه فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ووضع بيده آخر شرفة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب فقال « المتنبي » يمدحه وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث .

---

(١) العباب معظم الماء وكثرته . أي رميتهم بجيش يموج بحديد الأسلحة والدروع كأنه بحر قد مد عبابه وراءهم .

(٢) ويروى وفرشهم جمع فراش . أي طرقهم ليلا وهو يفترشون الحرير فتركوا منازلهم وهربوا فصبحهم على وجه الصحراء .

(٣) القناة عود الرمح . والمعنى أنهم فشلوا وذلوا حتى صار الرجل كالمرأة .

(٤) بنو خبر عن محذوف ضمير القوم . يشير إلى الحرب التي كانت بين أبي الهيجاء وبني كلاب وقد قتل منهم جماعة . يقول : هؤلاء القوم هم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٥) قلادة يلبسها الصبيان . أي عفا عنهم أبوك بعد قتل آبائهم وأعتقهم وهم أطفال فعاشوا عتقاء سيفه .

(٦) أتى مأتاه أي فعل فعله . والفعال يكون مفرداً وجمعاً إلا أن المفرد بالفتح والجمع بالكسر وكلاهما سائغ هنا . أي هم تشبهوا بآبائهم في المعصية وأنت تشبهت بأبيك في العفو ففعلهم عجيب لأنهم لم يعتبروا بآبائهم وفعلك عجيب لأنك عفوت عنهم بعد تكرر المعصية .

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ ... وَتأتي عَلى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ[1]

وَتَعْظُمُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها ... وَتَصْغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ[2]

يُكَلّفُ سيفُ الدّوْلَةِ الجيشَ هَمَّهُ ... وَقد عَجِزَتْ عنهُ الجيوشُ الخضارِمُ[3]

وَيَطلُبُ عندَ النّاسِ ما عندَ نفسِه ... وَذلكَ ما لا تَدّعيهِ الضّراغِمُ[4]

يُفَدّي أتَمُّ الطّيرِ عُمْراً سِلاحَهُ ... نُسُورُ الفَلا أحداثُها وَالقَشاعِمُ[5]

وَما ضَرّها خَلْقٌ بغَيرِ مَخالِبٍ ... وَقَدْ خُلِقَتْ أسيافُهُ وَالقَوائِمُ[6]

هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لوْنَهَا ... وَتَعْلَمُ أيُّ السّاقِيَيْنِ الغَمَائِمُ[7]

سَقَتْها الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فَلَمّا دَنَا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ[8]

---

(١) العزيمة بمعنى العزم . والمكرمة اسم من الكرم . أي أن العزائم والمكارم تأتي على أقدار فاعليها ويقاس مبلغها بمبلغهم فهي تكون عظيمة حيث يكونون هم عظاماً .

(٢) الضمير من صغارها للعزائم والمكارم . أي أن الصغير منها يعظم في عين الصغير القدر لأنه يملأ ذرعه والعظيم يصغر في عين العظيم القدر لأن في همته فضلة عنه .

(٣) الهم ما هممت به من أمر . والخضارم جمع خضرم وهو الكثير من كل شيء . أي يكلف جيشه أن يقوم بما اقتضت همته من الغزوات والفتوح وهو أمر تعجز عنه الجيوش الكثيرة لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

(٤) الضراغم الأسود . أي يطلب أن يكون عند جيشه وأصحابه مثل ما عنده من الشجاعة والإقدام وذلك شيء لا تدعيه الأسود فكيف تبلغه البشر .

(٥) فداه قال له أفديك . والفلا جمع فلاة وهي الصحراء . ويروى الملا وهو مفرد بمعنى الفلاة . وأحداثها أي صغارها . والقشاعم المسنة منها . أراد بأتم الطير عمراً النسور كما فسرها في الشطر الثاني أي أن النسور صغارها وكبارها تقول لأسلحته نفديك بأنفسنا لأنها كفتها التعب في طلب القوت .

(٦) ما نفي أو استفهام إنكار . أي خلقها كذلك . والقوائم جمع قائم السيف وهو مقبضه . أي ما ضر النسور لو خلقت بغير مخالب بعد أن خلقت سيوفه لتقتل بها أعداؤه ومقابضها لتكون في أيدي رجاله . يعني أن سيوفه تغنيها عن طلب الصيد فلا تحتاج إلى المخالب .

(٧) الحدث قلعة بناها سيف الدولة في بلاد الروم وكانوا قد غلبوا عليها وتحصنوا بها فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها فتلطخت بدمائهم ولذلك وصفها بالحمراء . يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها الأول أي قبل أن لونت بالدم وهل تعلم أي الساقيين لها هو الغمائم أجماجم الروم التي سقتها بالدم أم السحائب التي سقتها قبل ذلك بالمطر . يعني أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء فهي لا تعلم أي هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالغمائم لأنهما استويا في السقيا . وقد فسر هذا المعنى في البيت التالي .

(٨) الغمام جمع غمامة . والغر البيض .

بَنَاهَا فأعْلى وَالقَنَا يَقْرَعُ القَنَا ... وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَها مُتلاطِمُ[1]
وَكانَ بهَا مثْلُ الجُنُونِ فأصْبَحَتْ ... وَمِنْ جُثَثِ القَتْلى عَلَيْها تَمائِمُ[2]
طَريدَةُ دَهْرٍ ساقَها فَرَدَدْتَها ... على الدّينِ بالخَطّيّ وَالدّهْرُ رَاغِمُ[3]
تُفيتُ اللّيالي كُلَّ شيءٍ أخَذْتَهُ ... وَهُنّ لِمَا يأخُذْنَ منكَ غَوَارِمُ[4]
إذا كانَ ما تَنْويهِ فِعْلاً مُضارِعاً ... مَضَى قبلَ أنْ تُلقى علَيهِ الجَوَازِمُ[5]
وكيفَ تُرَجّى الرّومُ والرّوسُ هدمَها ... وَذا الطّعْنُ آساسٌ لهَا وَدَعائِمُ[6]
وَقَد حاكَمُوهَا وَالمَنَايَا حَوَاكِمٌ ... فَما ماتَ مَظلُومٌ وَلا عاشَ ظالِمُ[7]
أتَوْكَ يَجُرّونَ الحَديدَ كَأنّمَا ... سَرَوْا بجِيَادٍ ما لَهُنّ قَوَائِمُ[8]

---

(١) فأعلى أي فأعلاها . والقنا عيدان الرماح . أي بناها ورماحه تقارع رماح العدو وقد كثر القتل حولها حتى كانت المنايا كبحر يتلاطم موجه .

(٢) التمائم جمع تميمة وهي العوذة يتوقون بها مس الجن . أراد بما كان بها مثل الجنون اضطراب الفتنة من الروم الذين كانوا يأتونها ويحاربون أهلها فلما قتلهم سيف الدولة علق القتلى على حيطانها كما تعلق التمائم على المجنون فسكنت الفتنة .

(٣) الطريدة ما طردته من صيد أو غيره والتاء فيها للاسمية . والخطي الرمح . وراغم أي ذليل . أي كانت هذه القلعة كالطريدة أمام الدهر تعقبتها حوادثه بأن سلطت عليها الروم يهاجمونها مرة بعد أخرى حتى دفعتهم عنها بالرماح ورددتها على رغم الدهر .

(٤) أفاته الشيء حمله على فوته . وغرم الدين والغصب وغير ذلك أداه . يقول : إذا سلبت الليالي شيئاً أكرهتها على فوته لأنها لا تقدر على استرداده منك وهي إذا أخذت منك شيئاً غرمته لأنك تلزمها غرامته .

(٥) أراد بالمضارع المستقبل أي إذا نويت أن تفعل أمراً وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضياً قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم . وخص أدوات الجزم من عوامل المضارع لأنها لغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو لم ولما ومنها للطلب وهو لا واللام وبواقيها للشرط . فكأنه يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء كأن يقال إن تفعل كذا يترتب عليه كذا لأن ما تنويه لا يتوقف على شرط ولا تخاف وراءه عاقبة .

(٦) الضمير من هدمها للقلعة وآساس جمع أس . أي كيف يرجون أن يهدموها وهي موثقة بالطعن كما توثق بالآساس والدعائم .

(٧) جعل القلعة والروم خصمين والمنايا في الحرب حاكمة بينهما فحكمت للمظلوم وهو القلعة بالسلامة فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها وحكمت على الظالم وهو الروم بالهلاك فأبادتهم .

(٨) السرى سير الليل . والجياد الخيل . أي أتوا مدججين في السلاح يجرونه على جوانب الخيل حتى غابت قوائمها تحت الأسلحة والتجافيف التي عليها فكأنها بلا قوائم .

إذا بَرَقُوا لم تُعْرَفِ البِيضُ منهُمُ ثِيابُهُمُ من مِثْلِها وَالعَمائِمُ[1]
خميسٌ بشَرْقِ الأرْضِ وَالغرْبِ زَحفُه وَفي أُذُنِ الجَوْزاءِ منهُ زَمَازِمُ[2]
تَجمّعَ فيهِ كلُّ لِسْنٍ وَأُمّةٍ فَمَا يُفْهِمُ الحُدّاثَ إلّا التَراجِمُ[3]
فَلِلّهِ وَقْتٌ ذَوّبَ الغِشَّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلّا صَارِمٌ أوْ ضُبارِمُ[4]
تَقَطّعَ ما لا يَقْطَعُ الدّرْعَ وَالقَنَا وَفَرّ مِنَ الفُرْسانِ مَنْ لا يُصادِمُ[5]
وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شَكٌّ لوَاقِفٍ كأنّكَ في جَفنِ الرّدَى وهوَ نائِمُ[6]
تَمُرّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ[7]

★ ★ ★

(١) البيض السيوف . أي إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم لأن أبدانهم مغطاة بالدروع ورؤوسهم بالخوذ وكلها من الحديد فإذا برقت السيوف برقت هذه معها . وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعمائم على الاستعارة لأنها تلبس في أمكنتها .

(٢) الخميس الجيش وهو خبر عن محذوف أي هم خميس . وزحف الجيش إذا مشى متثاقلا لكثرته . والجوزاء نجمان معترضان في جوز السماء أي وسطها وهما من البروج . والزمازم جمع زمزمة وهي صوت الرعد أراد بها الأصوات الشديدة المتداخلة . يعني أن جيشهم طبق الأرض وبلغت جلبته إلى السماء .

(٣) اللسن ، بالكسر ، اللغة . والحداث القوم المتحدثون جمع بلا واحد . والتراجم جمع ترجمان .

(٤) لله كلمة تقال عند التعجب . والغش ما يدخل على المعادن من الحملان وأراد به ما لا خير فيه من الرجال والسلاح . والصارم السيف القاطع . والضبارم الشجاع الجريء . أي أن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئاً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٥) أي تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح وفر من الفرسان الجبان الذي لا يطيق الصدام . ويروى فقطع بالفاء والضمير للوقت .

(٦) الردى الهلاك . يقول : وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه حتى كأنك في جفن الردى أي في أقرب المواضع خطراً منه وأشدها اشتمالا عليك وكأن الردى نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٧) كلمى جمع كليم بمعنى جريح . وهزيمة أي منهزمة . ووضاح مشرق . والثغر مقدم الفم . قال الواحدي : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل بن إسماعيل يقول سمعت أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة قوله فيه : وقفت وما في الموت شك لواقف البيت الذي بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزي البيتين على صدريهما وقال له كان ينبغي أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

ثم أضاف : وأنت في مثل هذا امرئ القيس في قوله :

كأنيَ لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبإ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال =

﴿ **إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم** ﴾ هي : ذو القعدة . وذو الحجة والمحرم . ورجب الذي هو بين جمادى الآخرة وشعبان .. وفي هذه الشهور يتوقف المسلمون عادة عن القتال تعظيماً لحرمتها .

ولقد كان من عادة سيف الدولة أن ينشر الجند وعلى رأسهم الفرسان بين الثغور للدفاع عنها وحماية أهلها من غزو العدو .. وفي شهر المحرم من (عام ٣٤٤ هـ) عاد فرسان الثغور وبرفقتهم سفير لملك الروم يطلب الهدنة إلى حين .. فأنشد أبو الطيب قصيدة مطولة إستهلها بقوله :

أَرَاعَ كَذا كُلَّ الأنَامِ هُمَامُ ... وَسَحّ لَهُ رُسْلَ المُلُوكِ غَمَامُ[1]

وَدانَتْ لَهُ الدّنْيا فأصْبَحَ جالِساً ... وَأيّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ[2]

إذا زَارَ سَيْفُ الدّوْلَةِ الرّومَ غازِياً ... كَفَاهَا لِمَامٌ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ[3]

= قال ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز البيت الأول مع الثاني وعجز الثاني مع الأول ليجمع بين الشيء وما يناسبه . فقال أبو الطيب إن صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز كما يعرفه الحائك لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله فإن امرأ القيس قرن لذة النساء بلذة الركوب للصيد والشجاعة في منازلة الأعداء بالسماحة في شراء الخمر للأضياف للتضايف بين كل من الفريقين وأنا كذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو أن يكون وجهه عبوساً وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمس مئة دينار .

(١) راعه خوفه والاستفهام تعجب . أي روعاً كهذا الروع . والأنام الخلق . والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء صبه . أي هل أحد من الملوك راع جميع الأنام كما رعتهم وتقاطرت إليه رسل الملوك متتابعة كأنها مطر يصبه غمام .

(٢) دانت خضعت . وقيام أي قائمة كأنه من باب صاحب وصحاب . أي وهل خضعت الدنيا لأحد كما خضعت لك فأصبح جالساً لا يسعى في تحصيل مراد وقامت الأيام تسعى فيما يريد .

(٣) يريد باللمام الزيارة القليلة . أي إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك لكنه لا يكتفي حتى يستقصي بلادهم .

فَتىً تَتْبَعُ الأزْمانُ في النّاسِ خَطوَه ... لِكُلّ زَمانٍ في يَدَيْهِ زِمَامُ[١]

تَنامُ لَدَيْكَ الرّسْلُ أمْناً وغِبطَةً ... وَأجفانُ رَبّ الرّسْلِ ليسَ تَنَامُ[٢]

حِذاراً لمُعْرَوْري الجِيادِ فُجَاءَةً ... إلى الطّعْنِ قُبْلًا مَا لَهُنّ لِجَامُ[٣]

تَعَطَّفُ فيهِ وَالأعِنّةُ شَعْرُهَا ... وَتُضْرَبُ فيهِ وَالسّياطُ كَلامُ[٤]

وَما تَنْفَعُ الخَيلُ الكِرامُ وَلا القَنَا ... إذا لم يكُنْ فوْقَ الكِرامِ كِرامُ[٥]

إلى كَمْ تَرُدّ الرّسْلَ عَمّا أتَوْا لَهُ ... كأنّهُمُ فيما وَهَبْتَ مَلامُ[٦]

فإنْ كنتَ لا تُعْطي الذِّمامَ طَواعَةً ... فَعَوْذُ الأعادي بالكَريمِ ذِمَامُ[٧]

وَإنّ نُفُوساً أمّمَتْكَ مَنيعَةٌ ... وَإنّ دِمَاءً أمّلَتْكَ حَرَامُ[٨]

---

(١) الأزمان جمع زمن وهو مقصور من زمان . وفي الناس صلة تتبع . والخطو نقل القدم . والزمام ما تقاد به الدابة . يشير إلى قوة سعده . يقول : الزمان يتبعه ويجري في الناس على مراده فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ومن أساء إليه أساء إليه الزمان حتى كأن لكل زمان زماماً في يده يقوده به كما يريد .

(٢) الغبطة حسن الحال . أي ينام الرسل عندك آمنين في جوارك والذين أرسلوهم إليك لا ينامون خوفاً منك وقد فسر ذلك في البيت التالي .

(٣) حذاراً مفعول له وهو مصدر حاذر . واعروري الفرس ركبه عرياناً . والجياد الخيل . وإلى الطعن صلة معروري . وقبلا أي مقبلة من قولهم أقبلت قبله أي قصدت نحوه ، وقيل هو جمع أقبل وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى كأنها تنظر كذلك غضباً . وما لهن لجام حال . أي لا ينامون حذراً من سيف الدولة الذي يفاجئهم بالخيل عرياً أي لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركوبها .

(٤) الضمير من فيه في الشطرين للطعن . والأعنة جمع عنان وهو سير اللجام . والسياط المقارع . يريد أن خيله مؤدبة تنقاد بشعرها كما تنقاد بالعنان وتزجر بالكلام فيقوم لها مقام السياط .

(٥) القنا الرماح . أي أن العناء إنما يكون بالرجال لا بالخيل والسلاح فلا ينفع كرم الخيل إذا لم يكن فوقها فرسان مثلها .

(٦) فيما وهبت صلة ملام . يريد بما أتوا له طلب الهدنة أي أنه يردهم عما طلبوا كما يرد لوم اللائمين له في العطاء .

(٧) الذمام العهد . وطواعة حال أي طائعاً . وعاذ به لجأ . أي إن كنت لا تعطيهم الذمام طوعاً فقد أوجبه لهم لياذهم بك لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة وإن كان عدواً .

(٨) أممه قصده . أي أن النفوس التي تقصدك تصير منيعة بقصدك لأنها قد دخلت في حرمتك والدماء التي تأمل عفوك يحرم سفكها لأن راجيك لا يضيع .

ويتحدث المتنبي عن العدو المستجير بطلب الهدنة فيقول عنه :

لهُمْ عنكَ بالبِيضِ الخِفافِ تَفرّقٌ ... وَحَوْلَكَ بالكُتْبِ اللّطَافِ زِحَامُ[1]

تَغُرّ حَلاواتُ النّفُوسِ قُلُوبَهَا ... فتَختارُ بَعضَ العَيشِ وَهْوَ حِمامُ[2]

وَشَرُّ الحِمَامَينِ الزّؤامَينِ عِيشَةٌ ... يَذِلّ الذي يَختَارُها وَيُضامُ[3]

فَلَوْ كانَ صُلْحاً لم يَكُنْ بشَفاعَةٍ ... وَلَكِنّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامُ[4]

وَمَنٌّ لفُرْسانِ الثّغُورِ عَلَيْهِمِ ... بتَبْليغِهِمْ ما لا يَكادُ يُرامُ[5]

كَتائِبُ جَاؤوا خاضِعِينَ فأقْدَمُوا ... وَلَوْ لم يكونوا خاضِعِينَ لخَامُوا[6]

وَعَزّتْ قَديماً في ذَرَاكَ خُيُولُهُمْ ... وَعَزّوا وَعامَتْ في نَداكَ وَعَامُوا[7]

على وَجْهِكَ المَيمونِ في كلّ غارَةٍ ... صَلاةٌ تَوالى مِنْهُمُ وَسَلامُ[8]

---

(١) البيض الخفاف أي السيوف والباء للمصاحبة . أي لا يطيقون قتالك بسيوفهم فيتفرقون بها عنك منهزمين ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة يتلطفون بها في مسئلتك والتذلل لك .

(٢) الضمير من قلوبها للنفوس . والحمام الموت . أي أن حلاوة النفوس عند أربابها تغر قلوبهم وتستهويها بحب الحياة فتختار العيش الذليل هرباً من الموت وذلك العيش هو في الحقيقة ضرب من الموت .

(٣) الزؤام الكريه أو العاجل . لما جعل عيش الذليل موتاً آخر قال هو شر الموتين لما فيه من تحمل الضيم وتجرع الغيظ والهوان .

(٤) اسم كان يعود على قوله ما أتوا له . والغرام الشر الملازم . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لم يفتقروا فيه إلى التشفع بفرسان الثغور كما سيذكره لأن المصالحة يكون مرغوباً فيها من الطرفين ولكنهم طلبوا أن تؤخر قتالهم حيناً وهذا الطلب ذل لهم وعار يلزمهم شره .

(٥) المن النعمة وهو معطوف على ذل . ويريد بفرسان الثغور فرسان طرسوس وآذنة والمصيصة وكان الروم قد وسطوهم عند سيف الدولة في طلب الهدنة . ويرام يطلب . أي وفي ذلك أيضاً منة عليهم لهؤلاء الفرسان حين شفعوا فيهم عند سيف الدولة فبلغوهم من رضاه بالهدنة ما لا يجسرون على طلبه بأنفسهم .

(٦) الكتائب جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش . وأقدموا أي اجترأوا . وخام يخيم جبن . أي أن أولئك الفرسان جاؤوك خاضعين متوسلين في طلب الهدنة فأقدموا عليك بهذا الخضوع ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقائك .

(٧) الذرى الناحية والكنف . والندى الجود . أي اعتزوا قديماً بكنفك وظلك ودفعوا العدو بسطوتك وقد حميتهم وأفضت لهم بحر جودك حتى عاموا فيه .

(٨) الميمون المبارك . وتوالى أي تتابع والصلاة والسلام كناية عن التعظيم وهو دعاء أيضاً . أي كلما سرت في غارة سلموا عليك إعجاباً بك وتعظيماً لما يعهدون بك من الشجاعة والإقدام . وهذا البيت والذي بعده توكيد للبيت السابق .

وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إمَامَهُمْ وَأنتَ لأهْلِ المَكْرُماتِ إمَامُ
وَرُبّ جَوَابٍ عَن كتابٍ بَعَثْتَهُ وَعُنْوَانُهُ للنّاظِرِينَ قَتَامُ[1]
تَضِيقُ بِهِ البَيداءُ من قَبْلِ نَشرِهِ وَمَا فُضّ بالبَيْداءِ عَنهُ خِتَامُ[2]
حُرُوفُ هِجاءِ النّاسِ فيهِ ثَلاثَةٌ : جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذابِلٌ وَحُسَامُ[3]
أخا الحَرْبِ قد أتْعَبْتَها فَالْهَ ساعَةً لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أوْ يُحَلّ حِزامُ[4]
وَإنْ طالَ أعمَارُ الرّماحِ بهُدْنَةٍ فإنّ الذي يَعْمُرْنَ عِندَكَ عَامُ[5]
وَمَا زِلْتَ تُفني السُّمْرَ وَهْيَ كَثيرَةٌ وَتُفْني بهِنّ الجَيْشَ وَهْوَ لُهَامُ[6]
متى عاوَدَ الجَالُونَ عاوَدْتَ أرْضَهُمْ وَفيهَا رِقَابٌ للسّيُوفِ وَهَامُ[7]
وَرَبّوْا لكَ الأوْلادَ حتى تُصِيبَهَا وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبّ غُلامُ[8]

---

(١) غبار . أراد بالجواب الجيش . أي رب جيش جعلته بمنزلة الجواب عن كتاب كتب به إليك فكان عنوانه الغبار أي دل الغبار عليه كما يدل العنوان على الكتاب .

(٢) البيداء القفر البعيد . والنشر خلاف الطي . وختام الكتاب الطين الذي يختم به . وفضه كسره وكل ذلك استعارة . والمعنى أن هذا الجيش كثير تضيق عنه البيداء قبل أن ينتشر فيها فكيف إذا انتشر وتفرق للغارة .

(٣) الجواد الفرس الكريم . وذابل أي لين . والحسام السيف القاطع . أي أنه مؤلف من هذه الثلاثة كما يتألف الكتاب من حروف الهجاء .

(٤) يقال هو أخو كذا أي ملازم له معروف به . ويروى أذا الحرب أي يا صاحب الحرب . ولهي عنه من باب علم ولها يلهو أي اشتغل عنه وتركه . يقول : قد أتعبت الحرب أي أتعبت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها فاتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل .

(٥) أي إن كانت الرماح تسلم بالهدنة من التكسر فيطول بقاؤها لترك القتال بها فإن غاية بقائها عندك عام واحد لأن هدنتك لا تكون أكثر من ذلك .

(٦) السمر الرماح . واللهام الكثير . أي ما زلت تفني الرماح على كثرتها وتفني بفنائها الجيش الكثير من الأعداء .

(٧) الجالون النازحون . والهام الرؤوس والجملة قبله حال . يقول : متى عاد الهاربون منك إلى أوطانهم عدت إليهم فيها وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤوس .

(٨) ربوا معطوف على الحال في البيت السابق . وكعبت الجارية بدا ثديها للنهود . أي تعود إليهم وقد ربوا لك أولادهم في حين الجلاء فكعبت البنت أي صارت أهلا للسبي وشب الغلام فصار أهلا للقتل . وقوله حتى تصيبها من التعبير بالعلة عن العاقبة أي حتى تكون العاقبة إصابتك إياها .

جَـرَى مَعَكَ الجارونَ حتى إذا انتَهوا إلى الغايَةِ القُصْوَى جريتَ وَقَامُـوا[١]

فَلَيْسَ لشَمسٍ مُذْ أَنَرْتَ إنَـارَةٌ وَلَيس لبَدْرٍ مُذْ تَمَمْتَ تَمَـامُ[٢]

★ ★ ★

.. عندما تمر الحوادث وتنقضي المهام لينجلين عن ظفر وطمأنينة يلذ للإنسـان أن يستذكر الوقائع .. ويستعيد الذكريات للعبرة أو الانتعاش وذلك ما فعله أبو الطيب في هذه القصيدة التي يتحدث فيها عن حرب جرت وشهدت من شجاعة سيف الدولة ما مسخ العدو وحولت أيدي الأسد إلى مايشبه ايدي الخرانق وهي الأنثى من ولد الأرانب إذ يقول :

تَذَكّرْتُ ما بَينَ العُذَيبِ وَبَـارِقٍ مَجَـرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السّوَابِقِ[٣]

وَصُحْبَةَ قَـوْمٍ يَـذبَحُـونَ قَنيصَهُـمْ بفَضْلَةِ ما قـد كَسّـرُوا في المَـفارِقِ[٤]

وَلَيْلًا تَوَسّدْنَا الثَّـوِيّةَ تَحْتَـهُ كأنّ ثَـرَاهَـا عَنْبَرٌ في المَرَافِـقِ[٥]

بِـلادٌ إذا زارَ الحِسـانَ بغَـيرِهَـا حَـصَى تُـرْبِهَـا ثَقّبْنَهُ للمَـخانِقِ[٦]

---

(١) أي وقفوا . يقول : جاراك المبارون لك من الحكام في الشجاعة والكرم حتى انتهوا إلى أقصى غايتهم فوقفوا من الكلال متخلفين عنك وجريت وحدك سابقاً تلك الغاية .

(٢) أي من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده فلا انارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك .

(٣) العذيب وبارق موضعان بظاهر الكوفة . والعوالي صدور الرماح . والسوابق الخيل . ومجرى يحتمل أن يكون من الجري فتفتح ميمه أو من الاجراء فتضم وهو ومجرّ مصدران ميميان . والمعنى تذكرت نزولنا بين هذين الموضعين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان ونتسابق على الخيل .

(٤) صحبة معطوف على مجر . والقنيص الصيد . والمفارق جمع مفرق وهو موضع افتراق الشعر في الرأس . أي وتذكرت صحبة قوم هذه صفتهم يريد أنهم قوم صعاليك يذبحون صيدهم بما بقي من نصال سيوفهم التي قد كسروها في رؤوس الأبطال وفي هذا إشارة إلى أنهم من أهل الشدة والفتك .

(٥) توسد الشيء جعله تحت رأسه . والثوية موضع بقرب الكوفة . وثراها ترابها . والمرافق مواصل الأذرع في الأعضاد . أي وتذكرت ليلا توسدنا فيه هذه الأرض أي نمنا عليها فالتصق ترابها بمرافق أيدينا كأنه العنبر من طيبه . وخص المرافق لأن من لا وسادة له يجعل رأسه على مرفقه .

(٦) بلاد خبر عن محذوف أي هذه البلاد بلاد يريد الأرض التي فيها الأماكن المذكورة . والمخانق جمع مخنقة ، بالكسر ، وهي القلادة . أي إذا حمل حصى هذه البلاد إلى النساء الحسان في غيرها ثقبنه كما يثقب اللؤلؤ وجعلنه قلائد لهن لحسنه ونفاسته .

سَقَتْني بهَا القُطْرَبُّليَّ مَليحَةٌ ... على كاذِبٍ منْ وَعدِها ضَوْءُ صَادقِ[1]
سُهادٌ لأجفانٍ وَشَمْسٌ لِنَاظِرٍ ... وَسُقْمٌ لأبدانٍ وَمِسْكٌ لنَاشِقِ[2]
وَأغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كلُّ عاقِلٍ ... عَفيفٍ وَيَهوَى جسمَهُ كلُّ فاسِقِ[3]
أديبٌ إذا ما جَسّ أوْتَارَ مِزْهَرٍ ... بَلا كُلَّ سَمْعٍ عن سِواها بعائِقِ[4]
يُحَدِّثُ عَمّا بَينَ عادٍ وَبَيْنَهُ ... وَصُدْغاهُ في خَدّيْ غُلامٍ مُراهِقِ[5]
وَمَا الحُسْنُ في وَجْهِ الفتى شَرَفاً لَهُ ... إذا لم يكُنْ في فِعْلِهِ وَالخَلائِقِ[6]
وَمَا بَلَدُ الإنْسانِ غَيرُ المُوافِقِ ... وَلا أهْلُهُ الأدْنَوْنَ غَيرُ الأصادِقِ[7]
وَجائِزَةٌ دَعْوَى المَحَبّةِ وَالهَوَى ... وَإنْ كانَ لا يَخفَى كَلامُ المُنافِقِ[8]
برَأيِ مَنِ انْقادَتْ عُقيلٌ إلى الرّدَى ... وَإشماتِ مَخلُوقٍ وَإسخاطِ خالِقِ[9]

(١) القطربلي المنسوب إلى قطربل وهو موضع بالعراق تنسب إليه المعتقات . أي سقتني بها الشراب القطربلى امرأة مليحة يلوح على وعدها الكاذب ضوء الوعد الصادق . وأراد بالضوء لأنه علة ظهور الصور في الأشباح فاستعاره للمعاني . يعني أنها تظهر الأنس والتقرب حتى يظن وعدها صادقاً وهي لا تنوي الوفاء به .

(٢) السهاد السهر . والناظر العين .

(٣) الأغيد الناعم المتثني ليناً يروى بالرفع عطفاً على مليحة وبالجر على إضمار رب . أي أنه جمع بين الأدب والجمال فالفاسق يهوى جسمه لجماله والعاقل العفيف يهوى نفسه لأدبه .

(٤) المزهر العود . أي إذا جس أوتار العود فضربها أتى بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه .

(٥) عاد قبيلة قديمة من العرب البائدة . والمراهق الذي قارب البلوغ . أي أنه أديب حافظ لأيام الناس وأخبارهم القديمة من عهد عاد إلى أيامه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم .

(٦) ضمير يكن للحسن . والخلائق جمع خليقة بمعنى خلق . أي لا يعد حسن الوجه شرفاً لصاحبه إذا لم تكن أفعاله وأخلاقه حسنة كذلك .

(٧) الأدنون جمع أدنى أي الأقربون . والأصادق جمع أصدقاء جمع صديق . أي ليس بلد الإنسان الذي نشأ فيه ولا أهله الذين يحفون به في النسب ولكن كل بلد وافقه وطاب له فهو بلده وكل قوم صادقوه وصافوه فهم أهله .

(٨) أي يجوز لكل أحد أن يدعي المحبة ولكن دعوى المنافق لا تخفى على الناس .

(٩) عقيل قبيلة . والردى الهلاك . يقول : من الذي أشار على بني عقيل أن يعصوك حتى ألقوا بأنفسهم في الهلكة وأشمتوا أعداءهم وأسخطوا الله .

أَرادوا عَلِيّـاً بالذي يُعجِزُ الوَرَى   وَيُوسِـعُ قَتلَ الجحفَلِ المُتَضايِقِ[1]
فَمَـا بَسَطُوا كَفّاً إلى غَيرِ قَاطِعٍ   وَلا حَمَلُـوا رَأساً إلى غَيرِ فَالِقِ[2]
لَقَد أقدَمُوا لَوْ صادَفُوا غيرَ آخِذٍ   وَقد هَرَبوا لَوْ صَادَفوا غيرَ لاحِقِ[3]
وَلمّا كَسَـا كَعْباً ثِياباً طَغَوْا بِهَا   رَمَى كلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنانٍ بخارِقِ[4]
وَلمّا سَقَى الغَيْثَ الذي كَفَرُوا بِهِ   سَقَى غَيرَهُ في غَيرِ تلكَ البَوَارِقِ[5]
وَما يُوجعُ الحِرْمانُ من كَفّ حارِمٍ   كَمَا يُوجعُ الحِرْمانُ من كَفّ رازِقِ[6]
أتَـاهُمْ بهَـا حَشْـوَ العَجَـاجَـةِ وَالقَنَا   سَنَـابِكُهَـا تحشُـو بُطُـونَ الحَـمالِقِ[7]
عَوَابِـسَ حَـلّى يَابِسُ المـاءِ حُـزْمَـها   فَهُـنّ على أوْساطِـها كالمَنَاطِـقِ[8]

(١) الورى الخلق . ويوسع أي يكثر . والجحفل الجيش العظيم . أراد بالذي يعجز الورى عصيان سيف الدولة أي أرادوا عصيانك الذي لا يقدر عليه أحد والذي يكثر به القتل في الجيش العظيم المتضايق لكثرته وازدحامه .

(٢) أي حين عصوه وقتلوه بسطوا أكفهم إلى من قطعها وحملوا رؤوسهم إلى من فلقها .

(٣) أي لم يقصروا في الإقدام ولا توقفوا عن الهرب ولكنهم أقدموا فأخذهم وهربوا فأدركهم فلم ينتفعوا بشيء من الأمرين .

(٤) كعب قبيلة منهم . وطغوا أي تمردوا . يريد بالثياب النعمة يقول لما كساهم ثياب نعمته فطغوا بها وعصوه عمد إلى سلبهم تلك النعمة وإخضاعهم بالقتال فكأنه خرق بأسنته ما كساهم من ثياب نعمته .

(٥) سقى أي سقاهم فحذف . والبوارق جمع بارق وهو السحاب فيه برق والظرف حال من غيره . أي لما سقاهم غيث فضله فكفروا به سقاهم غير ذلك الغيث في غير تلك البوارق أي في غير سحب فضله يعني سحب انتقامه .

(٦) أي أنهم تعودوا منه الرزق والإحسان فكان حرمانه لهم من أجل معصيتهم أشد إيلاماً لهم من حرمان غيره ممن لم يعودهم ما عودهم .

(٧) الضمير من بها للخيل دل عليها بالقرينة . والعجاجة الغبرة . والقنا الرماح . والسنابك أطراف الحوافر . والحمالق جمع حملاق على حذف الزائد وهو باطن الجفن . أي أتاهم بالخيل محاطة بالعجاج والرماح فهي حشو هذين وسنابكها تحشو العيون بما تثيره من الغبار .

(٨) حلى من الحلية . ويريد بيابس الماء ما جف من العرق . والمناطق جمع منطقة وهي ما يشد به الوسط . أي أتتهم الخيل كالحة من الجهد وقد جف العرق على حزمها فابيض فصارت الحزم كأنها المناطق المفضضة .

فَلَيْـتَ أبَا الهَيْـجا يرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ طِـوَالَ العَـوالي في طِـوالِ السَّـمالِقِ[١]

وَسَـوْقَ عليٍّ مِـنْ مَعَـدٍّ وَغَيرِها قَبَـائِلَ لا تُعْطي القُفِيَّ لِسَـائِقِ[٢]

قُشَـيرٌ وَبَلْعَجْـلانِ فيها خَفِيّـةٌ كَـرَاءَينِ في ألْفاظِ ألْثَغَ نَاطِقِ[٣]

تُخَلّيهِمِ النّسْـوانُ غَيرَ فَوارِكٍ وَهُـمْ خَلّـوُا النّسْـوانَ غَيرَ طَوَالِقِ[٤]

يُفَـرِّقُ ما بَينَ الكُـماةِ وَبَيْنَهَـا بطَـعْنٍ يُسَـلّي حَـرُّهُ كـلَّ عاشِـقِ[٥]

أتَـى الظُّعْـنَ حـتى ما تَطيرُ رَشاشَةٌ منَ الخَـيلِ إلّا في نُحُـورِ العَـوَاتِقِ[٦]

بكُـلّ فَـلاةٍ تُنكِـرُ الإنْس أرْضُهَـا ظعائنُ حُـمْرُ الحَـلي حـمرُ الأيانِـقِ[٧]

وَمَلْمُـومَـةٌ سَيْفِيّـــةٌ رَبَعِيّـــةٌ تَصـيحُ الحَـصَى فيها صِياحَ اللّقالِقِ[٨]

---

(١) أبو الهيجا والد سيف الدولة . وتدمر البلد المعروف . والعوالي الرماح . والسمالق جمع سملق بالفتح ، وهو المستوي من الأرض . أي ليت أباك حي يراك وقد جاوزت تدمر وطاردت قبائل العرب برماحك الطويلة في المفاوز الطويلة .

(٢) سوق مصدر معطوف على طوال العوالي . وعلي هو سيف الدولة . ومعد القبيلة المشهورة . والقفي جمع قفاً . واللام من قوله لسائق للتمليك . أي ويراك تسوق أمامك من بني معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولي قفيها من يسوقها يعني أنك أذللت من العرب من لم يذلله غيرك .

(٣) قشير وبلعجلان قبيلتان منهم وأراد بني العجلان فحذف كما يقال في بني الحارث بلحارث . والضمير من قوله فيها للقبائل . أي أن هاتين القبيلتين قد تبدد شملهما بين سائر القبائل الهاربة فخفيت جماعتهما فيها خفاء راءين في لفظ ألثغ إذا كررهما .

(٤) فوارك أي مبغضات وهو خاص بالبغض بين الزوجين . أي تشتتوا في كل وجه ففارقت النساء رجالهن من غير فرك وفارقهن رجالهن من غير طلاق .

(٥) فاعل يفرق ضمير سيف الدولة . والكماة الأبطال عليهم السلاح . والضمير من بينها للنسوان . أي يفرق بين الأبطال ونسائهم بطعن شديد ينسي العاشق معشوقه .

(٦) الظعن جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج . ويريد بالرشاشة واحدة الرشاش وهو ما ترشش من الدم ونحوه . والعواتق جمع عاتق وهي الجارية الشابة في بيت أبيها . أي أن خيله لحقت بنساء القوم حتى كانت لا تطير رشاشة من الخيل المتطاعنة إلا تقع في نحور النساء .

(٧) الإنس بمعنى الناس . وظعائن جمع ظعينة . والأيانق جمع أينق جمع ناقة . أي انتشرت نساؤهم في الهزيمة فكان منهن في كل فلاة بعيدة من الإنس ظعائن من أشرافهم حليهن الذهب ومركوبهن النياق الحمر وهي أكرم النياق عند العرب .

(٨) ملمومة عطف على ظعائن يريد كتيبة ملمومة أي مجموعة . وسيفية ربعية أي منسوبة إلى سيف الدولة وربيعة وهي قبيلته . وأراد بصياح الحصى صوتها عند وقع حوافر الخيل شبهه بصوت اللقالق وهي ضرب من الطير فجعله صياحاً .

بعيدَةُ أطْـرَافِ القَنا مِـنْ أُصُـولِهِ   قَريبَـةُ بَيْـنِ الْبَيْضِ غُـبرُ اليَـلامِقِ[١]

نَهاهَـا وَأغْنَاهَـا عَنِ النّهْـبِ جُـودُه   فَمَـا تَبْتَغي إلّا حُـماةَ الحَـقائِقِ[٢]

تَوَهّمَهَـا الأعـرابُ سَـوْرَةَ مُـترَفٍ   تُذَكِّـرُهُ البَيْداءُ ظِـلَّ السُّـرادِقِ[٣]

فَذَكّرْتَهُـمْ بالمَـاءِ سـاعَةَ غَبّـرَتْ   سَـماوَةُ كَلبٍ في أُنوفِ الحَزَائِقِ[٤]

وكانُوا يَرُوعـونَ الْمُلُوكَ بأنْ بدَوْا   وَأنْ نَبَتَتْ في المَـاءِ نَبْتَ الغَلافِقِ[٥]

فهاجُـوكَ أهْـدَى في الفَـلا من نُجُومِه   وَأبْدَى بُيُوتاً من أداحي النّقانِقِ[٦]

---

(١) بعيدة نعت للملمومة . والقنا الرماح . والبيض جمع بيضة وهي الخوذة . وغبر جمع أغبر وهو ما كان بلون الغبار . واليلامق جمع يلمق وهو القباء . يريد أن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وقد تضايق ما بينهم لازدحامهم وتكاثفهم فتقارب ما بين رؤوسهم واغبرت ثيابهم لكثرة ما أثارت خيلهم من الغبار .

(٢) عن النهب جوده معمولا أحد الفعلين على طريق التنازع . وتبتغي تطلب . والحقائق ما تحق حمايته من أهل ومال وغيره . أي أن جود سيف الدولة أغناهم عن نهب الأموال فكفهم عن طلبها فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان .

(٣) الهاء من توهمها للسورة أي توهموا هذه السورة منك سورة مترف . والأعراب سكان البادية . والسورة الوثبة . والمترف المتنعم . والبيداء الفلاة المهلكة . والسرادق ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف . أي توهموها وثبة رجل متنعم إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعيم كعادة الحكام فانصرف عنهم وتركهم هرباً من الحر والعطش .

(٤) غبرت أثارت الغبار . وسماوة كلب أي سماوة بني كلب برية بناحية العواصم . والحزائق جمع حزيقة وهي الجماعة . أي حين توهموا أن البيداء تذكرك ظل السرادق ذكرتهم أنت بالماء أي حملتهم على تذكره حين اشتد عطشهم في برية السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك . كأنه يقول : هناك عرفتهم صبرك حين ألجأتهم إلى ما يصبرون عليه وأنت صابر غير متوقف عن اتباعهم .

(٥) يروعون يخيفون . وبدوا أي أقاموا بالبادية وأن الداخلة عليه مخففة من الثقيلة . والضمير من نبتت للملوك . والغلافق جمع غلفق وهو الطحلب . أي أن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الحكام بأنهم قد نشأوا في البادية فلا يبالون بالحر والعطش وأن الحكام لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه أي في جواره كما ينشأ الطحلب في الماء فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الحكام .

(٦) أهدى تفضيل من الهداية . والفلا جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا لأن كل جمع بينه وبين واحده التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير . وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين . وأبدى أظهر . والأداحي جمع أدحي وزان كرسي وهو مبيض النعام في الرمل . والنقانق جمع نقنقة بالكسر وهي أنثى النعام . أي أثاروك عليهم بالعصيان فكنت أهدى إليهم في الفلوات من النجم وأظهر بيوتاً فيها من مبيض النعام وذلك أن النعامة لا عش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها أي تبسطه ثم تبيض فيه م يريد أنه لم يكن يطلب مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء مكشوفاً لحر الشمس .

وَأصْبَرَ عَـن أمْوَاهِهِ من ضِـبابِهِ ... وَآلَـفَ منْـهـا مُقْلَـةً للوَدائِـقِ[1]

وَكانَ هَديراً مِنْ فُحُـولٍ تَرَكْتَـها ... مُهَلَّبَةَ الأذنابِ خُرْسَ الشّقاشِـقِ[2]

فَـما حَرَمُوا بالرّكضِ خَيلَكَ رَاحـةً ... وَلَـكِنْ كَـفَاها البَرُّ قَطعَ الشّوَاهِقِ[3]

وَلا شَغَلُـوا صُـمّ القَنَـا بِقُلُـوبِهِمْ ... عنِ الرَّكْزِ لكِنْ عن قلوبِ الدماسِقِ[4]

ألَمْ يحذَروا مَسْخَ الذي يَمسَخُ العِدى ... ويجعَلُ أيدي الأُسـدِ أيدي الْخَرَانِقِ[5]

وَقـد عايَنُوه في سِـواهُمْ وَرُبّمَـا ... أرَى مارِقاً في الحَرْبِ مصرَعَ مارِقِ[6]

تَعَوّدَ أنْ لا تَقْضَمَ الحَبَّ خَيْلُهُ ... إذا الهَـامُ لم تَرْفَعْ جُنُوبَ العَـلائِقِ[7]

---

(١) الضباب جمع ضب وهو دويبة برية معروفة . والودائق جمع وديقة وهي شدة الحر . أي وكنت أصبر عن الماء من الضباب لأنها لا تشرب وآلف مقلة منها لحر الشمس مع أنها تسكن الفلوات .

(٢) الهدير صوت البعير إذا ردده في حنجرته . والمهلب المقطوع الهلب وهو شعر الذنب كنى به عن إذلالهم لأنهم يقولون إن الفحل إذا قطع هلبه صار ذليلا . والشقاشق جمع شقشقة ، بالكسر ، وهي لهاة البعير تتدلى عند الغضب . يقول : كان أمرهم في هذه الفتنة كهدير الفحول إذا هاجت فلما جئتهم أذللتهم فسكنت زماجرهم كما يذلل البعير بقطع هلبه فيخرس عن الهدير .

(٣) كفيته الشيء أغنيته عن كلفته . والشواهق الجبال الشامخة . يقول : لم يحرموا خيلك شيئاً من الراحة بما كلفوها من الركض في لحاقهم بل الأمر على الخلاف لأنك لو لم تقصدهم بها لقصدت الروم فكان قطع السهول خلف هؤلاء أيسر من قطع جبال الروم .

(٤) الصم الصلاب . والقنا الرماح . وبقلوبهم صلة شغلوا . وركز الرمح غرزه في الأرض . والدماسق جمع دمستق كما يقال في جمع سفرجل سفارل . والبيت من قبيل البيت السابق أي لو لم تشتغل رماحك بقلوبهم لم تركزها تاركاً للحرب بل كنت تطلب بها الروم فتكون قلوب هؤلاء قد شغلتها عن قلوب دماسقة الروم .

(٥) مسخه حول صورته إلى ما هو أقبح منها . والخرانق جمع خرنق ، بالكسر ، وهي الأنثى من أولاد الأرانب . أراد بمسخه للعدى جعله الشجاع منهم جباناً والقوي ضعيفاً حتى تصير أيدي الأسد أي الأشداء منهم كأيدي الأرانب لا قوة لها ولا بطش .

(٦) وقد عاينوه حال من ضمير يحذروا في البيت السابق . والمارق الخارج عن الطاعة وأصله الخروج عن الدين . والمصرع مصدر صرعه إذا طرحه على الأرض ويراد به القتل . أي ألم يعتبروا بغيرهم ممن عاينوا فعله فيهم فإنه قد يرى بعض الخارجين عن طاعته مصرع بعض ليعتبر الباقي بالهالك .

(٧) القضم أكل الشيء اليابس . والهام الرؤوس . وجنوب جمع جنب بمعنى جانب . والعلائق جمع علاقة وهي ما يتعلق به الشيء يريد المخالي . قال ابن جني سألت أبا الطيب عن معنى هذا البيت فقال الفرس إذا علقت عليه المخلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل فخيله أبداً إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة ما هناك منها .

وَلا تَـرِدَ الغُدْرانَ إلّا وَمَـاؤهَا مِنَ الدّمِ كالرّيحَـانِ فَوْقَ الشّقائقِ[1]

لَوَفْدُ نُميرٍ كانَ أرْشَدَ مِنْهُمُ وَقـد طَرَدوا الأظْعانَ طَرْدَ الوَسائقِ[2]

أعَـدّوا رِماحاً مِنْ خُضُـوعٍ فطاعَنُوا بهَا الجَيشَ حـتى رَدّ غَـرْبَ الفَيالِقِ[3]

فَلَـمْ أرَ أرْمَى منهُ غَـيرَ مُـخاتِلٍ وَأسـرَى إلى الأعـداءِ غَـيرَ مُـسارِقِ[4]

تُصِيبُ المَـجانيقُ العِظامُ بكَفّـهِ دَقائِـقَ قد أعْيَتْ قِسِـيَّ البَنَـادِقِ[5]

★ ★ ★

.. وتوفيت أخت سيف الدولة .. وليس في هذا ما يعنينا فقد مضت كما يمضي كل حي .. وإنما الذي يعنينا هو المعاني التي ضمنها المتنبي قصيدة الرثاء وهو يعزي أخاها ويواسيه بما يذكره من قدرته على تجاوز الأحزان . وما في الحياة من عوض بما يصلح لكل إنسان وفيما يخاطب به سيف الدولة بقوله :

قَدْ بَلَـوْتَ الخُطوبَ مُـرّاً وَحُلْـواً وَسَلَـكـتَ الأيّـامَ حَـزْناً وَسَهْـلا[6]

---

(١) ورد الماء أتاه للشرب . والغدران جمع غدير وهي القطعة من الماء يغادرها السيل . والريحان كل نبت طيب الريح . والشقائق زهر معروف . أي وتعود أن لا يورد خيله الماء إلا بعد أن يكثر القتل حتى يمتزج الماء بالدم وتظهر خضرة الطحلب من فوقه كلون الريحان فوق الشقيق .

(٢) الوفد بمعنى القوم الوافدين . ونمير مصغراً قبيلة منهم استسلمت لسيف الدولة . والضمير من قوله منهم وما بعده لبقية القبائل . والأظعان جمع ظعن جمع ظعينة . والوسائق جمع وسيقة وهي القطعة من الإبل . يقول : الذين وفدوا عليك من بني نمير كانوا أرشد من الذين عصوك فهربوا وهم يطردون نساءهم كما تطرد الإبل .

(٣) ضمير رد للخضوع . والغرب الحد أو الحدة . والفيالق الجيوش . أي أن هؤلاء الوافدين عليك أتوك خاضعين فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك فدفعوهم بذلك عن أنفسهم وسلموا .

(٤) الضمير من قوله منه لسيف الدولة . والمخاتل المخادع . والمسارق الذي يترقب غفلة . يعني أنه مع كثرة رميه لأعدائه ومتابعة مسيره إليهم لا يخاتلهم في الأخذ ولا يسارقهم في القصد ولكنه يأتيهم جهراً ويوقع بهم مباطشة .

(٥) المجانيق جمع منجنيق وهي آلة ترمى بها الحجارة . والدقائق الأشياء الدقيقة . وأعيت أعجزت . والقسيّ جمع قوس وهو من القلب المكاني . والبنادق هنات تعمل من الطين يرمى بها الطير ونحوه واحدتها بندقة . والبندقية في عصرنا يستعملها مشاة الجند أو صائدوا الطيور . أي أنه يقدر على ما لا يقدر عليه سواه حتى يصيب بالمنجنيق ما يعجز غيره عن أن يصيبه بقوس البندق .

(٦) بلوت اختبرت . والخطوب حوادث الدهر . والحزن خلاف السهل . يريد حلوها ومرها وحزنها وسهلها .

وَقَتَلْتَ الزّمانَ عِلْماً فَمَا يُغْـ ـرِبُ قَوْلًا وَلا يُجَدِّدُ فِعْلا[1]
أجِدُ الحُزْنَ فيكَ حِفْظاً وَعَقْلا وَأرَاهُ في النّاسِ ذُعراً وجَهْلا[2]
لَكَ إلْفٌ يَجُرّهُ وَإذا مَا كَرُمَ الأصْلُ كانَ للإلْفِ أصْلا[3]
وَوَفَاءٌ نَبَتَّ فيهِ وَلَكِنْ لم يَزَلْ للوَفَاءِ أهْلُكَ أهْلا[4]
إنّ خَيرَ الدُّمُوعِ عَوْناً لَدَمْعٌ بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فاستَهَلّا[5]
أينَ ذي الرِّقّةُ التي لَكَ في الحَرْ بِ إذا استُكرِهَ الحَديدُ وصَلّا[6]
أينَ خَلّفْتَهَا غَداةَ لَقِيتَ الـ ـرّومَ وَالهَامُ بالصّوارِمِ تُفْلَى[7]
قاسَمَتْكَ المَنُونُ شَخْصَينِ جَوْراً جَعَلَ القِسْمُ نَفْسَهُ فيهِ عَدْلا[8]

---

(١) أغرب جاء بشيء غريب . أراد بقتله الزمان المبالغة في العلم بأحواله حتى كأنه قتله فهو لا يبدي جديداً آخر الدهر . أي عرفت الزمان وصروفه وأحطت بجميع الأحوال التي تقع فيه فلا تسمع فيه قولا تستغربه ولا ترى فعلا جديداً لم يسبق في عملك مثله .

(٢) الذعر الخوف . يقول : أنت إذا حزنت على ميت فإن حزنك يكون عن حفظ لمودته وتعقل للمصيبة فيه فتحزن على قدر مناقبه وفضله وغيرك من الناس إذا دهمته مصيبة ذعر لها ولم يتعقل معنى الحزن على الميت فكان حزنه خوفاً وجهلا .

(٣) الإلف مصدر ألفه إذا أنس به ولزمه . والهاء من يجره للحزن . يقول : إنما يجر عليك هذا الحزن ما طبعت عليه من الإلف والإلف من كرم الأصل أي إنما كنت ألوفاً لكرم أصلك ومن كان ألوفاً حزن على فراق من ألفه .

(٤) أي ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماءه صغيراً ولا بدع في ذلك فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء .

(٥) عوناً تمييز . ويروى عندي . وروى ابن جني عيناً . واستهل سال . يقول : خير الدموع عوناً على الحزن الدمع الذي تثيره رعاية عهد الميت ومودته فينسكب وذلك لأنه يصادف موضع الحزن من المحزون فيكون كالدواء الذي يصادف موضع الداء .

(٦) قوله استكره الحديد أي أكره على القطع . وصلّ صوت . أي هذه الرقة التي لك الآن أين تكون في وقت الحرب حين يكره الحديد على قطع المغافر والدروع ويصل من وقع بعضه على بعض .

(٧) خلفتها تركتها خلفك . وروى ابن جني غادرتها . والغداة البكرة . والهام الرؤوس . والصوارم السيوف . وفلى رأسه بالسيف ضربه . أي أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم في الحرب والرؤوس تضرب بالسيوف .

(٨) المنون المنية وقد يراد بها الجمع وهو مقصود المتنبي كما درج عليه في البيت التالي . وجوراً حال . والقسم بالكسر الاسم من قسمه . والضمير من فيه للجور . يريد بالشخصين أختي سيف الدولة يقول : قاسمك الموت أختيك بأن أخذ إحداهما وترك الأخرى ولكن القسمة جعلت نفسها عدلا في هذا الجور إذ جعلت الصغرى للمنية وأبقت الكبرى لك فآثرتك بأفضل النصيبين لأنك أشرف المتقاسمين .

فإذا قِسْتَ ما أَخَذْنَ بِمَا غَا ... دَرْنَ سرّى عَنِ الفُؤادِ وَسَلّى[1]

وَتَيَقّنْتَ أنّ حَظّكَ أوْفَى ... وَتَبَيّنْتَ أنّ جَدّكَ أعْلَى[2]

وَلَعَمْرِي لَقَدْ شَغَلْتَ المَنَايَا ... بالأعادي فكَيفَ يَطلُبنَ شُغلا

وَكَمِ انتَشْتَ بالسّيُوفِ منَ الدهـ ... ـرِ أسيراً وَبالنّوَالِ مُقِلّا[3]

عَدَّهَا نُصرَةً عَلَيْهِ فَلَمّا ... صَالَ خَتْلًا رَآهُ أدرَكَ تَبْلا[4]

كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ ، أنْتَ تُبْليـ ... ـهِ وَتَبْقَى في نِعْمَةٍ لَيسَ تَبْلَى[5]

وَلَقَدْ رَامَكَ العُداةُ كَمَا رَا ... مَ فلَمْ يجرَحوا لشَخصِكَ ظِلّا[6]

وَلَقَدْ رُمْتَ بالسّعادَةِ بَعْضاً ... من نُفُوسِ العِدى فأدركتَ كُلّا[7]

قارَعَتْ رُمحَكَ الرّماحُ وَلَكِنْ ... تَرَكَ الرّامِحِينَ رُمحُكَ عُزْلا[8]

---

(١) ويروى بما أغدرن وكلاهما بمعنى تركن . وسرى عنه بمعنى فرج . أي إذا قست الصغرى التي أخذتها المنون بالكبرى التي بقيت لوجدت في ذلك ما تتعزى به بأن بقي لك أفضلهما وأحبهما إليك .

(٢) أوفى أتم . وجدك سعدك .

(٣) انتاشه تناوله وانتشله . والنوال العطاء . والمقل الفقير . يقول : كم تداركت بسيفك من لا ناصر له فخلصته من أسر الزمان وكم من فقير أمددته بنوالك فأنقذته من أيدي الفاقة .

(٤) فاعل عدها ضمير الدهر والهاء ضمير النصرة أي عد نصرتك لهذين نصرة عليه . وصال عليه وثب واستطال . وختلا أي غدراً . وقوله رآه الضميران للدهر أي رأى نفسه . والتبل الثأر . يقول : إن الدهر عد نصرتك للأسير والمقل وانتياشك إياهما من يده نصرة لهما عليه فلما غدر بأختك رأى نفسه قد أدرك ثأره منك . والرأي هنا بمعنى الظن والحسبان .

(٥) كذبه ظنه إذا خدعه وزين له الباطل . وليس في البيت حرف بمنزلة لا . يقول : قد أخطأ الدهر فيما ظنه من أنه أدرك ثأره منك بل أنت تقطع أيامه فتفنيه وتبقى في نعمة لا تفنى لأن الله قد منحك من السعد ما لا تقوى عليه صروف الزمان .

(٦) رامك طلبك . يقول : إن الأعداء قد طلبوك كما طلبك الدهر لإدراك ثأرهم منك فلم يستطيعوا أن يصلوا إلى ظل شخصك فيجرحوه فضلا عن شخصك . وهذا كالتأكيد لما ذكره في البيت السابق يعني أن الله قد صرف كيد الزمان وأهله عنه فلا يصلون إليه بسوء .

(٧) بالسعادة صلة رمت . أي طلبت بسعدك بعضاً منهم فأدركت الكل يريد أن سعده يقاتل الأعداء عنه ويؤتيه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب .

(٨) الرامحين أصحاب الرماح . وعزلا أي لا سلاح معهم وهو جمع أعزل . يقول : قارعت رماح الأعداء رمحك ولكن رماحهم لم تغن مع رمحك شيئاً لأنه كان أسبق إلى أرواحهم فكأنه ذهب برماحهم وتركهم بغير سلاح .

لَوْ يكـونُ الـذي وَرَدْتَ من الفَجْـ	ـعَةِ طَعناً أوْرَدْتَهُ الخَيلَ قُبْلا[1]
وَلَـكَشّفْـتَ ذا الحَنينَ بضَـرْبٍ	طـالمَـا كَشّـفَ الكُـرُوبَ وجَـلّى[2]
خِطْبَـةٌ للحِـمامِ لَيـسَ لهَـا رَدٌّ	وَإنْ كانَتِ المُسَـمّاةَ ثُكْـلا[3]
وَإذا لم تَجِـدْ مِـنَ النّـاسِ كُفْأً	ذاتُ خِـدْرٍ أرادَتِ المَـوْتَ بَـعلا[4]
وَلَـذيذُ الحَيَـاةِ أنْفَـسُ في النّفْـ	ـسِ وَأشهَـى من أنْ يُمَـلّ وَأحْلَـى[5]
وَإذا الشّيخُ قَـالَ أُفٍّ فَـمَا مَـ	ـلّ حَـيَاةً وَإنّمَـا الضّعْفَ مَـلّا[6]
آلَةُ العَيـشِ صِحّــةٌ وَشَـبَابٌ	فـإذا وَلّيَـا عَنِ المَـرْءِ وَلّـى[7]
أبَـداً تَسْتَـرِدّ مَـا تَهَبُ الدّنْـ	ـيَا فَيا لَيتَ جُودَها كانَ بُخْـلا[8]
فكَفَـتْ كَـوْنَ فُرْحةٍ تورِثُ الغمّ	وَخِـلٍّ يُغادِرُ الوَجْـدَ خِـلا[9]

(١) وردت أي استقبلت . والفجعة المرة من فجعه إذا أوجعه بشيء يكرم عليه . وقبلا أي مقبلة أو متشاوسة البصر . والمعنى لو كان ما لقيته من هذه الرزيئة طعناً لدفعته عنك بالخيل والسلاح .

(٢) الحنين الشوق وما يجده الإلف إذا فارق إلفه . أي ولكشفت عن نفسك ما تجده من الحنين بضرب طالما كشف الكروب وجلى الخطوب .

(٣) كنى بالخطبة عن الثكل كما فسرها في آخر البيت . والحمام الموت . والثكل فقد من يعز عليك من نسيب أو حبيب . جعل الثكل خطبة لها لأنها كانت بكراً أي لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هي المسماة بالثكل . ووصفها بأنها لا ترد لأنه إذا كان الخاطب الموت لم يستطع رده كغيره من الخطاب .

(٤) الكفء المثل . أي إذا كانت المرأة الشريفة لا تجد كفؤاً من الناس تزوج به أرادت أن يكون الموت بعلا لها أي اختارت الموت على التزوج بغير الأكفاء لأنها تبقى به على جلالة شأنها .

(٥) ويروى أوقع في النفس . أي أن الحياة للذتها أنفس في نفوس أهلها وأشهى إليهم من أن تمل وتستكره . وهو كالتفسير لقوله أرادت الموت بعلا أي أنها تريد الموت خوفاً من أن تصير إلى غير كفؤ لا كراهية للحياة .

(٦) أف بتثليث الفاء وبالتنوين وتركه كلمة تضجر . أي إذا تضجر الشيخ فقال أف فإنما يتضجر من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة .

(٧) أي إنما يعيش المرء بصحة جسمه وشبابه فهما كالآلة للعيش فإذا عدمها عدم العيش .

(٨) يقول : الدنيا إذا وهبت استردت فيا ليتها منعت قبل الهبة . وتتمة الكلام في البيت التالي .

(٩) كفيته الشيء أغنيته عنه وهو جواب التمني . والكون بمعنى الحصول . والفرحة ، بالضم والفتح ، اسم بمعنى المسرة . ويغادر يترك . والوجد بمعنى الحزن . أي لو كان جودها بخلا لأغنت عن حصول فرحة تورث بزوالها الغم وعن وجود صاحب يفقد فيصير الحزن بعده صاحباً لمن يفقده .

وَهْيَ مَعشُوقةٌ على الغَدْرِ لا تَحْـ ـفَظُ عَهْداً وَلا تُتَمّمُ وَصْـلا[1]
كُـلُّ دَمْـعٍ يَسيلُ مِنهَـا عَلَيْهـا وَبِـفَكّ اليَدَيـنِ عَنْهـا تُخَلّـى[2]
شِيَمُ الغَانِيَـاتِ فِيها فَمَـا أدْ ري لذا أنّثَ اسْمَـها النّـاسُ أم لا[3]

★ ★ ★

هكذا .. وإلاّ فلا ..! هذا هو لسان حال الجميع عند شهود معالي الفعال والهمم القاهرة .. وهو ما دفع بالمتنبي لمدح سيف الدولة عندما سارع للتصدي لجيش ملك الروم وقد أحاط بثغر الحدث على حين غرة إذ قال في مستهل هذه القصيدة ..

ذي المَعَـالي فلْيَعْلُوَنْ مَن تَعَالى هَـكَذا هَـكَذا وَإلّا فَــلا لا[4]
شَـرَفٌ يَنْطِـحُ النّجـومَ برَوْقَيْـ ـهِ وَعِـزٌّ يُقَلْقِـلُ الأجْبَـالا[5]
حَـالُ أعْدائِنَا عَظيـمٌ وَسَيْفُ الـ ـدّوْلَةِ ابنُ السّيـوفِ أعظَـمُ حـالا[6]
كُلّـما أعْجَلُـوا النّذيـرَ مَسيراً أعجَلَتْهُـمْ جِيـادُهُ الإعـجَـالا[7]

---

(١) على الغدر أي معه . أي وهي مع غدرها بالناس معشوقة لهم . وتتمة البيت تفسير للغدر .
(٢) يسيل نعت دمع . أي كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي أسفاً عليها ولا يخليها الإنسان إلا قسراً حين تفك يداه عنها بالموت .
(٣) الشيم الأخلاق . والغواني النساء الحسان . وقوله لذا أي ألذا فحذف الاستفهام . يقول : الدنيا فيها طبع النساء يريد أنها تشبههن فيما ذكره من أنها لا ترعى عهداً ولا تقيم على وصل . ثم قال : ما أدري ألهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثاً وهو من تجاهل العارف .
(٤) يقول : هذه هي المعالي أي هي غير محجوبة عن أحد فليعل أهل التعالي إن استطاعوا أن يبلغوا منزلتك فإن حق المعالي أن تكون كما نشاهده منك وإلا فليست بمعال .
(٥) أي لك شرف . والروق القرن واستعار للشرف روقين لما استعار له النطح على سبيل الترشيح . يفسر ما أشار إليه بقوله هكذا يقول : قد بلغت شرفاً باذخاً يمس أعلاه النجوم وعزاً لو صادم الجبال لقلقلها وبقي راسخاً لا يتزعزع .
(٦) الحال تؤنث وتذكر . وقوله ابن السيوف ذهب إلى ما في السيف من معنى المضاء والقهر أي كلهم ملوك قاهرون .
(٧) يقال أعجله عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه . والنذير الذي ينذر أصحابه . والجياد الخيل . أي كلما باغتوا قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة ورد سيف الدولة عليهم فسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا إلى الاستيلاء عليها .

فأتَتْهُمْ خَوارِقَ الأرْضِ ما تحـ ـمِلُ إلّا الحَديدَ وَالأبْطَالا[1]
خَافيـاتِ الألْوانِ قَدْ نَسَجَ النّقـ ـعُ عَلَيْهَا بَرَاقِعاً وَجِلالا[2]
حَالَفَتْهُ صُدُورُهَا وَالعَوالي لَتَخُوضَنّ دُونَهُ الأهْوَالا[3]
وَلَتَمْضِنّ حَيثُ لا يَجِدُ الرّمـ ـحُ مَداراً وَلا الحِصانُ مَجَالا[4]

ويتحدث المتنبي عن الحرب وفعائل سيف الدولة في مواجهة جيش الروم إلى أن يقول :

رُبّ أمْرٍ أتاكَ لا تَحْمَدُ الفَعّـ ـالَ فيهِ وَتَحْمَدُ الأفْعَالا[5]
وَقِسِيٍّ رُمِيتَ عَنها فَرَدّتْ في قُلُوبِ الرّماةِ عَنكَ النّصَالا[6]
أخذوا الطُّرْقَ يَقطَعُونَ بها الرُّسْـ ـلَ فَكانَ انقِطاعُهَا إرْسَالا[7]
وَهُمُ البَحْرُ ذو الغَوَارِبِ إلّا أنّهُ صَارَ عندَ بحرِكَ آلا[8]

---

(١) يروى لا تحمل . أي أتتهم خيله تقطع الأرض سرعة وعليها السلاح والأبطال . والحصر في البيت لمجرد التأكيد كما تقول ما أمامك إلا الأسد المعروف بهوله وقوة بطشه .

(٢) النقع الغبار . والجلال جمع جل . أي قد خفيت ألوانها لما علاها من الغبار . وقد تكاثف ذلك الغبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى ظهورها كالجلال .

(٣) حالفته أي عاهدته . والعوالي جمع عالية الرمح وهي أعلاه مما يلي السنان . واللام من قوله لتخوضن للقسم . أي أن صدور خيله وعوالي رماحه عاهدته على أن تخوض أهوال الحرب دونه وتتلقى شدائدها عنه .

(٤) الضمير في تمضن لصدور الخيل وعوالي الرماح . وكان الوجه أن يقول تمضين وحكى الكوفيون حذف الياء مع تسكينها . ويمكن أن يقال يمضين بالياء غير مؤكد . والمعنى أنها حالفته على أن تفعل ما يعجز عنه غيرها من الخيل والرماح .

(٥) يريد أن المسلمين حمدوا فعل الروم في تركهم الآلات لهم لأنها كانت عوناً لهم على الظفر بهم وإن كانوا لا يحمدون الروم الذين فعلوا ذلك لأنهم أعداء لهم .

(٦) قسي جمع قوس . أي ورب قسي ترمى عنها السهام فترتد على راميها يريد السلاح الذي حمله الروم لقتال المسلمين فلما وقع في أيدي المسلمين كانت شوكته على الروم .

(٧) يقول : أخذوا الطرق على رسل الحدث ليقطعوهم عن المسير إلى سيف الدولة فلما أبطأت الأخبار عن عادتها علم سيف الدولة ما وراء ذلك وأسرع للمسير إليهم فكان انقطاع الرسل عنه بمنزلة الإرسال .

(٨) الغوارب أعالي الموج واحدها غارب . والآل ما تراه في أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم في كثرتهم كالبحر المائج إلا أنهم اضمحلوا أمام جيشك فصاروا كالآل .

مَا مَضَوْا لم يُقاتِلُوكَ وَلَكِـ ـنّ القِتالَ الذي كَفاكَ القِتَالا[1]
وَالذي قَطّعَ الرّقابَ مِنَ الضّرْ بِ بكَفّيْكَ قَطّعَ الآمَالا[2]
وَالثّباتُ الذي أجَادوا قَديماً عَلّمَ الثّابِتِينَ ذا الإجْفَالا[3]
نَزَلُوا في مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الأعْمَامَ وَالأخْوَالا[4]
تَحْمِلُ الرّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ الهَا مِ وَتَذْري عَلَيهِمِ الأوْصَالا[5]
تُنْذِرُ الجِسْمَ أنْ يَقُومَ لَدَيها فتُريهِ لِكُلّ عُضْوٍ مِثَالا[6]
أبْصَرُوا الطّعنَ في القلوبِ دِراكاً قَبلَ أنْ يُبصِرُوا الرّماحَ خَيَالا[7]
وَإذا حاوَلَتْ طِعانَكَ خَيْلٌ أبْصَرَتْ أذْرُعَ القَنَا أمْيَالا[8]
بَسَطَ الرّعبُ في اليَمين يَميناً فَتَوَلّوْا وَفي الشّمالِ شِمَالا[9]
يَنفُضُ الرّوْعُ أيدياً ليسَ تدري أسُيُوفاً حَمَلْنَ أمْ أغْلالا[10]

---

(١) كفاه الأمر أغناه عن كلفته . يقول : لم ينهزموا عنك بغير قتال ولكن قتالك الماضي لهم أغناك عن قتالهم هذه المرة فهربوا من الخوف .

(٢) أي السيف الذي قطع رقاب أصحابهم فيما سبق قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٣) أي أن أصحابهم ثبتوا أمامك قديماً فأهلكتهم وذلك الثبات علمهم أن يفروا منك مخافة أن يحل بهم ما حل بالذين سبقوهم .

(٤) المصارع جمع مصرع وهو اسم مكان من صرعه إذا طرحه على الأرض . يقول : نزلوا في المواضع التي قتلت فيها أنسباءهم فلما نظروا إليها ذكروهم فبكوا عليهم .

(٥) الهام الرؤوس . والأوصال جمع وصل ، بالضم والكسر ، وهو كل عظم على حدته يعني الأعضاء . يريد قرب العهد بقتلهم وأن شعورهم وأعضاءهم باقية تحملها الريح وتلقيها عليهم .

(٦) يقول : إن تلك المواضع تنذر أجسامهم القيام بها لأنها تريهم لكل عضو منهم عضواً مثله من المقتولين .

(٧) دراكاً أي متتابعاً . وخيالا في تأويل متخيلا . أي لشدة خوفهم منك وتصورهم لما صنعت بهم قديماً أبصروا الطعن في قلوبهم تخيلا قبل أن يبصروا الرماح حقيقة .

(٨) القنا عيدان الرماح . أي إذا أراد جيش الأعداء مطاعنتك أوهمهم الخوف أن الذراع من رماحك ميل أي خافوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على مسافة أميال .

(٩) تولوا أي أدبروا . أي عمهم الخوف حتى كأنه بسط يمينه في ميمنة جيشهم وشماله في ميسرته فتولوا هاربين .

(١٠) الروع الفزع . والأغلال القيود . أي أن أيديهم ترتعد من الخوف فلا تقدر على الضرب حتى كأن السيوف التي عليها أغلال لها .

وَوُجوهاً أخافَها منكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسْنَهَا لَهُ وَالجَمَالا[١]
وَالعِيانُ الجَليُّ يُحْدِثُ للظَّـ ـنّ زَوالاً وَللمُرادِ انْتِقالا[٢]
وَإذا ما خَلا الجَبَانُ بأرْضٍ طَلَبَ الطّعْنَ وَحدَهُ وَالنّزالا
أقْسَمُوا لا رَأوْكَ إلّا بقَلْبٍ طَالمَا غَرّتِ العُيُونُ الرّجَالا[٣]
أيّ عَينٍ تَأمّلَتْكَ فَلاقَتْـ ـكَ وطَرْفٍ رَنا إلَيْكَ فآلا[٤]
ما يَشُكُّ اللّعِينُ في أخْذِكَ الجَيْـ ـشَ فهَلْ يَبعَثُ الجُيوشَ نَوالا[٥]
مَا لمَنْ يَنصِبُ الحَبَائِلَ في الأرْ ضِ ومَرْجاهُ أن يَصِيدَ الهِلالا[٦]
إنّ دونَ التي على الدّرْبِ وَالأحْـ ـدَبِ وَالنّهْرِ مِخلَطاً مِزْيَالا[٧]

---

(١) أي ويغير الروع وجوهاً أخاف منظر وجهك أصحابها فتركت حسنها له أي اصفرت وكلحت من الخوف ولم يزل وجهك نضيراً طلقاً فكأنها خلعت حسنها عليه .

(٢) أي كانوا يظنون أنهم يقدرون على معارضتك فلما عاينوا فعلك وقصورهم عنك زال ما كانوا يظنونه وانتقل ذلك المراد الذي كانوا يريدونه من محاربتك .

(٣) ما من قوله طالما مصدرية والجملة استئناف . أي لما امتحنوا بأسك وعاينوا أفعالك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم في مقاومتك وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب أي صاروا يرجعون في الرأي إلى ما علموه بقلوبهم من قوة بطشك لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم .

(٤) لا قتك من الملاقاة . والطرف العين تسمية بالمصدر . ورنا اثبت نظره . وآل رجع . أي العين التي تتأملك لا تجسر على ملاقاتك في الحرب أي لا يجسر صاحبها على ذلك لما يرى من هيبتك وأفعالك وإذا أثبتت نظرها فيك لم تقدر على الرجوع إلى صاحبها لما يأخذها من الدهش أو لم يجترىء صاحبها على العود إليك خوفاً ورهباً .

(٥) يريد باللعين صاحب الروم . والنوال العطية وهو حال . يقول : إن ملك الروم لا يشك في أنك تأخذ الجيش كعادتك فهل يبعث الجيوش لتكون عطايا لك تغنمها أي لم يبق لإرسالها معنى إلا ذلك وهذا مثل قوله وهاد إليه الجيش أهدى وما هدى .

(٦) ما استفهام تعجب . والحبائل جمع حبالة وهي الشرك . ومرجاه مصدر ميمي أي ورجاؤه . يتعجب من جهل ملك الروم في قصده سيف الدولة يقول : ما لهذا الذى ينصب حبالة في الأرض وهو يرجو أن يصيد بها الهلال أي هو فيما يحاوله بإرسال الجيوش من الظفر بسيف الدولة مثل من يرجو أن يصيد الهلال بالحبائل .

(٧) الدرب كل مدخل إلى بلاد الروم والمراد هنا موضع بعينه . والأحدب جبل الحدث وهو الذي يقال له الأحيدب بالتصغير . وفلان مخلط مزيل ومخلاط مزيال إذا كان كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزايلها أي يفارقها إلى غيرها يوصف به الداهية . يريد بالتي على هذه المذكورات قلعة الحدث أي قبل الوصول إلى هذه القلعة والاستيلاء عليها رجل هذه صفته يعني سيف الدولة .

غَصَبَ الدَّهْرَ وَالمُلُوكَ عَلَيْها فَبَنَاهَا في وَجنَةِ الأَرْضِ خَالا[1]
فهيَ تمشي مَشْيَ العَرُوسِ اختِيالًا وَتَثَنّى عَلى الزّمَانِ دَلالا[2]
وَحَمَاهَا بكُلّ مُطّرِدِ الأكْـ ـعُبِ جَوْرَ الزّمَانِ وَالأوْجَالا[3]
وَظُبىً تَعْرِفُ الحَرامَ مِنَ الحِـ ـلّ فَقَدْ أفنَتِ الدّمَاءَ حَلالا[4]
في خَميسٍ مِنَ الأسودِ بَئِيسٍ يَفْتَرِسْنَ النّفُوسَ وَالأمْوَالا[5]
إنّمَا أنْفُسُ الأنِيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً وَاغْتِيالا[6]
مَنْ أطاقَ التِماسَ شيءٍ غِلاباً وَاغْتِصاباً لم يَلْتَمِسْهُ سُؤالا[7]
كُلُّ غادٍ لحَاجَةٍ يَتَمَنّى أنْ يكونَ الغَضَنْفَرَ الرِّئْبالا[8]

★ ★ ★

(١) غصبه على كذا أي قهره عليه . وخالا حال أي شبيهة بالخال . أي أنه استنقذها من يد الدهر والحكام وبناها فكانت في الأرض كالخال الذي يزين الوجنة . وإضافة الوجنة إلى الأرض من إضافة المشبه به إلى المشبه .

(٢) الاختيال التكبر . وتثنى أي تتثنى . شبهها بالعروس لحسنها جعلها تمشي اختيالا وتتثنى دلالا يريد لازم هذه المعاني وهو العزة والنعيم .

(٣) المطرد المتتابع في استواء . والكعب في الرمح العقدة بين الأنبوبين . والأوجال جمع وجل وهي المخافة . يريد أنه دفع العدو عنها بالرماح فحماها من جور الزمان ومخاوفه .

(٤) الظبى حدود السيوف . أي وحماها بسيوف لا يقتل بها إلا من حل دمه يعني الروم . ونسب التمييز بين الحرام والحلال إلى السيوف على سبيل المجاز كما قال إذا أضل الهمام مهجته يوماً فأطرافهن تنشدها .

(٥) الخميس الجيش . وبئيس أي شديد ذي بأس . وقوله يفترسن لما جعل الخميس من الأسود أضمر له بالنون وكأن هذا نوع من الترشيح . وأراد وينتهبن الأموال فحذف الفعل .

(٦) الأنيس المؤانس وأراد به الإنس خلاف الوحش . والسباع جمع سبع وهو كل مفترس من الحيوان . ويتفارسن أى يفترس بعضهن بعضاً . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري . يقول : الناس أشبه بالسباع يقتل بعضهم بعضاً مكاشفة وختلا كما تفعل السباع إذا عدا بعضها على بعض .

(٧) غلاباً أي مغالبة . يقول : من كان في طوقه أن ينال حاجته من طريق الغلبة والقهر لم يتكلف أن ينالها بلين السؤال وذل الامتنان .

(٨) غاد أي ساع وأصله الذهاب غدوة ثم توسعوا فيه فاستعملوه لمطلق الذهاب أي وقت كان . والغضنفر الأسد . والرئبال من أسماء الأسد أيضاً وصفه به للمبالغة كأنه قال الأسد الشديد مثلا .

الـرّأي قـبل شـجاعة الشُجْعــانِ

هـو أولٌ وَهـيَ المحـلُّ الثـاني

هذا هو مطلع القصيدة التي أنشدها المتنبي بين يدى سيف الدولة عند منصرفه من بلاد الروم ظافراً وذلك في شهر صفر من عام (٣٤٥ هـ) وفيها يؤكد مزية الرأي النير وأهمية إقترانه بالشجاعة ليتأتى النصر بهما سهلا ميسوراً .. فبالرأي الذي هو من نتاج الفكر أو العقل تحديداً يستطيع الإنسان أن يتميز على غيره بما يكون له من حسن تدبير .. وانتظام تفكير .. وذلك ما يتحدث عنه المتنبي في هذه القصيدة التي يقول فيها :

الرّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشّجْعانِ ... هُوَ أوّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثّاني

فإذا هُمَا اجْتَمَعَا لنَفْسٍ حُرّةٍ ... بَلَغَتْ مِنَ العَلْياءِ كلّ مكانِ[1]

وَلَرُبّما طَعَنَ الفَتى أقْرَانَهُ ... بالرّأيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأقرانِ[2]

لَوْلا العُقولُ لكانَ أدنَى ضَيغَمٍ ... أدنَى إلى شَرَفٍ مِنَ الإنْسَانِ[3]

وَلما تَفَاضَلَتِ النّفُوسُ وَدَبّرَتْ ... أيدي الكُماةِ عَوَاليَ المُرّانِ[4]

لَوْلا سَميُّ سُيُوفِهِ وَمَضَاؤهُ ... لمّا سُلِلْنَ لَكُنّ كالأجْفانِ[5]

خاضَ الحِمَامَ بهنّ حتى ما دُرَى ... أمِنِ احتِقارٍ ذاكَ أمْ نِسْيَانِ[6]

وَسَعَى فَقَصّرَ عن مَداهُ في العُلى ... أهْلُ الزّمانِ وَأهْلُ كلّ زَمانِ[7]

---

(١) حرة أي كريمة . ويروى مرة بالميم ومرة أيضاً بفتح الميم وبالنصب . والعلياء المكان العالي وتستعار للشرف .

(٢) الأقران جمع قرن ، بالكسر ، وهو الكفؤ في الحرب . أي أن الإنسان قدْ يظهر على أقرانه بما يقدمه من المكيدة ولطف التدبير فكأنه قد طعنهم بالرأي قبل التطاعن بالرماح .

(٣) الضيغم الأسد . وأدنى الأول بمعنى أخس . والثاني بمعنى أقرب .

(٤) تفاضلت فضل بعضها بعضاً . والكماة جمع كمي على غير قياس وهو البطل عليه السلاح . والعوالي جمع عالية وهي صدر الرمح . والمران الرماح اللينة .

(٥) يريد بسمي سيوفه سيف الدولة . والأجفان الأغماد . أي أن سيوفه لا تغني بدونه شيئاً فلولاه كانت كالغمود لا تقطع ضريبة .

(٦) الحمام الموت . ودرى بفتح الراء مجهول درى وهي لغة طيء . أي خاض المنايا بسيوفه غير مكترث حتى لم يعلم هل كان الاقتحام منه احتقاراً للموت أم نسياناً له .

(٧) المدى الغاية . وأهل من قوله أهل الزمان للعهد الحضوري أي أهل الزمان الحاضر وأهل كل زمان سواه .

تخذوا المَجالِسَ في البُيوتِ وَعندَه ... أنّ السّرُوجَ مَجالِسُ الفِتيانِ[1]
وَتوَهّموا اللعبَ الوَغى والطعنُ في الـ ... ـهَيجاءِ غَيرُ الطّعْنِ في الميدانِ[2]
قادَ الجِيَادَ إلى الطّعانِ وَلم يَقُدْ ... إلّا إلى العاداتِ وَالأوْطانِ[3]
كُلَّ ابنِ سَابقَةٍ يُغيرُ بحُسْنِهِ ... في قَلْبِ صاحِبِهِ عَلى الأحزانِ[4]
إنْ خُلّيَتْ رُبِطَتْ بآدابِ الوَغى ... فدُعاؤها يُغني عنِ الأرْسانِ[5]
في جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غبارُهُ ... فكأنّما يُبْصِرْنَ بالآذانِ[6]

.. وبعد أن يروى المتنبي طرفاً من شجاعة سيف الدولة وتردي عدوه في أردان الهزيمة يعاود ذكر محامد ممدوحه وانتصاره بالإسلام للإسلام فيقول :

خَضَعتْ لمُنصُلكَ المَناصِلُ عَنْوَةً ... وَأذَلّ دِينُكَ سائرَ الأدْيانِ[7]
وَعلى الدّروبِ وَفي الرّجوعِ غضَاضَةٌ ... وَالسّيْرُ مُمْتَنِعٌ مِنَ الإمْكانِ[8]

---

(١) تخذوا ، بكسر الخاء ، بمعنى اتخذوا والضمير لأهل الزمان . وعنده أي في اعتقاده . أي أنهم تعودوا أن يتخذوا مجالسهم في البيوت وهو يرى أن الفتيان ينبغي أن تكون مجالسهم سروج الخيل يفنون أيامهم عليها في المغازي والغارات .

(٢) الوغى والهيجاء من أسماء الحرب . وقوله والطعن إلى آخره كلام مستأنف . أي إذا لعبوا في الميدان فتطاعنوا بالرماح توهموا أن ذلك هو الحرب وشتان بين طعن اللاعب وطعن المحارب .

(٣) الجياد الخيل . أي قاد خيله إلى طعان الأبطال في الحرب فكأنه قادها إلى عاداتها وأوطانها لأنها قد ألفت ذلك عنده .

(٤) سابقة أي فرس سابقة . أي كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه سر بحسنه فكأنه يغير على الأحزان في قلبه فيبددها .

(٥) ضمير خليت للجياد . يعني أن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تبرح من مكانها فكأنها مربوطة وإذا دعيت انقادت بالصوت كما تنقاد بالرسن .

(٦) الجحفل الجيش الكثير والظرف حال من الجياد . أي قادها في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون فهي لا تبصر في ذلك الجيش شيئاً ولكنها تسمع الأصوات فتفعل ما تقتضيه فكأنها تبصر بآذانها .

(٧) المنصل السيف . وعنوة أي قهراً . يريد أن الانتصار كان للإسلام على سائر الأديان الوضعية التي يدين بها المشركون بالله .

(٨) الدروب المداخل إلى الروم . والغضاضة الذلة والعار . أي حين التقونا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تعذر الرجوع علينا لما فيه من الفشل والعار وامتنع التقدم لكثرة الجيش أمامنا . وتتمة الكلام فيما يلي .

وَالطُّرْقُ ضَيِّقَةُ المَسَالِكِ بالقَنَا وَالكُفْرُ مُجتَمِعٌ على الإيمَانِ(١)
نَظَرُوا إلى زُبَرِ الحَديدِ كأنّمَا يَصْعَدْنَ بَينَ مَناكِبِ العِقْبانِ(٢)
وَفَوَارِسٍ يُحيي الحِمامُ نُفوسَها فكأنّهَا لَيستْ مِنَ الحَيَوَانِ(٣)
ما زِلتَ تَضرِبهُم دِرَاكاً في الذُّرَى ضَرْباً كأنّ السّيفَ فيهِ اثْنانِ(٤)
خصّ الجَماجمَ وَالوُجوهَ كأنّمَا جاءتْ إليكَ جُسُومُهمْ بأمانِ(٥)
فرَمَوْا بما يَرْمونَ عَنْهُ وَأدْبَرُوا يَطَأُونَ كُلّ حَنِيّةٍ مِرْنَانِ(٦)
يَغشاهُمُ مَطَرُ السّحابِ مُفَصَّلاً بمُهَنّدٍ وَمُثَقَّفٍ وَسِنَانِ(٧)
حُرِموا الذي أمَلُوا وَأدرَكَ منهُمُ آمَالَهُ مَنْ عادَ بالحِرْمانِ(٨)
وَإذا الرّماحُ شَغَلنَ مُهجَةَ ثائِرٍ شَغَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنِ الإخْوَانِ(٩)

(١) القنا الرماح . والمراد بالكفر أصحابه من المشركين الذين يحاربون الإيمان وأهله من المسلمين الذين يدينون دين الله .

(٢) ضمير نظروا للعدو . والزبرة من الحديد القطعة منه يريد السيوف . والعقبان جمع عقاب وهي الطائر المعروف . أي في ذلك المكان في الحال التي وصفها نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء يعني عند رفعها للضرب كأنها تصعد بين مناكب هذه الطير فلا يرونها إلا فوق رؤوسهم .

(٣) الحمام الموت . أي ونظروا إلى فرسان ترى الموت حياة لها يعني موت الشهادة وإذا كان الموت حياة لها أحبته واشتهته فضلا عن عدم المبالاة به .

(٤) الدراك المتابعة أي متابعاً ضربهم . والذرى جمع ذروة وهي أعلى كل شيء . يقول : ما زلت تضربهم في أعالي أبدانهم ضرباً متتابعاً يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين من السرعة أو ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضاً فكأنه سيفان .

(٥) ضمير خص للضرب . والجماجم جمع جمجمة وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ . أي لا تعمد بالضرب إلا إلى جماجمهم ووجوههم لأنه أوحى قتلا فكأن أجسامهم جاءتك بأمان فلا تتعرض لها .

(٦) الحنية القوس . والمرنان ذات الرنين . أي طرحوا قسيهم التي كانوا يرمون عنها وأدبروا وهم يطأونها في الهزيمة .

(٧) يغشاهم يعلوهم ويغطيهم . ومفصلا من تفصيل القلادة وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة . والمهند السيف الهندي . والمثقف المقوم يعني الرمح . أراد بالسحاب الجيش وبالمطر الضرب والطعن المتداركين أي كان عمل الأسلحة فيهم مفصلا بالسيوف والرماح فتعمل فيهم هذه تارة وتلك أخرى .

(٨) أي حرمتهم أمل الظفر فصار من انهزم منهم وعاد عنك بالحرمان يعد نفسه مدركاً آماله لنجاته برأسه .

(٩) الرماح فاعل لمحذوف . والمهجة الروح . والثائر طالب الدم . أي إذا تناوشت الرماح صاحب ثأر فاشتغلت روحه بها اشتغل بصيانة روحه عن ثأر إخوانه . والمعنى أنهم لما أحسوا بالهلكة خذل بعضهم بعضاً وطلبوا الهزيمة فراراً بأنفسهم .

هَيهاتِ عـاقَ عنِ العِوادِ قَوَاضِبٌ كَـثُرَ القَتيلُ بهـا وَقَلّ العَـاني[1]
وَمُهَـذَّبٌ أمَـرَ المَنَـايَـا فِيهِـمِ فأطَعْنَـهُ في طـاعَـةِ الرّحْـمـانِ[2]
قد سَوّدتْ شـجرَ الجبالِ شُعُـورُهم فـكـأنّ فيـهِ مُسِفّـةَ الغِـرْبـانِ[3]
وَجَـرَى على الوَرَقِ النّـجيعُ القَـاني فـكأنّهُ النّـارَنْجُ في الأغصـانِ[4]
إنّ السّيُوفَ معَ الذينَ قُلُـوبُهُمْ كقُلُـوبهنّ إذا التَقَى الجَـمعانِ[5]
تَلْقَـى الحُـسامَ على جَـرَاءَةِ حدّهِ مـثلَ الجَـبانِ بكَـفّ كلّ جَبَـانِ[6]

بالرأي السليم .. والمقدام الشجاع ينتصر السيف لصاحبه . في حين أنه لا يغني عن الجبان شيئاً أو ينفع الذليل الخانع بشيء ..

هذا ما أعلنه المتنبي في مطلع القصيدة ثم أكد عليه في تاليها .. ليختمها بهذين البيتين اللذين يقول فيهما : لئن قتلت أعداءك بالسيف فقد امتلكتني بالإحسان وجعلتني قتيل كرمك :

---

(١) فاعل هيهات محذوف دل عليه ما سبق أي هيهات عودهم . والعواد مصدر عاود بمعنى عاد . والقواضب السيوف . والعاني الأسير . أي هيهات عودهم عنك ولو رضوا بالحرمان فقد عاقهم عن ذلك سيوف مجهزة كثر من يقتل بها وقل من يجرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب عطف على قواضب يريد به سيف الدولة . أي أطاعته المنايا في إهلاك الروم وطاعتها له في طاعة الله لأنه جهاد ..

(٣) الضمير من فيه للشجر . والمسفة من قولهم أسف الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه . يقول : ما تطاير من شعورهم تعلق بشجر الجبال فسودها لكثرته فكأنه غربان قد أسفت بينها .

(٤) المراد بالورق ورق الشجر . والنجيع الدم . والقاني الشديد الحمرة وأصله الهمز فلينه للتصريع . والنارنج الثمر المعروف .

(٥) أي أن السيوف بحقيقتها وفعلها إنما تكون مع الرجال الشجعان الذين قلوبهم صلبة عند اللقاء مثل قلوب السيوف . ويمكن أن يكون المراد بمع هنا خلاف على فيكون المعنى أنها إنما تنصر الشجعان الذين قلوبهم مثل قلوبها وهو محصل قول الواحدي وجماعة من الشراح .

(٦) ضمير تلقى للمخاطب . والحسام السيف القاطع . وعلى بمعنى مع . والمراد بجراءة حده مضاؤه في الضريبة فعبر عنه بالجراءة لمقابلة الجبان . أي أن السيف الماضي إذا كان في يد الجبان لم يغن في يده شيئاً كما لا يغني الجبان لأن الفعل للضارب .

يا مَـنْ يُقَتّـلُ مَـنْ أرادَ بسَيْفِهِ   أصْبَـحتُ منْ قَـتلاكَ بالإحْـسانِ[1]
فإذا رَأيتُـكَ حـارَ دونَكَ نَـاظِري   وَإذا مَـدَحتُكَ حـارَ فيكَ لِـساني

★ ★ ★

من القصائد التي مدح بها المتنبي سيف الدولة ولم ينشده إياها لأنه نظمها قبل مصاحبته له . هذه القصيدة التي نأخذ منها مستهلها وأبياتها الأول وهي التي يتحدث فيها عن ذكريات أيام الصبا ومراتع اللهو فيقول :

ذِكَـرُ الصِّبَـا وَمَرَاتِـعِ الآرَامِ   جَلَبَـتْ حِمامي قَبلَ وَقْتِ حِمامي[2]
دِمَـنٌ تَكاثَرَتِ الهُمُـومُ عَليّ في   عَرَصَاتِهـا كَتَـكاثُـرِ اللُّـوّامِ[3]
وَكَـأنّ كُلّ سَحَـابَةٍ وَقَفَتْ بهَـا   تَبكـي بعَيْـنيْ عُـرْوَةَ بنِ حِـزَامِ[4]
وَلَـطَالَمَـا أفْنَيْـتُ رِيقَ كَعَابِهَا   فِيهَـا وَأفْنَـتْ بالعِتابِ كَـلامي[5]
قَـد كُنْتَ تَهْزَأُ بالفِـراقِ مَـجَانَةً   وَتَجُـرّ ذَيْلَـيْ شِـرّةٍ وَعُـرَامِ[6]

---

(١) التشديد في يقتل للتكثير . أي أنت تقتل من شئت بسيفك ولكنك صيرتني قتيلا بإحسانك أي بالغت في إيصال نعمتك إلي حتى عجزت عن شكرها فصرت كالقتيل .

(٢) ذكر جمع ذكرى كأنهم حملوه على مؤنث التاء فجمعوه على حد سدرة وسدر وهو قياس عند الفراء . والصبا بمعنى اللهو والتصابي . والمراتع المواضع ترتع فيها الدواب أي ترعى كيف شاءت يروى بالجر عطفاً على الصبا وبالرفع عطفاً على ذكر . ويروى مرابع جمع مربع وهو منزل القوم في الربيع . والآرام جمع رئم على القلب المكاني وهو الظبي الخالص البياض . والحمام الموت . يذكر حنينه لذكر أيام اللهو والمنازل التي كانت فيها أحبته وأن ذلك جلب عليه من الوجد ما كاد يموت لأجله فكأنه مات قبل موته .

(٣) الدمن ما تلبد من آثار الديار . والعرصة ساحة المنزل .

(٤) وقفت بها نعت سحابة . وعروة بن حزام صاحب عفراء وهو من عشاق العرب المشهورين يقال إنه أول من بكى على الأطلال . يريد كثرة ما تجري عليها السحب من المطر حتى كأنها تبكي عليها بعيني هذا العاشق والمراد بذلك الكناية عن محو المطر لآثارها .

(٥) الكعاب ، بالفتح ، الجارية التي قد بدا ثديها للنهود . أي طالما رشفت فاها حتى نضب ريقها وأطالت عتابي حتى أفحمتني عن الكلام .

(٦) المجانة الهزل وترك المبالاة ، والشرة الحدة والبطر . والعرام الشراسة . يخاطب نفسه يقول : إنه قبل أن يبتلي بالفراق ويعرف مرارته كان يهزأ به لهواً واستخفافاً ويمرح في حدته وبطره غير مبال بما سيذيقه من الشدائد .

لَيسَ القِبابُ على الرِّكَابِ وَإنَّمَا هُنَّ الحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بسَلامِ[١]

ليتَ الذي فَلَقَ النَّوَى جعَلَ الحَصَى لخِفافِهِنَّ مَفَاصِلي وَعِظامي[٢]

مُتَلاحِظَينِ نَسُحّ مَاءَ شُؤونِنَا حَذَراً مِنَ الرُّقَبَاءِ في الأكْمَامِ[٣]

أرْوَاحُنَا انهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعدَهَا من بَعدِ ما قَطَرَتْ على الأقدامِ[٤]

لَوْ كُنّ يَوْمَ جرَينَ كُنّ كصَبرِنَا عندَ الرّحيلِ لَكُنّ غَيرَ سِجَامِ[٥]

لم يَتْرُكُوا لي صاحِباً إلّا الأسَى وَذَميلَ دِعْلِبَةٍ كَفَحْلِ نَعَامِ[٦]

وَتَعَذُّرُ الأحْرارِ صَيّرَ ظَهْرَهَا إلّا إلَيْكَ عَليّ ظَهْرَ حَرَامِ[٧]

أنتَ الغَريبَةُ في زَمَانٍ أهْلُهُ وُلِدَتْ مَكارِمُهُمْ لغَيرِ تَمَامِ[٨]

أكْثَرْتَ من بَذْلِ النّوَالِ وَلم تزَلْ عَلَماً على الإفْضالِ وَالإنْعَامِ[٩]

(١) القباب جمع قبة يريد بها الهوادج . والركاب الإبل . أي ليس الذي تراه هوادج المحبوبة على الإبل وإنما تلك الهوادج هي الحياة رحلت برحيلها يعني أنه لا يبقى بعدها .

(٢) خفافهن الضمير للركاب وأراد أخفافهن لأن خف البعير يجمع على أخفاف والخفاف جمع الخف الملبوس فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزاً . يتمنى لو كانت أعضاؤه في موضع الحصى التي تطأها إبلها تحبباً إليها وشغفاً بقربها ولو في الممات .

(٣) نسح أي نسكب . والشؤون جمع شأن وهو مجرى الدمع من الرأس . وفي الأكمام صلة نسح . يصف حاله وحال الحبيبة عند الوداع يقول : كانت تنظر إلي وأنا أنظر إليها وكلانا يبكي للفراق فيستر بكاءه بكمه خوفاً من أن تراه الرقباء .

(٤) انهملت انسكبت . أراد بالأرواح الدموع لأن كثرة البكاء تذيب الأجسام وتتلفها فكأنها أرواح تسيل منها ثم تعجب من الحياة بعد سيلان هذه الأرواح ونفاذها .

(٥) سجام أي منسكبة . يقول : لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه أي في يوم الرحيل مثل صبرنا في ذلك اليوم لما سالت . يعني أن الصبر نفد في ذلك اليوم فلو كانت الدموع في مقدار الصبر لما كان لها مادة تنسكب .

(٦) الأسى الحزن . والذميل ضرب من سير الإبل . والذعلبة الناقة السريعة . أي تركوني وحيداً لا صاحب لي أرافقه إلا الحزن ولا أنيس أسكن إليه إلا سرعة ناقتي في الفلوات .

(٧) التعذر الامتناع . ويريد بالأحرار الكرام . يخاطب الممدوح يقول : تعذر وجود الكرام صير ركوب هذه الناقة محرماً علي إلا لقصدك لأنه لا كريم غيرك .

(٨) الغريبة اسم لما يستغرب والتاء فيها للاسمية كما في عجيبة ونحوها . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم ناقصوا المكارم وأنت تام الكرم بينهم .

(٩) النوال العطاء . وعلماً أي علامة . أي أن الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويهتدى إليهما بأفعالك فأنت كالعلامة لهما .

صَغّرْتَ كلّ كَبيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَأنّهُ وَعَدَدْتَ سِنّ غُلامِ[1]
وَرَفَلْتَ في حُلَلِ الثّنَاءِ وَإنّمَا عَدَمُ الثّنَاءِ نِهَايَةُ الإعْدامِ[2]
عَيْبٌ عَلَيكَ تُرَى بسَيفٍ في الوَغى مَا يَصْنَعُ الصّمْصَامُ بالصّمصَامِ[3]

★ ★ ★

لا تهون الصحبة وما ينشأ عنها من محبة على الأحرار من بني الإنسان حتى وإن أفسد الوشاة ما بينهما واضطرتهما الظروف للافتراق .. ولقد فارق المتنبي سيف الدولة ، ولذلك قصته سنوجزها بعد انتهاء مرحلة مافي رحاب سيف الدولة من شعر المتنبي وتوجهه إلى كافور الإخشيدي .

فارق المتنبي سيف الدولة وتوجه إلى مصر ثم غادرها إلى الكوفة .. ومع ذلك بقيت جذور المحبة .. وظل الوداد يغمر النفوس .. فما أن وصل أبو الطيب إلى الكوفة حتى أنفذ إليه سيف الدولة إبنه بهدية كريمة وكأنه يذكره بما كان بينهما .. فما كان من المتنبي إلا أنه تجاوب مع تلك المشاعر بقصيدة يمدح فيها سيف الدولة وكريم وصاله مكتفياً بارسالها إليه وفي مستهلها يقول :

مَا لَنَا كُلُّنَا جَوٍ يا رَسُولُ أنَا أهْوَى وَقَلبُكَ المَتْبُولُ[4]
كُلّما عادَ مَن بَعَثْتُ إلَيْهَا غَارَ منّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ[5]

---

(١) الكبيرة الأمر الكبير والتاء للاسمية أيضاً . واللام من لكأنه للتوكيد وأراد عن قول القائل لكأنه فلان أو كأنه الأسد أو البحر فحذف خبر كأن لأنه أراد مطلق التشبيه واستغنى عن ذكر القول . أي صغرت الأفعال الكبيرة بأفعالك لأن أفعالك أكبر منها وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم تدع لأحد مزية عليك مع أنك إذا عددت أيامك لم تتجاوز سن الغلام .

(٢) رفل في ثيابه إذا أطالها وجرها متبختراً . والإعدام الفقر . يقول : لبست حللا سابغة من الثناء ترفل فيها افتخاراً وإنما الفقر في عدم الثناء لا في عدم المال . كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجوده أي أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين فكان بذلك هو المثري لأن ثناءهم باق والمال يغدو ويروح .

(٣) أراد أن ترى فحذف أن . والباء من بسيف بمعنى مع أي ومعك سيف . والوغى الحرب . والصمصام من أسماء السيف . يريد أنه كالسيف في المضاء فلا حاجة به إلى السيف .

(٤) الجوي صفة من الجوى وهي حرقة في القلب من حزن أو عشق . والمتبول الذي أسقمه الحب وأفسده . يتهم رسوله إلى المحبوبة بأنه قد شاركه في حبها . يقول : أنا العاشق وقد بعثتك إليها رسولا فما لك قد صرت عاشقاً مثلي تقاسي فيها ما أقاسيه .

(٥) يقول : كلما عاد الرسول من عندها غار مني عليها لأنه يعود مفتوناً بحبها وخانني في تبليغ ما ينقله إلى من رسالتها .

أَفْسَدَتْ بَيْنَنا الأمَانَاتِ عَيْنَا   هَا وَخَانَتْ قُلُوبَهُنّ العُقُولُ[1]
تَشتَكي ما اشتكَيتُ مِن ألمِ الشّوْ   قِ إلَيها وَالشّوْقُ حَيثُ النُّحولُ[2]
وَإذا خامَرَ الهَوَى قَلبَ صَبٍّ   فَعَلَيْهِ لِكُلّ عَينٍ دَليلُ[3]
زَوّدينَا من حُسنِ وَجْهِكِ ما دا   مَ فَحُسنُ الوُجوهِ حَالٌ تحُولُ[4]
وَصِلِينَا نَصِلْكِ في هَذِهِ الدّنْـ   ـيَا فإنّ المُقَامَ فيها قَليلُ[5]
مَنْ رَآهَا بعَيْنِها شَاقَهُ القُطّـ   ـانُ فيهَا كمَا تَشوقُ الحُمُولُ[6]
إنْ تَرَيْني أدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ   فَحَميدٌ مِنَ القَناةِ الذُّبُولُ[7]
صَحِبَتْني على الفَلاةِ فَتَاةٌ   عادَةُ اللّوْنِ عندَها التّبديلُ[8]
سَتَرَتْكِ الحِجالُ عَنهَا وَلكِنْ   بكِ مِنهَا مِنَ اللَّمَى تَقبيلُ[9]

---

(١) الضمير من قلوبهن للعقول أي خانت العقول قلوبهن . يقول : أفسدت عيناها أمانة الرسول لغلبة سحرهما عليه حتى عشقها فصار لا يؤدي رسالاتنا على وجهها وخانت العقول قلوبها أي فارقتها وتركتها فصارت تعمل بهواها من غير زاجر .

(٢) ويروى من طرب الشوق . أي أن الحبيبة تشتكي من الشوق إلى مثل ما اشتكيت من الشوق إليها ثم كنى عن تكذيبها في هذه الشكوى فقال الشوق إنما يكون حيث يكون النحول أي هو عنده دونها . والاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لايتصور من الرسول أن يبوح له بهواها أي أرى بك من الشوق إليها مثل ما بي لأنك ناحل والنحول يدل على الشوق وهذا كالإثبات لما يتهمه به من حبها .

(٣) خامر خالط . والصب العاشق . والبيت توكيد لما قبله أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق .

(٤) دام تامة والضمير فيها للحسن . وتحول تتغير .

(٥) نصلك جواب الأمر . والمقام ، بالضم ، بمعنى الإقامة .

(٦) القطان السكان . والحمول الإبل عليها الهوادج واحدها حمل ، بالكسر ويفتح . يريد أن المقيم في الدنيا على وشك تخليتها والرحيل عنها فمن رآها بعينها أي من صور نفسه في مكانها ورأى أهلها على أهبة فراقها شاقه النظر إليهم كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين .

(٧) أدمت من الأدمة وهي السمرة . والقناة عود الرمح . والذبول الدقة ولصوق الليط أي القشر . أي إن غيرت الأسفار وجهي فصرت آدم بعد أن كنت أبيض فإنني كالرمح الذي عتق فضمر واسمر وذلك فيه من الصفات المحمودة .

(٨) يريد بالفتاة الشمس لأن الدهر لا يؤثر فيها كبراً فلا تزال على شبابها ونضرتها وهي من عادتها أن يبدل اللون عندها أي لون من يصيبه ضوءها فيتحول بياضه إلى سمرة .

(٩) الحجال جمع حجلة وهي الستر . واللمى سمرة في الشفة . يقول : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن في شفتيك سواداً من مثل السواد الذي تؤثره فكأنها قبلت فاك فأثرت موضع التقبيل .

مِثْلُهَا أنتِ لَوّحْتني وَأسْقَمْـ ـتِ وَزَادَتْ أبْهاكُما العُطْبُولُ[(١)]
نَحْنُ أدْرَى وَقد سألْنَا بنَجْدٍ أطَويلٌ طَرِيقُنَا أمْ يَطُولُ[(٢)]
وَكَثيرٌ مِنَ السّؤالِ اشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدّهِ تَعْليلُ[(٣)]
لا أقَمْنَا عَلى مَكانٍ وَإنْ طَا بَ وَلا يُمكِنُ المكانَ الرّحيلُ[(٤)]
كُلّمَا رَحّبَتْ بنا الرّوْضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأنْتِ السّبيلُ[(٥)]
فِيكِ مَرْعَى جِيادِنَا وَالمَطَايَا وَإلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذّميلُ[(٦)]
وَالمُسَمَّوْنَ بالأمِيرِ كَثِيرٌ وَالأمِيرُ الذي بها المَأمُولُ
ألّذي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقاً وَغَرْباً وَنَداهُ مُقابِلي مَا يَزُولُ[(٧)]
وَمَعي أيْنَمَا سَلَكْتُ كَأنّي كُلُّ وَجْهٍ لَهُ بوَجْهي كَفِيلُ[(٨)]

---

(١) لوحتني أي سفعتني وغيرت لوني . وقوله وأسقمت أراد وأسقمتني فحذف لضيق المقام . وأبهاكما تفضيل من البهاء وهو الحسن . والعطبول الحسنة التامة من النساء وهي بيان لأبهاكما . يقول : أنت مثلها في تغيير جسمي فهي لوحتني وأنت أسقمتني ولكن زادت في هذا التغيير أحسنكما التي هي العطبول أي أنت .

(٢) أي أطويل طريقنا في الحقيقة أم يطول من الشوق . والمعنى كنا نسأل عن طول الطريق وقصره لا لجهل بالطريق لأنا أدرى به . وتتمة الكلام في البيت التالي .

(٣) علله بالشيء لهاه به . أي كثير من السؤال يكون سببه الاشتياق لا الجهل بالمسؤول عنه وكثير من الجواب يكون تطييباً للسائل . أي الذي حملنا على السؤال عن الطريق الاشتياق وتوقع جواب نتعلل به عن طول المسافة .

(٤) أدخل لا على الماضي لأنه كررها كما في لا صدق ولا صلى . أي لم نتوقف على مكان وإن كان ذلك المكان طيباً لئلا يؤخرنا عن المسير ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه . والمعنى لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى الموضع الذي نقصده .

(٥) رحب به قال له مرحباً . والروض جمع روضة وهي المكان فيه خضرة . أي كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا ويدعونا إلى النزول به اعتذرنا إلى ذلك المكان وقلنا له نحن نقصد حلب وأنت طريق لنا إليها فلا تسعنا الإقامة عندك وإن كنت طيباً . وكأنه يشير إلى الوشاة الذين اضطروه للمفارقة .

(٦) الجياد الخيل . والمطايا أي الإبل . والضمير من إليها لحلب . والوجيف العدو يعني وجيف الخيل . والذميل ضرب من سير الإبل .

(٧) زلت عنه أي فارقته . ونداه جوده .

(٨) الوجه الجهة . والضمير من له للندى . والكفيل الضامن . أي ونداه معي في أي طريق سلكته فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداه في وجهي أي أمامي .

وَإذا العَذْلُ في النّدَى زَارَ سَمْعاً   فَفَداهُ العَذُولُ وَالمَعْذُولُ[1]
وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمِ مِنْ يَدَيْهِ   نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بهَا مَقْتُولُ[2]
فَرَسٌ سَابِحٌ وَرُمْحٌ طَوِيلٌ   وَدِلاصٌ زَغْفٌ وَسَيفٌ صَقيلُ[3]
كُلّمَا صَبّحَتْ دِيارَ عَدُوٍّ   قالَ تِلكَ الغُيوثُ هذي السّيولُ[4]
دَهِمَتْهُ تُطايِرُ الزّرَدَ المُحْـ   ـكَمَ عَنْهُ كَمَا يَطيرُ النّسيلُ[5]
تَقنِصُ الخَيلَ خَيلُهُ قَنَصَ الوَحـ   ـشِ وَيَستأسرُ الخَميسَ الرّعيلُ[6]
وَإذا الحَرْبُ أعرَضَتْ زَعَمَ الهَوْ   لُ لعَيْنَيْهِ أنّهُ تَهْوِيلُ[7]
وَإذا صَحّ فالزّمانُ صَحيحٌ   وَإذا اعْتَلّ فالزّمانُ عَليلُ
وَإذا غابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكانٍ   فَبِهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهٌ جَميلُ[8]

.. ويتحدث المتنبي عن مغازي سيف الدولة .. وانهيار الأعداء أمامه لشجاعته . وكذا انقياد الناس له لكرمه . ثم يقول في ختام القصيدة :

---

(١) العذل الملام . أي فداه كل عاذل لأنه مردود عنده وكل معذول لأنه فوقه في الجود .
(٢) الموالي العبيد والأصدقاء . أي وفدته موال تحييهم نعمه فيستخدمون تلك النعم في قتل أعدائه . يريد بهذه النعم العدد المذكورة في البيت التالي .
(٣) سابح أي سريع العدو كأنه يسبح في جريه . ويروى سابق . والدلاص الدرع البراقة . والزغف اللينة المحكمة النسج .
(٤) صبحت جاءت صباحاً . والغيوث الأمطار . أي كلما صبحت مواليه ديار عدو فصبت عليه الغارة قالت غيوث مواهبه هذه سيولنا . شبه مواهبه المذكورة بالمطر والغارة بها على العدو بالسيل الذي يكون عن المطر .
(٥) الهاء من دهمته للعدو . والمحكم الموثق الصنعة . والنسيل ما تساقط من ريش الطائر . أي تهتك الدروع فيتطاير زردها من قوة الضرب كما يطير الريش إذا سقط من الطير .
(٦) يستأسر أي يأسر . والخميس الجيش من خمس فرق . والرعيل القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين . أي أن خيله تصيد الخيل كما تصيد الوحش والفرقة القليلة من جيشه تأسر الجيش الكثير .
(٧) أعرضت أي ظهرت وقامت . والهول الفزع . والتهويل التفزيع والضمير من أنه للهول . أي إذا قامت الحرب لم يبال بما يرى من أهوالها فكأن الهول يظهر لعينيه في صورة التهويل فجعل ظهوره كذلك زعماً . والمعنى أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له .
(٨) ويروى نثاه بتقديم النون وهما متقاربان .

قَعَدَ النّاسُ كُلّهُمْ عَنْ مَساعيـ ـكَ وَقامتْ بها القَنا وَالنُّصُولُ[(١)]
ما الذي عِنْدَهُ تُدارُ المَنَايا كالّذي عِندَهُ تُدارُ الشَّمولُ[(٢)]
لَسْتُ أرْضَى بأنْ تكُونَ جَواداً وَزَمَاني بأنْ أرَاكَ بَخيلُ[(٣)]
نَغّصَ البُعدُ عَنكَ قُرْبَ العَطايا مَرْتَعي مُخصِبٌ وَجِسمي هَزِيلُ[(٤)]
إنْ تَبَوّأتُ غيرَ دُنْيايَ داراً وَأتَاني نَيْلٌ فَأنْتَ المُنيلُ[(٥)]
من عَبيدي إنْ عِشتَ لي ألفُ كافو رٍ وَلي مِن نَداكَ رِيفٌ ونِيلُ[(٦)]
مَا أُبَالي إذا اتّقَتْكَ اللّيالي مَنْ دَهَتْهُ حُبُولُها وَالخُبُولُ[(٧)]

★ ★ ★

.. ويُرزأ سيف الدولة بوفاة أخته . ويرد الخبر إلى المتنبي وهو بالكوفة .. فينتهزها فرصة ليمدح أخاها من خلال رثائه لها بقصيدة كتب بها لسيف الدولة إثر سماعه للنبأ الفاجعة إذ يقول :

يا أُخْتَ خَيرِ أخٍ يا بِنْتَ خَيرِ أبِ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أشرَفِ النّسَبِ[(٨)]

---

(١) أي قعدوا عما تسعى إليه من معالي الأمور وقامت به عندك الرماح والسيوف .
(٢) المنايا جمع منية وهي الموت . والشمول الخمر . يعرض بغيره من الحكام أي هم يشتغلون باللهو وشرب الخمر وأنت تشتغل بالحرب .
(٣) بأن أراك صلة بخيل . أي لست أرضى بأن يصل إلي عطاؤك وأنا بعيد عنك لا أراك .
(٤) المرتع المرعى . والهزيل ضد السمين . يقول : بعدي عنك نغص قرب عطاياك مني فأنا في ذلك كالذي يرتع في مكان خصيب وهو مع ذلك مهزول . يعني أنه لا يهنأ بعطاياه مع البعد عن لقائه .
(٥) تبوأ المكان نزله . وغير دنياي أي داراً غير دنياي . والنيل العطاء . يريد أن عطاءه يتبعه حيثما سار فلو نزل داراً غير الدنيا ووصلت إليه نعمة لكان سيف الدولة هو المنعم بها .
(٦) يقول : إذا بقيت حياً كان لي من العبيد الذين تهبهم لي ألف عبد مثل كافور الذي فارقته وتدفق علي الخير والخصب من جودك بما يغنيني عن ريف مصر ونيلها .
(٧) اتقتك اجتنبتك . ويروى اتقتك الرزايا جمع رزيئة وهي المصيبة . والحبول جمع حبل بالكسر وهو الداهية . والخبول جمع خبل وهو مصدر خبله إذا أفسد من أعضائه أو عقله . أي إذا لم يصبك الدهر بسوء لم أبال بمن تصيبه دواهيه وآفاته .
(٨) أي يا أخت سيف الدولة ويا بنت أبي الهيجاء وهو المراد بأشرف النسب فكنى عن ذلك ونصب كناية على المصدر كأنه قال كنيت كناية .

أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسْمَيْ مُؤبَّنَةً   وَمَنْ يَصِفْكِ فَقد سَمّاكِ للعَرَبِ[١]
لا يمْلِكُ الطّرِبُ المَحزُونُ مَنطِقَه   وَدَمْعَهُ وَهُمَا في قَبضَةِ الطّرَبِ[٢]
غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَم أفنيتَ من عَدَدٍ   بمَنْ أصَبْتَ وكم أسكَتَّ من لجَبِ[٣]
وكم صَحِبْتَ أخَاهَا في مُنَازَلَةٍ   وكم سألتَ فلَمْ يَبخَلْ وَلم تَخِبِ[٤]
طَوَى الجَزِيرَةَ حتى جاءَني خَبَرٌ   فَزِعْتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ[٥]
حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُهُ أمَلًا   شَرِقْتُ بالدّمعِ حتى كادَ يشرَقُ بي[٦]
تَعَثّرَتْ بهِ في الأفْوَاهِ ألْسُنُهَا   وَالبُرْدُ في الطُّرْقِ وَالأقلامُ في الكتبِ[٧]

.. ويسرد المتنبي مناقب المتوفاة في أبيات متلاحقة .. حتى يأتي إلى ذكر محامد أخيها ويطلب من الصبر أن يصحبه بعد أن فجعه الزمان في أختيه فيقول :

---

(١) التأبين الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن اعرفك باسمك بل وصفك يعرفك بما فيك من المحامد التي ليست في سواك فيغني عن تسميتك .

(٢) الطرب صفة من الطرب وهو خفة تأخذ الانسان من فرط الحزن أو السرور . أي من استخفه الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما لأنهما يكونان في يد الطرب يصرفهما كما يشاء .

(٣) اللجب الضجيج واختلاط الأصوات . يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة حين أخذت أخته وكنت تفني به العدد الكثير وتسكت لجبهم وإذا كان هو عونك على الإفناء فقد كان من حقك أن ترعى ذمته ولا تصيبه بمن يعز عليه .

(٤) أي كم صحبته في غزواته وسألته أن يمكنك من نفوس أعدائه فأجابك إلى ذلك ولم يبخل عليك بما سألت .

(٥) المراد بالجزيرة جزيرة قور وهي ما بين دجلة والفرات . وفزعت لجأت . أي أن خبر نعيها قطع أرض الجزيرة حتى ورد عليه في الكوفة فترجى أن يكون كاذباً تعللا بهذا الرجاء . ويستشهد الكثير من الكتاب في زماننا بهذا البيت عندما يبلغهم خبر وفاة من تندفع أقلامهم لرثائه .. وكذلك البيت الذي يليه .

(٦) شرق به غص . أي حتى إذا صح الخبر ولم يبق لي أمل في كونه كاذباً طفح علي الدمع حتى غصصت به ثم غمرني فكاد يغص بي .

(٧) اختلس حركة الهاء من قوله به ضرورة كما قال الآخر إنه لايبرىء داء الهدبد . والبرد جمع بريد وهو الرسول وسكن الراء على لغة تميم . أي لهول ذلك الخبر تلجلجت به الألسنة في الأفواه وتعثرت البرد الحاملة له في الطرق ورجفت أيدي الكتاب في كتابته .

يا أحسَنَ الصبّرِ زُرْ أوْلى القُلُوبِ بهَا ... وَقُلْ لصاحِبِهِ يا أَنْفَعَ السُّحُبِ[1]

وَأَكْرَمَ النّاسِ لا مُسْتَثْنِياً أحَداً ... منَ الكِرامِ سوَى آبَائِكَ النُّجُبِ[2]

قد كانَ قاسَمَكَ الشخصَينِ دهرُهُما ... وَعاشَ دُرُّهُما الْمَفْدِيُّ بالذّهَبِ[3]

وَعادَ في طَلَبِ المَترُوكِ تارِكُهُ ... إنّا لَنَغْفُلُ وَالأيّامُ في الطّلَبِ[4]

مَا كانَ أقصرَ وَقتاً كانَ بَيْنَهُمَا ... كأنّهُ الوَقْتُ بَينَ الوِرْدِ وَالقَرَبِ[5]

جَزَاكَ رَبُّكَ بالأحزانِ مَغْفِرَةً ... فحزْنُ كلّ أخي حزْنٍ أخوالغضَبِ[6]

وَأَنْتُمُ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمُ ... بِمَا يَهَبْنَ وَلا يَسخُونَ بالسَّلَبِ[7]

.. وتأتي خاتمة القصيدة بأبيات تمثل حكما تبقى مع الدهر يرددها كل مفجوع .. ويتعزى بها كل مرزوء إذ يقول فيها :

فَلا تَنَلْكَ اللّيالي ، إنّ أيْدِيَهَا ... إذا ضَرَبنَ كَسَرْنَ النَّبعَ بالغَرَبِ[8]

---

(١) أولى القلوب بها قلب سيف الدولة والضمير للمرثية . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذي هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب أي يا أعمها نفعاً على غير أذى ولا سأم .

(٢) أكرم الناس معطوف على أنفع السحب أي وقل له يا أكرم الناس . ومستثنياً حال عاملها النداء أي أناديك بهذا اللفظ غير مستثن أحداً سوى آبائك .

(٣) يريد بالشخصين أختيه أي كان قد أخذ الصغرى وترك الكبرى فكانت كدر فدي بذهب فجعل الكبرى كالدر والصغرى كالذهب .

(٤) في طلب المتروك حال أي عاد طالباً المتروك . أي وبعد ذلك عاد الدهر في طلب الكبرى لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته .

(٥) الورد إتيان الماء والمراد هنا ورد الإبل . والقرب سير الليل لورد الغد . يريد المبالغة في تقارب أجليهما يقول : إن المدة بينهما كانت قصيرة كالمدة التي بين صباح الورد والليل الذي قبله .

(٦) يقول : جعل الله جزاءك على الأحزان المغفرة أي غفر الله أحزانك لأن الحزن للمصيبة كالغضب على المقدور إذ حقيقته عدم الرضى بما جرى به القلم .

(٧) النفر الجماعة . ويروى وأنتم معشر . ويسخون في تقدير يفعلن والضمير للنفوس . ويروى تسخون بلفظ خطاب الذكور . والسلب الشيء المسلوب . أي إنما تحزن لأن الدهر سلبك المرثية وأنتم قوم أهل عزة وأنفة تسخون بالذي تهبونه عن طيب نفس ولا تسخون بما يسلب منكم قهراً .

(٨) تنلك أي تصبك . والنبع شجر صلب . والغرب نبت ضعيف . أي لا أصابتك الليالي بسوء فإنها تغلب القوي بالضعيف .

وَلا يُعِنّ عَدُوّاً أنْتَ قاهِرُهُ   فإنّهُنّ يَصِدْنَ الصّقرَ بالخَرَبِ[1]
وَإنْ سَرَرْنَ بمَحْبُوبٍ فجَعْنَ بِهِ   وَقَد أتَيْنَكَ في الحَالَينِ بالعَجَبِ[2]
وَرُبّمَا احتَسَبَ الإنْسانُ غايَتَهَا   وَفاجَأتْهُ بأمْرٍ غَيرِ مُحْتَسَبِ[3]
وَمَا قَضَى أحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ   وَلا انْتَهَى أرَبٌ إلاّ إلى أرَبِ[4]
تَخالَفَ النّاسُ حتى لا اتّفاقَ لَهُمْ   إلاّ على شَجَبٍ وَالخُلفُ في الشَّجَبِ[5]
فقِيلَ تَخلُصُ نَفسُ المَرْءِ سَالمَةً   وَقيلَ تَشرَكُ جسْمَ المَرْءِ في العَطَبِ
وَمَنْ تَفَكّرَ في الدّنْيَا وَمُهْجَتِهِ   أقامَهُ الفِكْرُ بَينَ العَجزِ وَالتّعَبِ[6]

.. وأخيراً .. نأتي إلى القصيدة الأخيرة من شعر أبي الطيب .. أو بالأصح بقية الجواهر من شعر المتنبي في مدح سيف الدولة لنتبين منها سبب الإصرار على المفارقة .

فلقد عاود سيف الدولة مراسلة المتنبي أملًا في استعادته . وأنفذ إليه حيث هو بالكوفة في شهر ذي الحجة عام (٣٥٣ هـ) خطاباً كتبه بخط يده إمعاناً في التكريم يسأله المسير إليه . ورغم ذلك بل ورغم محبة المتنبي لسيف الدولة وإعجابه بشجاعته وكريم عطائه يمتنع عن العودة .. ويبعث بقصيدة مطولة يشرح في مستهلها دواعي بعاده وإصراره على البقاء بعيداً عن الوشاة ومساعيهم التي كانت سبب هذا الإفتراق . وكأنه يتمسك بالحكمة الصينية القديمة التي تقول : إذا غدر بك مخلوق فلا تبتئس . أو تحاول الانتقام ، وإنما يكفيك أن تجلس على شط النهر فستحمل الأمواج جثته إليك .

(١) يعن من الإعانة والضمير لليالي . والخرب ذكر الحبارى ومعنى البيت نحو من الذي سبقه .

(٢) فجعه أوجعه بفقد شيء يعز عليه . أي إن سرتك بوجود شيء تحبه فجعتك بفقده فجاءتك في الحالين بالعجب لأنها تجعل الشيء الواحد سبباً للمسرة والمساءة .

(٣) غاية الشيء منتهاه . أي قد يحسب الانسان حوادثها ويتأهب لأعقابها فتفاجئه بحوادث لم تجر في حسبانه .

(٤) اللبانة والأرب متقاربان وهما بمعنى الحاجة في النفس . أي لم يقض أحد حاجته من الدنيا لأن حاجاته لا تنقضي فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب آخر .

(٥) حتى ابتدائية . والشجب الهلاك . والخلف بمعنى الاختلاف . أي تخالفت آراؤهم في كل شيء فما اتفقوا إلا على الهلاك أي على كونهم يموتون فيهلكون ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك أيضاً كما ذكره بعد .

(٦) المهجة الروح . أي من تفكر في مفارقة الدنيا وأنه هالك عنها لا محالة أتعبه هذا الفكر لما يجد فيه من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ثم رأى ذلك قضاء لا يسعه الفرار منه وحالا لا يقدر على تبديلها فوجد نفسه قائماً بين طرفين من العجز والتعب .

.. من هذه القصيدة نختار مستهلها الذي يتحدث فيه المتنبي عن بهجته بخطاب سيف الدولة وما يعوقه عن المجيء إليه من غدر الوشاة وما يلفقونه من أكاذيب باطلة إذ يقول :

فَهِمْتُ الكِتابَ أَبَرَّ الكُتُبْ ... فَسَمْعاً لأَمْرِ أَميرِ العَرَبْ[1]
وَطَوْعاً لَهُ وَابْتِهاجاً بِهِ ... وَإِنْ قَصَّرَ الفِعْلُ عَمّا وَجَبْ[2]
وَمَا عَاقَني غَيرُ خَوْفِ الوُشاةِ ... وَإِنّ الوِشاياتِ طُرْقُ الكَذِبْ[3]
وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ ... وَتَقْرِيبِهِمْ بَيْنَنَا وَالخَبَبْ[4]
وَقَدْ كانَ يَنصُرُهُمْ سَمْعُهُ ... وَيَنْصُرُني قَلْبُهُ وَالحَسَبْ[5]
وَمَا قُلتُ للبَدْرِ أنتَ اللُّجَينُ ... وَما قُلتُ للشمسِ أنتِ الذّهَبْ[6]
فيَقْلَقَ منهُ البَعيدُ الأَناةِ ... وَيَغْضَبَ منهُ البَطيءُ الغَضَبْ[7]
وَمَا لا قَني بَلَدٌ بَعْدَكُمْ ... وَلا اعتَضْتُ من رَبّ نُعمايَ رَبّ[8]
وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعدَ الجَوَا ... دِ أَنْكَرَ أَظْلافَهُ وَالغَبَبْ[9]

★ ★ ★

(١) سمعاً أي أسمع سمعاً . وكذا مثله في البيت التالي .

(٢) الضمير من له وبه للأمر . أي أنا مطيع لأمرك مبتهج به وإن تخلفت عن فعل ما يوجبه علي يعني ما يأمره به من المسير إليه .

(٣) الوشاة الساعون بالنمائم . أي ما عاقني عن المسير إليك إلا خوفي من الوشاة فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء .

(٤) تكثير قوم وما بعده عطف على خوف أي تكثيرهم معايبي وتقليلهم فضائلي . والتقريب والخبب ضربان من العدو يعني سعيهم بينهما بالفساد .

(٥) أي كان يسمع لهم بأذنه ولا يصدقهم بقلبه لكرم حسبه .

(٦) اللجين الفضة . أي لم أنقصك عما تستحق من المدح كما ينقص البدر إذا شبه بالفضة والشمس إذا شبهت بالذهب .

(٧) فيقلق جواب النفي في البيت السابق . والضمير من قوله منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت أي فيقلق من قولي هذا . والأناة الرفق والحلم وبعد الأناة كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . والمعنى لم آت في حقه ما يوجب أن ينزعج له مثله ويغضب .

(٨) لاقني أمسكني وحبسني . ورب نعماي أي صاحب نعمتي . ووقف على الباء من قوله رب ضرورة أو على لغة ثم خففها لوقوعها روياً وهو من التجوزات المقبولة .

(٩) الجواد الفرس الكريم . والأظلاف جمع ظلف وهو من البقرة والشاة ونحوهما بمنزلة الحافر من الدابة . والغبب اللحم المتدلي تحت حنك البقرة . جعل الجواد مثلا لسيف الدولة والثور مثلا لمن لقي بعده من الحكام .

على ضفاف النيل

جهنم هي الآخرون ..!!

هذا ما يقول به شاعر فرنسا ومفكرها المعاصر لجيل النهضة الحديثة .. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يعيش بغير الآخرين ؟!

فالعامة من الناس تقول : جنة بلا ناس ما تنداس ..!! وهؤلاء الناس الذين لا تطيب الحياة . أو حتى الجنة بغير وجودهم . هم من عناهم هيجو .. وفيهم ومنهم . الأهل . والمعارف . والأصدقاء .. فكيف يتسنى للإنسان أن يعيش بدونهم ومن غير أن يحيطوا به أو يتعايش معهم ؟؟!!

إن ذلك هو المستحيل .. فالناس بالناس سواء أكانوا من الصالحين أو كان فيهم وبينهم من لا يخاف الله . ولا يخشىٰ إلاً ولا ذمة ..!!

ومثل هؤلاء . لا يمكن أن يخلو منهم جيل ومجتمع . أو يتنزه منهم عصر ..!! بل إن فى كل جيل ومجتمع .. وفي كل عصر .. ومن قديم الأزمان والآماد .. من الذين يبغون غير الحق أضعاف أضعاف الذين يسلكون سبيل الهدىٰ والرشاد . ويلتزمون الصلاح والاصلاح !!

.. ولئن كان الخير باقياً وله العاقبة الحسنى . فإن الشر لا يزال يطاول ويقاوح لتعكير صفو الحياة واغتيال الهناءة فيها من خلال أطماع الذين في قلوبهم مرض والملتاثين بالأطماع الحاقدة والأنانية الظالمة المظلمة التي تفيض قبحاً كريهاً وكدراً مشيناً !!

ليس هذا في عصر أبي الطيب المتنبي وحده .. ولا عصرنا . وإنما في كل عصر .. ومع كل جيل . وفي قصة سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام آيات بينات للذين يطلبون المثل أو يماحكون في هذه الحقائق !!

فالمؤتمرون بيوسف . لم يكونوا من عامة الناس .. ولا من الأصدقاء أو المعارف .. أو حتى الأقرباء من الأهل . وإنما كانوا إخوته من أبيه ومع ذلك ملأت الضغينة نفوسهم وطمست الأطماع على قلوبهم عندما رأوا ما آثر الله به يوسف وأخاه من محبة أبيهم فأقدموا على اغتيال المحبة إذ قالوا .. كما جاء في القرآن الكريم ﴿ **ليُوسُفُ وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ، أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخلُ لكم وجهُ أبيكم** ﴾ ولأمر يريده الله ﴿ **قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين** ﴾ .. وقد حصل ذلك بالفعل بعد ما احتالوا على أبيهم لارتفاق يوسف بدعوى اللهو واللعب سوياً دون إن يأبهوا لما ألمح إليه أبوهم من أمر مكيدتهم مما أوحى الله به إليه . ﴿ **وجاؤوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب** ﴾ .. وإمعاناً في الضلال الذي مارسوه . أو ارتكبوه . جاءوا على قميص يوسف بدم كذب ..!! ويا تُرى دم من هو الذي لطخوا به قميص يوسف .. ويا أمان الخائفين .

لبث يوسف في الجب بعض حين . حتى التقطه بعض السيارة فاشتراه منهم عزيز مصر بثمن بخس دراهم معدودة ، وقال لامرأته أكرمي مثواه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ولما امتلأ علماً واكتمل حسناً . سَوَّلَ الشيطان للتي هو في بيتها أن تُراوده عن نفسه . فاستعصم بالله وصدها عما كانت تبغيه منه . فما كان منها إلا أن كادت له وأوردته السجن . كما هو شأن النساء الآثمات في كل مكان وزمان عندما يغدرن بمن لم يستجب لهواهن أو يجاري رغباتهن حتى وإن كن على ضلال ..

كيدهن عظيم .. هذه هي حقيقة النساء عامة .. فالمرأة تصنع من الفسيخ شربات .. ومن الحبة قبة ومن تستبد بها الشهوات أو الشرور منهن فإنها لا تبالي بما تأتيه من إثم وما ترتكبه من جنايات في حق الآخرين أو الإضرار بهم وإيذائهم عن طريق تلفيق التهم الباطلة ضدهم . وتقول ما ليس فيهم ، أو اتهامهم زوراً وبهتاناً بالإثم والمنكر لمجرد مخالفتهم هواها أو مبتغاها حتى وإن كانوا أبرياء كما هو حال سيدنا يوسف مع امرأة العزيز ، ولئن عادت امرأة العزيز ولو بعد سبع سنين إلى الصواب وقالت : ﴿ **الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن**

الصادقين ﴾ فإن الاخريات من النساء ذوات الأطماع الشريرة يستنكفن الرجوع إلى الحق . وإظهار الحقيقة وإن كان في ذلك تهلكة أو خراب بيوت من كِدْنَ له .. ويا أمان الخائفين .

مكث يوسف في السجن سبع سنين .. ولما خرج وولاه العزيز خراج مصر جزاء صدقه وما آتاه الله من الحكمة وحسن التدبير . فجاء اخوته يبتغون نصيبهم من الخراج فعرفهم واحتال عليهم ليجيئوا له بشقيقه كي يأخذه إليه كما جاء في القرآن الكريم ﴿ **ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون . فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون . قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون . قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم . قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين . قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين . فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم . قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ !

هنا الشاهد وتتمة القصة في سورة يوسف لمن أراد أن يستوفيها ممن يكون قد غابت عن باله .!

ان هؤلاء الأخوة الذين اغتالوا المحبة قد ارتكبوا جريمة التفكير في تدبير قتل يوسف ثم استعاضوا عنها بإلقائه في غيابة الجب ليتورط في الأسر فالسجن من بعد مكيدة امرأة العزيز .. كما ارتكبوا جريمة الكذب على أبيهم من إتهام الذئب بأكل يوسف .. وكذلك جريمة الخداع والتزوير عندما جاؤوا بقميص يوسف وعليه دم كاذب .. ثم يتناسون كل ذلك ويتجاهلون ما أصاب أباهم من حزن اسودت به عيناه وهو يبكي يوسف .. ويقولون : ﴿ **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل** ﴾ .!! ياللهول .؟!

متى ..؟ وكيف ؟ وما هو الذي سرقه يوسف ؟ .. لا شيء من الحقيقة .. أو في الحقيقة والواقع من ذلك .. ولكنه الافتراء الباطل . والبهتان الأثيم الذي يأتيه ذوو النفوس الضعيفة . والقلوب الشانئة !!

إن ذوي النفوس الضعيفة والرعاع وفقاقيع المجتمع وإمّعاته من أصحاب الغايات الدنيئة والأطماع الشرهة . هم الذين تبلغ بهم الخسة والسفالة فيمارسون الخداع والتضليل والكذب والافتراء والبهتان لينالوا من المحظيين عند ذوي الشأن فيوغروا صدورهم وينفروهم من أولئك المحظيين بما يلصقونه بهم من تهم وأباطيل أو يرجفونه من حيل وإساءات مفتعلة لتتبدل الابتسامة إلى عبوس . وحسن الاستقبال إلى تجاف .. وكريم العطاء إلى احتباس .

ومن عجب .. أنه رغم توالي الأحداث .. وتكاثر الوقائع في كل عصر وجيل بما يشهد بخسة ودناءة كل هماز مشاء بنميم . فإن الآذان لا تزال تسمع لهم بما في ذلك آذان أصحاب العقول المستنيرة .. والأفكار اليقظة . وهنا يكمن الألم الذي يصيب المحظي بأكثر مما ناله من الوشاة .. أو ساءه من المنافسين .. وهذا هو ماحصل للمتنبي عندما كاد له المنافسون وأساؤوا إليه عند سيف الدولة وبحضوره فاضطر للمغادرة إلى دمشق .. ومنها إلى قاهرة المعز لدين الله الفاطمي حيث لقي كافور .. وعاش عنده على ضفاف النيل بضع سنين .. فقد جاء في الصبح المنبى عن دواعي الافتراق وأسباب الاتصال بكافور ما نصه :

قال عبد المحسن بن علي بن كوجك حدثني أبي قال : كنت بحضرة سيف الدولة وفي المجلس أبو الطيب المتنبي وأبو الطيب اللغوي وأبو عبدالله بن خالويه النحوي وقد جرت مسألة في اللغة بين أبي الطيب اللغوي وابن خالويه فتكلم أبو الطيب المتنبي وضعف قول ابن خالويه فأخرج ابن خالويه من كمه مفتاحاً من حديد يشير به إلى المتنبي . فقال له المتنبي : ويحك أسكت فإنك أعجمي وأصلك خوزي فما لك والعربية ! فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه فغضب المتنبي من ذلك ولا سيما إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولا ولا فعلا ، وكان ذلك أحد أسباب مفارقته لسيف الدولة . قال : وكان أبو الطيب لما عزم على الرحيل من حلب سنة ست وأربعين وثلاث مئة لم يجد بلداً أقرب إليه من دمشق لأن حمص كانت من بلاد سيف الدولة فسار إلى دمشق وألقى بها عصاه وكان بدمشق يهودي من أهل تدمر يعرف بابن ملك من قبل كافور ملك مصر ، فسأل المتنبي أن يمدحه فثقل عليه فغضب اليهودي وجعل كافور الاخشيدي ملك مصر يكتب في طلب المتنبي من ابن ملك فكتب إليه ابن ملك

أن أبا الطيب قال لا أقصد العبد وإن دخلت مصر فما قصدي إلا ابن سيده . ثم نبت دمشق بأبي الطيب فسار إلى الرملة فحمل إليه أميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلده سيفاً محلى . وكان كافور الإخشيدي يقول لأصحابه أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا ، وبلغ المتنبي أنه واجد عليه ، ثم كتب كافور في طلبه من أمير الرملة فسار إليه . قال : وكافور هذا عبد أسود خصي مثقوب الشفة السفلى عظيم البطن مشقق القدمين ثقيل البدن لا فرق بينه وبين الأمة ، قيل سئل عنه بعض بني هلال فقال : رأيت أمة سوداء تأمر وتنهى . وكان هذا الأسود لقوم من أهل مصر يعرفون ببني عباس يستخدمونه في حوائج السوق ، وكان مولاه يربط في رأسه حبلا إذا أراد النوم فإذا أراد منه حاجة يجذبه بالحبل لأنه لم يكن ينتبه بالصياح . وكان غلمان ابن طغج يصفعونه في الأسواق كلما رأوه فيضحك فقالوا : إن هذا الأسود خفيف الروح . وكلم أبو بكر محمد بن طغج صاحبه في بيعه فوهبه له فأقامه على وظيفة الخدمة ، ولما توفي سيده أبو بكر كان له ولد صغير فتقيد الأسود بخدمته وأخذت البيعة لولده فتفرد الأسود بخدمته وخدمة أمه فقرب من شاء وأبعد من شاء ثم ملك الأمر على ابن سيده وأمر أن لا يكلمه أحد من مماليك أبيه ومن كلمه أوقع به ، فلما كبر ابن سيده وتبين ماهو فيه جعل يبوح بما هو في نفسه في بعض الأوقات على الشراب ففزع الأسود منه وسقاه سماً فمات وخلت مصر له . ولما قدم عليه أبو الطيب أمر له بمنزل ووكل به جماعة وأظهر التهمة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم فأنشده هذه القصيدة .. وهي أول ما أنشأ المتنبي في مدح كافور وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاث مائة هجرية وفيها يقول :

كفى بكَ داءً أنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا   وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنّ أمانِيَا[1]

---

(١) كفى بك أي كفاك . والمنايا جمع منية وهي الموت . والأماني جمع أمنية وهي الشيء الذي تتمناه ويجوز فيها التشديد والتخفيف . يخاطب نفسه يقول : كفاك داء رؤيتك الموت شافياً لك وكفى المنية أن تكون شيئاً تتمناه أي إذا كنت في حال ترى شفاءك منها الموت فتلك الحال هي أشد الأدواء عليك وإن كنت صحيحاً من الداء وإذا كنت في شدة ترى الموت أخف منها عليك حتى تتمناه عليها فهي الشدة التي لا شدة بعدها .

تَمَنَّيْتَهَا لمّا تَمَنَّيْتَ أنْ تَرَى ... صَديقاً فأعْيَا أوْ عَدُوّاً مُداجِيَا[١]

إذا كنتَ تَرْضَى أنْ تَعيشَ بذِلّةٍ ... فَلا تَسْتَعِدّنّ الحُسامَ اليَمَانِيَا[٢]

وَلا تَستَطيلَنّ الرّماحَ لِغَارَةٍ ... وَلا تَستَجيدَنّ العِتاقَ المَذاكِيَا[٣]

فما يَنفَعُ الأُسْدَ الحَياءُ من الطَّوَى ... وَلا تُتّقَى حتى تكونَ ضَوَارِيَا[٤]

حَبَبْتُكَ قَلْبي قَبلَ حُبّكَ من نأى ... وَقد كانَ غَدّاراً فكُنْ أنتَ وَافِيَا[٥]

وَأعْلَمُ أنّ البَينَ يُشكيكَ بَعْدَهُ ... فَلَسْتَ فُؤادي إنْ رَأيْتُكَ شَاكِيَا[٦]

فإنّ دُمُوعَ العَينِ غُدْرٌ بِرَبّهَا ... إذا كُنّ إثْرَ الغَادِرِينِ جَوَارِيَا[٧]

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصاً من الأذَى ... فَلا الحَمدُ مكسوباً وَلا المالُ باقِيَا[٨]

---

(١) الضمير من تمنيتها للمنايا . وأعياه الأمر أعجزه . والمداجاة المداراة ومساترة العداوة . يفسر ما ذكره في البيت السابق يقول : تمنيت المنية لما تمنيت أن تجد صديقاً مصافياً فأعجزك أو عدواً مداجياً فلم تجد وهذا نهاية اليأس الذي يختار فيه الموت على البقاء .

(٢) استعده اتخذه عدة له . والحسام السيف القاطع . واليماني المنسوب إلى اليمن . أي إنما يتخذ السيف لنفي الذلة فإن كنت ترضى أن تعيش ذليلا فلا حاجة لك بالسيف .

(٣) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد . والعتاق من الخيل الكريمة . والمذاكي التي تمت أسنانها .

(٤) الطوى الجوع . وتتقى أي تحذر . وضواري أي مفترسة . وهذا مثل يحث به على الجرأة والوقاحة يقول : لو كان الأسد حيياً أي غير جريء على الصيد لبقي جائعاً ولم تكن له سطوة ولا مهابة وإنما يهاب ويتقى متى كان ضارياً جريئاً على الافتراس .

(٥) حببته بفتح الباء وكسرها لغة في أحببته بالألف . وقلبي منادى . ونأى بعد . يعرض بسيف الدولة يقول لقلبه إني أحببتك قبل أن تحبه وهو قد غدر بي فلا تغدر أنت أيضاً أي لا تكن مشتاقاً إليه ولا مقيماً على حبه فإنك إن أحببت من غدر بي فلست بواف لي .

(٦) البين البعد . ويشكيك أي يحملك على الشكوى . يقول لقلبه أعلم أنك تشكو فراقه لإلفك إياه ، ثم هدده فقال إن شكوت فراقه تبرأت منك .

(٧) غدر جمع غدور وأصله بضم الدال وإسكانها لغة . وربها صاحبها . وإثر أي في إثر نصبه على الظرفية . أي إذا جرت الدموع على فراق الغادر كانت غادرة بصاحبها لأنه ليس من حق الغادر أن يبكي على فراقه .

(٨) الجود هو الكرم والعطاء . ويريد بالأذى المن بالنعمة وكأنه ينظر إلى الآية الكريمة ﴿ **لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** ﴾ أي إنما يراد بالجود ما يترتب عليه من الحمد فإذا كدر بالمن بطل الحمد ولم يبق المال فيفقدان كلاهما .

وَللنّفْسِ أخْلاقٌ تَدُلّ على الفَتى أكانَ سَخاءً ما أتَى أمْ تَساخِيَا[1]

أقِلَّ اشتِياقاً أيّهَا القَلْبُ رُبّمَا رَأيْتُكَ تُصْفي الوُدّ من ليسَ صافيَا[2]

خُلِقْتُ ألُوفاً لو رَجعتُ إلى الصِّبَا لَفارَقتُ شَيبي مُوجَعَ القلبِ باكِيَا[3]

وَلَكِنّ بالفُسْطاطِ بَحْراً أزَرْتُهُ حَيَاتي وَنُصْحي وَالهَوَى وَالقَوَافيَا[4]

وَجُرْداً مَدَدْنَا بَينَ آذانِهَا القَنَا فَبِتْنَ خِفَافاً يَتّبِعْنَ العَوَالِيَا[5]

تَمَاشَى بأيْدٍ كُلّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدرَ البُزَاةِ حَوَافِيَا[6]

وتَنظُرُ من سُودٍ صَوَادِقَ في الدجى يَرَينَ بَعيداتِ الشُّخُوصِ كما هِيَا[7]

وتَنْصِبُ للجَرْسِ الخَفِيِّ سَوَامِعاً يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضّمِيرِ تَنَادِيَا[8]

---

(١) أتى أي فعل . والتساخي تكلف السخاء . أي أن أخلاق النفس تدل على صاحبها فيعرف جوده أطبع هو أم تكلف .

(٢) أقل أمر من الإقلال وأراد به النهي عن الاشتياق لا تقليله فقط . وتصفي تخلص . يقول لقلبه لا تشتق إلى من فارقته فإنك تصفي ودك من ليس بصاف لك . ويروى من ليس جازياً أي من ليس يجزيك بودك مثله .

(٣) قال الواحدي : هذا البيت رأس في صحة الإلف وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبي إلى الصبى لبكيت عليه لإلفي إياه .

(٤) الفسطاط اسم مدينة مصر . وأزرته تعدية زار ونصحي بمعنى إخلاصي . أي أن هذا البحر الذي في الفسطاط يعني كافوراً قد هون عليه فراق إلفه لما فيه من المكارم التي تسليه عمن فارقه فزاره بحياته أي لقضاء باقي أيامه عنده وحمل إليه نصحه ومودته وشعره .

(٥) جرداً أي قصار الشعر ، يريد الخيل . والقنا الرماح . والعوالي جمع عالية وهي صدر الرمح مما يلي السنان . أي وأزرته خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فباتت تتبع عوالي الرماح في سيرها .

(٦) تماشى أي تتماشى . والصفا الصخر . والبزاة جمع باز . أي هذه الخيل تمشي بأيد إذا وطئت الصخر نقشت حوافرها فيه أثراً مثل صدور البزاة لشدة وطئها . وجعلها حوافي مبالغة في وصف حوافرها بالصلابة حتى تؤثر في الصخر وهي من غير نعال .

(٧) من سود أي من أعين سود . والدجى جمع دجية وهي ظلمة الليل . أي هي سود العيون صادقة النظر ليلاً إذا رأت الأشباح البعيدة رأتها كما هي فلا تنفر منها .

(٨) الجرس الصوت أو الخفيّ منه . والسوامع الآذان جمع سامعة . ويخلن يحسبن . والمناجاة الحديث الخفي . والتنادي أي ينادي بعض القوم بعضاً . أي لقوة سمعها تسمع الصوت الخفي فتنصب له آذاناً تكاد إذا ناجي الإنسان ضميره تسمع تلك المناجاة كأنها نداء .

تُجاذِبُ فُرْسانَ الصَّباحِ أعِنّةً كأنّ على الأعناقِ مِنْهَا أفاعِيَا(١)
بعَزْمٍ يَسيرُ الجِسْمُ في السَّرْجِ راكباً بهِ وَيَسيرُ القَلبُ في الجسْمِ ماشِيَا(٢)
قَواصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيـرِهِ وَمَنْ قَصَدَ البَحرَ استَقَلّ السّوَاقِيا(٣)
فَجاءَتْ بِنَا إنْسانَ عَينِ زَمانِهِ وَخَلّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا(٤)
نَجُوزُ عَلَيهَا المُحْسِنِينَ إلى الّذي نَرَى عِندَهُمْ إحسانَهُ وَالأيادِيَا(٥)
فَتًى ما سَرَيْنَا في ظُهُورِ جُدودِنَا إلى عَصْرِهِ إلاّ نُرَجّي التّلاقِيَا(٦)
تَرَفّعَ عَنْ عُونِ المَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفعَلُ الفَعْلاتِ إلاّ عَذارِيَا(٧)
يُبِيدُ عَدَاوَاتِ البُغَاةِ بلُطْفِهِ فإنْ لم تَبِدْ منهُمْ أبَادَ الأعَادِيَا(٨)

---

(١) المراد بالصباح هنا الغارة لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح فسميت به . والأعنة سيور اللجم والأفاعي الحيات . يصف هذه الخيل بالقوة والنشاط وأنها تجاذب فرسانها أعنتها ثم شبه الأعنة في طولها وامتدادها بالأفاعي .

(٢) بعزم متعلق بمحذوف أي سرنا بعزم . أي كنا بأجسامنا راكبين في سروج الخيل وهي سائرة بنا ولكن قلوبنا لشدة عزمها واشتياقها كأنها تطلب أن تسبق أجسامنا فكأنها ماشية في الأجسام .

(٣) قواصد حال من الجرد وعبر بضمير الخيل وأراد أربابها . أي قصدنا بها كافوراً وتركنا غيره لأنه كالبحر وغيره كالساقية .

(٤) إنسان العين المثال الذي يرى في سوادها أراد به السواد نفسه . والمآقي جمع مأق وهو طرف العين عند ملتقى الجفنين . شبه بإنسان العين كناية عن سواده وشبه غيره من الحكام بما وراء السواد من البياض والمآقي . أي هو من زمانه بمنزلة سواد العين في الشرف والنفع وغيره من الحكام فضول وتوابع لا معنى لها .

(٥) الضمير من عليها للخيل أي نتخطي عليها الذين أنعموا علينا إلى الذي ينعم عليهم . وكأن هذا تعريض بسيف الدولة وعشيرته وأنهم يأخذون نعمة كافور .

(٦) السرى في الأصل سير الليل وقد يطلق . قال الواحدي يريد أنه كان يرجو لقاءه مذ قديم حين كان ينتقل في أصلاب آبائه . انتهى . وهو معنى غريب في هذا المقام ولعل الأشبه أن يكون مراده بالجدود الحظوظ واستعار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض أو أخذاً من ظهر الدابة . كأنه يقول : ما قطعنا مسافات حظوظنا الماضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقاً إليه .

(٧) العون جمع عوان وهي التي كان لها زوج . والفعلات جمع فعلة مرة من الفعل وسكن عينها ضرورة . والعذارى جمع عذراء . يعني أن مكارمه مبتكرة لا يفعل منها شيئاً سبق إليه .

(٨) البغاة المعتدون . أي أنه يعامل الأعداء بالحلم والرفق تلطفاً في إزالة عداوتهم فإن لم تزل العداوة منهم أبادهم وأهلكهم .

أبا المِسكِ ذا الوَجْهُ الذي كنتُ تائِقاً إلَيْهِ وَذا اليَوْمُ الذي كنتُ رَاجِيَا[1]
لَقِيتُ المَرَوْرَى وَالشّنَاخيبَ دُونَهُ وَجُبْتُ هَجيراً يَترُكُ المَاءَ صَادِيَا[2]
أبَا كُلّ طِيبٍ لا أبَا المِسْكِ وَحدَه وَكلَّ سَحابٍ لا أخُصّ الغَوَادِيَا[3]
يُدِلّ بمَعنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقد جَمَعَ الرّحْمنُ فيكَ المَعَانِيَا[4]
إذا كَسَبَ النّاسُ المَعَاليَ بالنّدَى فإنّكَ تُعطي في نَداكَ المَعَالِيَا[5]
وَغَيرُ كَثِيرٍ أنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجعَ مَلْكاً للعِرَاقَينِ وَالِيَا[6]
فَقَدْ تَهَبُ الجَيشَ الذي جاءَ غَازِياً لِسائِلِكَ الفَرْدِ الذي جاءَ عَافِيَا[7]
وَتَحْتَقِرُ الدّنْيَا احْتِقارَ مُجَرِّبٍ يَرَى كلَّ ما فِيهَا وَحاشاكَ فَانِيَا[8]

---

(١) أبو المسك كنية كافور لسواده . وذا في الشطرين إشارة . وتاق إليه اشتاق . يقول : وجهك الذي أراه هو الوجه الذي كنت أشتاق إليه وهذا اليوم الذي لقيتك فيه هو اليوم الذي كنت أرجوه . ويروى وذا الوقت الذي كنت راجياً .

(٢) المرورى ، بفتحات ، جمع مروراة وهي الفلاة الخالية . والشناخيب رؤوس الجبال واحدها شنخوب . وجبت قطعت . والهجير حر نصف النهار . والصادي العطشان . يصف طريقه إليه وما قاسي فيه من الجهد والحر الشديد الذي يعطش فيه الماء وهي مبالغة يريد كثرة ما يجف منه حتى لو كان ذا روح لشعر بالعطش .

(٣) وكل سحاب عطف على أبا أي ويا كل سحاب . والغوادي جمع غادية وهي السحابة التي تنتشر صباحاً .

(٤) الإدلال الجرأة على ما يخاطبك اعتداداً بما لك في نفسه من حب أو منزلة رفيعة . أي كل ذي فخر يفتخر بمنقبة واحدة وأنت تفتخر بكل نوع من أنواع المناقب .

(٥) الندى الجود . أي غيرك يجود ليكسب بجوده مراتب الشرف والسيادة وأنت تجود فتكون المراتب من جملة ما تهبه في جودك .

(٦) الراجل الماشي على رجله . والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرها . والعراقان البصرة والكوفة وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم وهو هنا أولى ومن هنا يُستدل على أنه جاء كافور يطلب مُلكاً أو ولاية .

(٧) اللام من قوله لسائلك للتمليك . والعافي القاصد للمعروف . أي إذا أخذت جيشاً من أعدائك في الحرب فقد تهبه لسائل واحد يطلب عطاءك . يصفه بالشجاعة والجود .

(٨) حاشي كلمة تنزيه والواو قبلها للاعتراض . أي تحتقر الدنيا احتقار من جربها وعلم أن كل ما فيها فانٍ فلم يعقد عليها ثقته ولم يبخل بموجودها . قال الواحدي : وقوله حاشاك استثناء مما يفني ، ذكر هذا الاستثناء تحسيناً للكلام واستعمالاً للأدب في مخاطبة الملوك وهو حسن الموقع .

وَمَا كُنتَ ممّن أدرَكَ المُلْكَ بالمُنَى ... وَلَكِـنْ بأيّـامٍ أشَبْـنَ النّوَاصِيَـا(١)

عِداكَ تَرَاهَا في البِلادِ مَساعِياً ... وَأنْتَ تَرَاهَا في السّمَاءِ مَرَاقِيَا(٢)

لَبِسْتَ لَها كُدْرَ العَجاجِ كأنّمَا ... تَرَى غيرَ صافٍ أن تَرى الجَوّ صَافِيَا(٣)

وَقُدتَ إلَيْها كلّ أجْرَدَ سَابِحٍ ... يؤدّيكَ غَضْبَاناً وَيَثْنِيكَ رَاضِيَا(٤)

وَمُخْتَرَطٍ مَاضٍ يُطيعُكَ آمِراً ... وَيَعصِي إذا استثنَيتَ أوْ صِرْتَ ناهِيَا(٥)

وَأسْمَرَ ذي عِشرِيـنَ تَرْضَاهُ وَارِداً ... وَيَـرْضَاكَ في إيـرادِهِ الخيـلَ ساقِيَـا(٦)

كَتائِبَ ما انفَكّتْ تجُوسُ عَمائِراً ... من الأرْضِ قد جاسَتْ إلَيها فيافِيَـا(٧)

وَأنْتَ الّـذي تَغْشَى الأسِنّـةَ أوّلاً ... وَتَأنَـفُ أنْ تَغْشَى الأسِنّـةَ ثَانِيَـا(٨)

---

(١) المنى جمع منية وهي ما يتمنى . والمراد بالأيام الوقائع . والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس . أي لم تدرك الملك بتمني المنى واتفاق المقادير ولكن بالجد والإقدام وإقامة الوقائع الشديدة التي شابت لها نواصي أعدائك .

(٢) الهاء من تراها للأيام . والمراقي جمع مرقاة وهي الدرجة . أي أعداؤك يرون تلك الوقائع مساعي في الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف وأنت تراها مراقي في السماء لأنك تنال بها ذورة العلاء والمجد .

(٣) كدر جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . والعجاج جمع عجاجة وهي الغبرة . وقوله غير صاف أي ترى الجو غير صاف بأن ترى الجو صافياً . أي لبست لهذه الوقائع العجاج المظلم كأنك إذا رأيت الجو صافياً من الغبار تراه غير صاف أي لا يصفو لك الجو إلا أن يكون مكدراً بالغبار .

(٤) الأجرد القصير الشعر يعني كل فرس أجرد . والسابح السريع العدو كأنه يسبح في جريه . ويثنيك أي يردك . أي وقدت إلى هذه الوقائع كل فرس خفيف يحملك إلى الحرب وأنت محنق على العدو ويردك عنها راضياً لظفرك به .

(٥) ومخترط أي سيف مسلول . أي وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى في رقاب أعدائك فإن استثنيت أحداً منهم أو نهيته عن قتلهم بعد الاشتفاء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكفف حتى يهلكهم .

(٦) أي وكل رمح أسمر ذي عشرين كعباً إذا أوردته خيل العدو ترضاه وارداً لدمائهم ويرضاك ساقياً له منها أي هو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إياها فكل منكما راض بصاحبه .

(٧) الكتائب فرق الجيوش أي لك كتائب . والجوس التخلل والتردد . والعمائر جمع عمارة وهي القبيلة أو نحوها . والفيافي المفاوز لا ماء فيها واحدتها فيفاة . أي أن كتائبه لا تزال تتخلل القبائل للغارة بعد أن تخللت في طلبها المفاوز البعيدة .

(٨) تغشى أي تأتي . والأسنة نصال الرماح . وتأنف تستكبر وتستنكف . يريد أنه أول من يبارز فيأتي الطعان سابقاً ولا يأتيه مسبوقاً .

إذا الهِنْدُ سَوّتْ بَينَ سَيفَيْ كَرِيهَةٍ فسَيفُكَ في كَفٍّ تُزيلُ التّساوِيَا[1]

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابنِ أخي نَسلي وَنَفسي وَمالِيَا[2]

مدىً بَلّغَ الأستاذَ أقصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لم تَرْضَ إلاّ التّنَاهِيَا[3]

دَعَتْهُ فَلَبّاهَا إلى المَجْدِ وَالعُلَى وَقد خالَفَ النّاسُ النّفوسَ الدّوَاعيَا[4]

فأصْبَحَ فَوْقَ العَالِمِينَ يَرَوْنَهُ وَإنْ كانَ يُدْنِيهِ التّكَرّمُ نَائِيَا[5]

★ ★ ★

.. يبني كافور داراً جديدة .. ويطلب من المتنبي أن يقول فيها شعراً .. فيرفده بقصيدة يمدحه فيها ويذكر داره الجديدة فيقول في مستهلها :

إنّمَا التّهْنِئَاتُ لِلأكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدّني مِنَ البُعَدَاءِ[6]

---

(١) الكريهة الشدة في الحرب . أي إذا طبعت الهند سيفين فجعلتهما سواء في المضاء فكفك ترفع هذا التساوي لأنها تجعل السيف الذي تحمله أمضى لقوتها في الضرب .

(٢) من قول سام خبر مقدم . وفدى ابن أخي إلى آخر الشطر مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول . ولنسله صلة القول . أي لو رآك سام بن نوح لكان من قوله لنسله هذه العبارة وذلك أنه يقال إن البيض من ولد سام والسود من ولد أخيه حام فيقول إنه لنجابته وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم فدى له .

(٣) المدى الغاية وهو خبر عن محذوف يريد ما ذكره من مناقبه . والأستاذ الرئيس وفي معرب الجواليقي واصطلحت العامة إذا عظموا الخصي أن يخاطبوه بالأستاذ وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذي هو الصانع لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم وكأنه أستاذ في حسن الأدب . انتهى . وأقصاه أبعده . ونفس عطف على ربه . أي أن ما بلغه من الفضل غاية بلغه إياها ربه ونفسه التي لا ترضى فيما تطلبه بما دون النهاية .

(٤) فاعل دعته ضمير النفس . وإلى يتعلق بدعته أو بلباها على طريق التنازع . أي دعته نفسه إلى المجد فأجاب دعوتها وغيره من الناس معرضون عما تدعوهم إليه أنفسهم لعجزهم عن بلوغ مرادها .

(٥) يدنيه يقربه . ونائياً بعيداً وهو مفعول ثان ليرونه . أي أصبح فوق الناس فهم يرونه بعيداً عنهم في الرتبة وإن كان تكرمه يقربه منهم بما يبديه من التواضع .

(٦) الأكفاء النظراء . ويدني يفتعل من الدنو أي يقترب . أي إنما يهنيء الرجل أكفاؤه والذين يتقربون إليه ممن هم أجنبيون عنه . وتتمة الكلام في البيت التالي .

وَأنَا مِنْكَ لا يُهَنّىءُ عُضْوٌ ... بالــمَسَرّاتِ سائِــرَ الأعْضَاءِ[1]

مُسْتَقِلٌّ لَكَ الدّيَارَ وَلَوْ كَا ... نَ نُجُوماً آجُرُّ هَذا البِنَاءِ[2]

وَلَوَ أنّ الذي يَخِرّ مِنَ الأمْـ ... وَاهِ فيهَا مِنْ فِضّةٍ بَيضَاءِ

أنْتَ أعلى مَحَلّةً أنْ تُهَنّا ... بمَكانٍ في الأرْضِ أوْ في السّماءِ[3]

وَلَكَ النّاسُ وَالبِلادُ وَمَا يَسْـ ... ـرَحُ بَيـنَ الغَبراءِ وَالخَضْرَاءِ[4]

وبَسَاتينُكَ الجِيادُ وَمَا تَحْـ ... ـمِلُ مِنْ سَمْهَرِيّةٍ سَمْـــراءِ[5]

إنّمَا يَفْخَرُ الكَريمُ أبُو المِسْـ ... ـكِ بِمَا يَبْتَني مِنَ العَلْيـاءِ

وَبأيّامِـهِ التـي انسَلَخَتْ عَنْـ ... ـهُ وَمَـا دارُهُ سِوَى الهَيجاءِ[6]

وَبِمَـا أثّـرَتْ صَوَارِمُـهُ البيـ ... ـضُ لَهُ في جَمَاجِمِ الأعْـداءِ[7]

وَبمِسْكٍ يُكْنى بهِ لَيسَ بالمِسْـ ... ـكِ وَلَكِنّـهُ أرِيـجُ الثّنَـــاءِ[8]

لا بمَا يَبتَني الحَواضِرُ في الرّيـ ... ـفِ وَمَا يَطّبي قُلُوبَ النّساءِ[9]

---

(١) أنا منك مبتدأ وخبر وأثبت ألف أنا لفظاً لضرورة الوزن لأنها لا تثبت إلا في الوقف . وقوله لا يهنىء عضو كلام مستأنف . يقول : أنا منك أي أنا وأنت كإنسان واحد وإذا نال الإنسان مسرة اشتركت فيها جميع أعضائه فلم يهنىء بعضها بعضاً . قال الواحدي وهذا طريق المتنبي يدعى لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدري لم احتمل ذلك منه .

(٢) مستقل خبر عن محذوف أي أنا مستقل . والآجر اللبن المطبوخ . أي لرفعة قدرك أرى الديار قليلة في حقك ولو كانت حجارتها النجوم في مكان الآجر .

(٣) محلة أي منزلة . وأن تهنا أي من أن تهنا فحذف الحرف على قياس حذفه قبل أن .

(٤) ولك الناس حال من الضمير في أعلى . والغبراء الأرض . والخضراء السماء .

(٥) الجياد الخيل . والسمهرية الرماح . أي إنما تطلب النزهة بمنظر الخيل وما تحمله من الرماح فهي بساتينك . جعل الخيل لكثرتها وانتشارها كالبساتين وما عليها من الرماح كالشجر .

(٦) انسلخت أي مضت . والهيجاء الحرب . أي ويفخر بما مضى من أيامه حين لم يكن له دار إلا ساحة الحرب لأنه بها أدرك ما بلغه من علو المنزلة .

(٧) صوارمه سيوفه . أي ويفتخر بالآثار التي تركتها سيوفه في رؤوس أعدائه .

(٨) الأريج فوحان الطيب . أي ويفخر بالمسك الذي يكنى به لأنه يقال له أبو المسك وهو كناية عن طيب ثنائه وليس بالمسك المعروف .

(٩) الحواضر جمع حاضرة وهي خلاف البادية يريد أهل الحواضر . والريف الأرض فيها زرع وخصب . ويطبي على يفتعل أي يستميل . أي يفتخر بهذه المذكورات من بناء المجد وطيب الثناء لا بما يبني أهل الحضر من المنازل وما يستميل قلوب النساء من الطيب المشموم .

نَزَلَتْ إذْ نَزَلْتَهَا الدّارُ في أحْـ ـسَنَ منها مِنَ السَّنَى وَالسّنَاءِ[1]
حَلّ في مَنْبِتِ الرّياحينِ مِنْهَا مَنْـــبِتُ المَكْرُمـــاتِ وَالآلاءِ[2]
تَفضَحُ الشّمَسَ كلّما ذرّتِ الشمـ ـسُ بشَمْسٍ مُنيرةٍ سَوْداءِ[3]
إنّ في ثَوْبِكَ الذي المَجْدُ فيهِ لَضِيَـاءً يُزْري بكُـــلّ ضِيَـــاءِ[4]
إنّما الجِلدُ مَلبَسٌ وَابيضَاضُ الـ ـنّفسِ خَيرٌ من ابيضَاضِ القَبَاءِ[5]
كَرَمٌ في شَجَاعَـــةٍ وَذَكَـــاءٌ في بَهَـاءٍ وَقُـدْرَةٌ في وَفَـــاءِ[6]

ثم يختم القصيدة بهذا الرجاء .. والاعتداد بنفسه والمفاخرة بشعره إذ يقـــول :

يَا رَجاءَ العُيُونِ في كلّ أرْضٍ لم يكُنْ غيرَ أنْ أرَاكَ رَجَائي
ولَقَـدْ أفْـنَتِ المَفَـاوِزُ خَيْلِـي قَبلَ أنْ نَلتَقي وَزَادي وَمَـائي[7]
فَارْمِ بي ما أرَدْتَ مني فإنّي أسَدُ القَـلْبِ آدَمِـيُّ الـــرُّوَاءِ[8]
وَفُؤادي مِنَ المُلُوكِ وَإن كا نَ لِساني يُرَى مِنَ الشّعـراءِ[9]

★ ★ ★

(١) السنى بالقصر الضوء . وبالمد الرفع والشرف . ومن الداخلة عليهما بيانية . أي حين نزلت هذه الدار تزينت بك وتشرفت فكأنك أنزلتها منك في دار أحسن منها .
(٢) الرياحين كل نبت طيب الريح . ومنها حال من منبت الأول . والآلاء النعم .
(٣) فاعل تفضح ضمير المخاطب . وذرت الشمس طلعت . يريد أنه مع سواده باهر المجد واضح الشهرة كالشمس فإذا طلعت الشمس كان هو شمساً أنور منها وإن كان أسود اللون .
(٤) أزري به استهان . ويروى الذي أنت فيه . يفسر ما ذكره من إنارته في البيت السابق يقول : إن في ثوبك أي في شخصك المشتمل عليه ثوبك ضياء من المجد يفوق كل ضياء بقوة إشراقه .
(٥) الثوب . يقول : الجلد للإنسان بمنزلة اللباس فلا عبرة ببياضه وإنما العبرة ببياض النفس ونقائها من العيوب .
(٦) كرم مبتدأ محذوف الخبر أي لك كرم . والبهاء حسن المنظر ويحتمل أن يكون بمعنى الأنس من بهأ المهموز .
(٧) المفاوز الفلوات المهلكة . يذكر طول الطريق إليه وأنه لم يقطعها حتى فنيت خيله وزاده .
(٨) الرواء المنظر وأصله الهمز فخفف . أي ادفعني فيما شئت من عظائم الأمور فإني شجاع لي قلب أسد وإن كنت في صورة الآدمي .
(٩) يريد أنه أهل للسياسة وإن كان شاعراً وهو تعريض بطلب الولاية كما سيصرح به في قصائده الآتية ، ويقال إن كافوراً لما أنشده هذه القصيدة حلف له أن يبلغه كل ما في نفسه .

ويهل العيد من بعد انسلاخ شهر رمضان (سنة ٣٤٦هـ) .. وهو أول عيد يشهده المتنبي في كنف كافور على ضفاف النيل .. فيهتبل هذه المناسبة السعيدة في دنيا المسلمين .. ويهنىء كافور ويمدحه بهذه الرائعة التي يقول في مستهلها :

مَنِ الجآذِرُ في زِيّ الأعَارِيبِ ... حُمْرَ الحِلَى وَالمطَايَا وَالجَلابيبِ[(١)]

إنْ كُنتَ تَسأَلُ شَكّاً في مَعارِفِها ... فمَـنْ بَلاكَ بتَسهيـدٍ وَتَعـذيبِ[(٢)]

لا تَجْزِني بضَنًى بي بَعْدَهَا بَقَرٌ ... تَجزي دُموعيَ مَسكوباً بمسكُوبِ[(٣)]

سَوَائِرٌ رُبّمَا سارَتْ هَوَادِجُهَا ... مَنيعَةً بَينَ مَطْعُونٍ وَمَضرُوبِ[(٤)]

وَرُبّمَا وَخَدَتْ أيْدي المَطيّ بهَا ... على نَجيعٍ مِنَ الفُرْسانِ مَصْبوبِ[(٥)]

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ في الأعرابِ خافِيَةٍ ... أدهى وَقَد رَقَدوا مِن زَوْرَةِ الذيبِ[(٦)]

---

(١) من استفهام . والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها . والأعاريب جمع أعراب وهم سكان البادية . وحمر الحلي حال بعد حال . والمطايا جمع مطية وهي الركوبة . والجلابيب جمع جلباب وهو الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها . يقول : من هؤلاء النساء الشبيهات بالجآذر وهن في زي الأعراب . وحمرة الحلي كناية عن كونها ذهباً والنياق الحمر أكرم النياق عند العرب والحمرة لون ملابس الأشراف عندهم يعني أنهن من نساء الملوك .

(٢) التسهيد الإسهار . يخاطب نفسه يقول : إن كنت تسأل عنهن لشك عرض لك في معرفتهن فمن ابتلاك بالسهر والعذاب أي هن سهدنك وعذبنك حين تيمنك بحبهن فكيف لا تعرفهن . وإنما استفهم عنهن لما تمثلن له في شبه الجآذر فكأنهن جآذر لا نساء وهو من قبيل تجاهل العارف .

(٣) لا تجزني دعاء . والضنى المرض الطويل والباء الداخلة عليه للمقابلة وأراد بضنى بي ضنى بهن فحذف لضيق المقام . ومسكوباً أي دمعاً مسكوباً . يريد بالبقر النساء التي ذكرها . يدعو لهن يقول : لا جزينني بالضنى الذي حل بي بعدهن ضنى مثله كما يجزين دموعي دمعاً بمثله ، والمعنى لا سقمن بعدي كما سقمت بعدهن وإن بكين لفراقي كما بكيت لفراقهن .

(٤) سوائر خبر عن محذوف ضمير النساء . وبين متعلق بسارت . أي أنهن في منعة من قومهن فمن عرض لهن طعن أو ضرب فسارت هوادجهن بين القتلى .

(٥) وخدت عدت . والمطي جمع مطية وهي الركوبة . والنجيع الدم . والبيت من قبيل الذي سبقه .

(٦) لك خبركم . وأدهى تفضيل من الدهاء وهو النكر . يصف جرأته ونكره في زيارة الحبائب بعد ما ذكره من منعتهن في قومهن . يقول لنفسه كم زرتهن والقوم راقدون زيارة لم يعلم بها أحد كزيارة الذئب للغنم إذا وقع فيها عند غفلة الراعي .

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشفَعُ لي   وَأنثَني وَبَيَاضُ الصّبحِ يُغري بي[1]
قد وَافقوا الوَحشَ في سُكنى مَراتِعِها   وَخالَفُوها بتَقْويضٍ وَتَطنيبِ[2]
جِيرانُها وَهُمُ شَرُّ الجِوارِ لَها   وَصَحبُهَا وَهُمُ شَرُّ الأصَاحيبِ[3]
فُؤادُ كُلّ مُحِبٍّ في بُيُوتِهِمِ   وَمَالُ كُلّ أخيذِ المَالِ مَحرُوبِ[4]
ما أوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتَحسَنَاتُ بهِ   كأوْجُهِ البَدَوِيّاتِ الرّعَابيبِ[5]
حُسْنُ الحِضارَة مَجلُوبٌ بتَطْرِيَةٍ   وَفي البِداوَةِ حُسنٌ غيرُ مَجلوبِ[6]
أينَ المَعيزُ مِنَ الآرَامِ نَاظِرَةً   وَغَيرَ ناظِرَةٍ في الحُسنِ وَالطّيبِ[7]
أفدِي ظِبَاءَ فَلاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا   مَضْغَ الكلامِ وَلا صَبْغَ الحَواجيبِ[8]

---

(١) انثنى أعود. وأغراه به حضه عليه. يقول : أزورهم والليل شفيع لي لأنه يسترني عنهم وانصرف وكأن الصبح يغريهم بي لأنه يشهرني ويدلهم على مكاني .

(٢) مراتعها أي مسارحها . والتقويض الهدم . والتطنيب الشد بالأطناب . يقول : هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحوش في سكنى البراري وخالفوها في أن لهم خياماً يهدمونها من مكان وينصبونها في غيره والوحوش لا خيام لها .

(٣) جوارهم شر الجوار كما في نحو ولكن البر من آمن بالله . والصحب اسم جمع للصاحب . والأصاحيب جمع أصحاب جمع صحب . يقول : هم مجاورون للوحش إلا أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها .

(٤) أخيذ بمعنى مأخوذ . والمحروب الذي أُخذ جميع ماله . يعني أن عندهم الجمال والشجاعة فنساؤهم ينهبن القلوب ورجالهم ينهبون الأموال .

(٥) الضمير من به للحضر . والرعابيب جمع رعبوبة وهي الطويلة الممتلئة .

(٦) الحضارة والبداوة اسمان بمعنى الإقامة بالحضر والبدو . والتطرية المعالجة من قولهم عود مطري أي مربى . يذكر السبب في تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : حسن أهل الحضارة مجلوب بالصنعة والتكلف والحسن في أهل البداوة من الخلقة لأنهم لا يعرفون التصنع .

(٧) المعيز جماعة المعزى . والآرام جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض . وناظرة أي مقبلة وهو حال يشبه نساء الحضر بالمعيز ونساء البدو بالآرام . يقول : أين موقع المعيز من الآرام مقبلة كانت أو معرضة يعني أنها تفضلها وجوهاً وقدوداً وتعلوها حسناً وطيب ريح .

(٨) مضغ الكلام ترك إبانته كأن المتكلم يمضغ شيئاً . والحواجيب جمع حاجب أشبع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الآخر نفي الدراهم تنقاد الصياريف . يريد بظباء الفلاة نساء البدو . يقول : هن فصيحات لا يمضغن كلامهن غنجاً وتخنثاً ولا يصبغن حواجبهن تزيناً بما ليس في خلقتهن .

وَلا بَرَزْنَ مِنَ الحَمّامِ مَاثِلَةً أَوْرَاكُهُنّ صَقيلاتِ العَرَاقيبِ [١]

وَمِنْ هَوَى كلّ مَن ليستْ مُمَوِّهَةً تَرَكْتُ لَوْنَ مَشيبي غيرَ مَخضُوبِ [٢]

وَمِن هَوَى الصّدقِ في قَوْلي وَعادَتِهِ رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الرّأس مكذوبِ [٣]

لَيتَ الحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الذي أخذَتْ مني بحِلمي الذي أعطَتْ وَتَجرِيبي [٤]

فَمَا الحَداثَةُ من حِلْمٍ بمَانِعَةٍ قد يُوجَدُ الحِلمُ في الشبّانِ وَالشِّيبِ [٥]

تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأستاذُ مُكْتَهِلاً قَبْلَ اكتِهالٍ أديباً قَبلَ تأديبِ [٦]

مُجَرَّباً فَهِماً من قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مُهَذَّباً كَرَماً مِنْ غيرِ تَهذيبِ [٧]

حتى أصَابَ منَ الدّنْيا نِهايَتَهَا وَهَمُّهُ في ابْتِـدَاءاتٍ وَتَشبيبِ [٨]

يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصرٍ إلى عَدَنٍ إلى العِراقِ فأرْضِ الرّومِ فالنُّوبِ [٩]

---

(١) ماثلة أي شاخصة . وأوراكهن فاعل ماثلة . والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . أي هن لا يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكهن من تحتها وصقلن عراقيبهن كما تفعل نساء الحضر .

(٢) من للتعليل متعلقة بتركت . وأصل التمويه الطلي بماء الذهب أو الفضة ثم استعمل بمعنى التزيين والتزوير . يقول : لأجل حبي كل امرأة لا تموه حسنها تركت بياض شيبي بغير خضاب لأن الخضاب تمويه أيضاً .

(٣) رغب عنه زهد فيه . أي ولأجل حبي للصدق وتعودي إياه كرهت أن أجعل في رأسي شعراً مكذوباً أي مسوداً بالخضاب إذ هو غير لونه . ويروى عن شعر في الوجه .

(٤) الحلم العقل والأناة ، والحرف متعلق بباعتني . يريد أن الحوادث أخذت شبابه وأعطته الحلم والتجربة ثم يتمنى لو باعته الذي أخذت بالذي أعطت أي لو ردت عليه الشباب واستردت الحلم .

(٥) يريد أنه كان حليماً قبل تحليم الحوادث له . يقول : حداثة السن لا تمنع من وجود الحلم فإن المرء قد يكون حليماً في الشباب كما يكون حليماً في المشيب .

(٦) ترعرع الصبي نشأ . والأستاذ لقب كافور وقد مر الكلام فيه قبل هذا . يؤكد ما ذكره في البيت السابق وهو تخلص إلى المدح . يقول : إن ممدوحه نشأ مكتهلاً أي حاصلاً على حلم الكهول قبل أن يكتهل في السن وحاز الأدب قبل أن يؤدب يعني أنه نشأ على ذلك من طبعه ولم يستفده من الحوادث .

(٧) أي نشأ مجرباً قبل أن يجرب لما طبع عليه من الفهم مهذباً قبل أن يهذب بما طبع عليه من الكرم .

(٨) يريد بنهاية الدنيا تولي الحكم إذ لا شيء فوقه . وهمه أي همته . والتشبيب بمعنى الابتداء وأصله ذكر أيام الشباب يكون في ابتداء القصيدة ثم سمي كل ابتداء تشبيباً . أي أنه أصاب الغاية القصوى من دنياه وهمته لا تزال في أوائل أمرها .

(٩) يريد اتساع حدود ملكه إلى هذه الأطراف لا أنها داخلة في مملكته لأن مملكة كافور كانت كما ذكرها ابن خلكان من مصر إلى الحجاز وما إليهما من الديار الشامية وموقعها بين البلاد المذكورة وهي من حولها .

إذا أَتَتْهَا الرّياحُ النُّكْبُ مِنْ بَلَدٍ فَمَا تَهُبّ بِهَا إلا بتَرْتِيبِ[١]
وَلا تُجاوِزُها شَمسٌ إذا شَرَقَتْ إلاّ وَمِنْهُ لَها إذْنٌ بتَغْرِيبِ[٢]
يُصَرِّفُ الأمْرَ فيها طِينُ خاتَمِهِ وَلَوْ تَطَلّسَ مِنْهُ كلُّ مكتُوبِ[٣]
يَحُطّ كُلَّ طَوِيلِ الرّمْحِ حامِلُهُ من سرْجِ كلّ طَوِيلِ الباعِ يَعبوبِ[٤]
كَأنّ كُلّ سُؤالٍ في مَسامِعِهِ قَميصُ يوسُفَ في أجفانِ يَعقوبِ[٥]
إذا غَزَتْهُ أعادِيهِ بِمَسْألَةٍ فقد غَزَتْهُ بجَيْشٍ غَيرِ مَغْلُوبِ[٦]
أوْ حارَبَتْهُ فَمَا تَنْجُو بتَقْدِمَةٍ ممّا أرادَ وَلا تَنْجُو بتَجْبيبِ[٧]
أضْرَتْ شَجاعَتُهُ أقصَى كتائِبِهِ على الحِمَامِ فَمَا مَوْتٌ بمَرْهوبِ[٨]
قالُوا هَجَرْتَ إلَيْهِ الغَيثَ قلتُ لهمْ إلى غُيُوثِ يَدَيْهِ وَالشّآبِيبِ[٩]

---

(١) النكب جمع نكباء وهي التي تنحرف في مهبها على غير جهات الرياح الأربع . يقول : إذا أتت مملكته رياح غير مستوية الهبوب لم تمر فيها إلا مرتبة هيبة له وإعظاماً . والرياح مثل أراد به المبالغة في مهابة الناس له ومجانبتهم الخلاف والفتنة حتى لو عقلت الرياح لاطردت وساير بعضها بعضاً .

(٢) أي لا تغرب إلا عن إذنه وهو من قبيل البيت الذي قبله .

(٣) تطلس انمحى . يقول : يصرف شؤون مملكته بطين خاتمه الذي يختم به كتبه فيمتثل مضمونها برؤية الخاتم ولو انمحى النقش المكتوب فيه .

(٤) يحط أي ينزل . واليعبوب الفرس الواسع الجري . أي حامل خاتمه ينزل الفارس الطويل الرمح من سرج فرسه . قال الواحدي : وذلك أن الفارس إذا رأى خاتمه هوى عن فرسه .

(٥) السؤال طلب العطاء . يعني أنه يحتفل بسؤال السائل كما احتفل يعقوب بقميص يوسف حين رآه .

(٦) أي إذا قصدته أعداؤه بسؤال مواهبه أو عفوه فكأنها غزته بجيش لا يغلب ، يعني أنها تنال مطلوبها منه لأنه لا يرد السائل .

(٧) التقدمة بمعنى التقدم يقال تقدم وقدم . والتجبيب الهرب . أي وإن قصدوه محاربين لم ينجهم من مراده الاقدام لأنهم لا يقدرون عليه ولا ينجون منه بالهرب لأنه يدركهم .

(٨) أضرت أي جرأت . وأقصى أبعد . والكتائب فرق الجيوش . والحمام الموت . يريد بأقصى كتائبه الجبناء الذين لا يشهدون القتال . يقول : إن شجاعته جرأتهم على لقاء الحمام اقتداء به فليس الموت مرهوباً عندهم .

(٩) الغيث المطر . والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . قال ابن فورجة : أراد أن مصر لا تمطر فيقول : لامني الناس في هجري بلاد الغيث فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وقال غيره : أراد التعريض بسيف الدولة وأنه لم يندم على تركه لأنه فارقه إلى من هو أكرم منه ولعل هذا أقرب إلى مراد المتنبي كما يدل عليه ما بعد .

إلى الذي تَهَبُ الدُّوْلاتِ رَاحَتُهُ وَلا يَمُنّ على آثَارِ مَوْهُوبِ[1]
وَلا يَرُوعُ بمَغْدورٍ بِهِ أَحَداً وَلا يُفَزِّعُ مَوْفُوراً بمَنْكُوبِ[2]
بَلى يَرُوعُ بذي جَيْشٍ يُجَدّلُهُ ذا مِثْلِهِ في أَحَمّ النّقْعِ غِرْبِيبِ[3]
وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنتُ أَذْخَرُهُ مَا في السّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقرِيبِ[4]
لمّا رَأينَ صُرُوفَ الدّهرِ تَغدُرُ بي وَفَينَ لي وَوَفَتْ صُمُّ الأنابِيبِ[5]
فُتْنَ المَهَالِكَ حتى قالَ قائِلُهَا ماذا لَقينَا منَ الجُرْدِ السّراحِيبِ[6]
تَهْوِي بمُنْجَرِدٍ لَيستْ مَذاهِبُهُ للُبْسِ ثَوْبٍ وَمأكولٍ وَمَشرُوبِ[7]
يَرَى النّجُومَ بعَيْنَيْ مَنْ يُحاوِلُها كأنّهَا سَلَبٌ في عَينِ مَسلُوبِ[8]

---

(١) أي يهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالمن .

(٢) راعه أفزعه . والموفور السالم من الإصابة . أي لا يغدر بأحد فيروع به غيره ولا ينكب أحداً بسلب ماله فيفزع به الموفور الذي لم يسلب له مال .

(٣) يجدله يصرعه على الجدالة وهي الأرض . والأحم الأسود وهو نعت لمحذوف أي في جيش هذه صفته . والنقع الغبار . والغربيب الشديد السواد . أي إنما يروع صاحب جيش بصاحب جيش آخر يصرعه على الأرض وهو أي الممدوح في جيش أسود الغبار قد علاه سواد الحديد .

(٤) السوابق الخيل . والتقريب ضرب من العدو . يقول : وجد جري الخيل أنفع الأشياء التي كان يدخرها لأنها حملته إلى الممدوح وقد كشف عن مراده في البيت التالي .

(٥) صروف الدهر أحداثه . والصم الصلاب وهي نعت لمحذوف يريد الرماح . والأنابيب جمع أنبوب وهو ما بين العقدتين من الرمح ونحوه . يقول : لما رأت الخيل غدر الزمان بي وفت لي بحملها إياي عن مواطن الغدر ووفت الرماح لأنها ساعدتني على ذلك .

(٦) المهالك المفاوز . والجرد القصيرة الشعر وهو من الصفات المحمودة في الخيل . والسراحيب جمع سرحوب وهي الفرس الطويلة على وجه الأرض . يقول : إن خيلنا قطعت المفاوز وفاتتها حتى لو كان لها قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل وهو استفهام تعجب كنى بذلك عن سرعة قطعها للمفاوز وتذليلها صعوبة الطريق .

(٧) تهوي أي تسرع . والمنجرد الجاد في الأمور يعني نفسه . ومذاهبه أي رحلاته . يقول : هذه الخيل تسرع برجل ماض ليست أسفاره لطلب كسوة أو طعام وإنما يسافر في طلب المناصب العالية وهذا كقوله :

فسرتُ إليك في طلب المعالي
وسار سواي في طلب المعاش

(٨) المحاولة طلب الشيء بالحيلة . والسلب الشيء المسلوب . يعني أنه لبعد همته يطمع في إدراك النجوم فهو ينظر إليها بعيني من يطلب تناولها كأنها شيء قد سلب منه فلا تنثني أطماعه عنه ولا تطيب نفسه إلا بالحصول عليه . والنجوم هنا كناية عن المطالب البعيدة .

حتى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ　　تَلقَى النُفُوسَ بفَضْلٍ غيرِ محْجوبِ[1]
في جِسْمِ أرْوَعَ صَافِي العَقل تُضْحكُه　　خلائِقُ النّاسِ إضْحاكَ الأعاجيبِ[2]

.. ثم يقفل القصيدة بقوله لكافور : إنه أشهر من أن يُعَرَّفَ وأنه الحبيب إلى نفسه . ولكن ليس هذا بالمهم وإنما المهم تبادل الحب .. وهو ما تصلح به المودة .. وتلك حقيقة لا بد أن يعيها كل من يطلب محبة الآخرين .

يا أيّهَا المَلِكُ الغَانِي بتَسْمِيَةٍ　　في الشّرْقِ والغْربِ عن وَصْفٍ وتلقيبِ[3]
أنتَ الحَبيبُ وَلَكِنّي أعُوذُ بِهِ　　من أنْ أكُونَ مُحِبّاً غَيرَ محْبوبِ

★ ★ ★

وأتعب خلق الله من زاد همه بطلب المعالي والسعي نحو ذرى المجد .

بهذه المعاني يهنىء المتنبي كافور بمناسبة عيد الأضحى المبارك بقصيدة طويلة نكتفي بهذه الأبيات المختارة منها والتي يستهلها بقوله :

أَوَدُّ مِنَ الأيّامِ مَا لا تَوَدُّهُ　　وَأشكُو إلَيهَا بَيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ[4]
يُباعِدْنَ حِبّاً يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ　　فكَيفَ بحِبٍّ يَجْتَمِعنَ وَصَدُّهُ[5]

---

(١) يريد أنه ملك والملوك لا يتذلون أنفسهم للناس في كل حين وهو على تحجبه مبذول الفضل لا يعترض فضله حجاب .

(٢) الأروع الشهم الذكي الفؤاد . والخلائق بمعنى الأخلاق . أي إذا نظر إلى أخلاق الناس وما فيها من الصغر والخسة ضحك منها هزؤاً واستخفافاً .

(٣) الغاني أي المستغني . أي أنه مشهور الاسم إذا ذكر إسمه عرف به فلم يفتقر معه إلى وصف أو ذكر لقب .

(٤) بيننا فراقنا . يقول : أحب من الأيام أن تجمع بيني وبين أحبتي وذلك ما لا توده الأيام لأن شأنها التفريق وأشكو إليها فراقنا وإنما هي جند الفراق وسببه فكيف آمل منها أن تسمع شكواي .

(٥) يباعدن أي يبعدن . والحب بالكسر بمعنى المحبوب . وقوله فكيف بحب أي كيف يكفل لي به ونحوه يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل فكيف تقرب الحبيب المقاطع أي أنها تبعد الحبيب الذي وصله موجود فكيف الطمع في حبيب صده موجود .

أَبى خُلُقُ الدّنْيا حَبيباً تُديمُهُ فَمَا طَلَبي مِنهَا حَبيباً تَرُدّهُ[(١)]

وَأسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيّراً تَكَلُّفُ شيءٍ في طِباعِكَ ضِدّهُ[(٢)]

رَعَى اللهُ عِيساً فارَقَتْنا وَفَوْقَها مَهاً كُلّها يُولى بجَفْنَيْهِ خَدّهُ[(٣)]

بوَادٍ بِهِ مَا بالقُلُوبِ كَأنّهُ وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقدُهُ[(٤)]

إذا سَرَتِ الأحداجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ تَفَاوَحَ مِسكُ الغانِياتِ وَرَنْدُهُ[(٥)]

وَحالٍ كإحداهُنّ رُمْتُ بُلُوغَها وَمِنْ دونِها غَوْلُ الطريقِ وَبُعدُهُ[(٦)]

وَأتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زادَ هَمُّهُ وَقَصّرَ عَمّا تَشتَهي النّفسُ وَجدُهُ[(٧)]

فَلا يَنحَلِلْ في المَجدِ مالُكَ كُلّهُ فيَنحَلَّ مَجْدٌ كانَ بالمالِ عَقدُهُ[(٨)]

---

(١) ما استفهامية . ويجوز أن تكون ما نافية عاملة عمل ليس والطلب بمعنى المطلوب . أي أن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر فكيف ترد الحبيب الغائب وهي سبب غيبته .

(٢) يقول : طبع الدنيا أن تفرق أهلها فإذا جمعتهم لم يطل جمعها لهم لأنه على خلاف طبعها فلا تلبث أن تعود إلى تفريقهم .

(٣) رعى من الرعاية وهي الحفظ . والعيس الإبل . والمها بقر الوحش تشبه بها النساء الحسان . ويولى من الولي وهو المطر بعد المطر الأول . يدعو للإبل التي حملت الحبائب للرحيل ثم يذكر أنهن يبكين للفراق فكل واحدة منهن تجري دموعها على خدها جرياً بعد جري . وذكر الضمير عوداً على لفظ كل .

(٤) بواد متعلق بفارقتنا . والضمير من رحلوا لقوم الحبائب استغنى عن تقدم ذكرهم بدلالة المقام . والجيد العنق . أي أن ذلك الوادي كان آهلاً بهم فلما ارتحلوا استوحش بعدهم كقلوبنا وزال أهله عنه فصار كالجيد الذي تناثر عقده فتعطل .

(٥) الأحداج جمع حدج ، بالكسر ، وهو مركب للنساء . والغانيات النساء الحسان . والرند شجر طيب الريح . أي إذا سارت مراكبهن على نبات هذا الوادي وهو من الرند وهن قد تضمخن بالمسك اختلطت ريح الرند بريح المسك فتفاوح الريحان .

(٦) الغول بمعنى البعد ويحتمل التهلكة . أي رب حال هي مثل إحدى هذه النسوة في الامتناع وتعذر المنال طلبت أن أبلغها وقبل الوصول إليها بعد الطريق ومهالكه .

(٧) الهم مصدر بمعنى الهمة . والوجد الغنى . يقول : أتعب الناس من زادت همته وقصرت طاقته من الغنى عن قضاء مراده لأنه لا يزال ساعياً وراء مطلوب لا يدركه .

(٨) يقول : لا تنفق مالك كله في طلب المجد لأن المجد لا ينعقد إلا بالمال ولا يبقى إلا ببقائه فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذي كان ينعقد به فيضيع كلاهما .

وَدَبّرْهُ تَدْبيرَ الذي المَجْدُ كَفُّهُ	إذا حارَبَ الأعداءَ وَالمَالُ زَنْدُهُ[١]
فَلا مَجْدَ في الدّنْيَا لمَنْ قَلّ مَالُهُ	وَلا مالَ في الدّنيا لمَنْ قَلّ مَجدُهُ
وَفي النّاسِ مَنْ يَرْضَى بمَيسورِ عيشِهِ	وَمَرْكوبُهُ رِجْلاهُ وَالثّوْبُ جلدُهُ[٢]
وَلَكِنّ قَلْباً بينَ جَنْبَيّ مَا لَهُ	مَدًى يَنتَهي بي في مُرادٍ أحُدّهُ[٣]
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفاً تَرُبّهُ	فَيختارُ أن يُكْسَى دُرُوعاً تهُدّهُ[٤]
يُكَلّفُني التّهْجيرَ في كلّ مَهْمَهٍ	عَليقـي مَرَاعِيـهِ وَزَادِيَ رُبْـدُهُ[٥]
وَأمْضَى سِلاحٍ قَلّدَ المَرْءُ نَفْسَهُ	رَجَاءُ أبي المِسْكِ الكَريمِ وَقصْدُهُ[٦]
هُما ناصرا مَنْ خانَهُ كُلُّ ناصِرٍ	وَأُسرَةُ مَنْ لم يُكثِرِ النّسلَ جَدُّهُ[٧]

ثم يمضي في وصف حاله عند كافور الذي يخلع عليه من الصفات والنعوت الحسان الشيء الكثير .. ثم يعود ليختم قصيدته برجاء تنويله ما يطمح إليه .. وأن له أن يجربه ويمتحنه كامتحانه للسيف وتجربته له إذ يقول :

---

(١) يقول : دبر مالك تدبير من إذا قاتل أعداءه جعل المجد بمنزلة كف له يضربهم بها والمال بمنزلة الساعد الذي تعتمد عليه الكف في الضرب . يريد أنه بمجده وسيادته يقود الجيوش وبماله يجهزها وينفق عليها فالمجد والمال قرينان متلازمان لا يستقل أحدهما بدون الآخر كما بين ذلك في البيت التالي .

(٢) الميسور ما تيسر وهو من المصادر التي جاءت على مفعول . ومركوبه رجلاه حال . أي من الناس من هو صغير الهمة يرضى بالدون من العيش ويمشي على قدميه عارياً فلا تسمو نفسه إلى طلب الغنى ومعالي الأمور .

(٣) بين جنبي نعت قلب . والمدى الغاية . يقول : لكن قلبي ليس له غاية تنتهي عند مطلوب أجعل له حداً أي إذا جعلت حداً لمطلوبي لا يرضى قلبي بذلك فيطلب ما وراءه .

(٤) ضمير يرى للقلب . والشفوف جمع شف وهو الثوب الرقيق . وتربه أي تنميه . أي هذا القلب يرى الجسم الذي هو فيه يتنعم بلبس الثياب الرقيقة فيأبى ذلك ويختار له أن يكسى دروعاً تهده بثقلها . يعني أنه لا يرضى بالنعيم مع الخمول ولكنه يهوى ركوب المشقات في طلب المعالي .

(٥) التهجير السير في وقت الهاجرة وهي حر نصف النهار . والمهمه المفازة البعيدة . والربد التي في لونها غبرة جمع أربد وربداء أراد بها النعام . أي قلبي يكلفني قطع الهواجر في كل مفازة طويلة ينفد ما معي من العليق والزاد لطولها فاجعل عليق فرسي ما ترتعي من نباتها واتخذ زادي من نعامها الذي أصيده .

(٦) يقول : أمضى سلاح تقلدته في مقاومة شدائد السفر ومخاوفه رجائي لأبي المسك وقصدي إياه يعني أنهما هونا عليه ما لقي من مشقات الطريق وأخطاره لأنه كان يعلل نفسه بهذا الرجاء والقصد فكأنه يقاتلها بهما .

(٧) اسرة الرجل اهله الأدنون . يقول إن رجاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله انصاره فأصبح بغير ناصر .

يُخَلِّفُ مَنْ لم يَأتِ دارَكَ غَايَةً ... ويَأتي فَيدري أنّ ذلكَ جُهْدُهُ[1]

فإنْ نِلْتُ ما أمّلْتُ منكَ فرُبّمَا ... شَرِبْتُ بمَاءٍ يُعجزُ الطّيرَ وِرْدُهُ[2]

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبلَ وَعْدٍ لأنّهُ ... نَظيرُ فَعَالِ الصّادِقِ القَوْلِ وَعدُهُ[3]

فكنْ في اصْطِناعي مُحسِناً كمُجرِّبٍ ... يَبِنْ لَكَ تَقرِيبُ الجَوَادِ وشَدُّهُ[4]

إذا كنتَ في شَكٍّ من السّيفِ فابْلُهُ ... فإمّا تُنَفّيهِ وَإمّا تُعِدّهُ[5]

وَمَا الصّارِمُ الهِنديُّ إلاّ كَغَيرِهِ ... إذا لم يُفارِقْهُ النِّجادُ وَغِمْدُهُ[6]

وَإنّكَ لَلْمَشْكُورُ في كُلّ حالَةٍ ... وَلَوْ لم يكُنْ إلاّ البَشاشَةَ رِفْدُهُ[7]

فكُلُّ نَوَالٍ كانَ أوْ هُوَ كائِنٌ ... فَلَحظَةُ طَرْفٍ منكَ عنديَ نِدّهُ[8]

---

(١) يخلف أي يترك خلفه . والغاية المنتهي . والجهد الطاقة والوسع . يريد أن داره غاية القصاد ومنتهى الرواد فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها فإذا جاءها علم أنه قد بلغ جهده الذي لا جهد بعده .

(٢) بماء أي من ماء . والورد إتيان الماء . أي إن بلغت أملي منك فلا عجب فكم بلغت الممتنع من الأمور . قال الواحدي : وجعل الماء الذي لا يرده الطير مثلاً للممتنع من الأمور وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعد الطريق إليه . وقال ابن جني : يمكن أن يقلب هذا هجاء أي إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك من العطاء فكم قد وصلت إلى المستصعبات . انتهى . ولعل الأظهر أن يقال إنه يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه وكان كافور قد وعده بذلك حياء منه وهو لا يريده وقد سئل في ذلك يوماً فقال : يا قوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية أفلا ترونه يدعى الملك ! فقال أبو الطيب ذلك يشير إلى بعد هذا المأمول وعزة نيله وفي الأبيات الآتية ما يدل على ذلك .

(٣) يقول : وعدك بمنزلة الفعل الذي يقع قبل الوعد أي بدون تقدم الوعد عليه لأن من كان صادق القول لا يرجع عن وعده فإذا وعد فكأنه قد فعل .

(٤) اصطنعه اختاره واختصه لنفسه . ويبن جواب كن . والتقريب والشد ضربان من جري الخيل . والجواد الفرس . يقول : جربني بإحسانك في اختصاصك إياي ليتبين لك موضعي مما تقلدني من نعمة أو خدمة كما يتبين الفرس بالتجربة فيعرف تقريبه وشده .

(٥) ابله امتحنه . وتنفيه شدده للمبالغة . والبيت مثل في معنى البيت السابق أي جربني فإن لم تجدني أهلاً لما شئت فارفضني وإلا فإني أهل لأن تختارني وتصطنعني .

(٦) الصارم السيف القاطع . والنجاد حمالة السيف . يؤكد ما ذكره يقول : السيف القاطع الهندي لا يظهر فضله على غيره من السيوف حتى يسل ويضرب به وبذلك يعلم مضاؤه وجوهره .

(٧) قوله للمشكور اللام للتوكيد . والرفد العطاء والضمير عائد على المشكور . أي أنت مشكور من جهتي على كل حال ولو لم أنل منك إلا طلاقة الوجه .

(٨) النوال العطاء . والطرف النظر . والند النظير . أي إذا نظرت إليَّ نظرة فهي عندي بمنزلة كل عطية أخذتها منك أو سآخذها .

وَإنّي لَفي بَحْرٍ منَ الخَيرِ أصْلُهُ عَطَايَاكَ أرْجُو مَدّهَا وَهيَ مَدُّهُ[1]
وماَ رَغْبَتِي في عَسْجَدٍ أستَفيدُهُ وَلَكِنّهـا في مَفْخَـرٍ أستَجِـدّه[2]
يَجُودُ بهِ مَن يَفضَحُ الجودَ جودُهُ وَيحَمَدُهُ مَن يَفضَحُ الحمدَ حمدُهُ[3]
فإنّكَ ما مرّ النُّحُوسُ بكَوْكَبٍ وَقَابَلْتَـهُ إلاّ وَوَجْـهُكَ سَعـدُهُ

★ ★ ★

.. الصديق هو من يقف مع صديقه يوم الضيق .. والذي يغيب في يوم باسم .. هو بلا شك في اليوم العابس أول المتغيبين .. ومن أقوال الحكماء.أن الفئران أول من يهرب من السفينة عند غرقها.. وكذا لئام الناس الذين يتخلون عن أصدقائهم عند إقبال المحن عليهم .

ولقد أراد كافور أن يمتحن المتنبي في مشاعره نحوه ويقف على ما في دخيلة نفسه فدس إليه من قال له : لقد طال مقامك في رحاب كافور .. وليس في هذا كله شيء مما يعنينا. وإنما الذي يعنينا منه إجابة المتنبي التي ارتجلها وفيها يقول :

يَقِـلُّ لهُ القيـام على الـرؤوس
وَبَـذْلُ المكرَمَـاتِ من النفـوسِ[4]
إذا خانَتَـهُ في يوم ضحـوك
فكيـف تكـون في يوم عَبُـوسِ[5]

★ ★ ★

---

(١) المد زيادة الماء . يريد كثرة ما يصل إليه من مواهبه . يقول : أنا في بحر من الخير وهذا البحر أصله من عطاياك فأنا أرجو زيادة عطاياك فإنها زيادة ذلك البحر لأنه منها . وذكر هذا كالاحتراس على عقب قوله في البيتين الأولين .

(٢) العسجد الذهب . واستجده بمعنى اجدده . يقول : ليست رغبتي من جهتك في عطايا الأموال ولكن أرغب في فخر جديد يعني الولاية .

(٣) الضمير من به للمفخر . أي تجود به أنت وجودك يفضح جود غيرك لزيادته عليه وأحمدك عليه أنا وحمدي يفضح حمد غيري لأنه فوقه .

(٤) المكرمات أي النفوس الكريمة : أي يقل أن تقوم في مجلسه على الرؤوس فضلاً عن الإقدام وأن نبذل في خدمته النفوس الكريمة .

(٥) أي إذا لم تحفظ النفوس حقه ولم تقم بخدمته في السلم وأيام الهناء فكيف تخدمه في الحرب أو أيام المحن .

.. لا تكون الفرحة بالدور أو القصور مهما عظم بنيانها وحسن تصميمها .. وإنما الفرحة والسرور بمن يسكنها ويسكب عطاؤه على روادها أو مرتاديها .

هذه المعاني يصوغها المتنبي تهنئة لكافور وقد انتقل من دار البركة التي كان يسكنها إلى داره الجديدة بعد أن تم تهيأتها لسكنه .. إذ يقول :

أَحَقُّ دارٍ بأنْ تُدْعَى مُبارَكَةً دارٌ مُبارَكَةُ المَلْكِ الذي فِيهَا[1]
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أنْ تُسْقَى بسَاكِنِها دارٌ غَدا النّاسُ يَستَسقُونَ أهليهَا[2]
هَذِهْ مَنازِلُكَ الأُخْرَى نُهَنّئُهَـا فَمَنْ يَمُرّ على الأولى يُسَلّيهَا
إذا حَلَلْتَ مَكاناً بَعدَ صاحِبِهِ جَعَلْتَ فيهِ على ما قَبْلَهُ تِيهَا[3]
لا يُنكِرُ الحِسُّ مِنْ دارٍ تكونُ بها فإنّ رِيحَكَ رُوحٌ في مَغانِيهَا[4]
أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ أعطاكَ أَوّلَهُ وَلا اسْتَرَدّ حَيَاةً مِنكَ مُعطيهَا

★ ★ ★

من روائع المتنبي وهو على ضفاف النيل هذه القصيدة المطولة التي أنشدها بين يدى كافور وقد قاد إليه فرساً إذ يقول فى مستهلها :

فِراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيرُ مُذَمَّمِ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ[5]

(١) الملك تخفيف ملك . أي أحق الديار بأن تدعى مباركة دار ملكها الذي فيها مبارك يعني إذا كان ساكن الدار مباركاً فداره أحق الديار بأن تسمى مباركة .

(٢) أجدر بمعنى أحق . واستسقاه سأله السقيا . أي وأحق الديار بأن تكون مسقية ببركة سكانها دار يطلب الناس سقيا أهلها وبرهم . والمعنى إذا كان سكان الدار من ذوي المبرات والصنائع فتلك الدار أولى الديار بأن تدر عليها البركات .

(٣) تيهاً أي كبراً وافتخاراً . أي إذا حللت مكاناً بعد حلولك مكاناً آخر تاه الثاني على الأول افتخاراً بنزولك إياه .

(٤) ويروى لا ينكر العقل . والمغاني جمع مغنى وهو المنزل . أي لا ينكر على الدار التي تحلها أن تكون ذات شعور تفرح بسكناك وتحزن لمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٥) فراق مبتدأ محذوف الخبر أي لي فراق . والأم القصد . ويممت قصدت . يقول لي فراق شخص وقصد آخر والذي فارقته غير مذموم يعني سيف الدولة والذي قصدته خير مقصود يعني كافور .

وَمَا مَنزِلُ اللَّذّاتِ عِندي بمَنْزِلٍ إذا لم أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ[١]

سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُليحَةً مِنَ الضَّيمِ مَرْمِيّاً بها كلُّ مَخْرِمِ[٢]

رَحَلْتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شَادِنٍ عَلَيّ وَكَمْ بَاكٍ بأجْفانِ ضَيْغَمِ[٣]

وَمَا رَبّةُ القُرْطِ المَليحِ مَكانُهُ بأجزَعَ مِنْ رَبّ الحُسَامِ المُصَمِّمِ[٤]

فَلَوْ كانَ ما بي مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلكنْ من حَبيبٍ مُعَمَّمِ[٥]

رَمَى وَاتّقى رَمْيِي وَمن دونِ ما اتّقى هَوًى كاسرٌ كَفّي وقَوْسي وَأسهُمي[٦]

إذا ساءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدّقَ مَا يَعتَادُهُ من تَوَهّمِ[٧]

وعَادَى مُحِبّيهِ بقَوْلِ عُداتِهِ وأصْبَحَ في لَيلٍ منَ الشّكّ مُظلِمِ[٨]

أُصَادِقُ نَفسَ المَرْءِ من قبلِ جسمِهِ وَأعْرِفُهَا في فِعْلِهِ وَالتّكَلّمِ[٩]

---

(١) أبجل أعظم . وعنده أي فيه . يقول : لا أعد منزل اللذات منزلاً لي أقيم به إذا لم أكن فيه معظماً مكرماً لأن اللذة لا تطيب لي مع الذلة .

(٢) السجية الطبع . ومليحة خائفة . يقول : ما ذكرته من إبائي وحرصي على تعظيم شأني طبيعة نفسي التي هي أبداً خائفة من أن تبتذل ولا تعطي حقها من الإكرام وأنا أرمي بها في كل طريق هارباً بها من الضيم والذل .

(٣) الشادن ولد الغزال . والضيغم الأسد . أراد بالباكي بأجفان الشادن المرأة الحسناء وبالباكي بأجفان الضغيم الرجل الشجاع أي كم من نساء ورجال بكوا على فراقي وجزعوا لارتحالي .

(٤) القرط الذي يعلق في شحمة الأذن . والحسام السيف القاطع . والمصمم الذي يطبق العظام . أي لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقي من الرجل الشجاع .

(٥) كني بالحبيب المقنع عن المرأة وبالحبيب المعمم عن الرجل أي لو كان ما أشكوه من الغدر بي من امرأة عذرتها لأن الغدر شيمة النساء ولكنه من رجل فلا أعذره .

(٦) اتقى بمعنى توقى . وقوله من دون ما اتقى يعني الرمي . يقول : رماني وتوقي رميي ومن دون رميي له أي بين رميي وبينه هوى له عندي يمنعني من الرمي فكأنه يكسر كفي وقوسي وسهامي . والرمي هنا مثل أراد معاملة سيف الدولة له بالجفوة والإساءة وأن حبه منعه من مكافأته على الإساءة بالهجو فكأنه رماه وهو وراء جنة تمنعه من أن يرميه .

(٧) ساء قبح . ويعتاده أي ينتابه . يقول : من كان فعله سيئاً ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه وإذا توهم في أحد ريبة أسرع إلى تصديق ما توهمه لما يجد من مثل ذلك في نفسه .

(٨) أي لسوء ظنه وإسراعه إلى تصديق ما يتوهمه يصدق ما يسمعه من التهم في حق من يصادقه ولو كان ذلك القول من عدوه فيعادي الذين يحبونه بوشاية أعدائه ويشك في كل أحد فلا يتبين له الصديق من غيره .

(٩) يريد بنفس المرء أخلاقه وخصاله وما هو فيه من كرم وضده . يقول : إنه ينظر إلى نفس من يصادقه قبل أن ينظر إلى جسمه ويثبت هذه المعاني من فعله وكلامه قبل أن يثبت معرفة جسمه من حلاه وملامحه .

وَأحْلُمُ عَنْ خِلّي وَأعْلَمُ أنّهُ ... متى أجزِهِ حِلْماً على الجَهْلِ يَندَمِ[١]
وَإنْ بَذَلَ الإنْسَانُ لي جودَ عابِسٍ ... جَزَيْتُ بجُودِ التّارِكِ المُتَبَسِّمِ[٢]
وَأهْوَى مِنَ الفِتيانِ كلّ سَمَيْذَعٍ ... نَجيبٍ كصَدْرِ السَّمْهَريّ المُقَوَّمِ[٣]
خطتْ تحتَهُ العيسُ الفلاةَ وخَالَطَتْ ... بِهِ الخَيلُ كَبّاتِ الخميسِ العرَمرَمِ[٤]
وَلا عِفّةٌ في سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ ... وَلَكِنّهَا في الكَفّ وَالطَّرْفِ وَالفَمِ[٥]
وَمَا كُلّ هَاوٍ للجَميلِ بفاعِلٍ ... وَلا كُلّ فَعّـالٍ لَهُ بِمُتَمِّـمِ[٦]

.. بعد هذا يواصل خلع الصفات على كافور ومدحه بكل جميل ثم يسأله نصره على أعدائه بتنويله ما يرجوه ليقول بعد ذلك فيما يختم به هذه القصيدة :

فأحْسَنُ وَجهٍ في الوَرَى وَجهُ محْسنٍ ... وَأيْمَنُ كَفٍّ فيهِمِ كَفُّ مُنعِمِ[٧]
وَأشرَفُهُمْ مَن كانَ أشرَفَ هِمّةً ... وَأكْثَرَ إقداماً على كلّ مُعْظَمِ[٨]
لِمَنْ تَطْلُبُ الدّنْيا إذا لم تُرِدْ بها ... سُرُورَ مُحِبٍّ أوْ مَساءَةَ مُجرِمِ[٩]
وَقَدْ وَصَلَ المُهْرُ الذي فوْقَ فَخْذِهِ ... مِنِ اسمك ما في كلّ عنقٍ وَمِعصَمِ[١٠]

---

(١) يقول : أصفح عن خليلي علماً بأني متى جزيته على جهله بالحلم يندم على جهله ويعتذر إليّ منه .
(٢) أي إذا جاد علي أحد بعطية وهو عابس جدت عليه بترك تلك العطية وأنا متبسم غير مبتئس بتركها .
(٣) السميذع هنا الشجاع . والسمهري الرمح . وصدره مقدمه مما يلي السنان .
(٤) خطت من الخطو يعني قطعت . والضمير من تحته للسميذع . والعيس الإبل . والكبة الحملة في الحرب . والخميس الجيش من خمس فرق . والعرمرم الكثير . أي قد سافر كثيراً فقطعت به الإبل الفلاة وألف الحروب فخالطت به الخيل حملات الجيوش .
(٥) أي عفيف النفس وليس بعفيف السلاح إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دمائهم .
(٦) أي ليس كل من أحب الصنع الجميل يفعله ولا كل من فعله يتممه .
(٧) الفاء من قوله فأحسن للتعليل يذكر السبب في اختياره . وأيمن من اليمن وهو البركة .
(٨) أمـر عظيـم .
(٩) لمن استفهام إنكار . أي إنما تراد الدنيا لإثابة المحسن وعقاب المجرم فإن لم يفعل طالبها هذين لم يكن لطلبها معنى .
(١٠) المعصم موضع السوار من اليد . يريد أن المهر كان موسوماً باسمه ليعلم أنه من حيله وأن ذلك غير خاص بالخيل فقط فإن كل حي موسوم كذلك . يعني أنه يملك جميع الأحياء فكأنهم موسومون باسمه وإن لم يوسموا حقيقة كما كشف عن ذلك في البيت التالي .

لكَ الحَيَوَانُ الرّاكِبُ الخَيلَ كلُّهُ　　وَإنْ كانَ بالنّيرانِ غيرَ مُوَسَّمِ[١]

وَلَوْ كنتُ أدرِي كَم حَياتي قَسَمْتُهَا　　وَصَيّرْتُ ثُلثَيها انتِظارَكَ فاعْلَمِ[٢]

وَلَكِنّ ما يَمضِي منَ الدّهرِ فائِتٌ　　فَجُدْ لي بحظّ البادِرِ المُتَغَنِّمِ[٣]

رَضِيتُ بمَا تَرْضَى بهِ لي مَحَبّةً　　وَقُدْتُ إلَيكَ النّفسَ قَوْدَ المُسلِّمِ[٤]

وَمِثْلُكَ مَن كانَ الوَسيطَ فُؤادُهُ　　فكَلّمَهُ عَنّي وَلَمْ أتَكَلّمِ[٥]

★ ★ ★

دأب الوشاة وكل هماز مشاء بنميم .. وفي كل عصر وجيل .. على السعي لإفساد الود بين الأصدقاء .. والعاقل هو الذي لا يسمع لمثل هؤلاء .. أو يعطي الفرصة لمن وُشيَ به أن يدافع عن نفسه ويجلو الحقيقة ، ومن الغريب أن كثيراً من الذين ينادون بحرية الرأي أو ما يسمونه بالديمقراطية التي تتيح للإنسان أن يقول ما يريد . وتمنحه الفرصة للدفاع عن نفسه وحقوقه . لا يفعلون ذلك ، وإنما يصيخون السمع للوشاة ويأخذون بما يقولونه لهم دون تمحيص أو مواجهة بين الأطراف ليتبين المفتري من الصادق . والذي قد يكون بريئاً براءة الذئب من دم يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

.. ولقد سعى بين كافور وبين إبن مولاه الإخشيدي وشاة حاولوا إفساد ما بينهما . ولكن كافور بذكائه فوت الفرصة عليهم فلم يسمع لهم . وإنما اتصل بالإخشيدي وسوى الأمر ما بينهما .. فقال المتنبي قصيدته التي جعل عنوانها . « حسم الصلح ما اشتهته الأعادي » . وفيها يقول :

---

(١) أراد بالراكب الخيل الإنسان لأن غير الإنسان لا يوصف بذلك أي أنت تملك الخيل والإنسان الذي يركبها . ومراده بالخيل ما هو أعم منها من الحيوان وإنما خصها هنا لمكان ذكر المهر .

(٢) يريد بحياته ما بقي منها وهو استبطاء لما يرجوه منه واستنجاز لحصوله .

(٣) بدر إلى الشيء أسرع . وتغنمه بمعنى اغتنمه . يقول : ما فات من العمر لا يعود أي ما بقي من الحياة غير طويل فإن جدت لي بحظ فليكن حظ من يبادر إلى الأمور ويغتنمها قبل فوات الإمكان .

(٤) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه فأنا أرضى به أيضاً محبة لك وموافقة لرضاك لأني قدمت نفسي إليك قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٥) أي مثلك في الكرم والسماحة يكون فؤاده وسيطاً بينه وبيني فيكلمه عني ولا يحوجني إلى الكلام .

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشتَهَتْهُ الأعادي وَأذاعَتْــــهُ ألْسُنُ الـــحُسّادِ[1]
وَأرَادَتْـهُ أنْـفُسٌ حَالَ تَدْبيـــ ـرُكَ مَا بَيْنَهَـا وَبَيْـنَ المُـرَادِ[2]
صَارَ ما أوْضَعَ المُخِبّونَ فيهِ مِن عِتـابٍ زِيـادَةً في الـوِدادِ[3]
وَكَلامُ الوُشَاةِ لَيسَ على الأحْـ ـبَابِ ، سُلْطانُهُ على الأضْدادِ[4]
إنّمَا تُنْجِحُ المَقَالَةُ في المَرْ ءِ إذا وَافَقَتْ هَوًى في الفُؤادِ[5]
وَلَعَمْرِي لَقد هُزِزْتَ بمَا قِيـ ـلَ فأُلْفِيتَ أوْثَـقَ الأطْــوَادِ[6]
وَأشَارَتْ بمَـا أبَيْتَ رِجَـالٌ كُنتَ أهدَى منهَا إلى الإرْشَادِ[7]
قد يُصِيبُ الفَتى المُشيرُ وَلم يَجْـ ـهَدْ وَيُشوِي الصّوَابَ بعد اجتهادِ[8]
نِلْتَ ما لا يُنالُ بالبيضِ وَالسُّمْـ ـرِ وَصُنْتَ الأرْوَاحَ في الأجْسادِ[9]
وَقَنَا الخَطِّ في مَراكِزِها حَوْ لَكَ وَالمُرْهَفَـاتُ في الأغْمـادِ[10]

(١) حسم قطع . يقول : اشتهت الأعداء أن يهيج بينكما شر وأذاعت الحساد ذلك فلما اصطلحتما حسم الصلح ما اشتهوه وأذاعوه .

(٢) أي وحسم ما أرادته من إلقاء الشقاق بينكما أنفس حجز تدبيرك بينها وبين ما أرادته .

(٣) يقال أوضع الراكب راحلته إذا حثها على الإسراع . والمخبون الذين يحملون دوابهم على الخبب وهو ضرب من العدو . ومن عتاب بيان لما . أي صار العتاب الذي سعى به بينكما أهل النمائم سبباً في زيادة الوداد لأن الود بعد العتاب أصفى .

(٤) الوشاة السعاة . أي كلام الوشاة لا سلطان له على الأحباب إنما سلطانه على الأضداد .

(٥) أي إنما يبلغ القول النجاح إذا وافق هوى سامعه كأنه يبرىء ابن مولاه من موافقة كلام الوشاة .

(٦) ألفيت وجدت . وأوثق أقوى . والأطواد الجبال . أي حركت إلى الشر بما نقل إليك من النميمة فكنت كالجبل أي لم تتحرك ولم يؤثر فيك قول المفسدين .

(٧) أي أشار عليك قوم بالشقاق فامتنعت منه لأنك لم تجد ذلك رشداً . وقوله أهدى إلى الإرشاد أي إلى إرشادهم ، كأنه يقول : أرادوا بما أشاروا عليك أن يرشدوك إلى الفساد فأرشدتهم بأناتك وحسن صنيعك إلى ما هو خير مما أشاروا به فكنت أعرف منهم بوجوه الإشارة .

(٨) يشوي أي يخطىء يقال رماه فأشواه إذا أصاب غير المقتل . يقول : المشير بشيء قد يصيب في مشورته من غير اجتهاد وقد يجتهد فتأتي مشورته بعد الاجتهاد خطأً . يعني أن الذين أشاروا عليك بالخلاف بعد إعمال الرأي قد أخطأوا الصواب في المشورة وأنت أصبت الرأي عفواً بميلك إلى السلم .

(٩) البيض والسمر أي السيوف والرماح . يقول : أدركت بالصلح ما لا يدرك بالحرب من غير إراقة دم ولا قتل نفس .

(١٠) القنا الرماح . والخط موضع تنسب إليه الرماح . وحولك حال من مراكزها . والمرهفات السيوف المحددة . أي نلت ذلك والرماح مركوزة لم تشرع للطعن والسيوف مغمدة لم تسل للضرب .

ما دَرَوْا إذ رَأوْا فُؤادَكَ فيهِمْ   سَاكِناً أنّ رَأيَهُ في الطِّرَادِ[1]
فَفَدَى رَأيَكَ الذي لم تُفَدْهُ   كُلُّ رَأيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ[2]
وَإذا الحِلْمُ لمْ يَكُنْ عن طِباعٍ   لم يَكُنْ عَن تَقَادُمِ المِيلادِ[3]
فَبِهَذا وَمِثْلِهِ سُدْتَ يا كا   فُورُ وَاقتَدْتَ كُلَّ صَعبِ القِيادِ[4]
وَأطَاعَ الذي أطَاعَكَ وَالطّا   عَةُ لَيْسَتْ خَلائِقَ الآسَادِ[5]
إنّمَا أنْتَ وَالِدٌ وَالأبُ القَا   طِعُ أحنى من وَاصِلِ الأوْلادِ[6]
لا عَدا الشرُّ مَن بَغَى لكُما الشرّ   وَخَصّ الفَسَادُ أهلَ الفَسَادِ[7]
أنتُمَا مَا اتّفَقْتُما الجِسْمُ وَالرّو   حُ فَلا احتَجتُما إلى العُوّادِ[8]
وإذا كانَ في الأنابيبِ خُلْفٌ   وَقَعَ الطّيْشُ في صُدورِ الصِّعادِ[9]

---

(١) يقول : لم تعلم الناس حين رأوك ساكن القلب غير متهيء للطراد أنك تطارد برأيك في طلب الفوز حتى أدركته .

(٢) لم تفده أي لم يفدك إياه أحد . يقول : يفدي رأيك الذي تبتكره بروية نفسك كل رأي يستفاد بمشورة الناس وتعليمهم .

(٣) يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة مخلوقة في الإنسان لم يحدث فيه بكبر السن وتقادم زمن الولادة .

(٤) يقول : بهذا الرأي الذي رأيته في هذه الحادثة وبمثله في غيرها سدت الناس وانقاد لك ما لا ينقاد لغيرك .

(٥) الخلائق بمعنى الأخلاق . أي وبمثل هذا الرأي أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود في شدة البأس لم يعرفوا الطاعة قبلك لأحد لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود .

(٦) القاطع بمعنى المقاطع . وقوله واصل الأولاد . أي أنت في تربيتك ابن الإخشيد بمنزلة الوالد له والوالد القاطع يبقى حنوه على ولده أشد من حنو الولد الواصل على أبيه .

(٧) عدا جاوز . وبغى طلب . يدعو على من سعى بينهما بالشر والفساد أن يرتد ما سعى به على نفسه ويلزمه دون غيره .

(٨) ما مصدرية زمانية أي مدة اتفاقكما . والعواد زوار المريض خاصة . يقول : أنتما ما دمتما متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش بائتلافهما . وقوله فلا احتجتما إلى العواد لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بمنزلة الداء الذي يختل به أمر البدن ويكون محوجاً إلى عيادة الأطباء أي فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشيرين .

(٩) الأنابيب أنابيب الرمح وهي ما بين كل عقدتين . والخلف الاختلاف . والطيش هنا بمعنى الاضطراب . وصدر كل شيء مقدمه . والصعاد جمع صعدة وهي قناة الرمح . يقول : إذا اختلف أنابيب الرمح اضطرب صدره عند الطعن فلم يستقم وهو مثل أراد بالأنابيب الأتباع وبالصدور السادة أي إذا اختلف الخدم وقع النزاع بين الرؤساء .

أَشْمَتَ الخُلْفُ بالشُّراةِ عِداهَا   وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ من إيَادِ[1]
بكُمَا بِتُّ عَائِذاً فِيكُمَا مِنْـ   ـهُ وَمن كَيدِ كُلِّ باغٍ وَعَادِ[2]
وَبِلُبّيكُمَا الأصيلَيـنِ أنْ تَفْـ   ـرُقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَينَ الجِيَادِ[3]
أوْ يَكُونَ الوَليُّ أشْقَى عَدُوٍّ   بالـذي تَدْخَرَانِـهِ مِن عَتَـادِ[4]
هَلْ يَسُرّنّ بَاقِياً بَعْدَ مَاضٍ   مَا تَقُولُ العُداةُ في كلّ نَادِ[5]
مَنَـعَ الـوُدُّ وَالرّعَايَــةُ وَالسّؤ   دُدُ أنْ تَبْلُغَـا إلى الأحْقَــادِ[6]
وَحُقُوقٌ تُرَقّـقُ القَـلْبَ للقَلْـ   ـبِ وَلَوْ ضُمّنَتْ قُلوبَ الجَمادِ[7]
فَغَدَا المُلْكُ باهِراً مَنْ رَآهُ   شَاكِـراً ما أتَيْتُمَـا مِنْ سَدادِ[8]

---

(١) الشراة الخوارج . ورب فارس أي كسرى . واياد قبيلة مشهورة . يشير إلى ما وقع للشراة حين تولى المهلب بن أبي صفرة حربهم من قبل الحجاج وذلك أنه قاتلهم نحواً من ثلاثين شهراً فلم يقدر عليهم ثم وقع الخلف بينهم لسبب اختلف الرواة في تحقيقه واقتتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينج إلا القليل . وأما اياد فكانت يداً واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشتتوا بأرض الجزيرة فقصدهم سابور ذو الأكتاف وأفنى منهم خلقاً كثيراً وتفرق باقيهم في البلاد .

(٢) فيكما أي بينكما . أي أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البغي والعدوان الذين يريدون بكما السوء .

(٣) اللب العقل . والأصيلين من أصالة الرأي وهي جودته . وصم الرماح صلابها . والجياد الخيل . أي وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين وتحول الرماح بين خيلكما التي هي فرقة واحدة فتصير فرقتين .

(٤) الولي الصديق . والعتاد العدة . أي أعوذ بكما أن يقتل بعض رجالكما بعضاً بما تذخرانه من السلاح فتصير عاقبة الصديق به كعاقبة العدو لأن القتل للأعداء لا للأصدقاء .

(٥) هل استفهام إنكار . والنادي المجلس ، أي إذا قتل أحدكما الآخر فهل يسر الباقي منكما أن يتحدث الأعداء في مجالسهم بأنه قتل صاحبه وغدر بحرمته .

(٦) الرعاية حفظ الذمة . والسؤدد السيادة . يقول : ما بينكما من الود ورعاية الحقوق وما فيكما من السيادة يمنعانكما من أن تبلغا إلى الحقد والإصرار على العداوة .

(٧) يذكر ما بينهما من حقوق تربيته لابن الاخشيد وقيامه بأمره وهو طفل . يقول : تلك الحقوق لو كانت في قلب الجماد لرق بعضه لبعض .

(٨) بهره أي غشيه بنوره أي حسنه . والسداد الصواب . أي بتصافيكما عاد إلى الملك رونقه وحسنه فلو كان له فم لشكر ما فعلتما من الصواب .

فِيهِ أيْديكُمَا عَلى الظّفَرِ الحُلْـ ـوِ وَأيدي قَوْمٍ عَلى الأكْبَـادِ[1]

هَذِهِ دَوْلَـةُ المَكـارِمِ وَالـــرّأ فَةِ وَالمَجْدِ وَالنّدَى وَالأيَـادِي[2]

كسَفَتْ ساعةً كما تكسِفُ الشّمْـ ـسُ وَعادَتْ وَنُورُها في ازْدِيادِ[3]

يَزْحَمُ الدّهرَ رُكنُها عن أذاهَا بِفَتًـــى مَارِدٍ على المُـــرّادِ[4]

مُتْلِفٍ مُخْلِـفٍ وَفِيٍّ أبِـــيٍّ عَالِــمٍ حَازِمٍ شُجَــاعٍ جَوَادِ[5]

أجفَلَ النّاسُ عن طَرِيقِ أبي المِسـ ـكِ وَذَلّتْ لَهُ رِقَـابُ العِبَـادِ[6]

كَيْفَ لا يُتْرَكُ الطّرِيقُ لسَيْلٍ ضَيّـــقٍ عَنْ أتِيّـــهِ كُلُّ وَادِ[7]

★ ★ ★

.. الشوق غلاب .. وكل صانع جميل يقبل الناس عليه .. ويرتاحون إليه .. ويأنسون به .. كما يطيب لهم المقام بالمكان الذي يحفظ لهم كرامتهم .. ويمنحهم العز والسعادة .

هذا هو ما يضمنه أبو الطيب قصيدته التي يمدح بها كافور مهنئاً بعيد الفطر (سنة ٣٤٧هـ) ويسأله الوفاء بالوعد وتنويله الإمارة إذ يقول في مستهلها :

---

(١) أي في هذا السداد الذي أتيتماه وضعتما أيديكما على الظفر ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم توجعاً لإخفاق آمالهم . ووصف الظفر بالحلو لأنه كان بغير إراقة دم .

(٢) الندى الجود . والأيادي النعم .

(٣) يريد بكسوفها ما كان بينهما من الوحشة أي كان ذلك مدة قصيرة كمدة كسوف الشمس ثم انجلى فعادت وهي في العيون أنور وأبهى .

(٤) يريد بركنها قوتها وسعادتها أي ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن أذاها بفتى يتمرد على المردة .

(٥) متلف مخلف أي يتلف الأموال بالعطاء ويخلفها بسيفه . والأبي الأنوف العزيز النفس . والجواد السخي .

(٦) الإجفال الإسراع في الهرب . يقول : أسرعوا ذاهبين عن طريقه وتركوه له لأنهم لا يقدرون على معارضته وذلت له رقاب الناس فملكهم .

(٧) الأتي السيل يأتي من موضع بعيد . يقول : كيف لا يترك الناس طريقه وهو سيل يضيق عن مائه كل واد جرى فيه فلا يبقى فيه مجاز لأحد .

أُغالِبُ فيكَ الشّوْقَ وَالشوْقُ أغلَبُ وَأعجبُ من ذا الهجرِ وَالوَصْلُ أعجبُ[1]

أمَا تَغْلَطُ الأيّامُ فيّ بأنْ أرَى بَغيضاً تُنَائي أوْ حَبيباً تُقَرِّبُ[2]

وَللهِ سَيْرِي مَا أقَلّ تَئِيّةً عَشِيّةَ شَرْقيَّ الحَدالى وَغُرَّبُ[3]

عَشِيّةَ أحفَى النّاسِ بي مَن جفوْتُهُ وَأهْدَى الطّرِيقَينِ التي أتَجَنّبُ[4]

وَكَمْ لظَلامَ اللّيْلِ عِندَكَ من يَدٍ تُخَبِّرُ أنّ المَانَوِيّةَ تَكْذِبُ[5]

وَقَاكَ رَدَى الأعداءِ تَسْرِي إلَيْهِمِ وَزَارَكَ فيهِ ذو الدّلالِ المُحَجَّبُ[6]

وَيَوْمٍ كَلَيْلِ العَاشِقينَ كمَنْتُهُ أُرَاقِبُ فيهِ الشّمسَ أيّانَ تَغرُبُ[7]

---

(١) أي بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك ولكن الغلبة للشوق لأنه يغلب صبري وأعجب من هذا الهجر ولكن الوصل لو وقع بيننا لكان أعجب منه لأن من عادة الأيام التفريق . ومعنى عجبه من الهجر أنه يعجب من طوله وتماديه لا من نفس وقوعه لأن ذلك من شيم الأيام .

(٢) الاستفهام للتعجب . وتنائي تفاعل من النأي وهو البعد يقال نأى وأنأيته على أفعل ولكنه نقله إلى فاعل كما يقال أبعدته وباعدته . يقول : عادة الأيام أن تقرب مني من أبغضه وتبعد من أحبه أفلا تغلط مرة في هذه العادة بأن تبعد عني البغيض أو تقرب الحبيب .

(٣) لله كلمة تقال عند التعجب من الشيء . والتئية التوقف والتمكث وأراد ما أقله تئية فحذف لضيق المقام . وشرقي أي شرقيي بثلاث باءات فحذف الثانية من ياءي النسبة للتخفيف . والحدالي موضع بالشام . وغرب جبل هناك . يقول : ما كان أسرع سيري وأقل تلبثه عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرقي يعني عند رحيله من حلب .

(٤) عشية بدل من عشية الأولى . وأحفى تفضيل من حفي به حفاوة إذا بالغ في إكرامه وإلطافه . يريد بأحفى الناس به سيف الدولة . يقول : كان ألطف الناس بي فجفوته وفارقته وكانت أهدى طريقيّ التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى طريق مصر .

(٥) اليد النعمة . والمانوية أصحاب مان المثنوي وهم القائلون إن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة ، يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تكذب ما يزعمه هؤلاء من نسبة الظلمة إلى الشر ، وقد بين تلك النعمة في البيت الذي يلي .

(٦) الردى الهلاك . وتسرى ، بفتح التاء وضمها ، تمشي ليلاً وهو حال . يقول : إن ظلام الليل وقاك من شر الأعداء وأنت تسري إليهم فلم يبصروك وستر المحبوب عن عيون الرقباء فزارك فيه آمناً .

(٧) الواو واو رب . وقوله كمنته أي كمنت فيه فترك الحرف ونصب الضمير مفعولاً به . وأيان استفهام بمعنى متى . يذكر في هذا البيت شر النور في مقابلة خير الظلام الذي ذكره . يقول : رب يوم طال على كليل العاشق استترت فيه خوفاً من الأعداء مراقباً غروب الشمس لآمن على نفسي .

وَعَيْنـي إلى أُذْنَـيْ أغَـرَّ كَأَنّـهُ   مِنَ اللّيْلِ باقٍ بَينَ عَيْنَيهِ كوْكبُ[1]

لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ في إهَابِهِ   تَجيءُ على صَدْرٍ رَحيبٍ وَتذهَبُ[2]

شَقَقْتُ بهِ الظّلْماءَ أُدْنِي عِنَانَـهُ   فَيطغَـى وَأُرْخيـهِ مراراً فَيَلْعَبُ[3]

وَأصرَعُ أيَّ الوَحشِ قَفّيْتُهُ بِـهِ   وَأنْزِلُ عنْهُ مِثْلَهُ حيـنَ أرْكَبُ[4]

وَما الخَيلُ إلاّ كالصّديقِ قَليلَـةٌ   وَإنْ كَثُرتْ في عَينِ مَن لا يجرِّبُ[5]

إذا لم تُشاهِدْ غَيرَ حُسنِ شِياتِهَا   وَأعْضَائِهَا فالحُسْنُ عَنكَ مُغَيَّبُ[6]

لحَـا اللهُ ذي الدّنْيا مُناخاً لراكبٍ   فكُلُّ بَعيدِ الهَمّ فيهَا مُعَـذَّبُ[7]

ألا لَيْتَ شعري هَلْ أقولُ قَصِيدَةً   فَـلا أشْتَكـي فيها وَلا أتعَـتّبُ

---

(١) الأغر ذو الغرة وهي البياض في جبهة الفرس . وكأنه من الليل نعت أغر وباق حال من الليل وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين والضمير العائد إلى الليل محذوف أي كوكب من كواكبه . يقول : إنه كان في مسيره يراقب أذني فرسه يتحرز لنفسه بهما لأن الفرس إذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه فيعلم فارسه أنه قد رأى شيئاً . ثم وصف هذا الفرس بأنه أدهم اللون كأنه قطعة من الليل والغرة في وجهه كأنها كوكب من كواكب الليل قد بقي بين عينيه .

(٢) الإهاب الجلد . والرحيب الواسع . يصف فرسه بعرض الصدر وسعة الجلد عليه وكلاهما يقتضي سعة الخطو وسرعة العدو لأنه إذا كان صدره ضيقاً كان خطوه قصيراً وكذا إذا كان الجلد الذي عليه ضيقاً ضاق عن مد يديه فلا يسبح في عدوه .

(٣) أدني أقرب . وعنانه سير لجامه . وأراد بطغيانه شدة النشاط والمرح . يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس أجذب عنانه إليّ فيمرح ويثب وأرخيه له فيلعب كما يشاء .

(٤) أصرع أي أقتل وقفيته أتبعته . يقول : إذا طردت به وحشاً أدركه فصرعته وأنزل عنه بعد الطرد والصيد وهو باق على نشاطه وقوة جريه مثلما كان حين الركوب .

(٥) يقول : الخيل كالصديق تكثر قبل التجربة وتقل بعدها لأن التجربة تظهر الكوامن منها فتنفى والجياد فتختار كما أن الصديق يعرف بالتجربة فيتميز المذّاق والذي لا يصلح للصداقة من المخلص الذي يوثق بمودته .

(٦) الشيات الألوان . يؤكد ما ذكره في البيت السابق يقول : إذا لم تر من الخيل إلا ما يظهر لك من حسن ألوانها وأعضائها فقد غابت معرفة حسنها عنك ، يعني أن حسنها فيما وراء ذلك من جريها وطباعها .

(٧) يقال لحاه الله أي قبحه ولعنه . والمناخ المنزل . يذم الدنيا يعني أنها دار شقاء حتى إن من لا هم له لا يخلو فيها من العذاب فما الظن بصاحب الهموم .

وَبي ما يَذودُ الشّعرَ عني أَقَلُّهُ   وَلَكِنّ قَلبي يا ابنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ [1]

ثم يتحدث عن أخلاق كافور التي تملي عليه ما يقوله من شعر يصف حلمه وشجاعته وكرمه مما لا حاجة لنا به .. وإنما نأخذ ما جاء بعده عن الامارة .. والوعد الذي يسأل كافور تحقيقه فيقول :

وَهَبْتَ على مِقدارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا   وَنَفسِي على مِقدارِ كَفَّيْكَ تطلُبُ [2]
إذا لم تَنُطْ بي ضَيْعَةً أَوْ وِلايةً   فَجُودُكَ يَكْسوني وَشُغْلُكَ يسلُب [3]
يُضاحِكُ في ذا العِيدِ كُلٌّ حَبيبَهُ   حِذائي وَأبكي مَنْ أُحِبّ وَأنْدُبُ
أحِنُّ إلى أهْلي وَأهْوَى لِقَاءَهُمْ   وَأينَ مِنَ المُشْتاقِ عَنقاءُ مُغرِبُ [4]
فإنْ لم يكُنْ إلاّ أبو المِسكِ أوْ هُمُ   فإنّكَ أحلى في فُؤادي وَأعْذَبُ [5]
وكُلُّ امرىءٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ   وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيّبُ [6]

---

(١) يذود يطرد ويدفع . وقلب بصير بتقليب الأمور حسن التصرف فيها . يقول : بي من هموم الدهر ما أقل شيء منه يدفع الشعر عني ولكن قلبي حسن التقليب للأمور لا تغلبه نوازل الدهر ولا يضيق بخطوبه . وقوله يا ابنة القوم جرى فيه على عادة العرب من مخاطبة النساء وأراد أن لها قوماً تعتز بهم فنسبها إليهم على جهة المدح .

(٢) يقول : وهبتني على قدر كرم الزمان وأنا أطلب منك على قدر كرمك وهو ما ذكره في البيت التالي .

(٣) النوط التعليق ويقال ناط به أمر كذا إذا فوضه إليه . والضيعة الأرض المغلة . يقول : إذا لم تفوض إلى ضيعة تقطعني إياها أو ولاية تجعل أمرها في يدي فما تكسوني إياه بجودك أي ما يحدثه جودك عندي من الآمال تسلبني إياه باشتغالك عن قضاء تلك الآمال .

(٤) الحنين الشوق والاستطراب . والعنقاء طائر لا يوجد . ومغرب بضم الميم نعت عنقاء من قولهم أغرب الرجل إذا أمعن في البلاد . قال الأزهري حذفت تاء التأنيث منها كما قالوا لحية ناصل إذا اشتد بياضها . وأراد بالمشتاق نفسه . يذكر شوقه إلى أهله وبعد ما بينه وبينهم والعنقاء مثل أراد بها شدة بعدهم عنه يعني أنهم بحيث لا يرجو لقاءهم .

(٥) يقول : إن كان لا بد من لقاء أحد الفريقين وفراق الآخر فلقاؤك عندي أحلى من لقائهم لأنك أحب إلي منهم .

(٦) أولاه جميلا صنعه إليه . ويقال حببت إليه كذا إذا جعلته يحبه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك لما أوليتني من الجميل وطابت لي الإقامة بأرضك لما أدركت فيها من العز وهو مبني على ما ذكره في عجز البيت السابق .

يُرِيدُ بِكَ الحُسّادُ مَا اللهُ دافِعٌ ... وَسُمْرُ العَوالي وَالحَديدُ المُذرَّبُ[1]

وَدونَ الذي يَبْغُونَ ما لَوْ تخَلّصُوا ... إلى المَوْتِ منه عشتَ وَالطّفلُ أشيبُ[2]

إذا طَلَبُوا جَدواكَ أُعطوا وَحُكّموا ... وَإن طلبُوا الفضْلَ الذي فيك خيّبوا[3]

وَلَوْ جازَ أن يحوُوا عُلاكَ وَهَبْتَهَا ... وَلكِنْ منَ الأشياءِ ما ليسَ يوهَبُ[4]

وَأظلَمُ أهلِ الظّلمِ مَن باتَ حاسِداً ... لمَنْ بَاتَ في نَعْمائِهِ يَتَقَلّبُ[5]

.. بعد هذا يتحدث عن عناية كافور بابن الإخشيدى وتربيته له ومدافعته عنه . ليقفل القصيدة بهذه الأبيات التي يقول فيها :

وَيُغنيكَ عَمّا يَنسُبُ النّاسُ أنّهُ ... إليكَ تَنَاهَى المَكرُماتُ وَتُنسَبُ[6]

وَأيُّ قَبيلٍ يَسْتَحِقّكَ قَدْرُهُ ... مَعَدُّ بنُ عَدنانٍ فِداكَ وَيَعرُبُ[7]

---

(١) العوالي صدور الرماح . والمذرب المحدد يعني السيوف أي يريد بك الحساد السوء فلا يبلغون ما أرادوا لأن الله يدفعه عنك والرماح والسيوف .

(٢) يبغون يطلبون . أي دون وصولهم إلى ما يطلبون من زوال ملكك وفساد أمرك أهوال من شدة بأسك وانتقامك هي أمر عليهم من الموت ولو تخلصوا منها إلى الموت لبقيت أنت وشابت أطفالهم من شدة ما يرون . ويروى إلى الشيب منه . قال الواحدي : أي دون الذي يطلبونه الموت وهو قوله ما لو تخلصوا منه أي الموت أي أنهم يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم .

(٣) الجدوى العطية . وحكمه في الأمر جعل له الحكم فيه . أي إذا طلبوا عطاياك أعطيتهم وحكمتهم فيما يطلبون فاقترحوا ما شاؤوا وإن طلبوا ما فيك من الفضل أي مثل الفضل الذي أودعه الله فيك لم يدركوه لأن ذلك لا ينال بالاكتساب .

(٤) يقول : لو أمكن أن تهبهم علاك لم تبخل بها عليهم ولكنها من الأشياء التي لا توهب .

(٥) يقول : أشد الظالمين ظلماً من تقلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة . يعني أن هؤلاء الحاسدين لك إنما ربوا في نعمتك .

(٦) تناهى أي تتناهي . يقول : أنت في غنى عن الأنساب التي يذكرها النسابون لغيرك بأن المكرمات تنسب إليك أي إذا كنت أصلا للمكرمات فكفاك ذلك شرفاً يغنيك عن ذكر أصل تنسب إليه .

(٧) القبيل الجماعة . يقول : أنت أعلى قدراً من كل قبيل فلا يستحق قبيل أن تكون منسوباً إليه .

وَمَا طَرَبِي لمّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً ... لقد كنتُ أرْجُو أنْ أرَاكَ فأطْرَبُ[1]
وَتَعْذُلُني فيكَ القَوَافِي وَهِمّتي ... كأنّي بمَدْحٍ قَبلَ مَدْحِكَ مُذنِبُ[2]
وَلَكِنّهُ طالَ الطّريقُ وَلم أزَلْ ... أُفَتّشُ عَن هَذا الكَلامِ وَيُنْهَبُ[3]
فشَرّقَ حتى ليسَ للشّرْقِ مَشرِقٌ ... وَغَرّبَ حتى ليسَ للغرْبِ مَغْرِبُ[4]
إذا قُلْتُهُ لم يَمْتَنِعْ مِن وُصُولِهِ ... جدارٌ مُعَلًّى أوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ[5]

★ ★ ★

.. يقال أن الحاقد والحسود من شرار الناس لا يرضيهما هناءة من غدرا به حتى ولو كان على البعد منهما . ولذلك فهما يواصلان إيذاءه والاساءة إليه رغبة في هلاكه والقضاء عليه تماماً .

وحساد المتنبي من الذين وشوا به عند سيف الدولة وأساؤوا إليه في حضرته حتى اضطر للمفارقة . لم يكفهم ذلك ولم يهنأ لهم بال وهم يسمعون بما هو عليه عند كافور .. فكان أن نعوه كذباً إلى سيف الدولة .. وبلغ ذلك المتنبي فقال رائعته التي استهلها بقوله :

---

(١) البدعة الاسم من الابتداع . يقول : لا بدع في طربي عند رؤيتك فإني كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدي : هذا البيت يشبه الاستهزاء لأنه يقول طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على رؤية المضحكات . قال ابن جني : لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على أن جعلت الرجل أبا زنة وهي كنية القرد فضحك .

(٢) يقول : إن شعره وهمته يعذلانه لأنه لم يقصده قبل غيره ولم يقصر مدحه عليه كأنه قد أذنب بما مدح به غيره فاستحق العذل .

(٣) يعتذر إليه من مدح غيره يقول : طال طريقي إليك أي طال تنقلي في البلاد حتى وصلت إليك ولم أزل في أثناء ذلك أطالب بالشعر وأكلف المديح فينهب كلامي .

(٤) أي سار كلامي شرقاً حتى انتهى إلى حيث لا مشرق أمامه يعني بلغ أقصاه وكذلك من جانب الغرب .

(٥) الجدار الحائط . والخباء الخيمة . والمطنب المشدود بالأطناب . يقول : إذا قلت شعراً لم يمتنع من وصوله إلى ما وراء جدار مرفوع لأنه يثب من فوقه ولا خيمة مطنبة لأنه يدخلها والمعنى أن شعره قد سار في الأرض حتى عم الحضر سكان الجدر والبدو أهل الخيام .

بِمَ التّعَلّلُ لا أهْلٌ وَلا وَطَـنُ ... وَلا نَديمٌ وَلا كأسٌ وَلا سَكَنُ[١]

أُريدُ مِنْ زَمَني ذا أنْ يُبَلّغَنـي ... مَا لَيسَ يبْلُغُهُ من نَفسِهِ الزّمَنُ[٢]

لا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاّ غَيرَ مُكترِثٍ ... ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ رُوحَكَ البَدنُ[٣]

فَمَا يُديمُ سُرُورٌ ما سُرِرْتَ بِهِ ... وَلا يَرُدّ عَلَيكَ الفَائِتَ الحَـزَنُ[٤]

مِمّا أضَرّ بأهْلِ العِشْقِ أنّهُـمُ ... هَوُوا وَما عَرَفُوا الدّنْيَا وَما فطِنوا[٥]

تَفنى عُيُونُهُـمُ دَمْعاً وَأنْفُسُهُـمْ ... في إثْرِ كُلّ قَبيحٍ وَجهُهُ حَسَنُ[٦]

تَحَمّلُوا حَمَلَتْكُـمْ كـلُّ ناجِيَـةٍ ... فكُلُّ بَيْنٍ عَلَيّ اليَوْمَ مُؤتَمَـنُ[٧]

ما في هَوَادِجِكم من مُهجتي عِوَضٌ ... إنْ مُتُّ شَوْقاً وَلا فيها لهَا ثَمَنُ[٨]

---

(١) بم أي بماذا وحذف ألف ما لدخول الجار . وتعلل بالشيء تلهى به . وقوله لا أهل أي لا أهل لي ، والسكن الخليل تسكن إليه . يذكر اغترابه ووحشته يقول . بأي شيء أعلل نفسي وأنا بعيد عن أهلي ووطني وليس لي شيء ألهو به ولا أحد أسكن إليه .

(٢) ويروى في نفسه . أي أطلب من الزمان استقامة الأحوال وثباتها والزمان لا يبلغ هذا من نفسه لأنه لا يثبت على حال .

(٣) يقول : ما دمت حياً فلا تبال بالزمان وصروفه فإن الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحي فلا ييأس من تبدل الأحوال إلا بانقطاع حبل الحياة .

(٤) روى الواحدي فيما يدوم بالواو وقال في تفسيره لا تبال بما يحدثه لك الدهر فإن المفروح به لا يدوم فرحه . وروى غيره فيما يديم سروراً بالنصب وهو غير مستقيم في المعنى ولعل الأظهر ما رويناه وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت . يؤكد ما حدث عليه من ترك الاكتراث بالدهر يقول : سرورك بالشيء لا يديمه عليك لأن كل شيء زائل فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرده لأن ما فات لا يعود .

(٥) يقول : مما أضر بالعشاق أنهم عشقوا قبل أن يعرفوا أحوال الدنيا ويفطنوا لأخلاق أهلها وما في طباعهم من الغدر ولو عرفوا ذلك ما عشقوا ولا أضاعوا أيامهم وأتلفوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم .

(٦) يقول : تفنى عيونهم من البكاء وأنفسهم هائمة وراء كل محبوب قبيح الخصال إلا أن وجهه حسن .

(٧) تحملوا أي ارتحلوا . والناجية الناقة السريعة . والبين البعد . وعلي صلة مؤتمن . يخاطب الذين يشبب فيهم بعد ما ذكر من حال العاشق والمعشوق . يقول : ارتحلوا عني فإني اليوم أي بعد اختباري لأحوال الدنيا وأهلها لا يضرني فراق أحد لأني لا أجد من يستحق أن يؤسف على فراقه .

(٨) الهوادج مراكب النساء . والمهجة الروح . يقول : لست أرضى بفوت روحي لأجلكم ولا أنتم تعوضونني روحاً غيرها إذا أتلفتها بالشوق إليكم .

يَا مَنْ نُعيتُ على بُعْدٍ بمَجْلِسِهِ كُلٌّ بمَا زَعَمَ النّاعونَ مُرْتَهَنُ[١]
كَمْ قد قُتِلتُ وكَم قد متُّ عندَكُمُ ثمّ انتَفَضْتُ فزالَ القبرُ وَالكَفَنُ[٢]
قد كانَ شاهَدَ دَفني قَبلَ قولِهِمِ جَماعَةٌ ثمّ ماتُوا قبلَ مَنْ دَفَنوا[٣]
مَا كلّ ما يَتَمَنّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ تجرِي الرّياحُ بمَا لا تَشتَهي السّفُنُ[٤]
رَأيتُكُم لا يَصُونُ العِرْضَ جارُكُم وَلا يَدِرّ على مَرْعاكُمُ اللّبَنُ[٥]
جَزاءُ كُلّ قَرِيبٍ مِنكُمُ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلّ مُحِبٍّ منكُمُ ضَغَنُ[٦]
وَتَغضَبُونَ على مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ حتى يُعاقِبَهُ التّنغيصُ وَالمِنَنُ[٧]
فَغَادَرَ الهَجْرُ ما بَيني وَبينَكُمُ يَهماءَ تكذِبُ فيها العَينُ وَالأُذُنُ[٨]
تَحْبُو الرّواسِمُ مِن بَعدِ الرّسيمِ بهَا وَتَسألُ الأرْضَ عن أخفافِها الثَّفِنُ[٩]
إنّي أُصَاحِبُ حِلمي وَهْوَ بي كَرَمٌ وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبُنُ[١٠]

---

(١) أي كل أحد مرتهن بالموت فلا يفرح أحد بنعي أحد .

(٢) ويروى القطن والكفن . أي كم قلت في زعم المخبرين عندكم بقتلي وموتي ثم تحقق الأمر على خلاف ما أخبروا فكأني مت ثم خرجت من القبر .

(٣) يريد أن قوماً نعوه قبل هؤلاء وأخبروا أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا وهو حي .

(٤) أي هم يتمنون موتي ولكن الأمور لا تدرك بالتمني ، ثم ضرب لذلك مثل السفن فإنها تشتهي من الرياح الموافقة لسيرها ولكن الرياح كثيراً ما تجري بالخلاف .

(٥) يقول : من جاوركم لم يقدر على صون عرضه عندكم لأنه يشتم فلا تبالون بشتمه وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدر لبنها على مرعاكم لوخامته . والشطر الثاني مثل يريد أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنأ آخذها حتى تزكو عنده بالشكر .

(٦) الملل الضجر . والضغن الحقد .

(٧) الرفد العطاء . والمنن جمع منة وهي اسم من امتن عليه إذا عدد له صنائعه . يقول : من نال عطاءكم غضبتم عليه ونغصتم عطاءكم بالمن حتى يكون ذلك التنغيص كالعقاب له على أخذه .

(٨) غادر ترك . وما زائدة . واليهماء الأرض التي لا يهتدى فيها . يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له لكثرة ما يتخيل فيها من المخاوف .

(٩) حبا مشى على بطنه ويديه . والرواسم الإبل التي تمشي الرسيم وهو ضرب من السير السريع . والثفن ، بفتح فكسر ، ما مس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والكركرة واحدتها ثفنة مثل كلم وكلمة . أي لطول السير في تلك الأرض ومتابعته تبري الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفناتها وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى صار المشي علينا بعد أن كان عليها .

(١٠) أي احلم عما يؤذيني ما دام حلمي يعد كرماً فإذا كان يعد جبناً فلا أحلم .

وَلا أُقيمُ على مَالٍ أذِلّ بِهِ ... وَلا أَلَذّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ [(١)]

سَهِرْتُ بَعد رَحيلي وَحشَةً لكُمُ ... ثمّ استَمَرّ مريري وَارْعَوَى الوَسَنُ [(٢)]

وَإنْ بُلِيتُ بوُدٍّ مِثْلِ وُدّكُمُ ... فإنّني بفِراقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ [(٣)]

أبْلَى الأجِلّةَ مُهْري عِندَ غَيرِكُمُ ... وَبُدّلَ العُذْرُ بالفُسطاطِ وَالرّسَنُ [(٤)]

عندَ الهُمامِ أبي المِسكِ الذي غرِقَتْ ... في جُودِهِ مُضَرُ الحَمراءِ وَاليَمَنُ [(٥)]

وَإنْ تأخّرَ عَنّي بَعضُ مَوْعِدِهِ ... فَمَا تَأخّرُ آمالي وَلا تَهِنُ [(٦)]

هُوَ الوَفيّ وَلَكِنّي ذَكَرْتُ لَهُ ... مَوَدّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ [(٧)]

.. وكعادة العبيد . والذين يبخسون الناس أشياءهم . فيخلفون العهد .. ولا يوفون بالوعد .. أو الذين يصطنعون الأحلام الجميلة .. والآمال العريضة ليغروا بها روادهم ويؤملونهم بها . ثم لا يلبثون أن يتناسوها فضلاً عن الوفاء بها وتحقيقها أو حتى إدِّكارها .. فقد خيب كافور آمال المتنبي وما سبق أن وعده به فلم يُنَوِّلْهُ مقصده ولم يوف بما وعد .. فأصيب المتنبي بالكمد الذي ألهب

---

(١) الدرن الوسخ . أي لا أقر على غنى يجلب لي الذل ولا تطيب لي لذة أعير بها ويلطخ عرضي بسببها .

(٢) يقال استمر مريره إذا قوي بعد ضعف . وارعوى ارتدع . والوسن النعاس . يقول : استوحشت بعد فراقكم لإلفي إياكم حتى جفاني الرقاد ثم تجلدت لما ذكرت من سوء صنيعكم فسلوت وعاودني المنام .

(٣) مثله أي مثل رحيلي : وقمن جدير . يعرض بالأسود يقول : إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فإني جدير بأن أفارقه كما رحلت عنكم .

(٤) الأجلة جمع جلال جمع جل وهو ما تلبسه الدابة . والعذر جمع عذار وهو ما سال على خد الفرس من اللجام . والفسطاط اسم مدينة مصر . أي طال مقامي بالفسطاط لإكرام مثواي هناك حتى بليت أجلة فرسي وعذره ورسنه فبدلت بغيرها .

(٥) الهمام الملك العظيم الهمة . ومضر الحمراء بالإضافة ابن نزار أبو القبيلة المشهورة من قبائل معد بن عدنان قيل له ذلك لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه . والمراد باليمن بنو حمير ومن إليهم من ولد يعرب بن قحطان . والمعنى عم جوده العرب كلهم .

(٦) ويروي بعض نائله . وتأخر أي تتأخر . وتهن تضعف . يشير إلى ما وعده به من خطة الولاية على ما تقدم ذكره . يقول : إن تأخر قضاء وعده عني فآمالي لا تتأخر عن رجائه .

(٧) يبلوها يختبرها . يقول : هو يفي بما وعدني وإن تأخر حيناً وأنا كذلك أني بما ذكرت له من مودتي كما يعلم ذلك إذا اختبرها .

جسده بالحمى فقال قصيدته الشهيرة « من الحِمام إلى الحِمام » وهي من الجواهر الثمينة والدرر النادرة وفيها يصف حالته ويعرض بالرحيل عن مصر حيث يقول :

مَلُومُكُمَا يَجِلّ عَنِ المَلامِ ... وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الكَلامِ [1]

ذَرَاني وَالفَلاةَ بِلا دَلِيلٍ ... وَوَجْهي وَالهَجيرَ بِلا لِثَامِ [2]

فإنّي أسْتَرِيحُ بذي وَهَذا ... وَأتْعَبُ بالإنَاخَةِ وَالمُقَامِ [3]

عُيُونُ رَوَاحِلي إنْ حِرْتُ عَيني ... وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامي [4]

فَقَدْ أرِدُ المِيَاهَ بِغَيرِ هَادٍ ... سِوَى عَدّي لهَا بَرْقَ الغَمَامِ [5]

يُذِمّ لمُهْجَتي رَبّي وَسَيْفي ... إذا احْتَاجَ الوَحيدُ إلى الذّمَامِ [6]

وَلا أُمْسِي لأهْلِ البُخْلِ ضَيْفاً ... وَلَيسَ قِرًى سوَى مُخّ النَّعامِ [7]

---

(١) يخاطب صاحبيه اللذين يلومانه على ركوب الأسفار والأخطار في طلب المجد يقول : ملومكما يعني نفسه يجل عن الملام لأنه لا يأتي ما يلام عليه وفعله فوق كلام القائلين فهو أعلى من أن يصل إليه الملام .

(٢) ذراني اتركاني . والهجير حر نصف النهار . يقول اتركاني : اسلك الفلاة بغير دليل يهديني لأني خبير بمسالكها وأمشي في الهجير بغير لثام يقي وجهي لأني متعود دلك .

(٣) الإشارة بذي إلى الفلاة . وبهذا إلى الهجير . والإناخة النزول . والمقام مصدر بمعنى الإقامة .

(٤) الرواحل النياق . والبغام صوت الناقة إذا قطعت الحنين و لم تمده . ورزحت الناقة سقطت من الإعياء . قال الواحدي قال ابن جني : معناه إن حارت عيني فأنا بهيمة مثل رواحلي وعيني كعيونها وصوتي كصوتها . وقال ابن فورجة : يريد أنه بدوي عارف بدلالات النجوم في الليل فيقول إن تحيرت في المفازة فعيني البصيرة عين راحلتي ومنطقي الفصيح بغامها . وقال غيرهما عيون رواحلي تنوب عن عيني إذا ضللت فأهتدي بها وإذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحي فصوتها يقوم مقام صوتي وإنما قال بغامي على الاستعارة .

(٥) عد البرق إشارة إلى ما كانت تفعل العرب وذلك أنهم يشيمون البرق فإذا لمع سبعين برقة وقيل مئة انتقلوا و لم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر . يقول : لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل سوى أن أعد البرق وأستدل به على المطر فأتبع موقعه على عادة العرب .

(٦) أذم له أعطاه الذمة وهي العهد والجوار . والمهجة الروح . يقول : إذا احتاج غيري إلى ذمة تحميه عند انفراده فإني أكون في ذمة الله ثم ذمة سيفي يعني أنه لا يصحب في سفره أحداً ليأمن بصحبته .

(٧) المخ نقي العظم وهو الدسم في جوفه . يقول : لا أمسي ضيفاً للبخيل وإن لم يكن لي زاد البتة لأن النعام لا مخ له ويجوز أن يكون المراد أن البخيل لا قرى عنده . ويروى مح بالحاء المهملة وهو صفرة البيض أو كل ما في جوفه أي ولو لم يكن لي قرى إلا مح بيض النعام .

وَلمّـا صَارَ وُدُّ النّـاسِ خِبّـاً جَزَيْتُ على ابْتِسامٍ بابْـتِسَامِ[1]
وَصِرْتُ أشُكّ فيمَـنْ أصْطَفِيـه لِعلْمـي أنّـهُ بَـعْضُ الأنَـامِ[2]
يُحِبّ العَاقِلُـونَ على الـتّصَافي وَحُبّ الجَاهِلِيـنَ على الـوَسَامِ[3]
وَآنَـفُ مِـنْ أخي لأبي وَأُمّـي إذا مَا لم أجِدْهُ مِـنَ الكِـرامِ[4]
أرَى الأجْـدادَ تَغْلِبُهَـا كَـثِيراً على الأوْلادِ أخْـلاقُ اللّئَـامِ[5]
وَلَسْتُ بقانِعٍ مِن كـلّ فَضْلٍ بـأنْ أُعْزَى إلى جَدٍّ هُمَـامِ[6]
عَجِبْتُ لمَـنْ لَـهُ قَدٌّ وَحَـدٌّ وَيَنْبُـو نَبْـوَةَ الـقَضِمِ الكَهَـامِ[7]
وَمَنْ يَجِدُ الطّرِيقَ إلى المَعَالي فَـلا يَـذَرُ المَطيَّ بِـلا سَنَـامِ[8]
وَلم أرَ في عُيُوبِ النّاسِ شَيْئاً كَنَـقصِ القادِرِيـنَ على التّمَـامِ

---

(١) الحب الخداع . يقول : لما صار ود الناس مخادعة يبشون بوجوههم وقلوبهم مطوية على المكر جاريتهم على أخلاقهم فابتسمت إليهم كما يبتسمون إلي .

(٢) أصطفيه أختاره . والأنام الخلق . يقول : لعموم الفساد في الخلق كلهم صرت أتهم من أختاره لمودتي لعلمي أنه واحد منهم . حكي عن أبي الطيب أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إلي ويبش في وجهي حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرقنا فعجبت من فطنته وذكائه .

(٣) حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل تصافي الود بينهما والحب لأجل جمال الصورة شأن الجهال لأن ليس كل جميل المنظر أهلا للمودة .

(٤) أنف منه استنكف . وقوله لأبي وأمي يعني الأخ الشقيق .

(٥) غلبه عليه إذا استبد به دونه . يعني إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الكريم حتى يكون الولد لئيماً وإن كان أجداده كراماً .

(٦) أعزى أنسب . والهمام السيد الشجاع السخي . أي لست أقنع من الفضل بأن أكون منسوباً إلى جد فاضل يعني إذا لم أكن فاضلا بنفسي لم يغن عني فضل جدي .

(٧) القد القامة . والحد البأس . ونبا السيف كل عن الضريبة . والقضم من السيوف المتثلم . والكهام الذي لا يقطع . يريد بمن له قد وحد الشاب الذي لم يهدم الهرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته . يقول : عجبت ممن توفرت فيه قوة الشباب وبأسه فإذا عرض له أمر نبا عنه كما ينبو السيف الكليل .

(٨) يذر يترك . والمطي الإبل . والسنام ما شخص من ظهر البعير . أي وعجبت ممن وجد الطريق المؤدية إلى المعالي فلم يبادر إلى قطعها حتى يذيب أسنمة الإبل بإدمان السير والتعب . يشير بهذين البيتين إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .

أَقَمْتُ بأرْضِ مِصرَ فَلا وَرَائِي   تَخُبُّ بِيَ الرِّكابُ وَلا أمَامِي[1]
وَمَلّنيَ الفِرَاشُ وَكانَ جَنبي   يَمَلّ لِقَاءَهُ في كُلّ عَامِ[2]
قَليلٌ عَائِدي سَقِمٌ فُؤادي   كَثيرٌ حَاسِدي صَعْبٌ مَرَامي[3]
عَليلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القِيَامِ   شَديدُ السُّكْرِ مِنْ غَيرِ المُدامِ[4]
وَزَائِرَتي كَأنّ بهَا حَيَاءً   فَلَيسَ تَزُورُ إلاّ في الظّلامِ[5]
بَذَلْتُ لهَا المَطَارِفَ وَالحَشَايَا   فعَافَتْهَا وَبَاتَتْ في عِظامي[6]
يَضِيقُ الجِلْدُ عَنْ نَفَسي وَعَنها   فَتُوسِعُهُ بأنْوَاعِ السّقَامِ[7]
كأنّ الصّبحَ يَطرُدُها فتَجرِي   مَدامِعُهَا بأرْبَعَةٍ سِجَامِ[8]
أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيرِ شَوْقٍ   مُرَاقَبَةَ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ[9]
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصّدْقُ شَرٌّ   إذا ألْقَاكَ في الكُرَبِ العِظامِ[10]

---

(١) الخبب ضرب من العدو . والركاب الإبل . يقول : أقمت بأرض مصر لا تسير بي الإبل إلى الوراء ولا إلى الأمام يعني أنه لزم الإقامة بها فلم يبرح .

(٢) يريد أنه طال مرضه حتى مله الفراش بعد أن كان هو يمل الفراش ولو لقيه مرة واحدة في العام لأنه كان متواصل الأسفار .

(٣) العائد زائر المريض . والمرام المطلب . يقول : أنا غريب بها لا يعودني إلا القليل من الناس وفؤادي سقيم لتراكم الهموم عليه وحسادي كثير لوفور فضلي ومرامي صعب لأني أطلب الملك .

(٤) المدام الخمر . أي بل من الهموم .

(٥) الواو واو رب أي وزائرة لي . يريد بهذه الزائرة الحمى وكانت تأتيه ليلا يقول : كأنها حيية فهي تزورني تحت سواد الليل .

(٦) المطارف جمع مطرف ، بضم الميم وكسرها ، وهو رداء من خز . والحشايا جمع حشية وهي الفراش المحشو . وعافتها أبتها . يقول : هذه الزائرة يعني الحمي لا تبيت في الفراش وإنما تبيت في العظام .

(٧) يقول : جلدي يضيق عن أن يسع أنفاسي ويسعها فتذيب لحمي وتوسع جلدي بما توردها علي من أنواع السقام .

(٨) المدامع مجاري الدمع . وقوله بأربعة أي بأربعة أدمع . وسجام أي منسكبة . يريد أنها تفارقه عند الصبح فكأن الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكي بأربعة أدمع وذلك أن الدمع يجري من الموقين فإذا كثر جرى من اللحاظين أيضاً . والموق طرف العين مما يلي الأنف واللحاظ طرفها مما يلي الصدغ .

(٩) يريد أنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفاً لا شوقاً .

(١٠) يريد بوعدها ميقات ورودها يقول : إنها صادقة الوعد لأنها لا تتخلف عن ميقاتها وذلك الصدق شر لأنها تصدق فيما يضر .

أبِنْتَ الدّهْرِ عِندي كُلُّ بِـنْـتٍ	فكَيفَ وَصَلْتِ أنتِ مِنَ الزّحامِ [1]
جَرَحْتِ مُجَرَّحاً لم يَبقَ فيـه	مَكـانٌ للسّيُـوفِ وَلا السّهَـامِ
ألا يا لَيتَ شِعرَ يَدي أتُمْسِي	تَصَرَّفُ في عِنَانٍ أوْ زِمَـامِ [2]
وَهَلْ أرْمي هَوَايَ بِـرَاقِصَاتٍ	مُحَـلاّةِ المَقَـاوِدِ باللُّغَـامِ [3]
فَرُبّتَمَا شَفَيْتُ غَليـلَ صَدْري	بسَيـرٍ أوْ قَنَـاةٍ أوْ حُسَامِ [4]
وَضَاقَتْ خُطّـةٌ فَخَـلَصْتُ مِنها	خَلاصَ الخَمرِ من نَسجِ الفِدامِ [5]
وَفَارَقْتُ الحَبيبَ بِـلا وَداعٍ	وَوَدّعْتُ البِـلادَ بِـلا سَلامِ [6]
يَقُولُ لِيَ الطّبيبُ أكَلْتَ شَيئاً	وَداؤكَ في شَرَابِكَ وَالطّعَـامِ
وَمَـا في طِبّـه أنّـي جَـوَادٌ	أضَرّ بجِسْمِهِ طُولُ الجَمَـامِ [7]
تَعَـوّدَ أنْ يُغَبِّـرَ في السّرَايَـا	وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ في قَتَـامِ [8]

---

(١) يريد ببنت الدهر الحمي وبنات الدهر شدائده . يقول : للحمى عندي كل نوع من أنواع الشدائد فكيف لم يمنعك ازدحامهن من الوصول إلي .

(٢) يقال ليت شعري ما صنع فلان أي ليتني أشعر والعنان سير اللجام . والزمام المقود . يقول : ليت يدي تعلم هل تتصرف بعد هذا في عنان فرس أو زمام ناقة . وأضاف الشعر إلى اليد مجازاً والمعنى ليتني أعلم أهل أتعافى فأسافر على الخيل والإبل .

(٣) الرقص ضرب من الخبب أي بإبل راقصة . ومحلاة من الحلية . واللغام الزبد على فم البعير . أي وهل أقصد ما أهواه من المطالب بإبل قد جمد الزبد على مقاودها فصار عليها مثل الحلي الفضية .

(٤) ربتما أي ربما . والغليل العطش ويراد به كل ما حز في الصدر . يريد أنه حين كان صحيحاً كان يسافر ويقاتل فيشفي غليله بسيره وسرحه .

(٥) الخطة الأمر . والفدام ما يجعل على فم الإبريق ليصفى به ما فيه . أي وربما ضاق عليّ أمر فخلصت منه كما تخلص الخمر من النسيج الذي تفدم به أفواه الأباريق .

(٦) أي وربما فارقت من أحبه فراراً من أشياء كرهتها فلم أتمكن من وداعه لعجلتي في الرحيل وودعت البلاد أي خرجت منها فلم أسلم عليها بعد ذلك لأني لم أعد إليها .

(٧) الجواد الفرس الكريم . والجمام الراحة . أي يظن الطبيب أن سبب علتي الطعام والشراب وليس في قواعد طبه أن مرضي من طول الإقامة والقعود عن الأسفار كالفرس الجواد إذا طال قيامه في المرابط أضر به ذلك ففتر وونى .

(٨) السرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش . والقتام الغبار . يقول : هذا الجواد يعني نفسه تعود أن يثير الغبار في الجيوش ويخرج من معركة فيدخل في غيرها .

فأُمْسِكَ لا يُطالُ لَهُ فيَرْعَى وَلا هُوَ في العَليقِ وَلا اللّجَامِ[1]

فإنْ أمرَضْ فما مرِضَ اصْطِباري وَإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمّ اعتزَامي[2]

وَإنْ أسْلَمْ فَمَا أبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الحِمامِ إلى الحِمامِ[3]

تَمَتّعْ مِنْ سُهَادٍ أوْ رُقَادٍ وَلا تَأمُلْ كَرًى تحتَ الرِّجَامِ[4]

فإنّ لِثَالِثِ الحَالَينِ مَعْنًى سِوَى مَعنَى انتِباهِكَ وَالمَنَامِ[5]

★ ★ ★

يبدو أن أبا الطيب قد ضاق بكافور وبمماطلته في تحقيق ما وعد .. إذ انتهز فرصة وصول « أبي شجاع فاتك » المعروف بالمجنون إلى مصر فبادر إلى مدحه بعد استئذان كافور الذي وافق على مضض أن يمدح المتنبي أبا شجاع الذي أبت عليه نفسه أن يبقى في معيته من قبل ..

وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة « أبي شجاع » ما نقله عنه اليازجي بقوله : « هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون كان رومياً أُخذ صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع وهو ممن أخذه الإخشيد من سيده بالرملة كرهاً بلا ثمن وأعتقه فكان حراً عنده في عدة المماليك . وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعاً كثير الإقدام ولذلك قيل له المجنون . وكان رفيق الأستاذ كافور في خدمة الاخشيد فلما مات مخدومهما وتقرر كافور في خدمة ابن الاخشيد أنف فاتك من الإقامة بمصر كي لا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج أن يركب في خدمته . وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له فانتقل إليها وهي بلاد وبيئة كثيرة الوخم فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة فدخلها وبها أبوالطيب المتنبي .

---

(١) ضمير أمسك للجواد . وقوله لا يطال له أي لا يرخى طوله وهو حبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى . أي أمسك فلم يرخ له الطول فيرعى ولم يقدم له العليق ولم يكن تحت اللجام في السفر وهو مثل ضربه لحالته مع كافور .

(٢) أحمم من الحمى . والاعتزام العزم . يعني أن صبره وعزمه باقيان على صحتهما لم يمرضا بمرض جسمه .

(٣) الحمام الموت . يقول : إن سلمت من الحمى لم أبق خالداً ولكني أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها .

(٤) السهاد السهر . والكرى النعاس يريد به النوم . والرجام جمع رجمة وهي حجارة ضخمة يسم بها القبر . يقول : ما دمت حياً فتمتع من حالتي السهر والنوم ولا ترج نوماً في القبر .

(٥) يريد بثالث الحالين الموت يقول : الموت حال غير حال السهر والنوم فلا يتمتع فيه بشيء .

وكان أبو الطيب يسمع بكرم فاتك وشجاعته إلا أنه لا يقدر على قصد خدمته خوفاً من كافور في حين كان فاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام . ثم التقيا في الصحراء مصادفة وجرت بينهما مفاوضات فلما رجع فاتك إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار ثم أتبعها بهدايا بعدها فاستأذن المتنبي الأستاذ كافوراً في مدحه فأذن له فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة بهذه القصيدة » ، ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول المتنبي : فأمسك لا يطال له فيرعى ، كأنه يقول : لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ولا كافور يرضيه ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر ويستهل هذه الرائعة بقوله :

لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْديهَا وَلا مَالُ	فَليُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ[١]
وَاجْزِ الأميرَ الذي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ	بغَيرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى النّاسِ أقْوَالُ[٢]
فَرُبّمَا جَزَتِ الإحْسَانَ مُولِيَهُ	خَريدَةٌ مِنْ عَذارَى الحَيّ مِكسالُ[٣]
وَإنْ تكُنْ مُحْكَماتُ الشُّكلِ تمنَعُني	ظُهُورَ جَرْيٍ فلي فيهِنّ تَصْهالُ[٤]
وَمَا شكَرْتُ لأنّ المَالَ فَرّحَني	سِيّانِ عِنْديَ إكْثَارٌ وَإقْلالُ[٥]
لَكِنْ رَأيْتُ قَبيحاً أنْ يُجادَ لَنَا	وَأنّنَا بِقَضَاءِ الحَقّ بُخّالُ[٦]

---

(١) الإسعاد بمعنى الإعانة . يخاطب نفسه يقول : ليس عندك خيل ولا مال تهديهما إلى الممدوح في مقابلة ما أهداه إليك فليعنك النطق على مكافأته بالمدح إن لم تعنك الحال على مكافأته بالهدايا .

(٢) أي وأجزه بالشكر والثناء على نعمته التي تأتي فجاءة من غير أن يتقدمها سؤال ولا وعد وغيره من الناس اقتصروا على المواعيد .

(٣) موليه أي معطيه . والخريدة المرأة الحيية . ويقال امرأة مكسال أي لا تكاد تبرح مجلسها . أي لا يجمل بك ترك الجزاء فإن المرأة التي لا همة لها قد تجزي على الإحسان مثله .

(٤) الشكل ، بالضم ، جمع شكال وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ، وبالفتح مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال . والظهور جمع ظهر ، والتصهال بمعنى الصهيل أخرجه مخرج تسيار ونحوه ، ضرب لنفسه مثلا في العجز عن المكافأة بالفعل والاجتزاء عنه بالقول بفرس أحكم شكاله فعجز عن الجري لكنه يصهل . قال الواحدي : والمعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فإني أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة صهل شوقاً إليها .

(٥) سيان مثنى سي بمعنى مثل . والإكثار الغنى . والإقلال الفقر .

(٦) بخال جمع باخل . أي إنما أشكر لأني رأيت من القبيح أن يجاد لي بالعطاء وأنا بخيل بقضاء حق الشكر .

فكُنْتُ مَنبِتَ رَوْضِ الحَزْنِ باكرَه غَيثٌ بِغَيرِ سِباخِ الأَرْضِ هَطّالُ[1]

غَـيْثٌ يُبَيّـنُ للنُّظّـارِ مَوْقِعُــهُ أنّ الغُيُوثَ بِمَـا تَأتيـه جُهّــالُ[2]

لا يُدْرِكُ المَجدَ إلاّ سَيّدٌ فَطِنٌ لِمَـا يَشُقّ عَلى السّاداتِ فَعّــالُ[3]

لا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ ما وَهَبَتْ وَلا كَسُوبٌ بغَيرِ السّيْفِ سَئّالُ[4]

قالَ الزّمانُ لَهُ قَوْلاً فَأفْهَمَـهُ ، إنّ الزّمَانَ على الإمْساكِ عَـذّالُ[5]

تدرى القَنَاةُ إذا اهْتَزّتْ بَراحَتِهِ أنّ الشقيّ بهَا خَيْـلٌ وَأبْطَـالُ[6]

كَفَاتك وَدُخُولُ الكَافِ مَنـقَصَةٌ كالشمسِ قُلتُ وَما للشمسِ أمثَالُ[7]

---

(١) الحزن خلاف السهل . والغيث المطر . والسباخ جمع سبخة وهي الأرض ذات نز وملح . وهطال ساكب . يقول : كنت ونعمته كمنبت روض الحزن إذا جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده نضرة وذكاء لأنه لم يقع في سباخ من الأرض لا يظهر أثره فيها . وخص الحزن لبعده عن النز والغمق . والمعنى أن نعمته قد صادفت مني من يعرف حقها ويذيع شكرها .

(٢) أي إذا رأي الناظرون موقع إحسانه مني بين لهم أن غيره من المحسنين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لا يقلدونه من يستحقه ويقوم بشكره . وقيل الغيوث على معناها أي أن الممدوح أحكم من الغيوث لأنه يضع إحسانه في موضعه وهي تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٣) يشق يصعب . والسادات جمع سادة جمع سيد .

(٤) وارث نعت آخر لسيد . وسئّال طلاب . أي لم يرث ماله عن أبيه فيجهل قيمة ما يهبه من الموروث ولم يكن كسوباً يطلب حاجاته بغير السيف . والمعنى لا يدرك المجد إلا من وهب من كسب لا من إرث وكان كسبه بالسيف دون غيره لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح .

(٥) الإمساك البخل . وعذال صفة مبالغة من العذل وهو اللوم . أي قال له الزمان بلسان حاله إن المال لا يبقى على مالكه ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله في سبيل المجد . وقوله إن الزمان إلى آخر الشطر استئناف أي أن الزمان يلوم أهله على البخل لأنهم يفوتون كسب المحمدة والذكر في استبقاء ما ليس بباق .

(٦) القناة عود الرمح . والبيت من صفة السيد أيضاً . أي يعلم الرمح في يده أنه سيشقى به خيل وأبطال لأنه قد عوده ذلك .

(٧) فاتك اسم الممدوح . وأراد بالكاف كاف التشبيه الداخلة على فاتك . والمنقصة النقص . أي لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التي ذكرت . ثم استدرك فقال دخول الكاف عليه ينقص من قدره في الظاهر لأنه يوهم أن له شبيهاً وإنما هو كالشمس إذا شبهت بها أحداً والشمس لا شبيه لها . قال الواحدي : ولم يعرف ابن جني وجه دخول الكاف في كفاتك فقال الكاف ههنا زائدة وإنما معناه وتقديره فاتك أي هذا الممدوح فاتك مع أن جميع البيت مبني على هذه الكاف فكيف يقال إنها زائدة . انتهي ولم يزد عليه وهذه الكاف هي التي يقال لها كاف الاستقصاء ذكرها أهل العربية ومثلوا لها بقولهم من الحروف ما لا يقبل الحركة كالألف .

أَلْقائِـدِ الأُسْدَ غَذَّتْهَـا بَرَاثِنُــهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِداهُ وَهْـيَ أَشْبَـالُ[1]

أَلْقاتِلِ السَّيفَ في جِسْمِ القَتيلِ بِهِ وَللسُّيُوفِ كَمَا للنَّاسِ آجَـالُ[2]

تُغِيرُ عَنْـهُ على الغـارَاتِ هَيْبَتُـهُ وَمَالُهُ بأَقَـاصِي الأَرْضِ أَهْمَـالُ[3]

لَهُ منَ الوَحشِ ما اختارَتْ أسِنَّتُهُ عَيْـرٌ وَهَيْـقٌ وَخَـنْسَاءٌ وَذَيّـالُ[4]

تُمْسِي الضُّيُوفُ مُشَهّاةً بعَقْوَتِـهِ كأنّ أوْقاتَهَا في الطِّيبِ آصَالُ[5]

لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمَ قارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنهُ في الشِّيزَى وَأوْصَالُ[6]

لا يَعْرِفُ الرُّزْءَ في مالٍ وَلا وَلَدٍ إلاّ إذا حَفَزَ الضِّيفَانَ تَرْحَـالُ[7]

---

(١) البرثن من السبع والطائر بمنزلة الإصبع من الإنسان . وبمثلها صلة غذتها . والأشبال جمع شبل وهو ولد الأسد . أي الذي يقود إلى الحرب رجالا كالأسود تغذوهم يداه برجال مثلهم من الأعداء أي أنه يغنمهم إياهم وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغذيتهم .

(٢) به صلة القتيل . أي لقوة ضربته يقتل الفارس بالسيف فيكسر السيف في المقتول فكان ذلك قتلا لكليهما . وجعل كسر السيف قتلا من باب الاستعارة للمشاكلة .

(٣) المال هنا النعم . والأهمال جمع همل ، بفتحتين ، وهي الإبل التي ترعى بلا راع . أي أن أهل الغارات يهابونه فلا يتعرضون له فكأن هيبته تغير على غاراتهم فتردها وماله مهمل في أقاصي الأرض لا راعي له ولا يغير عليه أحد خوفاً منه .

(٤) العير حمار الوحش . والهيق الظليم وهو النعامة الذكر . والخنساء بقرة الوحش . والذيال يعني الثور الوحشي . أي يصيد ما اختاره من ذلك لاقتداره في الصيد وجعل الاختيار للأسنة مجازاً لأنه يطلب الصيد بها فكأنها هي التي تختار .

(٥) مشهاة أي تعطي ما تشتهيه وإنما يقال في هذا المعنى أشهاه بالألف فاستعمل فعّل في موضع أفعل . والعقوة الساحة . والآصال جمع أصُل ، بضمتين ، جمع أصيل وهو الوقت بعد العصر . يقول : يمسي الضيوف بمنزله وهم لايشتهون شيئاً إلا جاءهم فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال . والأصيل يطيب عند العرب لزوال الحر فيه وهبوب النسيم .

(٦) قاريها مضيفها يعنى الممدوح . والخرادل القطع كأنها مقصورة من قولهم لحم خراديل أي مقطع وهو من الجموع التي لا واحد لها . والشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع والأوصال المفاصل . أي لو اشتهت أضيافه لحمه لم يبخل عليهم به حرصاً على مسرتهم .

(٧) الرزء المصيبة . وحفزه دفعه . أي لا يعرف طعم المصيبة في المال والولد إلا عند ارتحال الأضياف من داره يعني أنه يناله من ذلك ما ينال من أصيب بماله وولده .

يُرْوِي صَدى الأرض من فَضْلات ماشربوا ... مَحْضُ اللِّقاحِ وَصَافي اللَّوْنِ سلسالُ[١]

تَقرِي صَوَارِمُهُ السّاعاتِ عَبْطَ دَمٍ ... كَأنَّمَا السّاعُ نُزّالٌ وَقُفّالُ[٢]

تَجْرِي النّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً ... مِنهَا عُداةٌ وَأغْنَامٌ وَآبَالُ[٣]

لا يَحْرِمُ البُعْدُ أهْلَ البُعْدِ نائِلَهُ ... وَغَيرُ عاجِزَةٍ عَنْهُ الأُطَيْفَالُ[٤]

أمضَى الفَرِيقَينِ في أقْرَانِهِ ظُبَةً ... وَالبِيضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلاّلُ[٥]

يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أضْعَافَ مَنظَرِهِ ... بَينَ الرّجالِ وَفيها المَاءُ وَالآلُ[٦]

وَقَدْ يُلَقِّبُهُ المَجْنُونَ حَاسِدُهُ ... إذا اختَلَطْنَ وَبَعضُ العقلِ عُقّالُ[٧]

---

(١) الصدى العطش . وسكن الضاد من فضلات لضرورة الوزن . والمحض من اللبن الخالص الذي لم يخالطه الماء . واللقاح جمع لقوح وهي الناقة الحلوب . والسلسال السهل الدخول في الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والشراب فيفضل عنهم ما يروي الأرض من سؤر أقداحهم الذي يراق . وقال ابن جني : إذا انصرف أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم لأنه يتلقى كل وارد عليه بقرى جديد .

(٢) صوارمه سيوفه . وأراد بالعبط العبيط وهو الطريء . والساع جمع ساعة . وقفال راجعون . أي هو كل ساعة يريق دماً طرياً من أعدائه أو من الذبائح فكأنه يقري الساعات وكأن الساعات نزال ينزلون عليه وقفال يرجعون إليه من السفر .

(٣) يريد بالنفوس الدماء أي تختلط حوله دماء الأعداء بدماء الذبائح .

(٤) نائله عطاءه . والأطيفال مصغر أطفال . يقول : بره شامل يناله القريب ولا يحرمه البعيد ويتقلب فيه الكبير والصغير لأنه يصل إلى كل أحد .

(٥) الأقران الأكفاء في الحرب . والظبة حد السيف . والبيض السيوف . وهادية من هدى اللازم أي مهتدية . والسمر الرماح . أي إذا التقى جيشه وجيش العدو فهو أمضى الفريقين سيفاً في أقرانه وخص السيف إشارة إلى شجاعته ودربته في الحرب لأن القتال به يقتضي مزيد إقدام للتداني بين الفريقين . ثم ذكر فضل السيوف على الرماح فقال السيوف تهتدي في الحرب لأنها قلما تخطىء المضروب بها والرماح تضل لأنها تصيب وتخطيء .

(٦) الضمير من فيها للرجال . والآل ما تراه نصف النهار كأنه ماء . أي إذا اختبرته رأيته يزيد أضعافاً عما أراك منظره ، ثم قال وفي الرجال الماء والآل أي منهم رجل على حق الرجال ومنهم شبيه بالرجل أي له صورة الرجال دون سجاياهم .

(٧) الضمير من اختلطن للبيض والسمر . والعقال ، بالضم ، داء يأخذ الدواب في أرجلها يمنعها من المشي . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح يلقبه حاسده بالمجنون لما يرى من إقدامه واقتحامه والعقل ليس في كل وقت محموداً لأنه في مثل هذه الحال يمنع من الإقدام فيكون لصاحبه كالعقال . قال ابن جني : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا .

يَرْمي بهَا الجَيشَ لا بُدٌّ لَهُ وَلَهَا   من شَقّهِ وَلَو انّ الجَيشَ أجبَالُ[1]

إذا العِدَى نَشِبَتْ فيهِمْ مَخالِبُهُ   لم يَجْتَمِعْ لهُمُ حِلْمٌ وَرِئْبَالُ[2]

يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أبَداً   مُجاهِرٌ وَصُرُوفُ الدّهرِ تَغتالُ[3]

أنَالَهُ الشّرَفَ الأعْلى تَقَدُّمُهُ   فَمَا الذي بتَوَقّي مَا أتَى نَالُوا[4]

أبو شُجاعٍ أبو الشّجعانِ قاطِبَةً   هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الهَيجاءِ أهوَالُ[5]

تَمَلّكَ الحَمْدَ حتى ما لمُفْتَخِرٍ   في الحَمْدِ حاءٌ وَلا ميمٌ وَلا دالُ[6]

عَلَيْهِ مِنْهُ سَرابيلٌ مُضاعَفَةٌ   وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الماذِيّ سِرْبَالُ[7]

وَكَيْفَ أسْتُرُ ما أوْلَيْتَ من حَسَنٍ   وَقَدْ غَمَرْتَ نَوالاً أيّهَا النّالُ[8]

---

(١) الضمير من بها للظبة . وقوله لا بد بالرفع على إعمال لا عمل ليس . أي يرمي الجيش بسيفه لا بد له وللسيف من شق ذلك الجيش ولو كان في القوة والثبات كالجبال .

(٢) نشبت علقت . والمخلب للسبع ونحوه بمنزلة الظفر للإنسان . أثبت له المخالب على إضمار تشبيه بالأسد كما سيصرح به في آخر البيت . والحلم الأناة والعقل . والرئبال من أسماء الأسد . يقول : هو أسد على أعدائه إذا نشبت فيهم مخالبه لم يبق فيه شيء من الحلم لأن الحلم والأسد لا يجتمعان . قال الواحدي : هذا كأنه عذر للذي يلقبه بالمجنون من أعدائه لأنهم يرونه كالأسد والأسد لا يوصف بالحلم .

(٣) يروعهم يخيفهم . ومنه تجريد . وصرف الدهر حدثانه . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري . يقول : هو كالدهر في إهلاك أعدائه إلا أنه يأتيهم مجاهرة والدهر يأتي أهله اغتيالا .

(٤) أي هو نال الشرف بتقدمه في اقتحام الحروب فما الذي نال أعداؤه بتأخرهم وتوقيهم ما يأتيه من الأهوال .

(٥) أبو شجاع كنية الممدوح أي هو أبو شجاع . والهول المخافة . ونمته أي نسب إليها ، يقال نميته إلى فلان ونماه جد كريم . والهيجاء الحرب . يقول : هو أبو شجاع كنية وهو أبو الشجعان كلهم حقيقة لأنه أشدهم بأساً وهو هول من أهوال الحرب قد صار يعرف بها وينسب إليها .

(٦) أي جزء من الحمد . يعني أنه فاق أقرانه في جميع أنواع المحامد حتى يستحق غيره أن يحمد على شيء بالإضافة إليه .

(٧) السربال القميص . والماذي الدرع اللينة السهلة . أي عليه من الحمد سرابيل كثيرة قد ضوعف بعضها فوق بعض مع أنه لا يكفيه في الحرب درع واحدة يريد أنه يتقي الذم بأكثر مما يتقي السيف .

(٨) أوليت أي أعطيت . والنوال العطاء وهو تمييز . والنال الكثير النوال . يقول : لا أقدر أن أكتم إحسانك لأنه كثر حتى لا يمكن ستره .

لَطّفْتَ رَأيكَ في بِرّي وَتَكْرِمَتي ... إنّ الكَريمَ على العَلْياءِ يَحْتَالُ[1]

حتى غَدَوْتَ وَللأخْبَارِ تَجْوَالُ ... وَللكَوَاكِبِ في كَفّيْكَ آمَالُ[2]

وَقَدْ أطَالَ ثَنَائي طُولُ لابِسِهِ ... إنّ الثّنَاءَ عَلى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ[3]

إنْ كنتَ تكبُرُ أنْ تَخْتَالَ في بَشَرٍ ... فإنّ قَدْرَكَ في الأقْدارِ يَخْتَالُ[4]

كأنّ نَفْسَكَ لا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا ... إلاّ وَأنْتَ على المِفضَالِ مِفضَالُ[5]

وَلا تَعُدُّكَ صَوّاناً لمُهْجَتِهَا ... إلاّ وَأنْتَ لهَا في الرّوْعِ بَذّالُ[6]

لَوْلا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ ؛ ... ألجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ[7]

وَإنّمَا يَبْلُغُ الإنْسانُ طَاقَتَهُ ... مَا كُلّ ما شِيَةٍ بالرّحْلِ شِمْلالُ[8]

إنا لَفي زَمنٍ تَرْكُ القَبيح بهِ ... من أكثرِ النّاسِ إحْسانٌ وَإجْمالُ[9]

---

(١) البر الإحسان . يقول : لطفت رأيك في مبرتي وإكرامي تحصيلا لثنائي عليك وكذلك الكريم يحتال على تحصيل ما يفيده شرفاً وذكراً . يشير إلى ما وصله به وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور في مدحه لأن أبا الطيب لم يكن يجسر أن يمدحه ابتداء خوفاً من كافور .

(٢) غدوت تامة . والتجوال مصدر بمعنى الجولان . أي جالت أخبار كرمك في الآفاق وصار كل أحد يأمل عطاء كفيك حتى الكواكب .

(٣) التنبال القصير . لما جعل الثناء لباساً للممدوح عبر عن طول معانيه بطول الممدوح وعن قصرها بقصره ، يقول : إنما طال ثنائي لطول ما يتضمنه من وصف مناقب الممدوح وكرمه .

(٤) الاختيال التكبر وأراد عن أن تختال فحذف . يقول : إن كنت لكرم مناقبك تترفع عن التكبر بين الناس فإن قدرك ظاهر العظمة بين أقدارهم حتى كأنه يتكبر عليها .

(٥) المفضال الكثير الفضل . يقول : كأن نفسك لما طبعت عليه من الكرم وعلو الهمة لا ترضاك صاحباً لها حتى تزيد في الفضل على كل مفضال .

(٦) المهجة الروح . والروع الفزع . والبذل خلاف الصيانة . أي وكأن نفسك لا تعدك قائماً بحق صيانتها حتى تبذلها في أهوال الحرب وتعرضها لموارد التلف .

(٧) يقول : لولا أن في بلوغ السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين تلك المشقة فقال الجود يفضي إلى الفقر والإقدام يفضي إلى القتل ولا سيادة بدون هذين . والبيت مفرع على البيتين السابقين كما لا يخفى .

(٨) الطاقة اسم من أطاقه إذا قدر عليه . والشملال الناقة الخفيفة . يعتذر عمن لم يسد من الناس يقول : إنما يبلغ الإنسان مقدار طاقته وإمكانه فليس كل أحد أهلا للاضطلاع بالمشقة وتحمل أعباء السيادة كما أن ليس كل ناقة مشت بالرحل تكون شملالا .

(٩) من أكثر الناس صلة إحسان . أي لكثرة من يعامل بالقبيح صار ترك القبيح يعد إحساناً لأن الإحسان لا يطمع فيه .

ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثّاني وَحاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيشِ أشغَالُ[1]

★ ★ ★

وتمضي الليالي ، والأيام ، والشهور ، والسنين وآمال المتنبي وطموحاته لا تزال وعوداً من كافور لم يوف بها . فتضيق نفس المتنبي كما تضيق نفس كل حر تخلف الوعود أمانيه ويطلق لقريحته العنان لإنشاء هذه الرائعة التي يمدح بها كافور ويومىء فيها — كما سنرى — إلى ما عزم عليه من الرحيل واعتزال الناس . ومصاحبة الكتاب وهي آخر ما أنشده من الشعر لكافور وكان ذلك في شهر شوال (سنة ٣٤٩) وفيها يقول :

مُنًى كُنّ لي أنّ البَياضَ خِضابُ فيَخفَى بتَبييضِ القُرونِ شَبَابُ[2]

لَيَاليَ عندَ البِيضِ فَوْدايَ فِتْنَـةٌ وَفَخْرٌ وَذاكَ الفَخْرُ عنديَ عابُ[3]

فكَيْفَ أذُمّ اليَوْمَ ما كنتُ أشتَهي وَأدْعُو بِمَا أشْكُوهُ حينَ أُجَابُ[4]

جلا اللّوْنُ عن لوْنٍ هدى كلَّ مسلكٍ كمَا انجابَ عن ضَوْءِ النّهارِ ضَبَابُ[5]

وَفي الجسْمِ نَفسٌ لا تَشيبُ بشَيْبِهِ وَلَوْ أنّ مَا في الوَجْهِ منهُ حِرَابُ[6]

---

(١) فضول جمع فضل بمعنى فضلة . والمراد بالعيش ما يعاش به من التسمية بالمصدر . أي إذا بقي ذكر الإنسان بعد موته فذلك بمنزلة حياة ثانية له وحاجة الإنسان في حياته قدر القوت وما فضل عنه فهو شغل له لا حاجة إليه ولا منفعة فيه .

(٢) منى خبر مقدم . والقرون ضفائر الشعر . يقول : إنه لرغبته في شرف المشيب وحرمته كان يتمنى قديماً أن يكون البياض خضابا يستر به سواد الشعر كما يستر بياضه بالسواد . وإنما جمع المنى بناء على تكرر ذلك منه مرة بعد أخرى فصارت كل مرة منية .

(٣) الفودان جانبا الرأس . والعاب بمعنى العيب . أي أنه كان يتمنى المشيب في الليالي التي كان رأسه فيها فتنة عند النساء لحسن شعره وسواده وكن يفتخرن بوصله إلا أن ذلك الفخر عيب عنده لأنه مباين للعفة والكمال .

(٤) الدعاء هنا بمعنى الابتهال . يتعجب ويقول : كيف أذم اليوم المشيب وقد كنت أشتهيه وكيف أدعو لنفسي بطلب ما أشكوه إذا أجبت إليه .

(٥) جلا أي ذهب وزال من قولهم جلا القوم عن منازلهم إذا رحلوا عنها . وانجاب انكشف . أراد باللون الأول السواد وبالثاني البياض ، يقول : كأن بياض الشيب كان مستوراً تحت السواد فلما زال السواد عنه انكشف فاهتدى صاحبه في كل مسلك من الرشد كالنهار إذا انكشف عنه الضباب فاهتدى السالك في ضوئه .

(٦) كنى بشيب النفس عن الضعف الذي هو من لوازم المشيب أي أن همته لا تشيب ولا يلحقها الضعف ولو كانت الشعرات البيض في وجهه حراباً .

لهَا ظُفُرٌ إنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِـدّهُ ... وَنَابٌ إذا لم يَبْقَ في الفَمِ نَابُ[1]

يُغَيّرُ مني الدّهرُ ما شَاءَ غَيرَهَا ... وَأبْلُغُ أقصَى العُمرِ وَهْيَ كَعابُ[2]

وَإنّي لنَجْمٌ تَهْتَدي صُحبَتي بِهِ ... إذا حالَ مِنْ دونِ النّجومِ سَحَابُ[3]

غَنيٌّ عَنِ الأوْطانِ لا يَستَخِفّني ... إلى بَلَـدٍ سَافَرْتُ عنهُ إيَـابُ[4]

وَعَنْ ذَمَلانِ العِيسِ إنْ سامحَتْ بهِ ... وَإلاّ فَفـي أكْوَارِهِـنّ عُقَـابُ[5]

وَأصْدَى فلا أُبْدي إلى الماءِ حاجَةً ... وَللشّمسِ فوْقَ الْيَعْمُلاَتِ لُعابُ[6]

وَلـلسرّ منـي مَـوْضِعٌ لا يَنالُـهُ ... نَديمٌ وَلا يُـفْضِي إلَيْـهِ شَرَابُ[7]

وَللخَوْدِ منّي ساعَـةٌ ثـمّ بَيْنَنَـا ... فَـلاةٌ إلى غَيـرِ اللّقَاءِ تُجَـابُ[8]

وَمَا العِشْقُ إلاّ غِـرّةٌ وَطَمَاعَـةٌ ... يُعَـرّضُ قـلْبٌ نَـفْسَهُ فَـيُصَابُ[9]

---

(١) الظفر والظفر لغتان والتثقيل لغة أسد والتخفيف لغة تميم . يقول : إن كل ظفري وذهبت أنيابي من الكبر فهمتي لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها .

(٢) الكعاب الجارية التي بدا ثديها للنهود . أي نفسي شابة أبداً لا يغيرها الدهر وإن تغير جسمي .

(٣) الصحبة اسم جمع بمعنى الأصحاب . ويروى تهتدي بي صحبتي . يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد بها السالك ليلا كنت نجماً لأصحابي يهتدون به ، يريد أنه خبير بطرق الفلوات .

(٤) ويروى يستفزني وهو بمعنى يستخفني . والإياب الرجوع . يقول : إنه لا يعشق الأوطان فإذا سافر عن وطن لم يستخفه حب الرجوع إليه لأن كل البلاد عنده سواء .

(٥) الذملان ضرب من السير السريع . والعيس الإبل . وقوله إن سامحت به استئناف وجواب الشرط محذوف أي سرت عليها . والأكوار جمع كور وهو الرحل . والعقاب الطائر المعروف . أي وأنا غني أيضاً عن سير الإبل فإن سمحت به سرت عليها وإلا فإنني كالعقاب أقطع الفلوات من غير حاجة إلى ما يحملني .

(٦) أصدى أعطش . واليعملات النياق النجيبة . ولعاب الشمس ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : إنه صبور على العطش في الفلوات الحارة إذا اشتد وقع الشمس وامتد لعابها فوق الإبل .

(٧) النديم الجليس على الشراب . ويفضي ينتهي . يريد أنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن .

(٨) الخود المرأة الناعمة . وتجاب تقطع . أي أصحب المرأة حيناً يسيراً ثم أسافر عنها فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى حيث لا نلتقي .

(٩) الغرة الغرور . ويروى فتصاب بضمير النفس على أن المراد بالنفس ما يرادف الروح . يقول : العشق غرور بالمعشوق وطمع في وصله إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ومن روى بالتاء فالمعنى أن دواعي العشق تقع أولا في القلب ثم تنقاد النفس لهوى القلب لأنه يستهويها ويغلبها على رشدها .

وَغَيـرُ فُـؤادي للغَـوَاني رَمِيّـةٌ وَغيـرُ بَنَاني للزّجَاجِ رِكَـابُ[1]
تَرَكْنَا لأطْرَافِ القَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ فَلَـيْسَ لَنَـا إلاّ بهِـنّ لِعَـابُ[2]
نُصَرّفُهُ للطّعْنِ فَـوْقَ حَـوَادِرٍ قَدِ انْقَصَفَتْ فيهِنّ منهُ كِعَابُ[3]
أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ[4]

بعد أن يعلن المتنبي هذا القرار الذي يؤكد فيه عزمه على الرحيل من خلال الإشارة إلى أن أعز مكان بالدنيا هو سرج سابح يرحل به حيث شاء . ويبلغ به ما يريد دون التعرض لمذلة أو هوان . وان خير جليس هو الكتاب الذي لا تتطلب مصاحبته أية كلفة ولا يتطرق الملل لمصاحبته .

يأخد في مدح كافور بأبيات متتابعة لسنا بحاجة إليها لأنها كما يلوح لي مجرد هزءٍ و « تريقة » بدليل ما سيضمنه الأبيات التالية من إيماءات يقول فيها لكافور : إن حقنا محجور . وأن لو منحتك الأيام شيمة ووفيت بما وعدت فسيعمر ما بيننا وهذا يعني أن لا شيمة عند كافور الذي لم يوف بالوعد كما هو الحال بالنسبة لكل من يخلف وعداً أو يخون عهداً ــ واسمع إليه إذ يقول :

أيَا أسَداً في جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ وَكَـمْ أُسُدٍ أرْوَاحُهُـنّ كِـلابُ[5]

(١) الغواني النساء الحسان . والرمية ما يرمي بالسهام . والبنان أطراف الأصابع . والركاب المطي . يقول : قلبي لا تصيبه الحسان بسهام لحظهن لأني أصون نفسي عن هواهن ولا أتعاطى كؤوس الخمر فتصير يدي مركباً للزجاج .

(٢) القنا عيدان الرماح . واللعاب ، بالكسر ، بمعنى الملاعبة . يقول : تركنا شهواتنا لأطراف الرماح أي أحلنا لذاتنا عليها فإذا دعانا حب اللهو لهونا بمطاعنة الأقران .

(٣) الضمير من نصرفه للقنا . والحوادر جمع حادر وهو الغليظ السمين . والكعاب العقد بين أنابيب الرمح . أي نصرف الرماح فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن قديماً وانكسرت فيها كعاب من الرماح .

(٤) الدنى جمع دنيا . والسابح الفرس السريع الجري . يقول : سرج الفرس أعز مكان لأن راكبه يسافر عليه في طلب المعالي ويبلغ ما يريد من قهر الأعداء ونفي الذل والخسف ، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى والملل ولا يحتاج في مجالسته إلى تحرز ولا كلفة .

(٥) الضيغم الأسد . يقول : أنت أسد في الشدة والبطش وروحك روح أسد أيضاً يعني أنه مع قوة بطشه عالي الهمة مقدام على عظائم الأمور وكم من الناس من يشبه الأسد في قوة بطشه ولكنه جبان ساقط الهمة كأن روحه روح كلب .

وَيَا آخِذاً من دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ — وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ[1]
لَنَا عِنْدَ هذا الدّهْرِ حَقٌّ يَلُطّهُ — وَقَدْ قَلّ إعْتابٌ وَطَالَ عِتَابُ[2]
وَقَد تُحدِثُ الأيّامُ عِندَكَ شيمَةً — وَتَنْعَمِرُ الأوْقاتُ وَهيَ يَبَابُ[3]

ثم يقول له :

أرَى لي بقُرْبي منكَ عَيْناً قَريرَةً — وَإنْ كانَ قُرْباً بالبِعَادِ يُشَابُ[4]
وَهَل نافِعِي أنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنا — وَدونَ الذي أمّلْتُ مِنْكَ حِجابُ[5]
أُقِلُّ سَلامي حُبَّ ما خَفّ عَنكُمُ — وَأسكُتُ كَيمَا لا يَكونَ جَوَابُ[6]
وَفي النّفسِ حاجاتٌ وَفيكَ فَطَانَةٌ — سُكُوتي بَيَانٌ عِنْدَها وَخِطابُ[7]
وَمَا أنَا بالباغي على الحُبّ رِشْوَةً — ضَعِيفُ هَوًى يُبْغَى عَلَيْهِ ثَوَابُ[8]

---

(١) أي أنه يأخذ حقه من الدهر لأن الدهر يهابه فلا يجترىء على هضم حقوقه .

(٢) يلطه يجحده . والإعتاب الإرضاء . يقول : لنا عند الدهر حق يجحده ويدافع في قضائه وقد طال عتابنا له فلم يعتب ولم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة الخلق . وتنعمر مطاوع عمرت الموضع إذا صيرته آهلا . واليباب الخالي لا شيء به . يقول : الأيام قد تغير أخلاقها عندك فترضي المعاتب وتسالم ذوي الفضل لنزولهم في كنفك وجوارك والأوقات تصير عامرة لهم بأن يدركوا مطلوبهم . والمعنى إن قضت الأيام حقي وأظفرتني بمطلوبي عندك فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك .

(٤) يقال قرت عينه إذا بردت وهو كناية عن السرور لأنه يقال إن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة . والبعاد مصدر باعده . ويشاب يمزج . يقول : عيني قريرة بقربك لبلوغي ما كنت أتمنى من لقائك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعاد لأنك لم تبلغني ما أرجو من حسن رأيك واصطناعك وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالي .

(٥) الاستفهام للإنكار . يقول : لا ينفعني أن أصل إليك بغير حجاب وما آمله منك محجوب عني لا أصل إليه .

(٦) يقول : لإيثاري التخفيف عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام لكي لا أحوجكم إلى الإجابة .

(٧) يشير بهذا وما سبقه إلى ما في نفسه من الحصول على خطة من خطط الولاية . يقول : في نفسي حاجات أمسك عن ذكرها وأنت فطن تطلع عليها بفطنتك فيقوم سكوتي عنها مقام التصريح بها .

(٨) بغى الشيء طلبه . يقول : لست أطلب هذه الحاجات حتى تكون بمنزلة رشوة لي على الحب فإن الحب الضعيف يطلب عليه الثواب .

ويختم القصيدة من بعد هذا الذي أعلن فيه حاجات نفسه بأبيات أحسب أنه يداهن بها كافور فلعله ينوله الوعد إذ يقول :

وَإنّ مَديحَ النّاسِ حَقٌّ وَبَاطِـلٌ وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيسَ فيهِ كِذابُ[1]

إذا نِلْتُ مِنكَ الوُدّ فالمَالُ هَيّنٌ وَكُلُّ الذي فَوْقَ التّرابِ تُرَابُ

وَمَا كُنْتُ لَوْلا أنتَ إلاّ مُهاجِراً لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحَـابُ[2]

وَلَكِـنّكَ الدّنْيَـا إلـيّ حَبيبَـةً فَمَا عَنْكَ لي إلاّ إلَيْكَ ذَهَابُ[3]

★ ★ ★

وينقضي عام من بعد إنشاد المتنبي كافور هذه القصيدة دون أن يتحقق الرجاء . ودون أن ينشيء المتنبي بيتاً واحداً من الشعر في مدح كافور رغم مسايرته له على امتداد العام . ومصاحبته في المناسبات . بل لقد تبدل الحال فأصبح الشعر الذي ينظمه أبو الطيب هجاءً لكافور وأخلاقه اللئيمة وفي عدة مقطوعات لم ينشده بالطبع شيئاً منها ، من ذلك قصيدته التي صاغها وقد نظر إلى قدم كافور ورأى بها شقوقاً فقال :

أُريكَ الرّضَى لَوْ أخفَتِ النفسُ خافِيا وَمَا أنَا عنْ نَفسي وَلا عنكَ راضِيَا[4]

أمَيْناً وَإخْلافـاً وَغَــدْراً وَخِسّةً وَجُبْناً ، أشَخصاً لُحتَ لي أمْ مخازِيَا[5]

تَظُنّ ابتِسَامـاتي رَجـاءً وَغِبْطَـةً وَمَا أنَا إلاّ ضاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا[6]

---

(١) الكذاب بمعنى الكذب ويحتمل أن يكون مصدر كاذب الرجل صاحبه إذا كذب كل منهما الآخر يقول : الناس يمدحون تارة بالحق وتارة بالباطل ولكن مدحك حق لا كذب أو لا تكذيب فيه .

(٢) يقول : لولاك لم أقم بمصر وكنت لا أزال مهاجراً في الأرض أتنقل من بلد إلى بلد ومن قوم إلى آخرين لأني لا أبالي بوطن ولا أصحاب .

(٣) يقول : أنت عندي بمنزلة الدنيا . لأن هواي محصور فيك وآمالي منوطة بك فإن أردت الذهاب عنك كان ذهاباً إليك كالدنيا من أراد السفر عنها فقد سافر إليها لأنه لا يسعه الخروج منها .

(٤) يقول : لو كانت النفس تخفي ما يعتريها من قبض أو بسط لأخفيت كراهتي لك وأريتك الرضى أي لو قدرت على إخفاء ما في نفسي من كراهتك لكنت أريك الرضى ولكني لست براض عنك لتقصيرك في حقي ولا عنها أيضاً لقصدها إليك .

(٥) المين الكذب . أي أتمين ميناً وتخلف إخلافاً وهلم جراً . والمخازي جمع مخزية وهي الفعلة القبيحة يذل صاحبها . يقول : أتجمع بين هذه الخصال كلها أفشخص أنت إذن أم مجموع مخاز .

(٦) الغبطة المسرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت إليك ظننت ابتسامي رجاء لك وغبطة بقربك وإنما أنا أضحك من رجائي لمثلك .

وَتُعجِبُني رِجْلاكَ في النّعلِ ، إنّني رَأيتُكَ ذا نَعْلٍ إذا كنتَ حَافِيَا[1]
وَإنّكَ لا تَدْري ألَـوْنُكَ أسْوَدٌ من الجهلِ أمْ قد صارَ أبيضَ صافِيَا[2]
وَيُذْكِرُني تَخييطُ كَعبِكَ شَقَّـهُ وَمَشيَكَ في ثَوْبٍ منَ الزّيتِ عارِيَا[3]
وَلَوْلا فُضُولُ النّاسِ جِئْتُكَ مادحاً بما كنتُ في سِرّي بهِ لكَ هاجِيَا[4]
فأصْبَحْتَ مَسرُوراً بمَا أنَا مُنشِدٌ وَإنْ كانَ بالإنْشادِ هَجوُكَ غَالِيَا[5]
فإنْ كُنتَ لا خَيراً أفَدْتَ فإنني أفَدْتُ بلَحظي مِشفَرَيكَ المَلاهِيَا[6]
وَمِثْلُكَ يُؤتَى مِنْ بِـلادٍ بَعيـدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبّاتِ الحِدادِ البَوَاكِيَا[7]

★ ★ ★

(١) أي إذا كنت حافياً فإن لك نعلا من جلد رجليك لغلظه . وقوله تعجبني رجلاك استحسان تهكم يريد أنك تتشبه بالمترفين فتلبس النعال كأنك تتأذى من المشي بدونها مع أن جلد رجليك كالنعال .

(٢) من الجهل تعليل لقوله لاتدري . يقول : بعد أن أحرزت الحكم لا تدري لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرفه أم صار أبيض . أي لا يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض في اللون كما توهمت أنك أشبهتهم في الترف .

(٣) يقول : إن تخييطك لكعبك يذكرني الشقوق التي كانت به والأيام التي كنت فيها تمشي عارياً . وقوله في ثوب من الزيت ذكر أن مولاه كان زياتاً وأن الأسود كان يحمل الزيت عارياً ويمشي متلطخاً به فكأنه في ثوب من الزيت .

(٤) الفضول تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أمدحك ظاهراً وأهجوك سراً فلولا ما في طباع الناس من الفضول لأظهرت لك الهجو وقلت إني أمدحك به لأنك لا تفرق بين المديح والهجاء ولكني أخاف أن يقولوا لك هذا الذي أتاك به هجاء لا مديح .

(٥) هذا تفريع على البيت الذي قبله أي كنت تسر بما أنشدك من الهجو لاعتقادك أنه مديح وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد أي يكثر الإنشاد عليه لأنك أخس قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك . وفي هذا ما يؤكد ما أشرت إليه من استهزاء المتنبي و « تريقته » على كافور وهو يمدحه في القصيدة السالفة .

(٦) قوله لا خيراً أفدت أي لا أفدت خيراً . وأفدت في الشطر الثاني بمعنى استفدت يقال أفدته كذا أي أعطيته إياه وأفاده هو أي أخذه . ولحظي مصدر أي رؤيتي . والمشفر من البعير بمنزلة الشفة من الإنسان استعار له مشفرين لعظم شفتيه . يقول : إن كنت لم تفدني خيراً في مقامي عندك فإني استفدت الملاهي برؤيتي شفتيك فلهوت عما أنا فيه من الحرمان بقصدك .

(٧) وروى الواحدي ربات الحجال وهي الستور . يقرر ما ذكره في البيت السابق يقول : مثلك يقصد من البلاد البعيدة ليتعجب من غرابة منظره وتسلى به النساء الثاكلات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلهون عن البكاء .

ومن ذلك .. وأعني من هجاء المتنبي لكافور هذه المقطوعة التي يُذكِّر فيها كافور بماضيه .. ويستعجب من أمر توليه الحكم إذ يقول :

من أيّةِ الطُّرْقِ يأتي مثلَكَ الكَرَمُ — أينَ المَحاجِمُ يا كافُورُ وَالجَلَمُ(١)
جازَ الأُلى مَلكَتْ كَفّاكَ قَدْرَهُمُ — فعُرِّفُوا بكَ أنّ الكَلْبَ فوْقَهُمُ(٢)
ساداتُ كلّ أُناسٍ مِنْ نُفُوسِهِمِ — وَسادَةُ المُسلِمينَ الأعْبُدُ القَزَمُ(٣)
أغَايَةُ الدّينِ أنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكم — يا أُمّةً ضَحكَتْ مِن جَهلِها الأمَمُ(٤)
ألا فَتًى يُورِدُ الهِنْدِيَّ هَامَتَهُ — كَيما تزول شكوكُ النّاسِ وَالتُّهَمُ(٥)
فإنّهُ حُجّةٌ يُؤذي القُلُوبَ بهَا — مَنْ دينُهُ الدّهرُ وَالتّعطيلُ وَالقِدمُ(٦)
ما أقدَرَ اللهَ أنْ يُخْزِي خليقَتَهُ — وَلا يُصَدِّقَ قَوْماً في الذي زَعَمُوا(٧)

★ ★ ★

(١) المحاجم جمع محجمة وهي القارورة يحجم بها الجلد . والجلم أحد شقي المقراض وهما جلمان . وروى الواحدي يأتي نحوك . يقول : لا طريق للكرم إليك وكيف يصل إليك الكرم من بين المحاجم والمقاريض وذلك لما يقال من أن الذي اشتراه قديماً كان حجاماً .

(٢) الألى بمعنى الذين . يقول : الذين ملكتهم تجاوزوا قدرهم بالبطر والطغيان فملكك الله عليهم تحقيراً لنفوسهم ووضعاً من كبريائهم .

(٣) الأعبد جمع عبد . والقزم ، بفتحتين ، رذال الناس وسفلتهم للواحد وغيره . وروى ابن جني القزم ، بضمتين ، وهو جمع قزم مثل أسد وأسد . يغري أهل مملكته به يقول : كل قوم يسودهم أناس منهم فكيف رضي المسلمون بأن تسودهم عبيد لئام .

(٤) غاية الشيء منتهاه . وأحفى شاربه استقصى في أخذه يقول لأهل مصر : لا شيء عندكم من الدين إلا إحفاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم حين ملكتم عليكم الأسود ورضيتم بطاعته .

(٥) الهندي السيف . وهامته رأسه . يحرضهم على قتله يقول : أليس فيكم فتى يضرب عنقه إزالة لشكوك الناس وتهمها ، يريد أن تمليك مثله يبعث الناس على الشك في وجود من هو أفضل منه .

(٦) يقول : لو كان الناس يتدبرون الأمر كما يجب لما تولى عليهم هذا العبد .

(٧) يصدق قوماً أي يجعلهم صادقين . قال الواحدي يقول : الله تعالى قادر على إخزاء الخليفة بأن يملك عليهم لئيماً ساقطاً من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر ، يشير إلى أن تأمير مثله إخزاء للناس وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة . انتهى . ويمكن أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزي الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه من يقتله ويبطل حجتهم ولعل هذا أقرب إلى مراد المتنبي .

.. ومن ذلك أيضا هذه المقطوعة التي هي بعنوان « كأن الحر بينهم يتيم » وفيها يقول :

أمَا في هَذِهِ الدّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عنِ القَلبِ الهُمومُ[1]
أمَا في هَذِهِ الدّنْيَا مَكَانٌ يُسَرّ بأهْلِهِ الجارُ المُقيم[2]
تَشَابَهَتِ البَهائِمُ وَالعِبِدّى عَلَيْنَا وَالمَوَالي وَالصّميمُ[3]
وَمَا أدري أذَا داءٌ حَديثٌ أصَابَ النّاسَ أمْ داءٌ قَديمُ
حَصَلْتُ بأرْضِ مِصرَ على عَبيدٍ كَأنّ الحُرّ بَينَهُمُ يَتيمُ[4]
كَأنّ الأسْوَدَ اللابيّ فيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخمٌ وَبُومُ[5]
أخَذْتُ بمَدْحِهِ فَرَأيْتُ لَهْواً مَقَالي لِلأُحَيْمِقِ يا حَليمُ[6]
وَلمّا أنْ هَجَوْتُ رَأيْتُ عِيّاً مَقاليَ لابنِ آوَى يا لَئِيمُ[7]
فَهَلْ مِنْ عاذِرٍ في ذا وَفي ذا فَمَدْفُوعٌ إلى السّقَمِ السّقيمُ[8]
إذا أتَتِ الإسَاءَةُ مِنْ وَضِيعٍ وَلم ألُمِ المُسِيءَ فَمَنْ ألُومُ[9]

★ ★ ★

(١) يشكو قلة الكرام حوله حتى توهم الدنيا خالية من كريم يؤنس به وتزول بمخالطته الهموم .
(٢) يعنى أن كل مكان وصل إليه وجد فيه ما يسوءه من اللؤم والأذى . يقول : أليس في الدنيا مكان يرعى أهله الجار فيسر بجوارهم .
(٣) العبدى جمع عبد . والموالي الذين كانوا عبيداً . والصميم الحر الخالص النسب يقع على الواحد والجمع . يريد بالعبدى الناس لأنهم عباد الله . يقول : عم الجهل الناس حتى اشتبهوا علينا بالبهائم وتحكم فيهم العبيد حتى التبسوا بالأحرار .
(٤) يعني أن الحر بينهم ذليل مهان .
(٥) اللابي نسبة إلى اللاب وهي بلد بالنوبة . والرخم طائر معروف . يشبهه لسواده بالغراب ويشبه أصحابه بخساس الطير حوله .
(٦) أخذت بمعنى شرعت . واللهو اللعب والعبث .
(٧) أن زائدة . والعي مصدر عي في منطقه إذا لم يجد ما يقول . يقول : مدحته فرأيت من اللهو أن أصفه بضد ما هو فيه كما يسمى الأحمق حليماً لأن ذلك عبث لا يتوخاه عاقل ثم هجوته فوجدت من العي أن أنعته بظاهر حاله كمن يقول لابن آوى يا لئيم ولؤمه أظهر من أن ينبه عليه .
(٨) يقول : هل من يعذرني في مدحه وفي هجوه فإني كنت مضطراً إلى ذلك الذي أتاني على غير اختيار كما يأتي المرض على المريض .
(٩) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضيع ولم أوجه اللوم إليه فإلى من أوجهه .

وجلس المتنبي ذات يوم في ديوان كافور .. ورأى وسمع تطويحه لقاصديه .. وتسويفه لهم فقال بعد أن خرج من عنده :

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عِرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ العَبْدَ على نَفسِهِ[1]
وَإنَّمَا يُظْهِرُ تَحْكِيمُهُ تَحَكُّمَ الإِفْسَادِ في حِسِّهِ[2]
مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ في وَعْدِهِ كَمَنْ يَرَى أَنَّكَ في حَبْسِهِ[3]
لا يُنْجِزُ الميعادَ في يَوْمِهِ ولا يَعي مَا قالَ في أمْسِهِ[4]
وَإنَّمَا تَحْتَالُ في جَذْبِهِ كَأنَّكَ المَلاّحُ في قَلْسِهِ[5]
فَلا تَرَجَّ الخَيرَ عندَ امْرِىءٍ مَرّتْ يَدُ النّخّاسِ في رَأسِهِ[6]
وَإنْ عَرَاكَ الشّكُّ في نَفْسِهِ بحَالِهِ فانْظُرْ إلى جِنْسِهِ[7]
فَقَلّ مَا يَلْؤمُ في ثَوْبِهِ إلاّ الذي يَلْؤمُ في غِرْسِهِ[8]
مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لم يَجِدِ المَذْهَبَ عَن قَنْسِهِ[9]

★ ★ ★

(١) النوك الحمق . وعرسه ، بالكسر ، زوجته يريد بها الأمة . يقول : من حكم العبد على نفسه فهو أحمق من العبد ومن الأمة . يعاتب نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى طاعته .

(٢) الضمير من تحكيمه وحسه لمن والمراد هنا الحس الباطن . أي تحكيم العبد يدل على تحكم الفساد في عقل من يحكمه لسوء اختياره .

(٣) أي الذي يرى أنك في وعده يحسن إليك والذي يرى أنك في حبسه يسيء إليك ، يريد أنه مرهون في مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده لأنه لا يفيه ما وعده ولا يطلق سبيله فيرتحل .

(٤) أي لا ينجز الميعاد في يومه الذي وعد فيه وإذا انقضى ذلك اليوم نسي ما وعده فغفل عن الوفاء .

(٥) الملاح البحار . والقلس حبل السفينة . أي أنه لا يأتي مكرمة بطبعه بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح السفينة .

(٦) رجاه ورجاه بالتشديد ، بمعنى ترجاه . والنخاس بائع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ويطلق على بائع الرقيق . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسيق للبيع كما تساق الدواب .

(٧) ويروى بحالة . أي إن شككت في حاله بالنظر إلى نفسه فقسه بغيره من العبيد فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم .

(٨) الغرس ، بالكسر ، جلدة رقيقة تخرج مع المولود . أي قلما ترى لئيماً في نفسه إلا وهو مولود من أصل لئيم .

(٩) القنس الأصل . أي اللئيم إن أمكنه أن يفارق منزلته في الذل والهوان بأن أوتي حكما أو مالا لم يمكنه أن يفارق أصله في الخسة واللؤم لأنه أبداً ينزع إلى ذلك الأصل .

وآخر ما جاء به المتنبي في هجو كافور هو تأسفه على ما ضيعه من العمر ومن المال الذي أنفقه هباء خلال صحبتهما .. وأنه لم يعد يتمنى غير أن يُخَلِّيَ العبد سبيله ليأخذ طريقه في أرض الله الواسعة وأن الله في عون الجميع من قبل ومن بعد إذ يقول :

لَوْ كانَ ذا الآكِلُ أزْوَادَنَا ضَيْفاً لأوْسَعْنَاهُ إحْسَانَا[١]

لَكِنّنَا في العَينِ أضْيَافُهُ يُوسِعُنَا زُوراً وَبُهْتَانَا[٢]

فَلَيْتَهُ خَلّى لَنَا طُرْقَنَا أعَانَهُ اللهُ وَإيّانَا[٣]

★ ★ ★

في يوم الحج الأكبر . والناس وقوف بعرفات (سنة ٣٥٠هـ) وقد مضى عام أو يزيد على إنشاد المتنبي قصيدته البائية لكافور والتي لم ينشده بعدها بشيء من الشعر كما أشرنا في تقدمتها قبل هذا . قرر المتنبي الرحيل .. فخرج من مصر في اليوم التالي وقد حل عيد الأضحى المبارك فأنشأ رائعته الخالدة التي لازال وسيظل الدهر ينشدها في كل عيد . وفيها يقول :

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ بمَا مَضَى أمْ لأمْرٍ فيكَ تجْديدُ[٤]

أمّا الأحِبّةُ فالبَيْداءُ دونَهُمُ فَلَيتَ دونَكَ بِيداً دونَهَا بِيدُ[٥]

---

(١) الأزواد جمع زاد وهو طعام المسافر . وقوله لأوسعناه إحساناً الأصل لأوسعنا له الإحسان فعدى الفعل إلى الضمير ونصب إحساناً على التمييز . يريد بآكل زاده الأسود ، يقول : هذا الذي يأكل زادي لو كان ضيفاً لي لأكثرت من الإحسان إليه . قال الواحدي : ولأكله زاده وجهان أحدهما أن المتنبي أتاه بهدايا وألطاف ولم يكافئه عنها والآخر أن المتنبي كان يأكل من خاص ماله عنده وينفق على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئاً ومنعه من الطلب . وقال قوم : كان الأسود قد وهبه بعض غلمانه وخدمه ثم استردهم ولم يعطه شيئاً والله أعلم .

(٢) يقول : نحن في الظاهر أضيافه إلا أنه لا يقرينا غير الزور والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٣) أي أعانه الله على تخلية طرقنا وأعاننا على الرحيل من عنده .

(٤) عيد خبر عن محذوف أي هذا عيد . وقوله بما مضى أي أبما مضى فحذف الهمزة . ويروى أم بأمر وهو غلط لأن الكلام من عطف الجمل . يقول : هذا اليوم الذي أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال بأية حال عدت علي أبا لحال التي عهدتها من قبل أم أحدث فيك أمر جديد .

(٥) البيداء الفلاة . يتذكر أحبته يقول : أما الأحبة فبعيدون عني أي لم يعودوا علي كما عدت أنت فليتك أيها العيد بعيد عني أضعاف بعدهم لأني لا أسر بك وهم غائبون .

لَوْلا العُلى لم تجُبْ بي ما أجوبُ بهَا | وَجْنَاءُ حَرْفٌ وَلا جَرْداءُ قَيْدودُ[1]
وَكَانَ أطيَبَ مِنْ سَيفي مُعانَقَةً | أشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الغِيدُ الأمَاليدُ[2]
لم يَترُكِ الدّهْرُ مِنْ قَلبي وَلا كبدي | شَيْئاً تُتَيّمُهُ عَينٌ وَلا جيدُ[3]
ياسَاقِيَيّ أخَمْرٌ في كُؤوسِكُمَا | أمْ في كُؤوسِكُمَا هَمٌّ وَتَسهيدُ ؟[4]
أصَخْرَةٌ أنَا ، ما لي لا تُحَرّكُني | هَذِي المُدامُ وَلا هَذي الأغَارِيدُ[5]
إذا أرَدْتُ كُمَيْتَ اللّوْنِ صَافِيَةً | وَجَدْتُهَا وَحَبيبُ النّفسِ مَفقُودُ[6]
ماذا لَقيتُ منَ الدّنْيا وَأعْجَبُهُ | أني بمَا أنَا شاكٍ مِنْهُ مَحْسُودُ[7]
أمْسَيْتُ أرْوَحَ مُثْرٍ خَازِناً وَيَداً | أنَا الغَنيّ وَأمْوَالي المَوَاعِيدُ[8]

★ ★ ★

---

(١) جاب الموضع قطعه . والوجناء الناقة الشديدة . والحرف الضامرة الصلبة . والجرداء الفرس القصيرة الشعر . والقيدود الطويلة العنق . أي لولا طلب العلى لم أفارق أحبتي و لم تقطع بي ناقة ولا فرس ما أكلفها قطعه من الفلوات .

(٢) الغيد جمع غيداء وهي المتثنية ليناً . والأماليد جمع أملود وأملودة وهي الناعمة المستوية القوام . أي ولولا طلب العلى لم أختر معانقة السيف وأعدل عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونقه في بياض البشرة ونقائها .

(٣) تيمه استعبده . والجيد العنق . يقول : إن الدهر جرد قلبه عن هوى العيون والأجياد لما توارد عليه من نوائبه فتفرغ عن الغزل واللهو إلى الجلد والتشمير .

(٤) التسهيد الحمل على السهاد وهو السهر : يقول لساقييه أخمر ما تسقيانني أم هم وسهاد يعني أن ما يشربه لا يزيده إلا هماً وسهراً لأن قلبه مملوء بالهموم لا موضع فيه للسرور .

(٥) لا تحركني حال من الياء . ويروى ما تغيرني . والمدام الخمر . والأغاريد أي الأغاني كأن مفردها أغرودة . يتعجب من حاله وأن الخمر والغناء لا يطربانه ولا يؤثران فيه كأنه صخرة صماء .

(٦) الكميت بلفظ التصغير الأحمر فيه سواد يوصف به المذكر والمؤنث وأراد خمراً كميت اللون . يقول : إذا طلبت الخمر وجدتها وإذا طلبت الحبيب لم أجده يعني أن شرب الخمر لا يكون إلا مع الحبيب وحبيبي بعيد عني .

(٧) ماذا استفهام تعظيم . وروى الواحدي وأعجبها كأن الضمير للدنيا والتذكير أحسن . يشكو شدة ما لقيه من نوازل الدنيا وأحوالها ثم يقول : وأعجب ما لقيته منها أني محسود بما أنا شاك منه يعني تقربه من كافور يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكواه .

(٨) أروح من الراحة . والمثري الكثير المال . وخازناً ويداً تمييز . يقول : إنه قد صار غنياً ولكن خازنه ويده مستريحان من نقل المال وحفظه لأن أمواله مواعيد كافور وهي لاتحتاج إلى أن تقبضها يد أو يحفظها خازن .

إنّي نَزَلْتُ بكَذّابينَ ، ضَيْفُهُمُ عَنِ القِرَى وَعَنِ التَرحالِ محْدُودُ[1]
جودُ الرّجالِ من الأيدي وَجُودُهُمُ منَ اللّسانِ ، فَلا كانوا وَلا الجُودُ[2]
ما يَقبِضُ المَوْتُ نَفساً من نفوسِهِمُ إلاّ وَفي يَدِه مِنْ نَتْنِهَا عُودُ[3]
أكُلّمَا اغتَالَ عَبدُ السَّوْءِ سَيّدَهُ أوْ خَانَهُ فَلَهُ في مصرَ تَمْهِيدُ[4]
صَارَ الْخَصِيُّ إمَامَ الآبِقِينَ بِهَا فالحُرّ مُسْتَعْبَدٌ وَالعَبْدُ مَعْبُودُ[5]
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصرٍ عَنْ ثَعَالِبِها فَقَدْ بَشِمْنَ وَما تَفنى العَنَاقيدُ[6]
العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بأخٍ لَوْ أنّهُ في ثِيَابِ الحُرّ مَوْلُودُ[7]
لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ[8]
ما كُنتُ أحْسَبُني أحْيَا إلى زَمنٍ يُسِيءُ بي فيهِ عَبْدٌ وَهْوَ مَحْمُودُ[9]
ولا تَوَهّمْتُ أنّ النّاسَ قَدْ فُقِدوا وَأنّ مِثْلَ أبي البَيْضاءِ مَوْجودُ[10]

---

(١) ممنوع . أي لا يقرونه ولا يدعونه يرحل في طلب رزقه .

(٢) الضمير من جودهم للكذابين . يقول : الناس يجودون بالعطاء وهؤلاء يجودون بالمواعيد ثم دعا عليهم فقال لا كانوا ولا كان جودهم .

(٣) أي أن أرواحهم منتنة من اللؤم فإذا هم الموت بقبضها لم يباشرها بيده تقذراً من نتنها بل يتناولها بعود كما ترفع الجيفة .

(٤) اغتاله أخذه على غفلة . يعرض بقتل الأسود لسيده واستقلاله بالملك بعده . يقول : أكلما أهلك عبد سوء سيده مهد له أهل مصر الطاعة وملكوه عليهم .

(٥) الآبق الهارب من سيده : يريد أن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه نظيره في الخيانة فهو إمام الآبقين .

(٦) بشم أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . أراد بنواطير مصر ساداتها وأشرافها وبثعالبها العبيد والأراذل وبالعناقيد الأموال . يقول : غفل السادات عن العبيد فأكثروا من العبث في أموال الناس حتى أكلوا فوق الشبع . وقوله وما تفنى العناقيد يريد كثرة ما بين أيديهم من أموال مصر وأنهم كلما أكلوا شيئاً أخلف لهم غيره فلا يكفون عن النهم .

(٧) لو هنا وصلية وأراد ولو أنه فحذف . يقول : العبد لا يؤاخي الحر ولو كان في أصله حر المولد لأن من ألف الدناءة والخسة تسقط مروءته ولا يثبت له عهد .

(٨) جمع منكود وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان .

(٩) احسبني أي احسب نفسي . ويروى يسيء بي فيه كلب . يقول : ما كنت أحسب أن أجلي يمتد إلى زمن أتحمل فيه الإساءة من عبد وأنا مع ذلك مضطر إلى حمده .

(١٠) أي لم أتوهم أن الناس قد فقدوا فخلت البلاد لمن شاءها ولا أن مثل هذا يوجد في الخلق حتى رأيته على سرير مصر ، وكناه بأبي البيضاء هزؤاً به .

وَأنّ ذا الأسْوَدَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ ... تُطيعُهُ ذي العَضَاريطُ الرّعاديــدُ[1]

جَوْعانُ يأكُلُ مِنْ زادي وَيُمسِكني ... لكَيْ يُقالَ عَظيمُ القَدرِ مَقْصُودُ[2]

وَيْلُمِّهَــا خُطّــةً وَيْلُــمِّ قَابِلِهَــا ... لمِثْلِهَا خُلِقَ المَهْرِيّــةُ القُــودُ[3]

وعِنْدَها لَذّ طَعْمَ المَوْتِ شَارِبُهُ ... إنّ المَنِيّةَ عِنْدَ الذّلّ قِنْديــدُ[4]

مَنْ عَلّمَ الأسْوَدَ المَخْصِيَّ مكرُمَةً ... أقَوْمُهُ البِيضُ أمْ آبَـاؤهُ الصِّيــدُ[5]

أمْ أُذْنُهُ في يَدِ النّخّاسِ دامِيَـةً ... أمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بالفَلْسَينِ مَرْدودُ[6]

أوْلى اللّئَامِ كُوَيْفِيــرٌ بمَعْــذِرَةٍ ... في كلّ لُؤمٍ ، وَبَعضُ العُذرِ تَفنيدُ[7]

وَذاكَ أنّ الفحُولَ البِيضَ عاجِزَةٌ ... عنِ الجَميلِ فكَيفَ الخِصْيَةُ السّودُ ؟[8]

٦

★ ★ ★

---

(١) المشفر شفة البعير يريد أنه مشقوق الشفة فشبهه بالبعير الذي يثقب مشفره للزمام . والعضاريط جمع عضروط وهو الذي يخدم بطعامه . والرعاديد الجبناء الواحد رعديد . أي ولا توهمت أن هذا الأسود الموصوف بما ذكر يستغوي من حوله من صغار النفوس فيبذلون له الطاعة ويخدمونه بأرزاقهم خسة منهم ورهباً . ووصفهم بالعضاريط على جهة الذم والتقريع يريد أنهم قد صاروا بطاعته كذلك وإلا فلا عجب في طاعتهم له .

(٢) عظيم القدر أي هو عظيم القدر . وصفه بالجوع يريد شدة لؤمه وإمساكه فلا تسخو نفسه بشيء . وقوله يأكل من زادي كقوله الآكل أزوادنا فيما مر . يقول : هو يمسكني عنده ليتمدح بقصدي إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده مثلي ليمدحه .

(٣) ويلمها كلمة تعجب أصلها وي لأمها ثم حذفت الهمزة واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها والقاء حركة الهمزة عليها . والخطة الأمر والشأن . والمهرية المنسوبة إلى مهرة ابن حيدان وهو أبو قبيلة تنسب إليها الإبل . والقود الطوال الظهور جمع أقود وقوداء . يتعجب من الحال التي ذكرها يقول : ما أعجبها حالا وما أعجب من يقبلها وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٤) لذذت الشيء وجدته لذيذاً. والقنديد عسل قصب السكر والخمر . يقول : عند هذه الحال يستلذ طعم الموت لأن الذل أمر من الموت .

(٥) ويروى أقومه الغر جمع أغر وهو الأبيض الشريف . والصيد جمع أصيد وهو الملك العظيم . يريد أنه لا يعرف المكرمة ما هي لأنه عبد أسود لم يرث من آبائه مكرمة ولا مجداً .

(٦) النخاس بائع العبيد . ودامية حال . يريد أنه مملوك قد اشترى بثمن إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لخسته .

(٧) كويفير تصغير كافور . والتفنيد اللوم والتقريع . يقول : هو أحق اللئام بأن يعذر على لؤمه لعجزه عن المكارم وهذا العذر على الحقيقة تقريع له وتعيير . ثم صرح بعذره في البيت التالي .

(٨) الخصية جمع خصي مثل صبي وصبية . يعني أن أهل الجميل يعجزون عن فعله فكيف يقدر عليه من ليس من أهله .

ومن قصائد المتنبي التي أنشأها على ضفاف النيل ولم ينشدها كافور ضناً بها عليه .. هذه الرائعة التي تقول مجمل أبياتها ما هو أغلى من الجواهر :

صَحِبَ النّاسُ قَبلَنا ذا الزّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِن شأنِهِ مَا عَنَانَا[1]
وَتَوَلّوْا بِغُصّةٍ كُلّهُمْ مِنْـ ـهُ وَإنْ سَرّ بَعْضَهُمْ أحْيَانَا[2]
رُبّمَا تُحسِنُ الصّنيعَ لَيَاليـ ـهِ وَلَكِنْ تُكَدّرُ الإحْسَانَا[3]
وَكَأنّا لم يَرْضَ فينَا بِرَيْبِ الـ ـدّهْرِ حتى أعَانَهُ مَنْ أعَانَا[4]
كُلّمَا أنْبَتَ الزّمَانُ قَنَاةً رَكّبَ المَرْءُ في القَنَاةِ سِنَانَا[5]
وَمُرَادُ النّفُوسِ أصْغَرُ من أنْ تَتَعَادَى فيهِ وَأنْ تَتَفَانَى[6]
غَيرَ أنّ الفَتى يُلاقي المَنَايَا كالِحَاتٍ وَلا يُلاقي الهَوَانَا[7]
وَلَو انّ الحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أضَلّنَا الشّجْعَانَا[8]
وَإذا لم يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ فَمِنَ العَجْزِ أنْ تكُونَ جَبَانَا[9]

---

(١) عناه الأمر أهمه . أي كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن .
(٢) تولوا أي ذهبوا . يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا فمات بغصته وإن سر في بعض الأحيان .
(٣) يقول : الليالي قد تحسن ولكن إحسانها لا يسلم من الكدر لأن من عادتها أن ترد ما أحسنت به أو تدخل عليه أحوالا أخر تنغصه وتفسده .
(٤) ريب الدهر حوادثه . يذكر تعادي الناس وما يقع بينهم بسبب ذلك من المحن حتى كأن بعضهم يعين الدهر على بعض . يقول : كأن الذي يعين الدهر على نكاية أهله لم يرض بما تجر حوادث الدهر من البلاء فزاد عليها بلاء العداوة والشر .
(٥) القناة عود الرمح . والسنان نصله . يقول : كلما انتدب الزمان للإساءة بنائبة كانت عداوة العدو مدداً لتلك النائبة فجعل القناة مثلا لصرف الدهر والسنان مثلا لنكاية العدو .
(٦) ويروى نتعادى ونتفانى بنون المتكلمين ، أي الذي تريده النفوس من جاه الدنيا وحطامها أحقر من أن تعادي بعضها بعضاً لأجله وتتفانى بسببه .
(٧) المنايا جمع منية وهي الموت . وكالحات عابسات . يعني أن الكريم يحتمل الموت ويقدم عليه ولا يحتمل الذل .
(٨) أي لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذي يتعرض للقتل أجهل الناس يعني أن الحياة لا تبقى ولو جبن الإنسان وحرص على أسباب البقاء .
(٩) يؤكد ما ذكره في البيت السابق يقول : إذا كان الموت لا بد منه ولا يسلم منه شجاع ولا جبان فالجبانة من عجز الهمة .

كُلُّ ما لَمْ يكُنْ من الصّعْبِ في الأنـ ـفُسِ سَهْلٌ فيها إذا هوَ كانَا[1]

★ ★ ★

.. بينما المتنبي على سرج سابح وقد خرج من مصر بعد أن طال مطل كافور يدركه نبأ وفاة أبي شجاع بمصر بنهاية (سنة ٣٥٠هـ) .. فيرثيه بقصيدة هي من عيون الشعر في الرثاء كما هي من روائع أبي الطيب في الهجاء الذي وجهه لكافور إذ يقول :

أَلْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتّجَمّلُ يَرْدَعُ وَالدّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ[2]

يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَينِ مُسَهَّدٍ هَذا يَجيءُ بهَا وَهَذا يَرْجِعُ[3]

أَلنّوْمُ بَعْدَ أبي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللّيْلُ مُعْيٍ وَالكَوَاكبُ ظُلَّعُ[4]

إنّي لأجبنُ عَن فِراقِ أحِبّتي وتُحِسّ نَفسِي بالحِمامِ فأشجُعُ[5]

وَيَزِيدُني غَضَبُ الأعادي قَسْوَةً وَيُلِمّ بي عَتْبُ الصّديقِ فأجزَعُ[6]

تَصْفُو الحَياةُ لجَاهِلٍ أوْ غافِلٍ عَمّا مَضَى فيها وَمَا يُتَوَقّعُ[7]

---

(١) يكن تامة . وكذا قوله كانا في آخر البيت . أي إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه فإذا وقع هان .

(٢) التجمل بمعنى التصبر . يقول : الحزن يقلق صاحبه والتصبر يردعه عن الجزع والدمع بين هاتين الحالتين يعصي صاحبه تارة ويطيعه أخرى أي يعصيه عند التصبر فيحتبس ويطيعه عند الحزن فينسكب .

(٣) المسهد الذي حمل على السهاد وهو السهر . يقول : الحزن والتجمل يتنازعان دموع صاحبهما فالحزن يجيء بها أي يجريها والتجمل يردها .

(٤) معي من إعياء الماشي وهو كلاله من التعب . وظلع أي تغمز في مشيها وهو شبيه بالعرج . يقول : النوم بعده نافر لا يألف العين والليل يطول كأنه قد أعيا فلا يستطيع الانصراف والكواكب كأنها ظالعة لاتقدر أن تقطع الفلك فتغرب .

(٥) الحمام الموت . ويروى من فراق . يقول : إذا عرض لي فراق الأحبة جبنت عن احتماله فلم أملك نفسي من الجزع مع أني أقدم على الموت يعني في مواقع الحرب فلا أهابه . والمعنى أن الفراق عنده أعظم من الموت .

(٦) يعني أنه لا يلين لأعدائه إذا غضبوا بل يزيد قسوة عليهم ويجزع عند عتب الصديق فيلين له وينقاد . يريد في هذين البيتين رقة قلبه عند الموادة والملاينة وشدته عند المباطشة والمقاومة .

(٧) يتوقع أي ينتظر . أي إنما تصفو الحياة لجاهل لا يتعقل أحوالها ومصايرها أو غافل ذهل بحاضرها عما مضى فيها من العبر وما يتوقع من مثل ذلك في نفسه .

وَلِمَنْ يُغالِطُ في الحَقائِقِ نفسَهُ ... وَيَسومُها طَلَبَ المُحالِ فتطمَعُ[1]

أينَ الذي الهَرَمانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ، ... ما قَوْمُهُ ، ما يَوْمُهُ ، ما المصرَعُ ؟[2]

تَتَخَلّفُ الآثارُ عَنْ أصْحابِهـا ... حِيناً وَيُدْرِكُها الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ[3]

لم يُرْضِ قَلْبَ أبي شُجاعٍ مَبلَغٌ ... قَبلَ المَمَاتِ وَلم يَسَعْهُ مَوْضعُ[4]

كُنّا نَظُنّ دِيارَهُ مَمْلُوءَةً ... ذَهَباً فَمَاتَ وَكلُّ دارٍ بَلقَعُ[5]

وَإذا المَكارِمُ وَالصّوَارِمُ وَالقَنَا ... وَبَنَاتُ أعوَجَ كلُّ شيءٍ يجمَعُ[6]

ألمَجْدُ أخسَرُ والمكَارِمُ صَفْقَةً ... من أن يَعيشَ لها الهُمامُ الأرْوَعُ[7]

وَالنَّاسُ أنزَلُ في زَمَانِكَ مَنزِلاً ... من أنْ تُعايِشَهُمْ وَقَدرُكَ أرْفَعُ[8]

---

(١) يسومها يكلفها . أي وتصفو الحياة لمن يغالط نفسه في حقيقة الموت ويمنيها السلامة والبقاء فتطمع في المحال ولا تبالي بما ترى من العبر .

(٢) أراد بالهرمين الهرم الأكبر والهرم الأوسط وهما بناءان مشهوران بالجيزة فيهما مدافن بعض ملوك مصر اختلف أهل التأريخ في بانيهما وزمن بنائهما على أقوال أشهرها أن الأول من بناء الملك اثيوب والثاني من بناء الملك خفران وكلاهما من ملوك الدولة الرابعة في عهد غاية ما يقال فيه أنه بين القرن الخامس عشر والثاني والعشرين قبل الميلاد . يقول : أين باني هذين الهرمين ومن أي قوم هو ومتى كان يوم موته وكيف كانت منيته . يعني أن الدهر قد أهلكه وأفنى من جاء بعده من القرون حتى هلكت أخباره جملة ولم يبق ما يدل عليه إلا هذا الأثر العجيب .

(٣) تتخلف أي تتأخر . يقول : الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر ثم تفنى وتتبع أصحابها في الفناء .

(٤) أي لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في المجد فيطلب مافوقه ولا يسعه موضع من الأرض لأنه يضيق عن همته .

(٥) بلقع . خالية .

(٦) إذا الفجائية . والواو عطف على قوله وكل دار بلقع . والمكارم أفعال الكرم . والصوارم السيوف . والقَنا الرماح . وبنات أعوج أي الخيل الأعوجية جمعها على حد قولهم بنات عرس وأعوج فحل مشهور من خيل العرب قيل له ذلك لأن غارة وقعت على أصحابه وكان مهراً فحملوه على الإبل في وعاء فاعوج ظهره وبقي فيه العوج . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال حتى مات فإذا داره خالية وإذا كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيل دون الذهب لأنه كان يبدده بالعطايا .

(٧) صفقة تمييز وأصلها من صفقة البيع ثم استعملت في الحظ والنصيب . والهمام السيد الشجاع السخي . ويروى الكريم . والأروع الذكي الفؤاد . يقول : المجد والمكارم أخسر حظاً من أن يعيش لها هذا المرثي يعني أنها شقيت بموته لذهاب من كان يعززها ويجمع شملها .

(٨) تعايشهم أي تعيش معهم . يقول : أهل زمانك أوضع مرتبة من أن تعيش معهم وقدرك أرفع من ذلك لأنك أشرف منهم .

بَرْدُ حَشَايَ إنِ استَطعتَ بلفظَةٍ فَلَقَـدْ تَضُرّ إذا تَشَاءُ وَتَنْفَـعُ[1]
مَا كانَ منكَ إلى خَليلٍ قَبْلَهَا ما يُسْتَرَابُ بِهِ وَلا مَا يُوجِـعُ[2]
وَلَقَـد أرَاكَ وَمَـا تُلِـمّ مُلِمّـةٌ إلاّ نَفَاهَا عَـنكَ قَـلبٌ أصْمَـعُ[3]
وَيَـدٌ كَـأنّ نَوالَهَـا وَقِتَالَهَـا فَرْضٌ يحِقّ عَلَيْكَ وَهوَ تبـرّعُ[4]
يا مَنْ يُبَدِّلُ كُلّ يَوْمٍ حُلّـةً أنّى رَضِيتَ بحُلّةٍ لا تُنْـزَعُ ؟[5]
ما زِلْتَ تَخْلَعُهَا على مَنْ شاءهَا حتى لَبِسْتَ اليَوْمَ ما لا تَخلَع
مازِلْتَ تَدْفَعُ كُلّ أمْرٍ فـادِحٍ حتى أتَى الأمرُ الذي لا يُدفَعُ[6]
فَظَلِلْتَ تَنظُرُ لا رِماحُكَ شُرَّعٌ فيما عَرَاكَ وَلا سُيوفُكَ قُطَّـعُ[7]
بـأبي الوَحيـدُ وَجَيشُهُ مُتَكاثِـرٌ يَبكي وَمن شَرّ السّلاحِ الأدْمُعُ[8]

---

(١) قوله فلقد تضر حكاية حال ماضية أي فلقد كنت تضر . يقول : كلمني بلفظة إن قدرت عليها تبريداً لغليل صدري فلقد كنت في حياتك تضر أعداءك وتنفع أولياءك . والمعنى ليتك تستطيع أن تنفعني بذلك فإني عهدتك قادراً على النفع متى شئته بارادة الله .

(٢) قبلها أي قبل هذه المرة . واستراب به رأى منه ما يريبه أي يسوءه ويقلقه . يقول : ما كان منك إلى أحبتك قبل هذه المرة أي قبل أن تفجعهم بنفسك ما يريبهم منك أو يوجعهم وذلك أشد لتوجعهم عليك لأنك لم تفعل في حياتك ما يريبهم .

(٣) الملمة النازلة من نوازل الدهر . والأصمع الذكي المتيقظ . يقول : كنت أراك في حياتك وما تنزل بك نائبة إلا دفعتها عنك بذكاء قلبك وجودة رأيك .

(٤) النوال العطاء . والفرض ما يجب فعله . وتبرع بالشيء فعله من تلقاء نفسه . أي ونفاها عنك يد دأبها عطاء الأولياء ومقاتلة الأعداء كأن العطاء والقتال واجبان عليك وهما تبرع منك لا وجوب .

(٥) الخطاب للمرثي وهو حكاية أيضاً على حد مثله في الأبيات السابقة . والحلة اللباس قالوا ولا تسمى حلة حتى تكون من ثوبين . وأنى بمعنى كيف . ويروى كل وقت حلة . يريد أنه كان كلما لبس حلة خلعها على من يقصده ولبس غيرها حتى لبس حلة لا ينزعها عنه يعني الكفن .

(٦) الفادح : الثقيل الباهظ .

(٧) أشرعت الرمح نحوه سددته فشرع هو . وعراك نزل بك . أي ظللت تنظر إلى الموت نظر العاجز وقد قصرت رماحك وكلت سيوفك عن مدافعة ما نزل بك منه .

(٨) بأبي تفدية . يعني أنه مع كثرة جيوشه كان وحيداً من الأنصار ولم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ولا عدة غير الدموع ثم ذكر أن الدموع من شر الأسلحة لأنها تضر صاحبها ولا تفيد عند المصيبة شيئاً كما فسر هذا فيما يلي .

وَإذا حصَلتَ من السّلاحِ على البُكا	فحَشاكَ رُعتَ به وَخدَّكَ تَقرَعُ[١]
وَصَلَتْ إليكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِندَها الـ	ـبازي الأُشَيْهبُ وَالغُرابُ الأبقَعُ[٢]
مَن للمَحافلِ وَالجَحافلِ وَالسُّرى	فَقَدَتْ بفَقْدِكِ نَيِّراً لا يَطْلُعُ[٣]
وَمَنِ اتخذتَ على الضّيوفِ خَليفَةً	ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لا يكادُ يُضَيِّعُ
قُبْحاً لوَجهكَ يا زَمَانُ فإنّه	وَجهٌ لَهُ من كُلّ قُبحٍ بُرْقُعُ[٤]
أيَمُوتُ مِثْلُ أبي شُجَاعٍ فاتِكٍ	وَيَعيشَ حاسِدُهُ الخصِيُّ الأوكَعُ[٥]
أيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَيْ رأسِهِ	وَقَفاً يَصيحُ بها : ألا مَن يَصْفَعُ[٦]
أبْقَيْتَ أكْذَبَ كاذِبٍ أبْقَيْتَهُ	وَأخذتَ أصْدقَ من يقولُ وَيسمَعُ[٧]
وَتَرَكْتَ أنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ	وَسَلَبْتَ أطيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوّعُ[٨]

---

(١) راعه أفزعه . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فهو سلاح عليك لا لك لأنك تروع به قلبك وتقرع خدك ولا يغني عنك من المكروه شيئاً .

(٢) الأشيهب تصغير الأشهب وهو ما غلب عليه البياض . والأبقع في الطير والكلاب كالأبلق في الدواب . ويروى ألباز الاشهب بقطع همزة أل من الباز ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة أل قد وقعت في أول الشطر الثاني فكأنه أخذ في بيت ثان كما قال الآخر : حتى أتين فتى تأبط خائفاً ألسيف فهو أخو لقاء أروع . يخاطب المرثي يقول : وصلت إليك يد المنية التي لا فرق عندها بين الشريف والوضيع والجريء والجبان ، والبازي مثل للشريف الجريء والغراب مثل للجبان الوضيع .

(٣) المحافل المجامع . والجحافل الجيوش . والسرى مشي الليل يعني الزحف للغارة .

(٤) قبحاً من قولهم قبحه الله أي أقصاه ونحاه عن الخير . واللام من قوله لوجهك لبيان المفعول كما يقال سقياً له . والقبح في الشطر الثاني ضد الحسن . يعني أن قبائح الزمان قد كثرت حتى لو كان له وجه لتوهمه الناظرون مبرقعاً بالقبح لكراهة لقائه .

(٥) الاستفهام للتعجب . والأوكع الذي أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجاً كالعقدة . ويقال عبد أوكع أي لئيم . يتعجب من موت فاتك في فضله وكرمه وعموم نفعه مع بقاء حاسده يعني كافوراً وهو على ما وصفه .

(٦) القفا مؤخر العنق . يقول : هو لدناءته أهل للامتهان والإذلال حتى كأن قفاه يدعو الناس أن يصفعوه ولكن الأيدي التي حوله مقطعة فلا تقدر على صفعه . يهجو الذين حوله من أصحابه ويرميهم بالعجز وصغر النفوس حتى رضوا بأن يملك عليهم مثله وكأنه يلمح بهذا إلى قصته مع غلمان الإخشيد حين كانوا يصفعونه في الأسواق على ما ذكر في ترجمته .

(٧) أبقيته نعت كاذب . يخاطب الزمان يقول له أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم يعني الأسود وأخذت أصدق القائلين والسامعين يعني المرثي .

(٨) الريحة الريح أو هي أخص منها . وتتضوع تفوح .

فَاليَوْمَ قَرّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ دَمُهُ وَكَانَ كأنّهُ يَتَطَلَّعُ[1]
وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السّياطِ وَخَيْلُهُ وَأَوَتْ إلَيهَا سُوقُهَا وَالأَذْرُعُ[2]
وَعَفَا الطِّرادُ فَلا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ القَنَاةِ وَلا حُسَامٌ يَلمَعُ[3]
وَلّى وَكُلُّ مُخالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ[4]
مَنْ كانَ فيهِ لكُلّ قَوْم مَلجأً وَلسَيْفِهِ في كلّ قَوْمٍ مَرْتَعُ[5]
إنْ حَلّ في فُرْسٍ فَفيهَا رَبُّهَا كسرَى تذلّ لهُ الرّقابُ وَتخضَعُ[6]
أوْ حَلّ في رُومٍ فَفيهَا قَيصَرٌ أوْ حَلّ في عَرَبٍ فَفِيهَا تُبّعُ
قد كانَ أسرَعَ فارِسٍ في طَعْنَةٍ فَرَساً وَلَكِنّ المَنِيّةَ أسْرَعُ[7]
لا قَلّبَتْ أيدي الفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمحاً وَلا حَمَلَتْ جَوَاداً أرْبَعُ[8]

* * *

---

(١) يقول: اليوم أي بعد موت المرثي قرت دماء الوحوش التي كان يطردها للصيد بعد أن كانت كأنها تتطلع خوفاً منه مترقبة خروجها من أبدانها.

(٢) السياط المقارع. وثمرها العقد في أطرافها. وأوت أي انضمت. والسوق جمع ساق على حد أسد وأُسد. يقول تصالحت بموته السياط وخيله لأنه كان لا يزال يضربها بالسياط لتركض في طلب العدو أو الصيد وكانت لكثرة ما يطارد عليها لا تستقر على قوائمها فكأنها بغير قوائم فلما مات كأن قوائمها عادت فانضمت إليها.

(٣) عفا الرسم اندرس وامحى. والطراد مطاردة الفرسان في الحرب. وراعف أي يقطر دماً من رعاف الأنف.

(٤) المخالم الصديق. وشيع الراحل خرج معه عند الوداع.

(٥) المرتع مأخوذ من مرتع الدابة وهو الموضع ترعى فيه كيف شاءت. أى كان ملجأً لكل قوم من أوليائه وكان سيفه يرتع في كل قوم من أعدائه.

(٦) قوله ففيها أي فهو فيها. وكذلك في البيت التالي. وكسرى بيان لرب. يعني أنه كان عظيماً فأي قوم حل فيهم كان ملكهم.

(٧) المنية الموت. يقول: كان أسرع الفرسان في الطعان أي كان إذا طعن لم يدرك ولكن المنية كانت أسرع منه فأدركته.

(٨) يعني أن الطعان وركوب الخيل لا يليقان إلا به فيقول على سبيل الدعاء لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الخيل قوائمها.



بين ماء الرافدين

لم يطل ترحال المتنبي في الفلاة .. فقد خرج من مصر ميمماً الكوفة حيث مسقط رأسه . وعندما وصل إليها خلا إلى نفسه . واستذكر الأيام الخوالي .. وكيف خذله قاهر اللذات بوفاة أبي شجاع الذي كان يعلق عليه آماله من بعد ما أخلفه كافور الوعد وخيب أمانيه فيما كان يطمع فيه ويتطلع إليه .

وقد جاءه مفارقاً سيف الدولة بعد أن تكاثر حساده ومنافسوه ، وضايقوه بكثرة الوشايات والإساءات دون أن يدفع عنه سيف الدولة شيئاً أو يحمي له ظهراً فاضطر للمفارقة وقال في ذلك :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
أن لا تفارقهم فالراحلون هموا

تذكر كل هذا وما مر به من مواقف تعرض خلالها لشيء من الاحن والمحن . وانبرى يرثى تطلعاته ويشكو همومه ويعرض تجاربه في مرثية جديدة لأبي شجاع هي من الجواهر الثمينة على كثرة أبياتها ـــ كما سنرى ـــ إذ يقول بها بدأ من مستهلها إلى نهايتها :

حَتّامَ نحنُ نُساري النّجمَ في الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ على خُفٍّ وَلا قَدَمِ[1]
وَلا يُحِسّ بأجْفانٍ يُحِسّ بهَا فَقْدَ الرّقادِ غَريبٌ باتَ لم يَنَمِ[2]

---

(١) حتام حتى وما وحذفت ألف ما بوقوعها مجرورة . ونساري نفاعل من السرى وهو مشي الليل أي نسري مع النجم . والخف بمنزلة الحافر للدابة . يقول : حتى متى نسري مع النجوم في ظلم الليل وهي لا تسري على خف كالإبل ولا على قدم كالناس فلا يصيبها الكلال كما يصيبنا ويصيب مطايانا .
(٢) أي أن النجوم لا يؤلمها فقد النوم كما يؤلم رجلا مغترباً عن أهله بات يسري ساهراً يعني نفسه .

تُسَوِّدُ الشّمسُ منّا بِيضَ أوْجُهِنَا ... وَلا تُسَوِّدُ بِيضَ العُذرِ وَاللِّمَمِ [1]

وَكانَ حالهُمَا في الحُكْمِ واحدةً ... لَوِ احتَكَمْنَا مِنَ الدّنْيا إلى حكَمِ [2]

وَنَترُكُ المَاءَ لا يَنْفَكّ من سَفَرٍ ... ما سارَ في الغَيمِ منهُ سارَ في الأَدَمِ [3]

لا أُبْغِضُ العِيسَ لكِني وَقَيْتُ بهَا ... قلبي من الحزْنِ أوْ جسمي من السّقَمِ [4]

طَرَدتُ من مصرَ أيديهَا بأرْجُلِهَا ... حتى مَرَقْنَ بهَا من جَوْشَ وَالعَلَمِ [5]

تَبرِي لَهُنّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً ... تُعارِضُ الجُدُلَ المُرْخاةَ باللُّجُمِ [6]

في غِلْمَةٍ أخطَرُوا أرْوَاحَهُم وَرَضُوا ... بِمَا لَقِينَ رِضَى الأيسارِ بالزَّلَمِ [7]

تَبدو لَنَا كُلّمَا ألْقَوْا عَمَائِمَهُمْ ... عَمَائِمٌ خُلِقَتْ سُوداً بلا لُثُمِ [8]

---

(١) العذر جمع عذار وهو جانب اللحية . واللمم جمع لمة وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن . يقول : الشمس تغير ألواننا فتسود وجوهنا البيض ولكنها لا تفعل ذلك بشعورنا البيض .

(٢) احتكمنا بمعنى تحاكمنا . والحكم ، بفتحتين ، بمعنى الحاكم . أي لو احتكمنا إلى حاكم من الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه ينبغي أن يسود الشعر ولكن للشمس حكماً لا تجري فيه على أحكام الناس .

(٣) الأدم ، بفتحتين وبضمتين ، جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . أي نغترف ماء السحاب ونجعله في روايانا فلا يزال مسافراً إما في الغيم أو في القرب .

(٤) العيس الإبل . يقول : ليس إتعابي للإبل لأني أبغضها ولكني أسافر عليها وقاية لقلبي من الحزن بمفارقة من تسوءني عشرته أو لجسمي من السقم بالرحيل عن المواضع الوبيئة وتبديل الهواء والماء .

(٥) الضمير من أيديها وأرجلها للعيس وسكن الياء من أيديها ضرورة . ومرقن أي خرجن يقال مرق السهم من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر . وجوش والعلم موضعان . أي حثثتها على السير حتى كأن أرجلها تطرد أيديها وذلك أن اليد أمام الرجل كالمطرود أمام الطارد وشبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة انطلاقها .

(٦) برى له وانبرى بمعنى أي عارضه . والدو المفازة . والجدل جمع جديل وهو حبل من أدم أو شعر في عنق البعير . أراد بنعام الدو الخيل شبهها بها في سرعة عدوها . يقول : هذه الإبل لسرعتها تباريها الخيل فتكون أعنة اللجم في أعناقها بمنزلة الأزمة .

(٧) الغلمة جمع غلام . وأخطروا أرواحهم أي جعلوها خطراً بين السلامة والتلف والخطر ما يتراهن عليه المتسابقان والمعنى خاطروا بأرواحهم . وضمير لقين للأرواح . والأيسار القوم المجتمعون على الميسر وهو ضرب من القمار . والزلم ، بفتحتين وبضم ففتح ، السهم من سهام الميسر . أي خرجت من مصر في غلمان حملوا أرواحهم على الخطر ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو هلكة كما يرضى المتقامرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٨) تبدو تظهر . واللثم جمع لثام . أي كلما طرحوا عمائمهم عن رؤوسهم ظهرت شعورهم من تحتها كالعمائم السود إلا أنها بلا لثم وذلك أن العرب تتلثم على وجوهها بأطراف العمائم فيقول : إن تلك العمائم ليس منها شيء على وجوههم يعني أنهم مرد لم ينبت شعر لحاهم كما بين ذلك في البيت التالي .

بِيضُ العَوَارِضِ طَعّانُونَ من لحقوا ... مِنَ الفَـوارِسِ شَلّالُـونَ للنَّعَـمِ[1]

قد بَلَغُوا بقَناهُمْ فَوْقَ طاقَتِهِ ... وَلَيس يَبلُغُ ما فيهِمْ منَ الهِمَمِ[2]

في الجاهِلِيّةِ إلاّ أنّ أنْفُسَهُمْ ... من طيبِهِنّ به في الأشْهُرِ الحُرُمِ[3]

نَاشُوا الرّماحَ وَكانتْ غيرَ ناطِقَةٍ ... فَعَلّمُوها صِياحَ الطّيرِ في البُهَمِ[4]

تَخدي الرّكابُ بنَا بِيضاً مَشافِرُهَا ... خُضراً فَرَاسِنُهَا في الرُّغْلِ وَاليَنَمِ[5]

مَكْعُومَةً بسِياطِ القَوْمِ نَضرِبُهَا ... عن منبِتِ العشبِ نبغي منبتَ الكرَمِ[6]

وَأيـنَ مَنْبِتُهُ مِنْ بَعـدِ مَنْبِتِـهِ ... أبي شُجاعٍ قريعِ العُرْبِ وَالعَجَمِ[7]

لا فَاتِكٌ آخَرٌ في مِصرَ نَقْصِدُهُ ... وَلا لَهُ خَلَفٌ في النّاسِ كُلّهِـمِ[8]

---

(١) العارض جانب الوجه . وشلالون طرادون . والنعم الماشية وغلب على الإبل . يريد أنهم مرد الوجوه طلابون للفرسان لا يرجعون عمن لحقوه منهم حتى يقتلوه غنامون للأموال يغيرون عليها فيطردونها ويسوقونها أمامهم .

(٢) وجه الكلام أن يقال بلغوا بتخفيف اللام والباء بعده للتعدية فيكون الجزء مطوياً . وفي رواية الواحدي بلغوا ، بالتشديد ، وروى غيره بلغوا بصيغة المجهول وكلاهما لا يظهر له وجه سديد . والقنا الرماح يؤنث ويذكر . أي كثر طعانهم بالرماح حتى جاوزوا بها مبلغ طاقتها ولم تبلغ الرماح مع ذلك غاية همهم .

(٣) في الجاهلية أي هم في الجاهلية . والضمير من به للقنا . يقول : هم أبداً في القتال والغارة كأنهم في الجاهلية إلا أنهم لطيب أنفسهم بالرماح وسكونهم إلى ممارستها كأنهم في الأشهر الحرم التي لا قتال فيها . والمعنى أنهم لطيب أنفسهم بالقتال وعدم مبالاتهم بالخطر صاروا يعدون الحروب كالسلم .

(٤) ناشوا تناولوا . والبهم جمع بهمة وهو الشجاع الذي لا يدري من أين يؤتى . أي تناولوا الرماح وكانت جماداً لا تنطق فأسمعوا الناس صريرها في الدروع والأضلاع كأنه صياح الطير .

(٥) تخدي تسري . ويروى تحدى أي تساق بالغناء . والركاب الإبل . وبيضاً حال . والمشفر للبعير بمنزلة الشفة للإنسان . والفرسن لحم خف البعير . والرغل والينم نبتان . أى تسير بنا الإبل مسرعة وهي بيض المشافر باللغام لأنها لا تترك ترعى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها وأخفافها خضر لكثرة وطئها هذين النبتين .

(٦) كعم البعير شد فاه لئلا يعض أو يأكل . يقول : إن السياط كانت تمنعها من المرعى فكأنها قد شدت أفواهها وكنا نضربها عن الرعي في منبت العشب لأنا نطلب منبت الكرم يعني أهله وعبر بالمنبت مجازاً للمشاكلة .

(٧) القريع السيد . يستدرك على ما ذكره في البيت السابق يقول : أين منبت الكرم بعد موت أبي شجاع الذي كان منبت الكرم وكان سيد العرب والعجم .

(٨) قوله فاتك أراد رجل آخر مثل فاتك ولذلك نعته بنكرة . أي ليس في مصر رجل آخر مثله في جوده فنقصده ولم يخلفه أحد من جميع الناس .

مَنْ لا تُشابِهُهُ الأحْياءُ في شِيَمٍ أمسَى تُشابِهُهُ الأمواتُ في الرِّمَمِ[1]

عَدِمْتُهُ وَكَأنّـي سِرْتُ أطْلُبُـهُ فَمَـا تَزِيدُنـيَ الدّنيـا على العَـدَمِ[2]

مازِلْتُ أُضْحِكُ إبْلي كُلّمَا نظَرتْ إلى مَنِ اختَضَبَتْ أخفافُهـا بدَمِ[3]

أُسيرُهَـا بَيـنَ أصْنـامٍ أُشَاهِدُهَـا وَلا أُشَاهِـدُ فيها عِفّـةَ الصّنَـمِ[4]

حتى رَجَعْتُ وَأقْلامي قَوَائِلُ لي ألمَجْدُ للسّيفِ لَيسَ المَجدُ للقَلَمِ[5]

أُكْتُبْ بِنَا أبَداً بَعدَ الكِتابِ بِهِ فإنّمَـا نحنُ للأسيَـافِ كالخَـدَمِ[6]

أسْمَعْتِنـي وَدَوَائي ما أشَرْتِ بِهِ فإنْ غَفَـلْتُ فَدائي قِلّـةُ الفَهَـمِ[7]

مَنِ اقتَضَى بسِوى الهِنديّ حاجَتَهُ أجابَ كلَّ سُؤالٍ عَن هَلٍ بلَمِ[8]

---

(١) الشيم الأخلاق . والرمم العظام البالية . أي لم يكن شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه فلما مات صار عظاماً بالية فأشبهته الأموات في ذلك .

(٢) أي كثرت أسفاري بعده في الدنيا فكأني سائر أطلب له نظيراً ولكني لا أحصل إلا على العدم .

(٣) إبلي ، بسكون الباء ، تخفيف إبل ، بكسرها . أي ما زلت أسافر عليها إلى من لا يستحق القصد إليه فلو كانت الإبل ممن يضحك لضحكت استخفافاً إذا نظرت إلى من كلفتها مشقة السفر وقطع الفلوات حتى اختضبت أخفافها بالدم .

(٤) أي أسيرها بين أناس كالأصنام يطاعون ويعظمون ولا فهم لهم ولكنهم ليسوا كالأصنام في العفة واجتناب المحرمات والمنكرات .

(٥) أي حتى رجعت إلى وطني وأقلامي تقول لي إن المجد يدرك بالسيف لا بالقلم لأن العالم والشاعر والمفكر غير معظم ولا مهيب عند هؤلاء .

(٦) الكتاب أي الكتابة . وبه صلة الكتاب والضمير للسيف . والبيت من حكاية قول الأقلام . أي قالت لي الأقلام أعمل سيفك أولاً بضرب الرقاب وفتح البلدان وهذا هو حقيقة المجد ثم اكتب بنا ما فعلت بالسيف وما قلت فيه من الشعر فإننا خدام له نصف ما فعل .

(٧) هذا جواب للأقلام يقول لها : قد سمعت مقالك والذي أشرت به علي من إعمال السيف هو الدواء الذي يشفي ما بي من الغل فإن غفلت عن مشورتك ولم أتنبه لها فقد صار دائي قلة الفهم لا ما أدعى من تقصير الناس في إنصاف فضلي .

(٨) اقتضى طلب . والهندي السيف . وقوله عن هل بلم أعرب الحرفين لأنهما قد صارا علمين على لفظهما والحرفان الداخلان عليهما متعلقان بأجاب . يقول : من طلب حاجته بغير السيف أجاب سائله عن قوله هل أدركت حاجتك بقوله لم أدركها .

تَوَهَّمَ القَوْمُ أنَّ العَجزَ قَرَّبَنا   وَفي التَّقَرّبِ ما يَدْعُو إلى التُّهَمِ[١]
وَلَمْ تَزَلْ قِلّةُ الإنصَافِ قاطِعَةً   بَين الرّجالِ وَلَوْ كانوا ذوي رَحِمِ[٢]
فَلا زِيارَةَ إلاّ أنْ تَزُورَهُمُ   أيدٍ نَشَأنَ مَعَ المَصْقُولَةِ الخُذُمِ[٣]
من كُلّ قاضِيَةٍ بالمَوتِ شَفْرَتُهُ   مَا بَينَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمِ[٤]
صُنّا قَوَائِمَهَا عَنهُمْ فَما وَقَعَتْ   مَوَاقِعَ اللّؤمِ في الأيْدي وَلا الكَزَمِ[٥]
هَوّنْ عَلى بَصَرٍ ما شَقّ مَنظَرُهُ   فإنّمَا يَقَظَاتُ العَينِ كالحُلُمِ[٦]
وَلا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ   شكوَى الجريحِ إلى الغِرْبانِ وَالرَّخَمِ[٧]
وَكُنْ عَلى حَذَرٍ للنّاسِ تَستُرُهُ   وَلا يَغُرّكَ مِنهُمْ ثَغْرُ مُبتَسِمِ[٨]
غَاضَ الوَفَاءُ فما تَلقاهُ في عِدَةٍ   وَأعوَزَ الصّدْقُ في الإخبَارِ وَالقَسَمِ[٩]
سُبحانَ خالِقِ نَفسي كيفَ لَذّتُها   فيما النّفُوسُ تَراهُ غايَةَ الألَمِ[١٠]

---

(١) أي أن القوم الذين قصدناهم بالمدح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم وكذلك بعض التقرب يدعو من تتقرب إليه أن يتهمك بمثل هذا .

(٢) الرحم القرابة . ويروى وإن كانوا . يقول : إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب فما الظن بمن لا قرابة بينهم ، يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه في قصده لهم .

(٣) الخذم جمع خذوم وهو القاطع يعني السيوف . أي فلا نزورهم بعد الآن إلا بأيد قد تعودت القتال ونشأت في صحبة السيوف يعني لا نقصدهم إلا محاربين .

(٤) شفرة السيف حده . أي من كل سيف يقضي حده بالموت بين الظالم والمظلوم .

(٥) قائم السيف مقبضه . والكزم قصر الأصابع . يقول : صنا مقابض سيوفنا عن أن تصير في أيديهم التي هي مواقع اللؤم والقصر عن بلوغ الحاجات . والمعنى لم يسلبونا سيوفنا فبقيت في أيدينا التي لا لؤم فيها ولا قصر .

(٦) شق الأمر عليه صعب . يقول : هون على عينك ما صعبت رؤيته عليها من المكروه فإن ما تراه في اليقظة شبيه بما تراه في النوم لأن كلا منهما يلبث قليلاً ثم ينقضي فكأنه لم يكن .

(٧) تشك من التشكي . والرخم طائر معروف . يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بك من ضر أو شدة لئلا تشمته بشكواك فتكون كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله .

(٨) الثغر مقدم الفم . يقول : اضمرالحذر من الناس ولا تغتر بابتسامهم فإن قلوبهم مطوية على الغدر .

(٩) غاض أي قل ونقص . وأعوز الشيء عز فلم يوجد .

(١٠) يعني ركوب الأخطار والأسفار يتعجب من أن الله جعل لذته في تلك وهو غاية ألم النفوس .

أَلدَّهْرُ يَعْجَبُ من حَمْلي نَوَائِبَهُ وَصَبرِ نَفْسِي على أَحْداثِهِ الحُطُمِ[1]
وَقْتٌ يَضيعُ وَعُمرٌ لَيتَ مُدّتَهُ في غَيرِ أُمّتِهِ مِنْ سالِفِ الأُمَمِ[2]
أَتَى الزّمَانَ بَنُوهُ في شَبيبَتِهِ فَسَرّهُمْ وَأَتَينَاهُ عَلى الهَـرَمِ[3]

★ ★ ★

.. وبعد أن يستقر المتنبي بالكوفة تنشط ذاكرته فيستعيد ما مر به من البوادي والمدن والقبائل .. والحيف الذي لحق به في مصر .. فيقول قصيدة عنوانها .. « ضحك كالبكاء » يذكر بها تلك الديار التي عبرها .. ويهجو كافور ومستهلها هو :

ألا كُلُّ مَاشِيَـةِ الخَيْزَلَـى فِدَى كلّ ماشِيَـةِ الهَيْذَبَـى[4]
وَكُـلِّ نَجَـاةٍ بُجَاوِيَّـةٍ خَنُوفٍ وَمَا بيَ حُسنُ المِشَى[5]
وَلَكِنّهُـنّ حِبَـالُ الحَيَـاةِ وَكَيـدُ العُـداةِ وَمَيْـطُ الأذَى[6]

---

(١) أحداث الدهر صروفه . والحطم ، بضمتين ، جمع حطوم أي التي تحطم من أصابته . ويروى وصبر جسمي .

(٢) وقت مبتدأ محذوف الخبر أي لي وقت . يتأسف على ضياع وقته في مخالطة أهل زمانه ويتمنى لو كانت مدة عمره في أمة أخرى من الأمم السالفة التي كانت تعرف أقدار رجالها .

(٣) ويروى في حداثته بدل فى شبيبته . والهرم الشيخوخة . ويروى على هرم بدون أل . يقول : إن بني الزمان من الأمم السالفة جاءوا في حدثان الدهر ونضرته فسرهم ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا .

(٤) ألا استفتاح . والخيزلى مشية للنساء فيها تثاقل وتفكك . والهيذبى ضرب من مشي الخيل فيه جد . يقول : كل امرأة حسنة المشية فدى كل فرس سريعة الخطو يعني أنه من أهل السفر تعجبه الخيل القوية على السير وليس ممن يعشقون النساء ويتغزلون بمحاسن مشيهن .

(٥) النجاة الناقة السريعة . وبجاوية منسوبة إلى بجاوة وهي أرض بالنوبة أو قبيلة من السودان توصف نوقها بالسرعة . وخنف البعير في مشيه إذا قلب خف يده إلى وحشيه . ويقال ما بي كذا أي ما أهتم له وما أباليه . والمشي جمع مشية ، بالكسر ، وهي هيئة المشي . أي وكل ماشية الخيزلى فدى كل ناقة خفيفة سريعة السير . وقوله وما بي حسن المشي كالاستدراك على قوله خنوف أي لست أمدحها استحساناً لمشيتها فإني لست أنظر إلى حسن المشي ولكني أستعين بها على نيل الرغائب وفوت المكاره كما فسر ذلك في البيت الذي يلي .

(٦) الضمير من قوله ولكنهن للإبل على المعنى . والعداة جمع عاد بمعنى عدو . والميط الدفع . يقول : هن بمنزلة حبال للحياة لأنه يعتصم بهن في التوصل إلى الرزق والخروج من المهالك وبهن تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

ضَرَبْتُ بهَا التّيهَ ضَرْبَ القِمَا ... رِ إمّــا لهَــذا وَإمّــا لِذَا[1]

.. وبعد تسمية البوادي .. والأودية .. وما مر به من مياه . ينيخ الرواحل بالكوفة يقول عن حاله .. وحال من فارقه :

فَلمّـا أنَخْنَـا رَكَزْنَـا الرِّمَـا ... حَ بَين مَكارِمِنَـا وَالعُلَـى[2]
وَبِتْنَـا نُقَبّـلُ أسْيَافَنَـا ... وَنَمْسَحُهَا من دِماءِ العِـدَى[3]
لِتَعْلَـمَ مِصْرُ وَمَـنْ بالعِـراقِ ... ومَـنْ بالعَـوَاصِمِ أنّـي الفَتَـى[4]
وَأنّـي وَفَـيْتُ وَأنّـي أبَـيْتُ ... وَأنّـي عَتَـوْتُ على مَنْ عَتَـا[5]
وَمَا كُلّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَى ... وَلا كُلّ مَنْ سِيمَ خَسْفاً أبَى[6]
وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبي لَهُ ... يَشُقّ إلى العزّ قَلْبَ التَّوَى[7]
وَلا بُدّ للقَلْبِ مِنْ آلَـةٍ ... وَرَأيٍ يُصَدّعُ صُمّ الصّفَـا[8]

---

(١) التيه المفازة المضلة من التسمية بالمصدر . يقول : ضربت بها الفلاة كما يضرب المقامر بالسهام وهو لا يعلم ما يقسم له من غنم أو غرم أي سلكت بها القفار ملقياً بنفسي بين الفوز والهلاك فإما أن تكون عاقبتها هذا أو هذا .

(٢) أنخنا أي نزلنا . ويروى فوق مكارمنا . يقول : لما بلغنا الكوفة وأنخنا رواحلنا بها وركزنا رماحنا كعادة من يترك السفر كانت رماحنا مركوزة بين مكارمنا وعلانا يعني المكارم والعلى التي استفدناها في سفرتنا هذه من إرغام الأسود وقتال من قاتلنا في الطريق وظفرنا بمن عادانا فإن هذه المآثر كانت مصاحبة لنا فلما نزلنا نزلت بين أيدينا فكانت رماحنا مركوزة بينها .

(٣) أي نقبلها لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك .

(٤) العواصم بلاد قصبتها إنطاكية . ويروى ومن بخراسان . وقوله الفتى أي الحر الكريم وأل فيه للاستغراق أي الكامل الفتوة .

(٥) أبيت أي امتنعت . وعتوت تجبرت . أي وفيت بما قلته من أني سأترك مصر على رغم كافور وامتنعت من قبول الضيم عنده وتجبرت على من عاملني بالتجبر .

(٦) سيم كلف . والخسف المشقة والذل .

(٧) الهلاك . أي من كان له قلب كقلبي في الشجاعة وثبات العزم شق قلب الهلاك أي خاض في وسطه حتى يصل إلى العز .

(٨) يصدع يشق . والصفا الصخر . يريد بآلة القلب العقل وما فيه من الرأي والحكمة في الأمور . يقول : لابد للقلب من عقل يستعين به في إنفاذ عزائمه ورأي ماض يشق الخطوب ولو اشتدت وتضامت تضام الصخر .

وَكُلُّ طَرِيقٍ أتَاهُ الفَتَى   على قَدَرِ الرِّجْلِ فيهِ الخطَى[1]
وَنَامَ الخُوَيْدِمُ عَنْ لَيْلِنَا   وَقَدْ نامَ قَبْلُ عَمًى لا كَرَى[2]
وَكانَ عَلى قُرْبِنَا بَيْنَنَا   مَهَامِهُ مِنْ جَهْلِهِ وَالعَمَى[3]
وَماذا بِمصْرَ مِنَ المُضْحِكاتِ   وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كالبُكَا[4]
بهَا نَبَطيٌّ مِنَ اهْلِ السّوَادِ   يُدَرِّسُ أنْسَابَ أهْلِ الفَلا[5]
وَأسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ   يُقَالُ لَهُ أنْتَ بَدْرُ الدّجَى[6]
وَشِعْرٍ مَدَحتُ بِهِ الكَرْكَدَنّ   بَينَ القَرِيضِ وَبَينَ الرُّقَى[7]

(١) الخطى جمع خطوة ، بالضم ، وهي ما بين القدمين . أي كل طريق سلكه الإنسان فإنما تتسع خطاه فيه على قدر طول الرجلين وهذا مثل أي كل أحد يبلغ ما يحاوله على قدر طاقته وهمته .

(٢) الخويدم تصغير خادم . والكرى النعاس . يريد بالخويدم كافوراً . يقول : غفل عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده وكان قبل ذلك نائماً غفلة وعمى وإن لم يكن نائماً النومَ المألوف .

(٣) على قربنا أي مع قربنا . والمهامه الفلوات . أي وحين كنت قريباً منه كان بيني وبينه فلوات من جهله أي كنت في حكم البعيد عنه لأن الجاهل لا يزداد علماً بالشيء وإن قرب منه .

(٤) ماذا استفهام تعجب . ومن المضحكات بيان لماذا . يتعجب مما رأى بمصر عندما نزلها من العجائب التي توجب الضحك ثم يقول : لكن هذا الضحك في معنى البكاء كما قال الآخر : وشر البلية ما يضحك . ويروى : وكم ذا بمصر ولكن الأصل هو ما اثبتناه .

(٥) النبطي واحد النبط وهم قوم من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين . والمراد بالسواد سواد العراق ويقال السواد لكل أرض كثيفة الزرع أو الكثرة من الناس . والفلا جمع فلاة يعني أهل البادية وهم العرب . يذكر ما بمصر من المضحكات . قال الواحدي : يريد بالنبطي السوادي وهو أبو الفضل بن حنزابة وزير كافور وقيل أبو بكر المادراني النسابة وإنما يتعجب لأنه ليس من العرب وهو يعلم الناس أنساب العرب .

(٦) أسود عطف على نبطي . والمشفر شفة البعير . أي وبها أسود قبيح الخلقة تكاد شفته تكون قدر نصفه وهو هناك يشبه بالبدر والبدر مشتمل على الجمال والإشراق والأسود القبيح الخلقة متى يشبه البدر . والمعنى أنهم يموهون عليه بالكذب فيصدقهم ويسر بتمويههم .

(٧) وشعر أي ورب شعر . والكركدن حيوان عظيم الخلقة يقال إنه يحمل الفيل على قرنه وضبطه في القاموس بتشديد الدال والعامة تشدد النون . والقريض الشعر . والرقى جمع رقية وهي التعويذة أو ما يعمله السحرة . أراد بالكركدن الأسود شبهه به لعظم جثته وقلة معناه . يقول : رب شعر مدحته به وذلك الشعر شعر من وجه ورقية من وجه لأني كنت أحتال به عليه لآخذ ماله .

فَمَا كانَ ذَلِكَ مَدْحاً لَهُ   وَلَكِنّهُ كانَ هَجْوَ الوَرَى[1]
وَقَدْ ضَلّ قَوْمٌ بأصْنَامِهِمْ   وَأمّا بِزِقّ رِيَاحٍ فَلا[2]
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ   رَأى غَيرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى[3]

★ ★ ★

نزل أبو الطيب في أرض حسمى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه وقال يهجو وردان :

لَئِنْ تَكُ طَيّءٌ كَانَتْ لِئَاماً   فألأمُهَا رَبيعَةُ أوْ بَنُوهُ[4]
وَإنْ تَكُ طَيّءٌ كانَتْ كِراماً   فَوَرْدانٌ لِغَيرِهِمِ أبُوهُ[5]
مَرَرْنَا مِنْهُ في حِسْمَى بعَبْدٍ   يَمُجّ اللّؤمَ مَنْخِرُهُ وَفُوهُ[6]
أشَذَّ بعِرْسِهِ عَنّي عَبيدي   فأتْلَفَهُمْ وَمَالي أتْلَفُوهُ[7]
فإنْ شَقِيَتْ بأيديهِمْ جِيادي   لَقد شَقِيَتْ بمُنصُلِيَ الوُجُوهُ[8]

★ ★ ★

(١) يقول : ما كان شعري مدحاً له وإنما هو على الحقيقة هجو للناس كلهم لأني وصفته بالسيادة والسلطة فجعلته مساوياً لملوكهم وهو ذم للمحكومين وصار السوقة بذلك دونه لأنهم أنزل مرتبة من الحكام وهو منتهى التحقير .

(٢) يقول : من الناس من ضل بالصنم فعبده لاعتقاده القدرة فيه ولكنا لم نر من ضل بزق ريح . يشبهه لانتفاخ خلقته بزق منفوخ ويقرع أهل مصر على طاعته والانقياد له .

(٣) يقول : من اغتر بنفسه ولم يعرف قدره خفيت عليه عيوبه فرأى الناس من عيوبه ما لا يراه .

(٤) ربيعة أبو وردان . ويروى إن تك على الخرم .

(٥) يقول : إن كانوا لئاماً فألأمهم أبوه أو بنو أبيه وأو هنا للجمع أو للإضراب وإن كانوا كراماً فأبوه ليس منهم أي هو دعي فيهم .

(٦) منه تجريد . وحسمى موضع ومر قريباً . ويمج أي يقذف يقال فلان يمج ريقه إذا كان يسيل لعابه لكبر أو بلاهة . يقول : مررنا منه بعبد قد امتلأ لؤماً حتى لو كان اللؤم مجسماً لسال من أنفه وفيه .

(٧) أشذ أي شرّد . وعرسه ، بالكسر ، امرأته . يقول : شرد عبيدي بسبب امرأته لأنه استغواهم بها فأتلفهم بتعريضه إياهم للقتل وهم أتلفوا مالي لأنهم أنفقوه عليها وعليه .

(٨) جيادي خيلي . والمنصل السيف . وقوله لقد شقيت أراد فلقد فحذف . يقول : إن كانت خيلي قد شقيت بأخذهم لها فقد شقي وجه الآخذ بسيفي يشير إلى العبد الذي ضربه بسيفه فأصاب وجهه .

خرج أبو الطيب من الكوفة إلى العراق فراسله ابن العميد أبو الفضل محمد ابن الحسين وزير ركن الدولة من أرجان فسار إليه وقال يمدحه(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَم تَصْبِرَا   وَبُكاكَ إن لم يَجْرِ دمعُكَ أَوْ جَرَى(١)

كَمْ غَرّ صَبْرُكَ وَابتسامُكَ صَاحِباً   لمّا رَآهُ وَفي الحَشَا مَا لا يُرَى(٢)

أَمَرَ الفُؤادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ   فَكَتَمْنَهُ وَكَفى بجِسْمِكَ مُخبرَا(٣)

تَعِسَ المَهَارِي غَيرَ مَهْرِيٍّ غَدَا   بمُصَوَّرٍ لَبِسَ الحَرِيرَ مُصَوَّرَا(٤)

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً في سِتْرِهِ   لَوْ كُنْتُهَا لخَفيتُ حتى يَظْهَرا(٥)

(*) قال ابن خلكان في ترجمته : هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد كان وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي والد عضد الدولة تولى وزارته سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة . وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم وأما الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد في زمانه وكان يسمى الجاحظ الثاني . قال الثعالبي في كتاب اليتيمة : كان يقال بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان سائساً مدبراً للملك قائماً بحقوقه وقصده جماعة من مشاهير الشعراء ومدحوه بأحسن المدائح ومنهم أبو الطيب المتنبي ورد عليه وهو بأرجان ومدحه بقصائد إحداها هذه التي مطلعها : باد هواك صبرت أم لم تصبرا ، وهي من القصائد المجوهرة . وقال ابن الهمذاني في كتاب عيون السير : أعطاه ثلاثة آلاف دينار .

(١) باد ظاهر . وقوله لم تصبرا أراد تصبرن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلها ألفاً . يخاطب نفسه يقول : هواك ظاهر للناس سواء صبرت عليه أم لم تصبر لأن ما يظهر عليك من النحول والاصفرار يدل على استبطانك العشق وبكاؤك غير خاف عليهم إن جرى دمعك أو لم يجر لأن من علم أنك عاشق علم أنك تبكي ولو حبست دمعك في الظاهر .

(٢) ويروى لما رآك . يقول : كم غر ابتسامك الناظر إليك فظن أنك لست بعاشق لأنه يرى ابتسامك الظاهر ولا يرى ما في باطنك من بوارح الوجد .

(٣) يقول : أمر القلب اللسان والجفون بكتم الهوى فكتمنه بأن أمسك اللسان عن الشكوى والجفون عن الدمع ولكن الجسم دل بنحوله على ما في القلب .

(٤) تعس عثر وكبا . والمهاري مخفف مهاريّ جمع مهري وهو البعير المنسوب إلى مهرة بن حيدان أبي قبيلة من العرب مشهورة بحسن القيام على الإبل . وغير استثناء . وغدا ذهب غدوة . يدعو بالعثار على الإبل التي رحلت بأحبته ويستثنى منها ركوبة الحبيب لئلا يسقط عنها إن عثرت . وجعله مصوراً يعني أنه لكمال حسنه كأنه قد صور تصويراً وهو قد لبس ثوباً من الحرير منقشاً بالصور .

(٥) نافسه في الشيء باراه وفاخره . يقول : فاخرت فيه الصورة التي على ستر هودجه لأنه أجمل منها . وقوله لو كنتها أي لو كنت أنا تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو والمراد بخفاء الصورة زوال الستر الذي هي عليه لأنها لا تخفى إلا بذلك ومتى زال ذلك الستر ظهر الحبيب المحتجب وراءه .

لا تَتْرَبِ الأَيْدي المُقيمَةُ فَوْقَهُ كِسْرَى مُقَامَ الحاجِبَينِ وَقَيصَرَا[١]

يِقِيَانِ في أَحَدِ الهَوَادِجِ مُقْلَةً رَحَلَتْ وَكانَ لها فُؤادي مَحْجِرَا[٢]

قد كُنتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ من قَبْلِهِ لَوْ كانَ يَنْفَعُ خائِفاً أَنْ يَحذَرَا[٣]

وَلَوِ استَطَعتُ إِذِ اغْتَدَتْ رُوّادُهم لَمَنَعْتُ كُلّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا[٤]

فإذا السّحابُ أخو غُرابِ فِراقِهِمْ جَعَلَ الصّياحَ بِبَيْنِهِمْ أن يَمطُرَا[٥]

وَإِذا الحَمَائِلُ ما يَخِدْنَ بنَفْنَفٍ إِلاّ شَقَقْنَ عَلَيهِ ثَوْباً أَخضَرَا[٦]

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرّوْضِ إلاّ أنّها أَسْبَى مَهَاةً للقُلُوبِ وَجُؤذُرَا[٧]

---

(١) تترب تفتقر . والحاجب البواب . يريد أن صورة هذين الحاكمين كانت على ذلك الستر وكأنهما قد أقيما مقام حاجبين يحجبان هذا الحبيب . يدعو للأيدي التي نسجت ذلك الستر وصورتهما عليه بأن لا تفتقر .

(٢) المحجر ما حول العين . يقول : هذان الحاجبان يصونان من الغبار وحر الشمس مقلة في أحد الهوادج يعني هودج الحبيب . وكنى عنه بالمقلة لعزته وجعل فؤاده محجراً لتلك المقلة يعني أنه كان نوراً لقلبه فهو منزل منه منزلة المقلة من المحجر فلما رحل أظلم قلبه وضاع رشده كالمحجر الذي ذهبت مقلته ففقد البصر .

(٣) بينهم بعدهم . ويروى لو كان ينفع حائناً أي هالكاً . يقول : كنت أحذر فراقهم قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع المحذور لأنه متى قدر وقع لا محالة .

(٤) اغتدت مثل غدت أي ذهبت غدوة . والرواد جمع رائد وهو الذي يرسل في طلب الكلإ ومواقع الغيث . يقول : لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحائب أن تمطر حتى لا يجدوا مكاناً يرحلون إليه .

(٥) إذا فجائية . يريد أن روادهم أصابوا مكاناً ممطوراً يرتحلون إليه فكان السحاب بذلك أخا الغراب أي مثله في التفريق بزعمهم إلا أنه جعل صياحه المطر يعني أن سقوط الغيث منه كان سبباً في ارتحالهم للنجعة كما أن صياح الغراب يكون سبباً في الفراق .

(٦) روى ابن جني الحمائل بالحاء المهملة جمع حمولة وهي الإبل يحمل عليها وروى غيره الجمائل بالجيم جمع جمالة جمع جمل . ويخدن من الوخد وهو ضرب من السير السريع . والنفنف المفازة والمهوى بين جبلين . يقول : كثر الخصب أمامهم فكانت ركابهم لا تقطع موضعاً إلا وقد كسته الخضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشق في الثوب .

(٧) الروض جمع روضة وهي الأرض فيها بقل وعشب .. والمهاة البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها . والجؤذر ولد المهاة . أي هذه الإبل تحمل هوادج ملونة مثل الروض التي تمشي فيها إلا أن مها هذه الهوادج وجآذرها يعني النساء التي فيها أسبى لقلوب الرجال من مها الرياض وجآذرها .

فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَاتي رَاحَتي ضَعْفاً وَأَنْكَر خَاتِمَايَ الخِنْصِرَا[1]
أعطَى الزّمانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وَأَرَادَ لي فأَرَدْتُ أنْ أتَخَيّرَا[2]
أرَجَانَ أيّتُهَا الجِيَادُ فإنّهُ عَزْمي الذي يَذَرُ الوَشيجَ مُكَسَّرَا[3]
لوْ كُنتُ أفعَلُ ما اشتَهَيتِ فَعَالَهُ ماشَقّ كَوْكَبُكِ العَجاجَ الأكدَرَا[4]
أُمّي أبَا الفَضْلِ المُبِرَّ ألِيّتي لأُيَمّمَنّ أجَلّ بَحْرٍ جَوْهَرَا[5]
أفْتَى برُؤيَتِهِ الأنَامُ وَحَاشَ لي مِنْ أن أكونَ مُقصّراً أوْ مُقصِرَا[6]
صُغْتُ السّوَارَ لأيّ كَفٍّ بَشّرَتْ بابنِ العَميدِ وَأيّ عَبْدٍ كَبّرَا[7]
إنْ لمْ تُغِثْني خَيْلُهُ وَسِلاحُهُ فمَتى أقُودُ إلى الأعادي عَسكَرَا[8]

---

(١) أنكره بمعنى ضد عرفه . والقناة عود الرمح . أي بنظري إلى هذه الهوادج يوم الرحيل سقمت وجداً حتى أنكرت القناة راحتي لضعفها عن حملها وأنكر خاتمي خنصري لأنه صار يقلق فيه من الهزال .

(٢) يقول : جاد الزمان لي بعطاء فلم أقبل عطاءه يعني ما يرد منه عفواً على غير سعي ولا جد لأني لا أقبل شيئاً لا أحصله بجدى أو لأن عطاء الزمان لا يتجاوز قدر المعاش كما قال وفي الناس من يرضى بميسور عيشه وأنا أطلب ما هو فوق ذلك من الرتب والمعالي ولكني لما رأيته يريد لي الجميل بما رزقني من الحظوة عند ذويه أردت أن أتخير الوجه الذي أقصده في تحصيل ذلك الجميل وهو تمهيد للتخلص .

(٣) أرجان بلد بفارس وهي بتشديد الراء فخففها ضرورة ونصبها على الإغراء أي اقصدي أرجان . والجياد الخيل . ويذر يترك . والوشيج شجر الرماح . يقول لخيله : اقصدي أرجان ولا تخشى أن يصدني عنها شيء فإن عزمي يكسر الرماح بقوته أي لا تعوقه الرماح عن هذه العزيمة وهي الوجه الذي تخيره على ما أشار إليه في البيت السابق .

(٤) كوكب الشيء معظمه ومجتمعه . والعجاج الغبار . يريد بما تشتهيه الخيل الراحة والقعود عن السفر أي لو كان يفعل ذلك لم يحملها على شق الغبار بركضها .

(٥) أمه ويممه قصده . والألية اليمين . وبر في قوله ويمينه صدق وقد أبر يمينه ، يقول لخيله اقصدي هذا الممدوح المبر لقسمي إذ أقسمت أني أقصد البحر الذي هو أجل البحار جوهراً فإنه هو ذلك البحر .

(٦) الأنام الخلق . ويقال حاشى لك من كذا وحاش لك وهي هنا اسم بمعنى التنزيه كما تقول تنزيهاً لك . وقصر عن الأمر إذا تركه عجزاً وأقصر عنه إذا تركه اختياراً . يقول : أفتاني الناس كلهم في إبرار هذه اليمين بقصده ورؤيته وحاش لي أن أترك إبرارها عجزاً أو اختياراً لأني لا أعجز عن قصده ولا أتركه مع القدرة عليه خوف الحنث .

(٧) قال الله أكبر . يقول : أي كف أشارت إلى ابن العميد وبشرتني به زينتها بالسوار سروراً ببلوغي إليه وكذلك كل عبد من عبيدي كبر عند رؤية داره أو بلده .

(٨) الإغاثة الإعانة . يشير إلى أن همه في الخيل والسلاح طلباً للسيادة والفوز وليس ممن يسعى في طلب الصلات المالية .

بأبي وَأُمّي نَاطِقٌ في لَفْظِهِ ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ القُلُوبُ وتُشترَى [1]
مَنْ لا تُرِيهِ الحَرْبُ خَلقاً مُقْبلاً فيها وَلا خَلْقٌ يَرَاهُ مُدْبِرَا [2]
خَنْثى الفُحُولَ من الكُماةِ بصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الحديِدِ مُعَصْفَرَا [3]
يَتَكَسّبُ القَصَبُ الضّعيفُ بكَفّهِ شَرَفاً على صُمّ الرّمَاحِ وَمَفْخَرَا [4]
وَيَبِينُ فِيمَا مَسّ مِنْهُ بَنَانُهُ تِيهُ المُدِلّ فَلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَرَا [5]
يَا مَنْ إذا وَرَدَ البِلادَ كِتابُهُ قبلَ الجُيُوشِ ثَنى الجُيوشَ تَحَيُّرَا [6]
أنتَ الوَحيدُ إذا رَكِبْتَ طَرِيقَةً وَمَنِ الرّديفُ وقد ركبتَ غضَنْفَرَا [7]
قَطَفَ الرّجالُ القَوْلَ وَقتَ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتَ أنْتَ القَوْلَ لمّا نَوّرَا [8]
فَهْوَ المُشَيَّعُ بالمَسامِعِ إنْ مضَى وَهوَ المُضَاعَفُ حُسنُهُ إنْ كُرّرَا [9]

---

(١) بأبي تفدية . يريد أنه يملك القلوب بفصاحته وعذوبة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب . وقوله تباع وتشتري أي يبيعها الناس بذلك الثمن وهو يشتريها .

(٢) أي لا يقبل عليه أحد في الحرب تهيباً له ولا يراه أحد مدبراً لأنه لا يهزم .

(٣) خنثى الفحول أي صيرهم خناثي وهو فعلل من الخنثى على توهم أصالة الزائد كما قالوا تسلطن . والكماة جمع كمي وهو المغطى بالسلاح . والمعصفر المصبوغ بالعصفر . يقول : صبغ دروع الأبطال بالدم فأشبهت الثياب المعصفرة التي هي لباس النساء فكأنه ألقى على فحولتهم نوعاً من التأنيث فصيرهم خناثي .

(٤) أي أن الأقلام تتشرف بكفه عند الكتابة فتفتخر على الرماح .

(٥) البنان أطراف الأصابع . والتيه الكبر . والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها في نفسه . والتبختر مشية المختال . أي أن القلم الذي يمسه يظهر فيه التيه افتخاراً بمسه إياه فلو مشى ذلك القلم لتبختر عجباً واختيالاً . ومعنى ظهور التيه في القلم أن الناظر يتخيل ذلك فيه لشرف بنان الممدوح .

(٦) ثنى رد . أي إذا ورد كتابه الأعداء ينذرهم الحرب فعل كتابه فعل الجيش فردهم متحيرين من الخوف لبلاغة كلامه وشدة وعيده .

(٧) الرديف الراكب خلف الراكب . والغضنفر الأسد . ويروى ارتكبت طريقة . يقول : أنت منفرد فى كل طريقة تأتيها لا يقدر أحد أن يقتدي بك في طريقتك لصعوبتها وامتناعها كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفاً له .

(٨) يقول : أقوال الناس ناقصة المحاسن غير تامة الفائدة فهي كالنبت إذا قطف حين ينبت وقولك متناه في الكمال والحسن كالنبت إذا أزهر وبلغ إناه . ويروى قبل نباته وليس بشيء .

(٩) المشيع من تشييع الراحل وهو الخروج معه عند الوداع . ويروي المتبع . يقول : إذا مضى كلامك عن منطقك شيعته مسامع الناس أي صاحبته في مسيره بالإقبال عليه والإصغاء إليه وإذا كرر تضاعف حسنه ولم يمل يعني أنه كلما أعيد تنبه السامع إلى محاسن جديدة فيه تتضاعف بها محاسنه الأولى .

وَإذا سَكَتَّ فإنّ أبْلَغَ خَاطِبٍ ... قَلَمٌ لكَ اتّخَذَ الأنامِلَ مِنْبَرَا[1]
وَرَسائِلٌ قَطَعَ العُداةُ سِحاءَهَا ... فَرَأوْا قَناً وَأسِنّةً وَسَنَوّرَا[2]
فدَعاكَ حُسّدُكَ الرّئيسَ وَأمسكُوا ... وَدَعاكَ خالِقُكَ الرّئيسَ الأكْبَرَا
خَلَفَتْ صِفاتُكَ في العُيونِ كلامَهُ ... كالخَطّ يَمْلأُ مِسْمَعَيْ مَن أبصَرَا[3]
أرَأيْتَ هِمّةَ نَاقَتي في نَاقَةٍ ... نَقَلَتْ يداً سُرُحاً وَخُفّاً مُجمَرَا[4]
تَرَكَتْ دُخانَ الرِّمْثِ في أوْطانِهَا ... طَلَباً لِقَوْمٍ يُوقِدونَ العَنْبَرَا[5]
وَتَكَرّمَتْ رُكَبَاتُهَا عَن مَبرَكٍ ... تَقَعَانِ فيهِ وَلَيسَ مِسكاً أذْفَرَا[6]
فأتَتْكَ دامِيَةَ الأظَلّ كأنّمَا ... حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا العَقيقَ الأحْمَرَا[7]
بَدَرَتْ إلَيْكَ يَدَ الزّمانِ كَأنّهَا ... وَجَدَتْهُ مَشغُولَ اليَدَينِ مفكّرَا[8]

---

(١) الأنامل أطراف الأصابع واحدتها أنملة . ويروى اتخذ الأصابع . يقول : إذا سكت ناب عنك قلمك فكان أبلغ خاطب منبره الأنامل .

(٢) رسائل عطف على قلم . والسحاء ما تشد به الرسالة من أدم . والقنا عيدان الرماح . والأسنة نصال الرماح . والسنور الدروع . يقول : إذا بلغت رسائلك الأعداء فقطعوا سحاءها قتلتهم خوفاً بما فيها من شدة الإرهاب والوعيد حتى كأنها جيش يرون فيه الرماح والدروع وهو كالتفسير لقوله ثنى الجيوش تحيراً قبيل هذا .

(٣) المسمع ، بالكسر ، الأذن . يقول : إن ما يراه الناس فيك من الصفات الشريفة التي خصك الله بها تؤذن بأن الله قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظاً فكانت هذه الصفات الظاهرة فيك كالخلف لكلامه يفهم منها ما يفهم منه . ثم مثلها بالخط فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيده بسماع الآذان فكأنه لفظ مسموع .

(٤) سرحاً ، بضمتين ، سهلة السير والجملة نعت ناقة . والمجمر ، بالفتح ويكسر ، الصلب ، وبالكسر المسرع . يذكر علو همة ناقته وأنها لا توجد في غيرها من النياق السريعة وأشار بذلك إلى صبره وعلو همته في الأسفار حتى حمل ناقته في السير ما لا يطيق أمثالها .

(٥) الرمث شجر يشبه الغضا . يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأتت قوماً يوقدون العنبر يعني قوم الممدوح .

(٦) تكرمت تنزهت . وقوله تقعان أراد بالركبات الركبتين فرد الضمير على المعنى . والأذفر الذكي الرائحة . يقول : إن ناقته تنزهت بقصده عن أن تبرك إلا على المسك يريد أن المسك لا قيمة له عند الممدوح فهو ملقى على الأرض حتى تبرك ناقته عليه .

(٧) الأظل باطن خف البعير . وحذيت أي ألبست حذاء وهو النعل . يقول : جاءتك وقد دميت أخفافها لطول السير ووعورة الطريق حتى كأنها انتعلت العقيق الأحمر .

(٨) بدرت سبقت . يقول : أسرعت إليك مخافة أن تصدها يد الزمان عن قصدك فكأنها وجدت الزمان مشغولاً عنها فسبقت قبل أن تمتد يده إليها بعائق .

مَنْ مُبلِغُ الأعرابِ أنّي بَعْدَها جالَستُ رِسطالِيسَ وَالإِسكَندَرا[1]

وَمَلِلْتُ نَحْرَ عِشارِهَا فأضَافَني مَنْ يَنحَرُ البِدَرَ النُّضَارَ لمن قرَى[2]

وَسَمِعْتُ بَطليموسَ دارِسَ كُتبِهِ مُتَمَلِّكـاً مُتَبَدِّيـاً مُتَـحَضِّرَا[3]

وَلَقِيتُ كُلَّ الفَاضِلينَ كأنَّمَا رَدَّ الإِلَـهُ نُفوسَهُـمْ وَالأعْصُرَا[4]

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الحِسابِ مُقَدَّماً وَأتَى فذلِكَ إذْ أتَيْتَ مُؤخَّرَا[5]

يَا لَيْتَ باكِيةً شَجَانِي دَمْعُهَا نَظَرَتْ إلَيكَ كَما نَظَرْتُ فتَعذِرَا[6]

وَتَرَى الفَضيلَةَ لا تَرُدّ فَضِيلَةً ألشّمسَ تُشرِقُ وَالسحابَ كَنَهْوَرَا[7]

---

(١) رسطاليس هو المشهور بأرسطوطاليس والعرب تتصرف في أسماء الأعجام . ويروى شاهدت رسطاليس . يقول : من يبلغ الأعراب أني بعدما فارقتهم لقيت أرسطاليس الحكيم المشهور . والإسكندر الذي ملك الشرق والغرب يعني أن ابن العميد قد جمع بين حكمة هذا الفيلسوف وسعة مملكة الإسكندر .

(٢) العشار هنا النياق الوالدات جمع عشراء ، بضم ففتح . والبدر جمع بدرة ، بالفتح ، وهي كيس فيه سبعة آلاف دينار . والنضار الذهب وهو بيان للبدر . وقرى أضاف . يقول : مللت في صحبة الأعراب نحر الإبل وأكل لحومها فأضافني من يجعل قراه بدر الذهب . وأطلق النحر على البدر لمشاكلة نحر الإبل يريد فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب .

(٣) بطليموس هو الفلكي المشهور صاحب المجسطي . يشبه ابن العميد ببطليموس في علمه وحكمته يقول : سمعت هذا الحكيم يدرس كتب نفسه أي يتكلم بالعلوم التي فيها وهو قد جمع بين أبهة الملك وفصاحة البدو وظرافة الحضر .

(٤) يقول : لقيت بلقائه كل فاضل من الأولين لأنه قد جمع فضلهم فكأني معاصر لهم وكأن الله قد أحياهم وردّ عصورهم .

(٥) نسقوا أي سردوا . وفذلك فاعل أتى وهي حكاية قول الحاسب إذا أجمل حسابه فذلك كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفاضلين قد تتابعوا واحداً بعد آخر متقدمين عليك في الزمان فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت منهم بمنزلة إجمال الحساب الذي تذكر تفاصيله أولاً ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب في آخرها فذلك كذا وكذا .

(٦) شجاني أحزنني . يقول ليت الباكية التي بكت على فراقي فأحزنني بكاؤها رأتك كما رأيتك فتعذرني على فراقها وركوب الأخطار في سفري إليك .

(٧) ضمير ترى للباكية . والكنهور المتراكم . أي ترى الفضيلة عندك لا ترد فضيلة غيرها إذا وقع بينهما تناف ثم فسر هاتين الفضيلتين في الشطر الثاني وأراد بالشمس وجه الممدوح وبالسحاب يديه أي أن شمس وجهه تتهلل بالبشر وسحاب يديه يتدفق بالعطاء في حال واحد مع أن السحاب والشمس لا يجتمعان كذلك لأن السحاب يستر الشمس . يريد شدة ارتياحه للجود فيعطي وهو مشرق الوجه سروراً بالعطاء .

أَنا من جَميعِ النّاسِ أطيَبُ مَنزلاً وَأسَرُّ رَاحِلَةً وَأرْبَحُ مَتْجَرَا [1]
زُحَلٌ على أنّ الكَوَاكبَ قَوْمُهُ لَوْ كانَ منكَ لكانَ أكْرَمَ مَعْشَرَا [2]

★ ★ ★

.. في عيد النيروز .. هنأ المتنبي ابن العميد بقصيدة يقول من مطلعها :

جَاءَ نَيرُوزُنَا وَأنتَ مُرَادُهْ وَوَرَتْ بالذي أرَادَ زِنَادُهْ [3]
هَذِهِ النّظْرَةُ التي نَالَهَا مِنْـ ـكَ إلى مِثْلِها من الحَوْلِ زَادُهْ [4]

.. ويتحدث المتنبي طويلاً عن هذا العيد .. وعن فضائل ابن العميد وقدراته الأدبية ومهارته في نقد الشعر ثم يقول عن مكارم هذه المعاني المبتكرة التي نغنينا عما عداها من أبيات من هذه القصيدة .

ظالِمُ الجُودِ كُلّما حَلّ رَكبٌ سِيمَ أنْ تحمِلَ البِحارَ مَزادُهْ [5]
غَمَرَتْني فَوَائِدٌ شَاءَ فيها أنْ يكونَ الكلامُ مِمّا أفَادُهْ [6]

---

(١) يقول : طاب منزلي عندك وسرتني راحلتي حين بلغتني إليك وربحت تجارتي في قصدك لأنك اشتريت شعري بأوفر الأثمان فقد بلغت في ذلك كله مالم يبلغه أحد من الناس .

(٢) جعل الكواكب كالقوم لزحل لأنه يسمى شيخ النجوم يقول : لو كان زحل من قومك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن يعني أن رهط الممدوح أشرف من النجوم .

(٣) النيروز من أعياد الفرس معرب نوروز فردته العرب إلى فيعول حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما وهو أول يوم من السنة عند حلول الشمس في أول الحمل . والزناد جمع زند وهو الحجر يقتدح به وورى الزند إذا أخرج ناراً . ويقال ورى بك زندي وهو كناية عن الظفر بالشيء . يقول أنت مراد النيروز أي أنت المقصود عند هذا اليوم بمجيئه تيمناً بطلعتك وقد ظفر بما أراد حين ورد عليك وسر بلقائك .

(٤) الحول السنة . يقول : هذه النظرة التي نالها منك اليوم يتزودها إلى أوان مثلها من الحول القابل لأنه لا يزورك إلا مرة في السنة .

(٥) ظالم الجود من إضافة الوصف إلى صانعه . والركب جماعة الراكبين . وسيم كلف . والمزاد جمع مزادة وهي القربة . يقول : جوده يظلم الناس لأنه كلما نزل به ركب كلفهم من حمل عطاياه ما لا يطيقون كمن يكلف حمل البحر في المزاد .

(٦) يشير إلى ما انتقده عليه في شعره وكان ابن العميد قد أبدى بعض الملاحظات على أبيات من قصيدته الرائية يريد أنه أرشده بذلك إلى صواب القول فكان الكلام من جملة الفوائد التي نالها عنده .

مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ العَطَايَا ... فاشتَهَى أَنْ يكونَ فيها فُؤادُهُ[1]

★ ★ ★

.. إن الكريم يُزار .. هذا هو لسان حال المتنبي وقد ورد عليه كتاب من عضد الدولة يسأله المسير إليه فلم يجد بداً من هذه الزيارة فقال عند مسيره مودعاً ابن العميد .. وكان ذلك عام ٣٥٤هـ[*] .

نَسيتُ وَما أنسَى عِتاباً على الصَّدِّ ... وَلا خَفَراً زَادَتْ بِهِ حُمَرةُ الخَدِّ[2]

وَلا لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقَصِيرَةٍ ... أطالَتْ يدي في جيدها صُحبةَ العِقدِ[3]

وَمَنْ لي بيَوْمٍ مثلِ يَوْمٍ كَرِهتُهُ ... قَرُبْتُ بهِ عندَ الوَداعِ من البُعْدِ[4]

---

(١) من نكرة بمعنى أحد . وفيها أي في جملتها . يقول : لم نسمع قبله بأحد أحب الإعطاء فتمنى أن يكون قلبه في جملة عطاياه . يريد أن ما أفاده من العلم صادر من قلبه فكأنه قد أعطاه قلبه والقلب هنا بمعنى العقل .

(★)عضد الدولة هو أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع بويه الديلمي من أعقاب سابور ذي الأكتاف ونسبهم معروف في ملوك بني ساسان . وأول من تملك من آل بويه عماد الدولة عم عضد الدولة وهو أحد ثلاثة إخوة ملكوا كلهم وكان أبوهم صياداً ليست له معيشة إلا من صيد السمك . قال ابن خلكان في ترجمة عضد الدولة : لما مرض عمه عماد الدولة بفارس أتاه أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم فارس إلى أبي شجاع فناخسرو بن ركن الدولة فتسلمها بعد عمه سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة وتلقب بعضد الدولة . وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة وكان أديباً شاعراً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون وقصده فحول الشعراء في عصره ومدحوه بأحسن المدائح . قال وكتب إليه أبو منصور افتكين التركي متولي دمشق كتاباً مضمونه أن الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وإن قويتني بالمال والعدد حاربت القوم في مستقرهم . فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات وهي متشابهة في الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط وهي : غرك عزك فصار قصار ذلك ذلّك فاخش فاحش فعلك فعلّك بهذا تهدأ . وكانت وفاة عضد الدولة سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة » .

(٢) الخفر شدة الحياء . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود وما غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه ، يريد إن نسيت كل شيء لم أنس ذلك .

(٣) القصيرة المرأة المحبوسة في البيت . والجيد العنق . أي لا أنسى ليلة قصرت عليّ بطيب مجالستي لهذه القصيرة وقد طال مكث يدي في جيدها مصاحبة لعقدها .

(٤) من لي بكذا تمن أي من يكفل لي به ونحوه . يتمنى أن يكون له يوم آخر مثل يوم الوداع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته وإن كره ذلك اليوم لأنه قرب فيه من فراقهم .

وَألاّ يَخُصّ الفَقْدُ شَيْئاً لأنّني فقَدْتُ فلم أفقِدْ دموعيَ وَلا وَجدي[1]

تَمَنٍّ يَلَذّ المُسْتَهَامُ بِذِكْرِهِ وَإنْ كانَ لا يُغني فَتيلاً وَلا يُجدي[2]

وَغَيظٌ على الأيّامِ كالنّارِ في الحَشَا وَلَكِنّهُ غَيظُ الأسيرِ على القِدّ[3]

فإمّا تَرَيْني لا أُقِيمُ بِبَلْدَةٍ فآفَةُ غِمدي في دُلوقي وَفي حَدّي[4]

يَحِلّ القَنَا يَوْمَ الطِّعَانِ بعَقْوَتي فأحرِمُهُ عِرْضِي وَأُطْعِمُهُ جلدي[5]

تُبَدِّلُ أيّامي وَعَيْشِي وَمَنْزِلي نَجائِبُ لا يَفكُرْنَ في النحس وَالسّعدِ[6]

وَأوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثّمُوا عَلَيْهِنّ لا خَوْفاً منَ الحَرّ والبرْدِ[7]

وَلَيسَ حَيَاءُ الوَجْهِ في الذّئبِ شيمَةً وَلَكِنّهُ مِنْ شيمَةِ الأسَدِ الوَرْدِ[8]

---

(١) أي ومن لي بأن لا يكون الفقد في ذلك اليوم خاصاً لشيء دون آخر فإني فقدت فيه أحبتي ولم أفقد بكائي ولا وجدي . يتمنى عموم الفقد حتى يفقد البكاء والوجد أيضاً .

(٢) المستهام الذي شرده الحب . ويغني أي ينفع . والفتيل ما يكون في شق النواة وقيل هو ما تفتله بين إصبعيك من الوسخ أي لا يغني غناء حقيراً مثل الفتيل . ويجدي بمعنى يغني . ويروى بمثله بدل بذكره . يقول : ما ذكرته تمن لا حقيقة له ولكن العاشق يلذ بمثل ذلك إذا ذكره وإن كان لا يفيده شيئاً في بلوغ متمناه .

(٣) القد السير من الجلد . يقول : ولي غيظ على الأيام يلتهب في الحشا التهاب النار ولكنه غيظ على من لا يكترث له فهو كغيظ الأسير على القد الذي يوثق به .

(٤) دلق السيف دلوقاً خرج من غمده من غير أن يسل . يعتذر إلى الحبيبة من فراقه لها يقول : إن رأيتني لا أقيم ببلدة فإن ذلك لمضاء همتي كالسيف الحاد كلما جعل في غمد شقه واندلق منه فلا يستقر في غمد .

(٥) العقوة الساحة . والعرض موضع المدح والذم من الإنسان . يقول : إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدي ولم أطعمها عرضي يريد أنه يختار وقوع الرماح في جلده على أن ينهزم فيعاب عرضه بالهزيمة .

(٦) النجائب النياق الكريمة . أي هذه النجائب يسرن بي مصممات لا يلتفتن إلى نحس ولا سعد فتتبدل عليّ بسيرهن الأيام والمعايش والديار كما هو شأن المسافر .

(٧) أراد بالفتيان الغلمان الذين معه أي أنا أبداً مسافر على هذه النجائب في هؤلاء الفتيان ووصفهم بالحياء لأنه يدل على الكرم يريد أنهم معتادون الأسفار لا يبالون بالحر والبرد ولكنهم تلثموا على وجوههم من الحياء .

(٨) الشيمة الخلق . والورد الذي في لونه حمرة . يقول : ليس الحياء فيهم شيئاً يعابون به لأن الحياء من أخلاق الأسود وليس من أخلاق الذئاب . قال الواحدي : وذلك أن في طبع الأسد كرماً وحياء فيقال إن من واجهه وأحد النظر في وجهه استحيا منه الأسد ولم يفترسه .

إذا لم تُجزْهُـــــمْ دارَ قَوْمٍ مَوَدّةٌ أجازَ القَنا والخَوْفُ خيرٌ من الوُدّ(١)

.. وبعد أن يخص ابن العميد بكثير من الفضائل التي تشتمل على عمق الثقافة .. وحسن الأدب وغاية الكرم .. ومنتهى الأصالة .. والبلاغة يحمد الأيام التي أفضلت بالجمع بينهما .. وكيف هي عادت لطبعها في التفريق بين الأحبة إذ يقول في آخر أبيات هذه القصيدة :

تَفضَّلَتِ الأيّـامُ بالجَمْـعِ بَيْنَنَـا فلَمّا حَمِدْنَا لم تُدِمْنَا على الحَمدِ(٢)

جَعَلْـنَ وَداعِـي وَاحِـداً لثَلاثَـةٍ جَمَالِكَ وَالعِلْـمِ المُبرِّحِ وَالمَجْـدِ(٣)

وَقد كنتُ أدركْتُ المُنى غَيرَ أنّني يُعَيّـرُني أهْلي بإدراكِهَـا وَحْـدِي(٤)

وكُلُّ شَرِيكٍ في السّرُورِ بمُصْبَحي أرَى بعدَهُ مَن لا يَرَى مثلَهُ بَعدي(٥)

فَجُدْ لي بقَلْبٍ إنْ رَحَلْتُ فإنّنـي مُخَلِّفُ قَلبي عِندَ من فَضْلُه عنـدِي

وَلَـوْ فَارَقَتْ نَفْسِي إلَيكَ حَيَاتَهـا لَقُلْتُ أصَابَتْ غَيرَ مَذمومةِ العهدِ(٦)

★ ★ ★

(١) أي هم مع حيائهم أشداء شجعان فإذا مروا بدار قوم ولم يكن بينهم وبين سكانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماحهم قهراً . وقوله والخوف خير من الود أي من خافك كان أطوع لك ممن ودك لأنه بالخوف يطيعك جبراً وبالود إن شاء أطاع وإن شاء امتنع .

(٢) أي حمدناها على الجمع بيننا فلم تدمنا على ذلك الحمد لأنها عادت إلى تفريقنا .

(٣) المبرح كأنه من قولهم برح الخفاء أي انكشف يريد الكاشف عن الحقائق . قال الواحدي : ولم يصف أحد العلم بالتبريح غير أبي الطيب . أي جعلت الأيام وداعي لك وداعاً لثلاثة فيك كل واحد منها يعز علي فراقه وهي هذه المذكورات .

(٤) المنى جمع منية وهي الشيء الذي تتمناه . يقول : أدركت من السعادة عندك ما كنت أتمناه ولكن لما انفردت به دون أهلي ولم أرجع إليهم عيروني بذلك لإيثاري نفسي عليهم .

(٥) مصبحي مصدر أصبح يقول : إذا عدت إلى أهلي فسررت بإصباحي عندهم فكل من شاركني في هذا السرور أرى منك اليوم بعد مفارقتي إياه رجلاً لا يرى هو مثله لأنه لا نظير لك في الدنيا . والمعنى أنه مع سروره بالعود إلى أهله وسرورهم به فإنه لا يزال منغصاً لفراق ابن العميد لأنه إذا عاد إليهم لا يرى عندهم رجلاً آخر مثله .

(٦) يقول : لو أن نفسي فارقت حياتها إليك واختارت البقاء عندك على الحياة معي لم أخطئها فيما صنعت ولم أنسبها إلى سوء العهد لأنك أبر بها مني .

.. يصل المتنبي إلى بلاد الفرس .. ويلتقي بعضد الدولة في شيراز إحدى كبريات المدن الشهيرة فيمدحه بقصيدة مطولة نكتفي بأبياتها الأولى والتي يقول فيها :

أَوْهِ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالبَدِيلُ ذِكْراهَا[1]

أَوْهِ لِمَنْ لا أَرَى مَحَاسِنَها وَأَصْلُ وَاهاً وَأَوْهِ مَرْآهَا[2]

شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَاظِرِي مُحَيَّاهَا[3]

فَقَبَّلَتْ نَاظِرِي تُغَالِطُنِي وَإِنَّمَا قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا[4]

فَلَيْتَهَا لا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لا يَزَالُ مَأْوَاهَا[5]

كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَلامَتُهُ إِلاّ فُؤَاداً رَمَتْهُ عَيْنَاهَا[6]

تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلَّمَا ابتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا[7]

مَا نَفَضَتْ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا جَعَلْتُهُ فِي المُدَامِ أَفْوَاهَا[8]

فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنَ أَشْبَاهَا[9]

---

(١) أوه كلمة توجع . وواهاً كلمة تعجب واستطابة . ونأت بعدت . يريد أنه كان يستطيب قرب الحبيبة فلما فارقته توجع لفراقها فصار التأوه بديلاً من الاستطابة كما صار ذكرها عنده بديلاً من شخصها .

(٢) يقول : أتوجع لفقدي رؤية محاسنها ولو لم أرها لم أستطب قربها ولم أتوجع لفراقها فقد كان مرآها أصلاً لكلا هذين .

(٣) تبصر حال . والناظر العين أو إنسانها . ومحياها وجهها .. يعني شدة قربها منه بحيث ترى وجهها في إنسان عينه .

(٤) يقول : قبلت ناظري تريد أن توهمني أنها قبلتني وهي إنما كانت تقبل فاها الذي تراه في ناظري لوقوع شفتيها عليه .

(٥) يريد أنها لما كانت مصورة في ناظره صارت كأنها حالة فيه فيتمنى أن لا تزال آوية إليه ولا يزال هو مأوى لها كناية عن دوام قربها .

(٦) ويروى إلا جريحاً . وروى الواحدي دهته .

(٧) جمع ثنية وهي السن في مقدمة الفم . أي كلما ابتسمت فلمعت ثناياها كالبرق بكيت فجري دمعي كالمطر فكان هذا المطر عن ذلك البرق .

(٨) الغدائر جمع غديرة وهي الضفيرة من الشعر . والمدام الخمر . والأفواه أخلاط الطيب واحدها فوه ، بالضم . يريد أنها لكثرة ما تضمخ غدائرها بالطيب صار ينتفض الطيب منها فإذا مس غدائرها جعل ما تنفضه في يده طيباً في الخمر .

(٩) الحجال الستور . أي هي في بلد فيه حسان مخدرات لكنهن لا يشبهنها في الجمال .

لَقِينَنَا وَالحُمُولُ سَائِرَةٌ ... وَهُنّ دُرٌّ فَذُبْنَ أمْوَاهَا[1]
كُلُّ مَهَاةٍ كأنّ مُقْلَتَهَا ... تَقُولُ إيّاكُمُ وَإيّاهَا[2]
فيهِنّ مَنْ تَقْطُرُ السّيُوفُ دَماً ... إذا لِسَانُ المُحِبّ سَمّاهَا[3]

★ ★ ★

.. في بلاد فارس .. وفي رحاب عضد الدولة يشهد المتنبي صنوفاً من الحسن وجمال الطبيعة الذي يخلب اللب .. وفي قصيدة له يمدح بها عضد الدولة يصف تلك المغاني فيقول في مستهلها :

مَغَاني الشِّعْبِ طِيباً في المَغَاني ... بمَنْزِلَةِ الرّبيعِ منَ الزّمَانَ[4]
وَلَكِنّ الفَتى العَرَبيّ فِيهَا ... غَرِيبُ الوَجْهِ وَاليَدِ وَاللّسَانِ[5]
مَلاعِبُ جِنّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا ... سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بتَرْجُمَانِ[6]
طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالخَيلَ حتى ... خَشِيتُ وَإنْ كَرُمْنَ من الحِرَانِ[7]

---

(١) الحمول الإبل عليها الهوادج . وأمواهاً حال . يقول : هؤلاء الحسان لقيننا وقد سارت الإبل بهن وهن كالدر حسناً ونقاء فبكين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعاً .

(٢) المهاة بقرة الوحش تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينيها . وإياكم تحذير . أي هي تصيد ولا تصاد فكأن عينها تقول للناظرين إياكم أن تؤخذوا بحبائل فتنتها .

(٣) أي فيهن من هي منيعة لا يجسر العاشق أن يذكرها لكثرة من يغار عليها ويمنعها بسيفه ولو ذكرها لا نتشبت الحرب بين قومها وقومه وجرت الدماء .

(٤) المغاني المنازل . والشعب المنفرج بين جبلين والمراد هنا شعب بوان وهو موضع عند شيراز كثير الشجر والمياه يعد من جنان الدنيا . قال أبو بكر الخوارزمي متنزهات الدنيا أربعة مواضع غوطة دمشق ونهر الأبلة وشعب بوان وصغد سمرقند . يقول : منازل هذا المكان بين منازل الدنيا بمنزلة الربيع بين فصول السنة يعني أنها تفضل سائر الأمكنة طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمنة .

(٥) يريد بالفتى العربي نفسه يقول : أنا غريب الوجه في عيون أهلها لأنه لا يعرفني أحد هناك غريب اليد أي لا ملك لي في هذه الأماكن فيدي أجنبية فيها غريب اللسان لأن لغتي العربية وهم أعاجم .

(٦) الجنة الجن . قال الواحدي : جعل الشعب لطيبه وطرب أهله ملاعب وجعل أهله جنة لشجاعتهم في الحرب وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاهم لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات .

(٧) طباه يطبوه ويطبيه دعاه . والحران في الدابة أن تقف مكانها فلا تبرح . يقول : هذه المغاني استمالت قلوبنا وقلوب خيلنا حتى خشيت أن تحرن بنا الخيل ولا تطاوعنا على السير وإن كانت كريمة لا عادة لها بمثل هذا .

غَدَوْنَا تَنْفُضُ الأغْصَانُ فيهَا ... على أعْرافِهَا مِثْلَ الجُمَانِ[١]

فسِرْتُ وقَدْ حَجَبْنَ الحَرّ عني ... وَجِئْنَ منَ الضّيَاءِ بمَا كَفَاني[٢]

وَألْقَى الشّرْقُ مِنْهَا في ثِيَابي ... دَنَانيراً تَفِرّ مِنَ البَنَانِ[٣]

لهَا ثَمَرٌ تُشِيرُ إلَيْكَ مِنْهُ ... بأشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بلا أوَانِ[٤]

وَأمْوَاهٌ تَصِلّ بهَا حَصَاهَا ... صَليلَ الحَلْيِ في أيدي الغَواني[٥]

وَلَوْ كانَتْ دِمَشْقَ ثَنى عِنَاني ... لَبِيقُ الثّرْدِ صِينيُّ الجِفَانِ[٦]

يَلَنْجُوجيٌّ ما رُفِعَتْ لضَيْفٍ ... بِهِ النّيرانُ نَدّيُّ الدّخَانِ[٧]

تَحِلّ بهِ عَلى قَلْبٍ شُجاعٍ ... وَتَرْحَلُ منهُ عَن قَلبٍ جَبَانِ[٨]

---

(١) غدونا سرنا غدوة . وأعرافها جمع عرف وهو شعر عنق الفرس . والجمان حب من الفضة يشبه اللآلىء . يقول : سرنا بين أشجارها صباحاً وقد تساقط الندى من أغصانها فانتفض على أعراف الخيل كأنه حب الجمان .

(٢) ويروى حجبن الشمس والضمير للأغصان . يريد أنه كان يسير في ظل الأغصان فتحجب عنه حر الشمس ولا تحجب ضوءها .

(٣) البنان أطراف الأصابع . يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديراً . يقول : لما طلعت الشمس ألقى إلى الشرق بطلوعها دنانير لا تمسك باليد . قيل لما أنشد هذا البيت قال له عضد الدولة والله لألقين فيها دنانير لا تفر .

(٤) جمع آنية جمع إناء . يريد أن ثمرها لرقة قشره يرى ماؤه من وراء القشر كأنه شراب قائم بنفسه من غير إناء يمسكه .

(٥) تصل تصوت . والغواني النساء الحسان . يشبه المياه في اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان وما يصل فيها من الحصى بالحلي الذي يلبس في المعاصم .

(٦) العنان سير اللجام ويقال ثنى عنانه إذا رده عن عزمه . واللبيق الحاذق الرفيق بما يعمله وهو نعت لمحذوف ، أي رجل هذه صفته . والثرد مصدر ثرد الخبز إذا فته وبله بمرق . والجفان القصاع . يقول : لو كانت هذه المغاني دمشق أي لو كنت في غوطة دمشق مكان شعب بوان لثنى عناني إليه رجل جيد الثرد ذو قصاع صينية أي لوجد فيها من يضيفني عنده لأن دمشق من بلاد العرب وأمرهم في الضيافة مشهور .

(٧) يلنجوجي نسبة إلى اليلنجوج وهو العود الذي يتبخر به . وما موصولة يريد الوقود . ورفعت النار أي شبت . وبه صلة رفعت والضمير لما . والندى نسبة إلى الند . أي أن هذا الرجل وقوده الذي توقد به النيران للضيف من خشب اليلنجوج ودخانه طيب يشم منه رائحة الند .

(٨) قال الواحدي : أي تحل به أيها الرجل على قلب شجاع جريء على الإطعام والقرى غير بخيل لأن البخل جبن وهو خوف الفقر وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك . اهـ . وقد أطال الشراح في هذا البيت ولعل هذا أحسن ما قيل فيه .

مَنازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ ... يُشَيّعُنِي إلى النَّوْبَنْذَجَانِ [1]
إذا غَنّى الحَمَامُ الوُرْقُ فيهَا ... أجَابَتْهُ أغَانيُّ القِيَانِ [2]
وَمَنْ بالشِّعْبِ أحْوَجُ مِنْ حَمامٍ ... إذا غَنّى وَنَاحَ إلى البَيَانِ [3]
وَقَدْ يَتَقَارَبُ الوَصْفانِ جِدّاً ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدانِ [4]
يَقُولُ بشِعْبِ بَوّانٍ حِصَاني : ... أعَنْ هَذا يُسَارُ إلى الطِّعَانِ [5]
أبُوكُمْ آدَمٌ سَنّ المَعَاصِي ... وَعَلّمَكُمْ مُفَارَقَةَ الجِنَانِ [6]
فَقُلتُ : إذا رَأيْتُ أبَا شُجاعٍ ... سَلَوْتُ عَنِ العِبادِ وَذا المَكانِ [7]
فَإنّ النّاسَ وَالدّنْيَا طَرِيقٌ ... إلى مَنْ مَا لَهُ في النّاسِ ثَانِ [8]
لَقد عَلّمْتُ نَفسِي القَوْلَ فيهِمْ ... كَتَعْليمِ الطِّرَادِ بلا سِنَانِ [9]

---

(١) يشيعني من تشييع الراحل وهو الخروج معه عند الوداع . والنوبنذجان بلد بفارس . يريد حبه لمنازل دمشق وشدة شوقه إليها حتى لا يزال خيالها مصاحباً له في بلاد فارس .

(٢) الورق جمع ورقاء وهي التي في لونها سواد إلى بياض . وقوله أجابته الهاء ضمير الحمام رده على اللفظ . والقيان جمع قينة وهي الجارية . يقول لطيبها اجتمعت فيها أصوات الحمام والقيان يجاوب بعضها بعضاً .

(٣) يقول : سكان الشعب أحوج من حمامه إلى من يبين معنى غنائهم لأنهم أعاجم لا يفهم العربي كلامهم . يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان .

(٤) يعني التقارب بين أصوات الحمام وأصوات الأعجام وإن اختلف الصائت .

(٥) أي يقول لي فرسي حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به أيترك مثل هذا المكان ويسار عنه إلى مواطن الحرب والاستفهام تعجب وإنكار . يعني أن الحال تنطق عن فرسه بما ذكر وجعل هذا الانكار على لسان الفرس يريد أن مثل ذلك لا يفعله غير الإنسان لأن العجماء إذا أصابت مكاناً طيباً لم تفارقه .

(٦) أي إنما تفعلون ذلك اقتداء بأبيكم آدم حين عصى الله تعالى فأخرج من الجنة فهو الذي سن لكم إرتكاب المعاصي والخروج بسببها من مواطن النعيم وبالطبع فان هذه مُغالطة . وإلا فان آدم عليه السلام لم يسن المعاصي . وإنما قد أغواه الشيطان كما جاء في القرآن الكريم .

(٧) أبو شجاع كنية الممدوح . يجاوب فرسه يقول : إنما أفارق هذا المكان لأني أقصد أبا شجاع فإذا رأيته وجدت في طيب الإقامة عنده ما يسليني عن الناس بأسرهم وعن هذا الموضع .

(٨) يقول : الناس والدنيا طريق إليه لا يمسكني شيء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٩) الطراد أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب . والسنان نصل الرمح يقول : علمت نفسي القول في مدح الناس قبله كما تعلم المطاردة بلا سنان حتى يصير المتعلم ماهراً فيحسن الطعن بالسنان . يريد أنه لم يكن يقصد الجد في مدح غيره وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المديح متى انتهى إليه . ويروى له علمت أي لأجله .

.. ويمضي في مدح عضد الدولة إلى أن يقول : ان فضائله لا تحصى .. وأن الأمان في بلده يجعل الأرض كلها مخازن توضع فيها الودائع من دون خوف عليها . وفي ذات الوقت الذي حمىٰ فيه أموال الناس من إختلاس اللصوص لم يحفظ ماله وإنما وزعه على الناس :

وَلا تُحْصَى فَضَائِلُهُ بظَـــنٍّ وَلا الإخْبَـارِ عَنْـهُ وَلا العِيـانِ(١)

أُرُوضُ النّاسِ مِنْ تُرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضُ أبي شُجَاعٍ مِنْ أمَـانِ(٢)

يُذِمّ على اللّصُوصِ لكُلّ تَجْرٍ وَيَضْمَـــنُ للصّوَارِمِ كلَّ جَانِ(٣)

إذا طَلَبَتْ وَدائِعُهُـمْ ثِقَــاتٍ دُفِعْـنَ إلى المَحَانِـي وَالرِّعَـانِ(٤)

فَبَـاتَتْ فَوْقَهُـنّ بِلا صِحـابٍ تَصِيحُ بمَنْ يَمُـرّ : ألا تَرَاني(٥)

رُقَـاهُ كلُّ أبــيَضَ مَشْرَفــيٍّ لِكُـــلّ أصَمّ صِلٍّ أُفْعُـــوَانِ(٦)

---

(١) يعني أن فضائله لا يحيط بها الظن على اتساعه ولا يستوفيها الإخبار ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها .

(٢) أروض جمع أرض . يقول : أرض غيره من الممالك مخلوقة من التراب والخوف أي لملازمة الخوف لها كأنها قد خلقت منه وأرض الممدوح كأنها مخلوقة من أمان لامتداد هيبته فوقها فلا يجسر أحد أن يعبث فيها .

(٣) أذم له أعطاه الذمام وهو العهد والجوار . والتجر جماعة التجار أجراه مجرى الواحد لأنه اسم للجمع كما قال الآخر : تسائل عن أبيها كل ركب . والصوارم السيوف . أي إذا سار التجار في أرضه كانوا في ذمام من اللصوص أن تعدو عليهم لهيبته وإذا جنى في مملكته جان ضمنه لسيوفه أن يكون طعمة لها لأنه لا ينجو من يده .

(٤) الضمير من ودائعهم للتجر . والثقات الذين يوثق بهم من الوصف بالمصدر . والمحاني جمع محنية بفتح الميم وتخفيف الياء ، وهي منعطف الوادي . والرعان جمع رعن وهو أنف الجبل . أي إذا طلبوا لبضائعهم مستودعاً لها ممن يوثق بأمانته أودعوها في الأودية والجبال فتكون كأنها عند ثقات أمناء . يريد أن هيبته تحميها ولو كانت مطروحة هناك فلا يجسر أحد أن يمسها .

(٥) أي باتت بضائعهم هناك ظاهرة للناظرين وكأنها تصيح بمن مر بها ألا تراني لأنه يعرض عنها فلا يجسر أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحداً .

(٦) الرق جمع الرقية من أعمال السحر . والمشرفي المنسوب إلى المشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل ضرب من الحيات خبيث . والأفعوان ذكر الأفعى . شبه اللصوص بالأفاعي في الخبث وسكنى القفار وجعل سيوفه بمنزلة الرق لتلك الأفاعي يعني أنه يدفع عاديتهم بسيوفه كما يدفع أذى الأفاعي بالرق .

وَمَا تُرْقَى لُهَاهُ مِنْ نَدَاهُ ... وَلا المَالُ الكَرِيمُ مِنَ الهَوَانِ[1]

.. وكعادة المتنبي فيما قرأناه له من شعر .. فانه دائماً ما يقرن مفاخر ممدوحه بعظمة شعره ونفائسه .. وهذا هو ما يختم به هذه القصيدة بعد أبيات تحدث فيها عن عضد الدولة وابنيه اللذين شبههما بالقمر ودعا لهما بأن يعيشا متلازمين كتلازم الشمس والقمر فيقول :

فَقد أصْبَحتَ منهُ في فِرِنْدٍ ... وَأصْبَحَ منكَ في عَضْبٍ يَمَانِ[2]

وَلَوْلا كَوْنُكُمْ في النّاسِ كانوا ... هُرَاءً كالكَــلامِ بِلا مَعَــانِ[3]

★ ★ ★

.. إبان مصاحبة المتنبي لعضد الدولة يحاول أحد الخصوم الاعتداء على جوانب فارس . فيصده عضد الدولة بقوة قاهرة فيرتد الخصم مهزوماً حسيراً .. فينشئ المتنبي قصيدة مطولة يمدح فيها عضد الدولة وشجاعته .. ويحذر الخصم بأن لا يفكر في التحرش بمن يفوقه .. وإلا فستكون عاقبته أشد سوءاً وأكثر وبالاً .. وقد استهل المتنبي قصيدته بقوله :

إثْلِثْ ! فإنّا أيّهَــا الطَّلَــلُ ... نَبْكي وَتُـرْزِمُ تَحْتَنَا الإبِــلُ[4]

أوْ لا فَلا عَتْبٌ عَلى طَلَلٍ ... إنّ الطّلُــولَ لمِثْلِهَــا فُعُــلُ[5]

---

(١) اللهى جمع لهية وهي العطية الجزيلة . والندى الجود والحرف متعلق بترق . أي مع كونه يرق أموال التجار من اللصوص فإن مواهبه لا ترق من جوده أي لا تحمى منه لأن جوده يبددها وكذلك نفائس أمواله لا ترق من الهوان لأنه يهبها فتبتذل في أيدي الناس .

(٢) الفرند جوهر السيف . والعضب السيف القاطع . واليماني نسبة إلى اليمن . شبه الممدوح بالسيف اليماني وجعل شعره كالجوهر في ذلك السيف أي شعري زينة لك كالفرند للسيف لأنه أظهر مناقبك وفضلك وقد نزل منك في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليماني وهو أجود السيوف .

(٣) الهراء الساقط من الكلام . ويروى هذاء وهو التكلم بغير معقول . يقول : بكم صار للناس معنى ولولا كم لكانوا كاللغو من الكلام الذي لا معنى له .

(٤) اثلث كن ثالثاً . وترزم تحن . يخاطب طلل الأحبة يقول : نحن نبكي عندك والإبل تحن كأنها تبكي أيضاً فاثلث أنت أيها الطلل أي كن ثالثاً لنا في البكاء .

(٥) قوله أو لا عطف على محذوف أي إن بكيت فأنت جدير بالبكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولمثلها أي لمثل هذه الفعلة يعني الصمت عن البكاء . وفُعل جمع فعول . أي إن صمت ولم تبك معنا فإن الطلول لا تعاتب على مثل هذا إذ ليس من عادتها البكاء .

لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلتَ مُعتَذِراً بِي غَيرُ ما بكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ[1]

أبكاكَ أَنّكَ بَعضُ مَن شغَفُوا لم أبكِ أَنّي بَعضُ مَن قَتَلُوا[2]

إنّ الذينَ أَقَمْتَ وَارْتَحَلُوا أَيّامُهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُوَلُ[3]

الحُسْنُ يَرْحَلُ كُلّمَا رَحلوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيثُمَا نَزَلُوا[4]

في مُقْلَتَيْ رَشإٍ تُديرُهُمَا بَدَوِيّةٌ فُتِنَتْ بهَا الحِلَلُ[5]

تَشكُو المَطاعِمُ طولَ هِجرَتِها وَصُدُودَها وَمَنِ الذي تَصِلُ[6]

ما أسْأرَتْ في القَعْبِ مِن لَبَنٍ تَرَكَتْهُ وَهوَ المِسكُ وَالعَسَلُ[7]

قالَتْ ألا تَصْحُو فَقُلتُ لَهَا أَعْلَمْتِنِي أنّ الهَوَى ثَمَلُ[8]

لَوْ أنّ فَنّاخُسْرَ صَبّحَكُمْ وَبَرَزْتِ وَحْدَكِ عاقَهُ الغَزَلُ[9]

---

(١) يقول للطلل لو كنت ذا نطق لا عتذرت إليّ بأنك لو كنت ممن يبكي لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأحبة وهو قوله بي غير مابك وقد فسر ذلك في البيت التالي .

(٢) أي أنت تبكي أيها العاشق لأنهم شغفوك حباً فتوجعت لفراقهم وأما أنا فقد قتلوني برحيلهم عني كناية عن دروسه بعدهم والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٣) ويروى واحتملوا . يقول للطلل إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وأقمت بعدهم أيامهم دول لديارهم يريد أنهم يتنقلون على عادة العرب في طلب النجعة فتعمر بهم الديار أيام نزولهم بها ثم تخرب بعد إرتحالهم .

(٤) يريد أن الحسن محصور في الحبيب الذي معهم فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم .

(٥) الرشأ ولد الظبية والحلل جمع حلة وهي القوم النزول . أي الحسن مصاحب لهم في مقلتي غزال أي في مقلتين تشبهان مقل الغزلان فكأنهما مقلتا غزال حقيقة تديرهما امرأة بدوية حيثما نزلت افتتن بها القوم الذين تنزل بهم .

(٦) يريد أنها قليلة التناول للطعام حتى تشكو المآكل هجرها وصدودها وهو من الصفات المحمودة في النساء . وقوله ومن الذي تصل استفهام إنكار يعني أن الهجر عادتها فإنها لا تصل أحداً حتى الطعام .

(٧) أسأرت أبقت . والقعب القدح . يريد طيب نكهتها وعذوبة ريقها يقول : إذا ردت القدح عن فمها فما يبقى فيه من اللبن بعد شربها منه تطيب ريحه ويحلو طعمه حتى يكون كالمسك العسل .

(٨) أي قالت لي ألا تصحو من الهوى فقلت لها أعلمتني بهذا القول أن الهوى سكر لأن الصحو لا يكون إلا من السكر .

(٩) فناخسر اسم عضد الدولة . وصبحكم أتاكم صباحاً . والغزل محادثة النساء . أي لو أتاكم هذا الملك صباحاً للغارة وتعرضت له مع عفته وتوفره على تدبير الملك لمال إلى محادثتك فعاقه ذلك عن مباشرة الحرب .

وَتَفَـرّقَتْ عَنكُـمْ كَتَائِبُـــهُ إنّ المِـــلاحَ خَوَادِعٌ قُتُـــلُ[1]
مَا كُنتِ فَاعِلَـةً وَضَيْفُكُـــمُ مَلِكُ المُلُـوكِ وَشأنُكِ البَخَـلُ[2]
أتُمَنّعِيـــنَ قِرًى فتَفْتَضِحـــي أمْ تَبْذُلِيـنَ لَهُ الـــذي يَسَلُ[3]
بَلْ لا يَحِلّ بحَيْثُ حَلّ بِهِ بُخْــلٌ وَلا خَوَرٌ وَلا وَجَــلُ[4]
مَلِكٌ إذا مَا الرُّمْحُ أدرَكَـهُ طَنَبٌ ذَكَرْنَـــاهُ فَيَعْتَـــدِلُ[5]
إنْ لم يَكُنْ مَنْ قَبلَهُ عَجَزُوا عَمّـا يَسُوسُ بِهِ فَقَـد غَفَلُـوا[6]
حتى أتَى الدّنْيَا ابنُ بَجْدَتِهَا فَشكَـا إلَيْـهِ السّهـلُ وَالجَبَـلُ[7]
شكوَى العَليلِ إلى الكَفيلِ لَهُ أنْ لا تَمُـرّ بجِسْمِـهِ العِلَـــلُ[8]
قالَتْ فَلا كَذَبَتْ شَجاعَتُـــهُ أقْـدِمْ فنَـفْسُكَ مَالهَـا أجَـــلُ[9]

---

(١) الكتائب فرق الجيوش . وقتل جمع قتول . أي وتفرقت كتائبه عنكم حين يرونه متشاغلاً باللهو عن الغارة . وقوله إن الملاح خوادع قتل يريد خديعتها له وتفرق كتائبه بسببها فكأنها قد قتلتهم .

(٢) يقول : ماذا كنت تفعلين حينئذ وقد أتاكم ملك الملوك ضيفاً وأنت بخيلة أي بالطعام والقرى . يصفها بالبخل لأنه من الأخلاق الممدوحة في النساء .

(٣) فتفتضحى جواب الاستفهام . ويسل أي يسأل حذف الهمزة وألقى حركتها على السين . ويروى أفتمنعين .

(٤) الضمير من به لحيث . والخور الضعف . ويروى ولا خوف . والوجل الخوف وكأنه على الرواية الثانية من عطف التقوية . أي بل لا يسعك حينئذ البخل لأن الموضع الذي يكون فيه هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٥) الطنب الاعوجاج . أي لاستقامته واعتداله في الأمور إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح المعوج .

(٦) يريد أن الملوك الذين كانوا قبله لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن ذلك عجزاً منهم عما يسوسه به من الحزم والمقدرة فهو غفلة منهم لأنهم لم يهتدوا إلى سيرته .

(٧) يقال هو ابن بجدة هذا الأمر أي عالم به . يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة هو عالم بما تنطوي عليه شؤونها خبير بإصلاح ما فسد منها فشكا إليه سهلها وجبلها .

(٨) أي كما يشكو العليل إلى الطبيب الحاذق الذي يكفل له أن يشفيه من كل داء حتى لا تعاوده العلل . والمعنى أن الدنيا بما كان فيها من الفساد والاضطراب كانت كأنها تشكو إليه وهو بما عنده من حسن السياسة والتدبير كأنه يكفل لها زوال ما تشكوه .

(٩) يريد أنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت له أقدم غير خائف من الموت لأن نفسك لا أجل لها . ودعا له أن لا تكذب شجاعته يعني في قولها إن نفسه ما لها أجل وهو دعاء له بالبقاء .

فَهُوَ النِّهايَةُ إنْ جَرَى مَثَلٌ ... أوْ قيلَ يَوْمَ وَغًى من البَطَلُ[1]
عدَدُ الوُفُودِ العَامِدينَ لَهُ ... دونَ السِّلاحِ الشُّكْلُ وَالعُقُلُ[2]
فَلِشُكْلِهِمْ في خَيْلِهِ عَمَلٌ ... وَلِعُقْلِهِمْ في بُخْتِهِ شُغُلُ[3]
تُمْسِي على أيْدي مَوَاهِبِهِ ... هِيَ أوْ بَقِيَّتُهَا أوِ البَدَلُ[4]
يُشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إلى سَبَلٍ ... شَوْقاً إلَيْهِ يَنْبُتُ الأسَلُ[5]
سَبَلٌ تَطُولُ المَكْرُماتُ بِهِ ... وَالمَجْدُ لا الحَوْذانُ وَالنَّفَلُ[6]
وَإلى حَصَى أرْضٍ أقَامَ بِهَا ... بالنّاسِ مِنْ تَقبيلِهِ يَلَلُ[7]
إنْ لم تُخَالِطْهُ ضَوَاحِكُهُمْ ... فَلِمَنْ تُصَانُ وَتُذخَرُ القُبَلُ[8]

---

(١) الوغى الحرب . ومن البطل استفهام . أي إذا أريد ضرب المثل في الشجاعة أو ذكرت الأبطال يوم الحرب فهو النهاية الذي لا يذكر بعده أحد .

(٣) الوفود جمع وفد وهم جماعة الوافدين . وعمد له قصد . والشكل والعقل جمع شكال وعقال وهما ما يشد في قوائم الفرس وتربط به يد البعير وأسكن العين في الأول على لغة تميم وضمها في الثاني على لغة أسد . يقول : الوفود الذين يقصدونه طمعاً في أمواله يقاتلونه بآمالهم لا بالسلاح فيأتون بالشكل لخيله والعقل لإبله ثقة بأنه يعطيهم ما يختارون من ذلك فعدتهم في قصده الشكل والعقل وبها يختارون أمواله لا بالسلاح .

(٣) البخت الإبل الخراسانية . أي أنه يعطيهم الخيل والإبل فيكون للشكل التي جاؤوا بها عمل في خيله وللعقل اشتغاله بإبله . ويعني أنه يحقق آمالهم ويعطيهم من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٤) يقول : مواهبه تتصرف فيما له من الخيل والإبل فهي أبداً على أيدي مواهبه توزعها على السؤّال . وقوله : هي أو بقيتها يعني أنه قد يهبها بجملتها في وقت واحد وقد يبقى منها بقية يهبها في وقت آخر وحين لا يبقى منها شيء يهب بدلها من الذهب والفضة .

(٥) السبل المطر بين السحاب والأرض . والأسل عيدان الرماح . يريد بالسبل ما تجريه يده من المواهب والدماء فالناس تشتاق إلى مواهبه والرماح تنبت شوقاً إلى ما يسقيها من دم الأبطال .

(٦) يروى سبل بالرفع على الإخبار وبالجر على البدل . والحوذان والنفل نبتان . أي هذا المطر تنمى به المكارم والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده وتعلو مهابته وليس من المطر الذي ينمى به النبات .

(٧) اليلل قصر الأسنان . أي ويشتاق إلى حصى أرضه الذي كثر تقبيل الناس له حتى يرى أسنانهم فقصرت .

(٨) الهاء من تخالطه للحصى . وضواحكهم جمع ضاحكة وهي السن التي بين الأنياب والأضراس . أي إن لم تخالط أسنانهم حصى أرضه عند التقبيل فلمن تذخر القبل يعني أن حصى أرضه أحق شيء بالتقبيل حباً وإجلالا .

ثم يتحدث عن الخصوم وجهالتهم .. وعن عضد الدولة وقدراته فيقـول :

لَوْلا الجَهالَةُ مَا دَلَفْتَ إلى قَوْمٍ غَرِقْتَ وَإنّمَا تَفلُوا[1]
لا أقْبَلُوا سِرّاً وَلا ظَفِرُوا غَدْراً وَلا نَصَرَتْهُمُ الغِيَلُ[2]
لا تَلْقَ أفْرَسَ منكَ تَعْرِفُهُ إلاّ إذا ما ضاقَتِ الحِيَلُ[3]
لا يَسْتَحي أحَدٌ يُقالُ لَهُ نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْهِ أوْ فَضَلُوا[4]
قَدَرُوا عَفَوْا وَعدوا وَفَوْا سُئلوا أغنَوْا عَلَوْا أعلَوْا وَلُوا عَدَلوا[5]
فَوْقَ السّماءِ وَفَوْقَ ما طلَبوا فإذا أرادوا غايَةً نَزَلُوا[6]
قَطَعَتْ مكارِمُهُمْ صَوَارِمَهمْ فإذا تَعَذّرَ كاذِبٌ قَبِلُوا[7]
لا يَشْهَرُونَ عَلى مُخالِفِهِمْ سَيْفاً يَقُومُ مَقَامَهُ العَذَلُ[8]

★ ★ ★

(١) دلفت تقدمت . وغرقت نعت قوم والعائد في الحال بعده . يقول : لولا جهلك ما تعرضت لقوم تنهزم بأدنى قتال منهم والغرق والتفل مثل أي لكثرتهم لو تفلوا عليك لغرقوك .

(٢) جمع غيلة وهي أخذ المرء من حيث لا يدري . يريد أنهم ظفروا به مباطشة وجهاراً ولم يأتوه خفية فيأخذوه بالغدر والاغتيال .

(٣) تعرفه حال أي وأنت تعرفه . ويروى ضاقت بك الحيل . أي ينبغي أن لا تعارض من هو أقوى منك إلا إذا لم يكن لك حيلة إلا في المعارضة يعني إذا اضطر إلى الدفاع . يلومه على اختياره الحرب ابتداء .

(٤) نضلوك غلبوك في المناضلة وهي المراماة بالسهام ووصله بالواو على لغة يتعاقبون . وفضلوا غلبوا في الفضل يقال فاضله ففضله وأراد فضلوك فحذف اعتماداً على القرينة . أي لا يستحي أحد بأن يكون مغلوباً لهم في الشجاعة أو الفضل لأنهم يغلبون كل أحد .

(٥) أي قدروا فعفوا ووعدوا فوفوا وهلم جراً بترتيب كل ثان من هذه الأفعال على ما قبله .

(٦) فوق السماء خبر عن محذوف ضمير الممدوحين . أي هم فوق السماء منزلة وفوق ما يطلبون نفوساً وهمماً فإذا أرادوا شيئاً مما يكون غاية عند غيرهم نزلوا إليه لأنهم أعلى منه .

(٧) صوارمهم سيوفهم . وتعذر بمعنى اعتذر . يقول : مكارمهم غلبت غضبهم وكفتهم عن استعمال السيوف فكأنها قطعت سيوفهم فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذباً قبلوا عذره تكرماً .

(٨) اللوم . أي إذا كان مخالفهم ينقاد بالكلام لم يستعملوا في مكانه السيف يريد أنهم لحلمهم لا يعجلون إلى الحرب ولكنهم يقدمون اللوم على القتال .

في يوم عطر .. تبلغ فيه النشوة منتهاها بعضد الدولة وقد ضم مجلسه خيار القوم ومن بينهم المتنبي .. فينثر عليهم الورد حتى يغرقهم فيه فيرتجل المتنبي أبياتاً تقول :

قَد صَدَقَ الوَرْدُ في الذي زَعَمَا أَنّكَ صَيّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمَا[1]

كأنّمَا مائِجُ الهَوَاءِ بِهِ بَحْرٌ حَوَى مِثْلَ مائِهِ عَنَمَا[2]

نَاثِرُهُ النّاثِرُ السّيُوفَ دماً وَكُلَّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكَمَا[3]

وَالخَيْلَ قَد فَصّلَ الضّيَاعَ بهَا وَالنِّعَمَ السّابِغَاتِ وَالنِّقَمَا[4]

فَلْيُرِنَا الوَرْدُ إنْ شَكَا يَدَهُ أحسَنَ منهُ من جُودِها سَلِمَا[5]

فَقُلْ لهُ لَستَ خَيرَ ما نَثَرَتْ وَإنّمَا عَوّذَتْ بكَ الكَرَمَا[6]

خَوْفاً منَ العَينِ أنْ يُصَابَ بهَا أصَابَ عَيْناً بها يُصَابُ عَمَى[7]

★ ★ ★

.. يموتُ راعي الضأن من جهله

ميتة جالينُوسَ في طبه

هذه الحقيقة .. ولا حقيقة في الدنيا سواها .. وهي أننا جميعاً إلى الله صائرون .. وليس منا من هو مخلد في هذه الدنيا إلا من عمل صالحاً فخلف فيها الذكرى الحميدة .. وله العاقبة الحسنى في الآخرة .

---

(١) نثره أي ما نثر منه من التسمية بالمصدر . والديم جمع ديمة وهي المطرة . يريد أن الورد لكثرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم قد صيرني الأمير مطراً . يقول : قد صدق الورد فيما قاله لأنا نراه كذلك .

(٢) مائج من الموج . والعنم ثمر أحمر وهو تمييز . يقول : كأن الهواء المائج بهذا الورد عند نثره بحر من العنم يريد كثرة الورد في الهواء حتى صار كأنه بحر قد حوى من العنم مثل مائه كثرة ويروى مازج الهواء .

(٣) يروى ناثر السيوف بغير أل . أي الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف أي يفرقها في أعدائه وهي مصبوغة بالدم فكأنها دم وينثر كل قول يقوله وهو حكم .

(٤) يقال فصل العقد إذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة . والسابغات التامات . أي والذي ينثر خيله في الضياع فيفصلها بها أي ينظمها بينها وينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٥) يريد أن يده تنثر ما هو أحسن من الورد يعني الدراهم والدنانير فإن كان الورد يشكو يده لأنها نثرته فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جودها .

(٦) وقاه برقية تدفع عنه السوء . أي قل للورد لست أفضل ما نثرت يد هذا الملك ولكنها خافت إصابة أعين الناس له لما يرون من سعة بذله فنثرتك وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(٧) قوله أصاب عيناً إلى آخره دعاء .. وعمى يقال أعمى الأعين لمن لا يرى النعمة .

المتنبي يعزي عضد الدولة في وفاة عمته بقصيدة يُضَمِّنُهَا تلك المعاني نجتزيء منها الأبيات التالية باعتبارها من الجواهر :

لا بُدّ للإنسانِ من ضَجْعَةٍ	لا تَقْلِبُ المُضْجَعَ عن جَنبِهِ[1]
يَنسى بها ما كانَ مِن عُجْبِهِ	وَمَا أذاقَ المَوْتُ من كَرْبِهِ[2]
نَحنُ بَنُو المَوْتى فَمَا بالُنا	نَعَافُ مَا لا بُدّ من شُرْبِهِ[3]
تَبْخَلُ أيْدِينَا بِأرْوَاحِنَا	عَلى زَمَانٍ هيَ من كَسْبِهِ[4]
فَهَذِهِ الأرْوَاحُ مِنْ جَوّهِ	وَهَذِهِ الأجْسامُ مِنْ تُرْبِهِ[5]
لَوْ فكّرَ العاشِقُ في مُنْتَهَى	حُسنِ الذي يَسبيهِ لم يَسْبِهِ[6]
لم يُرَ قَرْنُ الشّمسِ في شَرْقِهِ	فشَكّتِ الأنفُسُ في غَرْبِهِ[7]
يَمُوتُ رَاعِي الضّأنِ في جَهْلِهِ	مِيتَةَ جَالِينُوسَ في طِبّهِ[8]
وَرُبّمَا زَادَ عَلى عُمْرِهِ	وَزَادَ في الأمنِ على سِرْبِهِ[9]

---

(١) الضجعة المرة من ضجع بمعنى اضطجع . وقوله لا تقلب المضجع أي لا ينقلب المضجع معها فأسند الفعل إليها مجازاً على حد قوله ربط السدر عيلهم والنخيل .

(٢) العجب التيه . أي ينسى بتلك الضجعة ما كان من تيهه واستكباره وما أذاقه الموت من الشدة والكرب عند احتضاره يعني أنه ينسى ما مر في حياته وفي موته .

(٣) نعاف نكره . يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه فما بالنا نكره ما لابد منه .

(٤) يقول : حرصنا على أرواحنا بخلاً بها على الزمان وإنما هي مما كسب الزمان لا مما كسبناه نحن وقد فسر ذلك في البيت التالي :

(٥) يريد بالأرواح الأنفاس على حد قوله إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس أن الحمام مر المذاق . يقول : هذه الأنفاس من الهواء لأنه هو الذي تتنفسه والأبدان التي تحيا بها من التراب لأن أكثرها جواهر ترابية .

(٦) أي لو فكر فيما تصير إليه محاسن معشوقه بعد الموت من البلى والفساد لم يعشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه .

(٧) قرن الشمس أول ما يبدو منها . وقوله فشكت عطف على ير . أي من رأى الشمس طالعة لم يشك في غروبها وهو مثل يعني أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال .

(٨) ويروى موتة جالينوس . يعني أن الموت حتم على كل أحد فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٩) أي وربما زاد عمر الراعي على عمر جالينوس وكان آمن على نفسه من الهلاك لأن الطبيب يقدر وراء كل سبب آفة فلا يزال خائفاً مضطرب البال .

وَغَايَةُ المُفْرِطِ في سِلْمِهِ كَغَايَةِ المُفْرِطِ في حَرْبِهِ[1]
فَلا قَضَى حاجَتَهُ طالِبٌ فُؤادُهُ يَخفِقُ مِنْ رُعْبِهِ[2]

★ ★ ★

.. وكما يودع المتنبي عضد الدولة رغبة في العودة إلى أهله .. فإنه يودع الشعر أيضاً .. ففي مطلع شهر رمضان من عام ٣٥٤ هـ يعزم أبو الطيب على الرحيل فينشد عضد الدولة قصيدة مطولة يودعه بها ويضمنها صوراً من الحياة .. وكيف تقلبت به وأنه لولا اشتياقه لأهله لما غادر رحابه .. وهي آخر قصيدة للمتنبي إذ لم ينشد بعدها شعراً حتى آخر حياته نكتفي منها بهذه الأبيات المتفرقة :

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الحَبِّ جُوداً وَيَنصِبُ تحتَ ما نَثَرَ الشِّباكَا[3]
وَمَنْ بَلَغَ الحَضِيضَ بِهِ كَرَاهُ وَإنْ بَلَغَتْ بِهِ الحالُ السُّكاكَا[4]

ويقــول فيهــا :

إذا التَّوْديعُ أعرَضَ قالَ قلبي عليكَ الصّمتَ لا صاحَبتَ فاكَا[5]
وَلَوْلا أنّ أكْثَرَ مَا تَمَنّى مُعاوَدَةٌ لَقُلتُ : وَلا مُناكَا[6]

---

(١) أي من بالغ في السلم والموادعة كمن بالغ في الحرب والتعرض للخطر لأن غاية كل منهما الموت .

(٢) يحث على الشجاعة والإقدام أي إذا كان الأمر كذلك فلا عذر للإنسان في خوفه من الموت ولذلك يدعو على من يخاف بأن لا يدرك حاجته يعني إذا كانت حاجته لا تبلغ إلا بالإقدام فلا بلغها حتى يقدم .

(٣) يظن يفتعل من الظن . يعرض بسائر الحكام يريد أنهم يجودون طمعاً في جر المنافع كمن ينثر الحب للطير وينصب الشبكة تحت الحب الذي نثره ليأخذ الطير الذي هو خير من الحب .

(٤) الحضيض القرار من الأرض . ويروى التراب . والكرى النعاس . والسكاك الهواء الذي يلاقي عنان السماء . أي وآمنا فداءك أيضاً من ألقته غفلته إلى الحضيض وإن حسنت حاله حتى انتهى إلى أعلى المراتب .

(٥) أعرض ظهر . يقول : إذا حضر الوداع قال لي قلبي الزم الصمت بعد مفارقته ولا تنطق بشعر تمدح به غيره . وقوله لا صاحبت فاك دعاء . يروى بفتح التاء أي لا نطقت ويحتمل أن يكون بضمها ضمير القلب أي لا صاحبت فاك عند الإنشاد بأن أصور له من المعاني ما ينطق به شعراً .

(٦) المنى جمع منية وهي ما يتمنى وأراد ولا صاحبت مناك بضم التاء ضمير الشاعر أو بفتحها خطاباً للقلب على أحد الوجهين في البيت السابق . يقول : ولولا أن أكثر ما تمناه قلبي أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت مناك أيضاً أي لا كانت لك منية تتمناها وهو دعاء عليه باليأس . وذلك لأن قلبه يتمنى الرحيل حينئذ فهو من جملة تلك المنى يعني أنه كان يدعو عليه بزوال المنى لتزول هذه المنية من بينها فيبقى عند الممدوح .

إذا اسْتَشْفَيْتَ مِنْ داءٍ بداءٍ فأقتَلُ مَا أعَلَّكَ ما شَفَاكَا[١]
فأستُرُ مِنكَ نَجْوَانا وَأُخْفي هُموماً قَد أطَلْتُ لَها العِرَاكَا[٢]

ومنهـا قولـه :

وَفي الأحبابِ مُخْتَصٌّ بوَجْدٍ وَآخَرُ يَدّعي مَعَهُ اشْتِرَاكَا[٣]
إذا اشْتَبَهَتْ دُموعٌ في خُدودٍ تَبَيّنَ مَنْ بَكَى مِمّنْ تَباكَى[٤]
أذَمّتْ مَكْرُماتُ أبي شُجاعٍ لعَيْني مِنْ نَوَايَ عَلى أُلاكَا[٥]
فَزُلْ يا بُعْدُ عَنْ أيدي رِكَابٍ لَها وَقْعُ الأسِنّةِ في حَشَاكَا[٦]
وَأنّى شِئْتِ يا طُرُقي فَكُوني أذَاةً أوْ نَجَاةً أو هَلاكَا[٧]

(١) استشفيت طلبت الشفاء . يقول لقلبه : إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق الممدوح فالداء الذي يشفيك هو أقتل الداءين يعني إذا داويت شوقك بفراقه فقد داويته بما هو أقتل لك من الشوق . ويروى قد استشفيت وأقتل ما أعلك .

(٢) النجوى الحديث الخفى . يخاطب عضد الدولة يقول : أستر عنك ما يجري بيني وبين قلبي من المناجاة وأخفي عنك ما أغالبه من الهموم التي تدعوني إلى الرحيل .

(٣) ويروى مختص بود . يقول : حال الأحباب تتشابه فمنهم من يكون حزيناً عند فراق أحبته مختصاً بالوجد دون غيره ومنهم من يدعى مشاركته في ذلك الوجد أي يدعي أنه مثله فيه وهو كاذب . يريد أنه صادق دعوى الحب ليس في دعواه رئاء .

(٤) اشتبهت تشابهت . وتباكى تكلف بالبكاء . أي إذا تشابهت دموع الحزين وغيره لتشاكل منظرها ظهر الذي يبكي عن حزن في القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه فارغ من دواعيه .

(٥) أذم له منه أخذ له الذمة وهي العهد والجوار وأذم له على فلان إذا أخذ له الذمة ليجيره منه والأحرف الثلاثة متعلقة بأذمت . والنوى البعد . وألاك اسم إشارة بمعنى أولئك . وقد اختلف الشراح في معنى هذا البيت ولعل أحسن ما يقال فيه وهو المتحصل من قول ابن جنى ان الإشارة بقوله ألاك إلى أحد فريقي الدموع أي أن مكرمات الممدوح أخذت لعيني عهداً من البعد أن تكون في مأمن من تلك الدموع أي دموع المتباكي . والمعنى أن مكرماته تمنع عيني أن تجري على فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبي بإحسانه فأنا أبكي عن وجد لا عن تكلف .

(٦) الركاب الإبل . والأسنة نصال الرماح . يقول للبعد تنح عن أيدي مطايانا فإنه لا ثبات لك أمامها لأنها تخرقك وتنفذ منك كما تخرق الرماح الأحشاء .

(٧) أنّى كيف . ويروى وأياً . يقول لطريقه : كوني كيف شئت فإني سأسرع في قطعك فلا يدركني ما فيك من المخاوف .

.. ويختم قصيدته .. وكأنه يتنبأ بما سيلقاه من متاعب تفضي به إلى منيته .. ولذا فهو يقول: إن يمن عضد الدولة سيشرد عنه الأعداء ويحميه من ذعر السلاح .. كما يعد عضد الدولة : أنه لن يصاحب بعده أحداً وهو ما يقفل به القصيدة .. وينهى به قلائده الشعرية إذ لم ينشد بعد ذلك من الشعر شيئاً كما لم يُرْوَ عنه اىّ جديد .

يُشَرِّدُ يُمْنُ فَنَّاخُسْرَ عَنّي قَنَا الأَعْداءِ وَالطَّعْنَ الدِّرَاكَا[1]

وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقي سِلاحاً يَذْعَرُ الأَعْدَاءَ شَاكَا[2]

وَمَنْ أَعتَاضُ منكَ إذا افْتَرَقْنَا وَكُلُّ النّاسِ زُورٌ ما خَلاكَا[3]

وَمَا أَنَا غَيرُ سَهْمٍ في هَوَاءٍ يَعُودُ وَلم يَجِدْ فِيهِ امتِساكَا[4]

حَيِيٌّ مِنْ إلهي أَنْ يَرَانِي وَقَد فارَقْتُ دارَكَ وَاصْطَفَاكَا[5]

* * *

---

(١) اليمن البركة والسعد . وفناخسر اسم عضد الدولة . والقنا الرماح . والدراك المتتابع وهو من الوصف بالمصدر .

(٢) يذعر يخيف . ويقال سلاح شائك وشاك على حذف العين أي حاد ذو شوكة . أي اجعل رضاه عني بمنزلة سلاح حاد أخيف به الأعداء فلا يقدمون علي .

(٣) من استفهام . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفاً عنك أعتاضه من جميع الناس لأنهم كلهم بالنسبة إليك زور أي لهم صورتك وليس لهم معناك . يشير إلى أنه ينوي الرجوع إليه .

(٤) يقرر ما ذكره في البيت السابق يقول : أنا في انطلاقي من عندك وسرعة عودي إليك كالسهم إذا رمي به في الجو فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض .

(٥) حيي من الحياء . يقول : أنا أستحي من إلهي أن يراني وقد فارقتك ورغبت عنك وهو تعالى قد اختارك على خلقه فكأني قد شاققت الله عز وجل ولم أرض باختياره . وقد أكثر أبو الطيب من التشاؤم على نفسه في هذه القصيدة بما لم يقع له في غيرها ومالم يخطر على قلبه في جميع عزائمه وأسفاره مع كثرتها وتراميها في البلاد ، وقد وقع له في أثنائها كلام كأنه ينعى به نفسه وإن لم يقصده وذلك أنه بعد ارتحاله من شيراز ومفارقته لأعمال فارس قتل في الطريق كما سنوجز ذلك في نهاية الكتاب .. وبعد إيراد المتفرقات من شعره .

درر متفرقة

يقول الشيخ ناصيف اليازجي في مقدمة « العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب » ، وهو المصدر الذي اعتمدناه لاختيار جواهر المتنبي منه . مع شرحها بزيادة أو نقص في البعض منه حسب مقتضى الحال ما نصه :

ثمّ إنّه لما كان لكلّ مقامٍ مقال ، وكان الشعر من أوسع الكلام مذهباً ، وأجوله مركباً ، يطأُ بصاحبه من المسالك الشعاب والفجاج ، ويَرِدُ به من المناهل العذبَ والأُجاج ، لم يكد شعرُ شاعر يخلو عمّا لا يحلو مذاقُهُ ، ولا يحسن في كلّ حال مساقُه .

ولا جرم أنّ أبا الطيّب ، رحمه الله ، لم يكن يتوقّع أن قصائده ستصير كتاب علمٍ يُفسح لهُ موضعٌ في مجالس الطلب ، ويتُخرّج عليه في النحو واللغة وسائر فنون الأدب ، فأطلق عنان قريحته وراء كلّ غرض بما يوصله إليه ، ويقع به عليه ، ولذلك فقد ورد في بعض أبيات هذا الديوان من اللفظ البارز عن ظلّ النزاهة مالا يبيحه أدب المجالس ، ولا يجمل إقراؤه في حلقات المدارس فلم يكن لي بد من إطراح ما جاء كذلك فيه » .

ولقد كان في بعض ما تعمد اليازجي إطراحه من متن الديوان ولكنه لم يفرط فيه جملة فأثبت المستساغ منه في المقدمة بعد حذف ما نبا لفظه أو جاء في معاني متحللة بعض الشيء .. من نفائس الجواهر مالا يمكن لنا نحن أيضاً أن نتجاهله .. ونحن نقدم له الجواهر في هذا الكتاب .. ولذا فسنعمد إلى ما تضمنته مقدمة اليازجي واختيار الجواهر من بعض ما أورده فيها مع شرحها .. أو المناسبة التي قيلت فيها ...

عند ما خرج أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية للقاء أبي العشائر كما فصلنا ذلك من قبل .. مر بطرابلس من مدن الشام . فسأله محافظها أن يمدحه بشيء من شعره فأبى عليه ذلك . فما كان من المحافظ إياه إلا أن أعتاق المتنبي عن السفر ثلاثة أيام على أمل أن يستجيب له .. ولكنه لم يفعل ولما فارق طرابلس .. قال يهجو المحافظ بقصيدة رائعة مجملها من الحِكَم والأمثال المتداولة على ألسنة الناس وأقلام الأدباء والكتاب جاء في مستهلها :

لِهَوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لا تُعْلَمُ ... عَرَضاً نَظَرْتُ ، وَخِلتُ أنّي أسْلَمُ[1]

يا أُختَ مُعْتَنِقِ الفَوَارِسِ في الوَغى ، ... لَأخوكِ ، ثَمّ ، أرَقُّ منكِ وَأرْحمُ[2]

راعَتْكِ رائِعَةُ البَياضِ بمَفرِقي ، ... وَلَوَ أنّهَا الأولى لَراعَ الأسْحَمُ[3]

لَوْ كانَ يُمكِنُني سفَرْتُ عن الصِّبَا ... فالشّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأوَانِ تَلَثُّمُ[4]

وَلَقَدْ رَأيتُ الحادِثاتِ ، فَلا أرَى ... يقَقاً يُميتُ ، ولا سَواداً يَعْصِمُ[5]

---

(١) ويروى لهوى القلوب . والسريرة السر . وعرضاً أي فجاءة واعتراضاً عن غير قصد . وخلت حسبت . يقول : سر الهوى مجهول لا يدري كيف يدخل قلب العاشق ، ثم قال : إني نظرت عن غير قصد يعني إلى المحبوبة فعشقتها من حيث لم يجر حبها بخاطري وكنت أظن أني أسلم من هواها .

(٢) الوغى الحرب . واللام من قوله لأخوك للابتداء . وثم هنالك . وللشراح في هذا البيت أقوال أقربها ما ذكره ابن فورجة ومحصله أنه يمدح أخا المحبوبة بالشجاعة وأنها من قوم أشداء أهل حرب وجلاد . يقول : أنت قاسية القلب وأخوك على بسالته إذا لقي عدواً في الحرب كان أرق على عدوه وأرحم منك على العاشق .

(٣) راعتك خوفتك . ورائعة البياض الشعرة البيضاء تروع الناظر . وروى ابن جني راعية البياض وهي أول ما يشيب من الشعر . والمفرق وسط الرأس حيث يفترق الشعر . ويروى بعارضي وهو صفحة الوجه . والأسحم الأسود . يقول : راعتك الشعرة البيضاء التي ظهرت في رأسي لأن بياض الشعر يدل على الكبر ولو كانت هذه الشعرة هي الأولى أي لو أن الشعر يكون أولاً أبيض ثم يسود عند الكبر لراعك الشعر الأسود . يريد أن الشيب لا يكون دائماً دليل الكبر فبياض الشعر وسواده سواء .

(٤) اسم كان محذوف دل عليه ما بعده أي لو كان السفور عن الصبا يمكنني وهذا الحذف يكثر بعد أفعال القدرة والإرادة وما إليهما وهو في مقام الشرط أكثر . وسفرت من سفور المرأة إذا كشفت عن وجهها . يريد أنه مع شيبه حدث السن ولكن الشيب ألقى عليه منظر الكبر فكأنه قد ستر شبابه . يقول : لو أمكنني لكشفت عن شبابي بإزالة الشيب الذي يستره لأن الشيب قبل أوانه كاللثام الذي يتنكر به منظر المتلثم .

(٥) اليقق الأبيض . ويعصم يقي . يعني أن حوادث الدهر تنال الكبير والصغير فلا يكون بياض الشعر سبباً للموت ولا سواده واقياً منه لأن الأمر كثيراً ما يقع على الخلاف .

وَالهَمُّ يَخْتَرِمُ الجَسيمَ نَحافَةً ، وَيُشيبُ ناصِيَةَ الصَّبِّي ويُهرِمُ[1]

ذو العَقْلِ يَشقى في النّعيمِ بعَقْلِهِ وَأخو الجَهالَةِ ، في الشّقاوَةِ ، يَنعَمُ[2]

والنّاسُ قد نَبَذوا الحِفاظَ ، فمُطلَقٌ يَنْسَى الذي يُولَى ، وَعافٍ يَندَمُ[3]

لا يَخدَعَنّكَ ، مِن عَدُوٍّ ، دمعهُ ، وَارْحَمْ شَبابَكَ مِن عدوٍّ ، تَرْحَمُ[4]

لا يَسْلَمُ الشَرَفُ الرّفيعُ مِنَ الأذَى حتى يُراقَ ، على جَوانِبِهِ ، الدّمُ[5]

يُؤذي القَليلُ من اللّئامِ ، بطَبعِهِ ، مَنْ لا يَقِلّ ، كَما يَقِلّ ويَلْؤمُ[6]

والظّلْمُ مِنْ شِيَمِ النّفُوسِ ، فإن تجد ذا عِفّةٍ ، فَلِعِلّةٍ لا يَظْلِمُ[7]

وَمِنَ البَلِيّةِ عَذْلُ مَن لا يَرْعَوى عَنْ جَهْلِهِ ، وخطابُ مَنْ لا يَفْهَمُ[8]

ومنها في ذكر المهجو :

يَقْلَى مُفارَقَةَ الأكُفّ قَذالُهُ ، حتى يَكادَ على يَدٍ يَتَعَمّمُ[9]

---

(١) يخترم يهلك . والناصية شعر مقدم الرأس . يشير إلى علة مشيبه يقول : إنما غيرني الهم فإنه إذا استولى على الجسيم هزله حتى يهلك من النحافة وقد يشيب به الصبي ويصير كالهرم من الضعف والعجز .

(٢) يقول : العاقل يشقى بعقله وإن كان في نعيم من الدنيا لتفكره في العواقب وعلمه بتحول الأحوال والجاهل ينعم وهو في الشقاوة لضعف حسه وقلة تفريقه بين حال وحال .

(٣) النبذ الطرح . والحفاظ أي المحافظة على الحقوق . ومطلق أي فمنهم مطلق . وأولاه كذا أنعم به عليه . والعافي من العفو عن الذنوب . يقول : الناس قد تركوا رعاية الحقوق وعرفان النعم فينسى المطلق من الأسر إحسان مطلقه ويندم الذي يعفو عن المسيء لما يرى من كفران صنيعته .

(٤) يقول : لا يخدعك بكاء العدو في الاستعطاف أي لا ترحمه ولكن ارحم نفسك منه لأنك إن رحمته وأبقيت عليه لم تأمن غدره .

(٥) يراق يسفك . أي لا يسلم للشريف شرفه من أذى الأعداء والحساد حتى يسفك دماءهم فيأمن بقتلهم ويتحاماه غيرهم .

(٦) القليل هنا بمعنى الخسيس . يقول : الخسيس مطبوع على أذى الكريم الذي لا يشاكله في الخسة واللؤم للتنافي بينهما .

(٧) الشيم الطباع . ويروى في خلق النفوس . يقول : نفوس الناس مطبوعة على الظلم لاستيلاء الهوى عليها فإن وجدت فيهم من يعف على الظلم فلسبب كالعجز والخوف ونحوهما .

(٨) العذل اللوم . ويرعوي يكف ويقلع . ويروى عن غيه وهو خلاف الرشد .

(٩) يقلى ، بفتح اللام وكسرها ، يبغض . والقذال مؤخر الرأس . أي أن قفاه يكره مفارقة الأكف لأنه قد ألف صحبتها في الصفع فيكاد يتعمم على إحدى يديه لئلا يخلو قفاه من كف .

وجُفُونُهُ ما تَسْتَقِرّ كأنّهَا مَطْرُوفَةٌ أوْ فُتّ فِيها حِصْرِمُ[١]

وإذا أشارَ مُحَدّثاً ، فكَأنّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ ، أوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ[٢]

وتَراهُ ، أصغَرُ ما تَراهُ ، ناطِقاً ويكونُ ، أكذَبُ ما يكونُ ، ويُقسِمُ[٣]

والذّلّ يُظْهِرُ في الذّليلِ مَوَدّةً ، وَأوَدُّ مِنْهُ ، لمَنْ يَوَدّ ، الأرْقَمُ[٤]

ومِنَ العَداوَةِ ما يَنالُكَ نَفْعُهُ ، وَمِنَ الصّداقَةِ ما يَضُرّ ويُؤلِمُ[٥]

ومنها يتخلّص إلى مدح أبي العشائر :

فَلَشَدّ ما جاوَزْتَ قَدْرَكَ صاعِداً وَلَشَدّ ما قَرُبَتْ عَلَيْكَ الأنْجُمُ[٦]

وَأرغْتَ ما لأبي العَشائِرِ خَالِصاً إنّ الثّنَاءَ لِمَنْ يُزارُ فيُنْعِمُ[٧]

وَلِمَنْ أقَمْتَ على الهَوانِ ببابِهِ تَدْنُو فَيُوجَأُ أخْدَعاكَ وتُنْهَمُ[٨]

---

(١) طرف عينه إذا أصابها بشيء فدمعت . يقول : أجفانه أبداً تتحرك فلا تستقر . قيل كان ذلك عادة غلبت عليه فيعيره بها وقيل كان داء به لأن عينيه كانتا تدمعان أبداً فلا يفتر من تحريك أجفانه .

(٢) يريد أنه ألكن اللسان فإذا حدث شنج وجهه وأشار بيده لأنه لا يقدر على البيان فشبه حديثه بضحك القرد وجعل إشارته في حديثه كلطم العجوز إذا ولولت .

(٣) والمعنى تراه أحقر ما يكون إذا نطق لأنه ألكن أو لأنه ينطق بغير معقول وهو أكذب ما يكون إذا حلف أي حين يكون الصدق عليه أوجب .

(٤) الأرقم هو ضرب من الحيات فيه سواد وبياض . أي أن الذل يحمل صاحبه على إظهار المودة لمن يبغضه لأنه يعجز عن مجاهرته بالعدواة على أن الحية مع ما هو معروف فيها من الخبث والتعرض لعداوة من لا يؤذيها أدنى إلى مودة من يظهر الذليل مودته .

(٥) أراد بالنفع هنا ما هو أعم منه يعني انتفاء الضرر والبيت مبنى على الذي قبله أي أن عداوة الذليل الذي يطوي كشحه على البغض تظهر ما أضمر من الخبث فتنفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته ويحذر جانبه وبعكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل به إلى أذاه لأنه يساتره العداوة ويتربص به نهزة للغدر .

(٦) شد بمعنى ما أشد واللام قبلها للتوكيد . يقول : ما أشد ما تجاوزت قدرك في طلبك المديح منى وما أشد ما قربت الأنجم عندك فطمعت في نيلها وأراد بالأنجم أبيات شعره .

(٧) أراغ الشيء طلبه . وأبو العشائر الحسن بن حمدان وقد مر ذكره . وكان أبو الطيب مسافراً في قصده فعرض له هذا الرجل في طريقه إليه . يقول : طلبت المدح الذي هو حق أبي العشائر خالصاً له أي من غير منازع فيه لأن الثناء يحق لمن يزار فينعم على زواره .

(٨) تدنو تقرب . ويوجأ يلطم . والأخدعان عرقان في العنق . والنهم الزجر الشديد . أي وإن الثناء لمن تزلفت إليه فأقمت ببابه ذليلاً يضرب أخدعاك أي تصفع هزؤاً واستخفافاً ثم تزجر مطروداً من الحضرة .

وَلِمَنْ يُهِينُ المَالَ وَهْوَ مُكَرَّم   وَلِمَنْ يَجُرّ الجَيْشَ وَهْوَ عَرَمْرَمُ(١)

وَلِمَنْ إذا التَقَتِ الكُمَاةُ بِمَأزِقٍ   فَنَصِيبُهُ مِنْها الْكَمِيُّ المُعْلِمُ(٢)

وَلَرُبَّمَا أطَرَ القَنَاةَ بِفَارِسٍ   وَثَنَى فَقَوّمَهَا بِآخَرَ مِنْهُمُ(٣)

وَالوَجْهُ أزْهَرُ وَالفُؤادُ مُشَيَّعٌ   وَالرّمْحُ أسْمَرُ والحُسامُ مُصَمِّمُ(٤)

أفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الكِرامُ كَرِيمَةٌ   وَفَعَالُ مَن تَلِدُ الأعاجِمُ أعجَمُ(٥)

★ ★ ★

.. ومن القصائد التي كثر فيها ما يخدش الحياء من المعاني والألفاظ ، قصيدته التي هجا فيها ضبة بن يزيد العتبي .. وهو الذي سيأتي الحديث عنه .. عند خاتمة المتنبي لما سيكون لهذه القصيدة من أثر .. إذ يقول في مطلعها .

مَا أنْصَفَ القَــوْمُ ضَبّــةْ   وَأُمَّـــــهُ الطُّرْطُبّـــــةْ(٦)

ومنهــا :

وإنّمَـــا قُلْتُ مَا قُلْـــ   ـتُ رَحْمَـــةً لا مَحَبّـــةْ(٧)

---

(١) العرمرم الكثير . أي ولمن يهين المال ببذله على القصاد حالة كون المال مكرماً أي نفيساً وهو ملك يجر الجيش الكثير .

(٢) الكماة جمع كمى وهو البطل عليه السلاح . والمأزق المضيق والمعلم الذي جعل لنفسه علامة في الحرب .

(٣) أطر لوى . والقناة عود الرمح . أي ربما طعن فارساً فاعوج الرمح فيه ثم طعن آخر فقومه . يشير إلى شدة طعنه وتواتره .

(٤) الأزهر الأبيض المشرق . والمشيع الجريء . والحسام السيف القاطع . والمصمم الذي يطبق المفاصل .

(٥) الفعال هنا مصدر . والأعاجم كل من ليس عربياً من أي جيل كان . يقول : فعل المرء يشبه أصله فمن كرمت أنسابه كرمت أفعاله ومن كان لئيم النسب ففعله أيضاً لئيم . والعرب تصف الأعاجم باللؤم ولذلك جعل الأعاجم في مقابلة الكرام وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان رومياً .

(٦) ضبة هو ابن يزيد العتبي ويروى العيني بالياء المثناة بعدها نون وكان فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب . وكان من قصة هذا الرجل أن قوماً من أهل العراق قتلوا أباه يزيد وسبوا امرأته أم ضبة وكان ضبة غداراً بكل من نزل به واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشراف الكوفة فامتنع منهم وأقبل يجاهر بشتمهم فأرادوا أن يجيبوه بمثل ألفاظه القبيحة وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . يشير في هذا البيت إلى قصته المذكورة ، والطرطبة المسترخية الثديين .

(٧) أي إنما قلت ما أنصفوك رحمة بك لما أصابك من الذل والعار لا محبة لك وغيرة عليك ، يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالشماتة .

وحِيلَـــــةً لَكَ حَتّـــــى عُذِرْتَ لَوْ كنتَ تَأَبَـــــهْ[١]
وَمَـــا عَلَـيْكَ مِنَ القَتْـــلِ إنّمَــا هيَ ضَرْبَــهْ
وَمَـــا عَلَـيْكَ منَ الغَــدْرِ إنّمَـــا هيَ سُبّــــهْ[٢]
يا قاتِـــلاً كُلَّ ضَيْـــفٍ غَنَـــاهُ ضَيْـــحٌ وَعُلْبَـــهْ[٣]
وَخَـــوْفَ كُلِّ رَفيـــقٍ أبَـــاتَكَ اللّيْــلُ جَنْبَــهْ[٤]
كَذا خُلِقتَ وَمَن ذا الّـــذي يُغَـــالِبُ رَبّــــهْ[٥]
وَمَـــنْ يُبَــــالي بِذَمٍّ إذا تَعَـــوّدَ كَسْبَـــهْ
فَسَلْ فُؤادَكَ يا ضَـبُّ أيـنَ خَلّـفَ عُجْبَــهْ[٦]
وَإنْ يَخُـــنْكَ فعَمْـــري لَطالَمَـــا خانَ صَحْبَـــهْ[٧]
وَكَيْـــفَ تَرْغَبُ فيـــهِ وَقَـــدْ تَبَيّـــنْتَ رُعْبَــهْ[٨]

---

(١) لو هنا حرف تمن . وتأبه تفطن . ويروى تيبه ، بكسر التاء ، أي وقلت ذلك حيلة لك حتى يعذرك الناس فيما أصابك إذا سمعوا مقالي وعلموا أنك مظلوم .

(٢) ما في البيتين استفهام إنكار . والسبة العار يسب به . يقول : ماذا عليك من قتلهم لأبيك وغدرهم به فإنما القتل ضربة تقع بالمقتول فيموت منها والغدر سبة يتناقلها الناس وما على المسبوب شيء . أي أنت تقتل وتغدر وليس في القتل والغدر عندك إلا ما ذكر فلا يشتد موقعهما عليك .

(٣) غناه ، بالفتح ، أي كفايته ، وأصله المد فقصره . والضيح اللبن الممزوج بالماء . والعلبة قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يريد أنه لبخله إذا نزل به ضيف يقتله ليتخلص من القرى ولو كان ضيفه فقيراً يكتفي بقليل من هذا اللبن في علبة . كذا قال ابن فورجة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من نزل به ولو كان صعلوكاً لا مال معه يطمع فيه .

(٤) البيت في معنى الذي سبقه أي إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نام .

(٥) يريد أنه خلق مطبوعاً على الغدر والدناءة فهو لا يزال على ما خلق لا يقدر الناس على تغييره فالطبع يغلب التطبع .

(٦) ضب ترخيم ضبة . وخلف الشيء تركه خلفه . والعجب الكبر . يقول له : سل فؤادك أين ترك ما كان فيه من الكبر والتيه أي حين اختبأ منهم وامتنع بالحصن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .

(٧) عمري قسم . والصحب جماعة الأصحاب . يقول : إن خانك فؤادك أي خذلك ولم يطاوعك على الإقدام علينا خوفاً ورهباً فلست بأول صاحب خانه لانه تعود خيانة الأصحاب .

(٨) يقول : كيف ترغب في فؤادك بعد هذا وقد تبينت ما هو عليه من الخوف عند الشدة أي هو لا ينفعك فلا خير لك في صحبته .

مَا كُنْتَ إلاّ ذُبابـــــاً نَفَـتْكَ عَنّــا مِذَبّــةْ[1]
وَإنْ بَعُدْنَــا قَلِيــلاً حَمَـلْتَ رُمْحـاً وَحَرْبَــةْ[2]
وَقُــلْتَ لَيْتَ بكَفّــي عِنَــانَ جَرْداءَ شَطْبَــةْ[3]
إنْ أَوْحَشَتْكَ المَعَــالي فإنّهَــا دارُ غُرْبَــةْ
أَوْ آنَسَتْكَ المَخَــازِي فإنّهَــا لَكَ نِسْبَــةْ[4]
وَإنْ عَــرَفْتَ مُــرادي تكَشّفَتْ عَنكَ كُرْبَــةْ
وَإنْ جَهِــلْتَ مُرادي فإنّــهُ بِكَ أشْبَــهْ[5]

.. ولقد بقى خلاف ما سلف من شعر المتنبي قصائد ومقطعات عثر اليازجي — كما يقول في مقدمته — على بعضها في بعض نسخ الديوان .. وعلى البعض الآخر في تضاعيف كتب الأدب .. من ذلك أبيات كتبها إلى والي حمص وكان قد قُبض عليه وأودع السجن وطال مكثه فيه .. وفي خاتمة تلك الأبيات يقول :

إنْ أكُنْ قَبْلَ أنْ رَأيْتُكَ أخطَأ تُ فإنّي عَلى يَدَيْكَ أتُوبُ[6]
عَائِبٌ عَابَنـي لَدَيْكَ ومنــهُ خُلِقَتْ في ذَوي العُيوبِ عُيوبُ

---

(١) المذبة ما يطرد به الذباب . يريد أنه انهزم منهم بمجرد الخوف فشبهه لجبنه بالذباب وشبه ما غشيه من خوفهم بالمذبة التي يهول بها على الذباب فيهرب .
(٢) أي إذا بعدنا عنك فأمنت عدت إلى عجبك فحملت السلاح وهذا مثل قوله :
وإذا ما خلا الجبــــان بأرض طلب الحرب وحـــده والنـــزالا
(٣) العنان سير اللجام . والجرداء من الخيل القصيرة الشعر . والشطبة الطويلة .
(٤) المخازي جمع مخزية وهي الفعلة القبيحة يذل صاحبها . أي إذا استوحشت من المعالي فلا عجب لأنك غريب عنها وكذلك شأن الغريب وعلى عكسها المخازي فإنك تستأنس بها لما بينك وبينها من النسب . كما يقال هو قرابتي وكلاهما من استعمال المولدين .
(٥) ويروى لك أشبه . يقول : إن عرفت مرادي زال عنك ما تجده من الكرب بجهلك ما أقول وإن جهلت مرادي فالجهل أشبه بك وأليق بحالك لأنك لست ممن يفهمون .
(٦) يقول : لاعيب فيّ أحبس لأجله ولكن العائب الذي عابني عندك هو خلق فيّ ما ذكره لك من العيوب افتراء . ويمكن أن يكون المعنى أنه مصدر كل عيب حتى إن عيوب أصحاب العيوب مستمدة منه .

وروى له الواحديّ هذا البيت في صباه :

إذا لم تَجِدْ مَا يَبْتُرُ الفَقْرَ قاعِداً فقُمْ واطلُبِ الشيءَ الذي يَبتُرُ العُمرَا[١]

وشفعه العكبريّ ببيتٍ آخر وهو قوله :

هُما خَلّتانِ ثَرْوَةٌ أوْ مَنِيّةٌ لَعَلّكَ أن تُبقي بواحدةٍ ذِكْرَا[٢]

* * *

وعُوتِب على تركِه مديح آل البيت ، فقال :

وَتَركْتُ مَدْحي للوصيّ تَعَمّداً إذ كانَ نُوراً مُسْتَطيلاً شَامِلاَ[٣]

وإذا استَطالَ الشيءُ قَامَ بنَفْسِهِ وَصِفاتُ ضَوْءِ الشَمسِ تَذْهَبُ باطِلاَ[٤]

* * *

قال في الصبح المنبي : ورأيت له قصيدة ليست في ديوانه يرثي بها أبا بكر ابن طغج الإخشيدي يقول في أوّلها :

هُوَ الزّمَانُ مُشِتٌّ بالّذي جَمَعَا في كل يَوْمٍ تَرى مِنْ صَرْفِهِ بِدَعَا[٥]

إنْ شِئْتَ مُتْ أسَفاً أوْ فَابْقَ مضْطرِباً قَدْ حَلّ ما كُنتَ تَخشاهُ وَقد وَقَعَا

لَوْ كانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مِنْعَتُهُ لم يَصْنَعِ الدّهرُ بالإخْشيدِ ما صَنَعَا[٦]

---

(١) يبتر يقطع . أراد بما يبتر الفقر الثروة والغنى . يخاطب نفسه يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعي فقم واطلب ما يقطع العمر أي الحرب وكما تقول العامة : ياموت احمر ياذهب احمر .

(٢) هما ضمير الخلتين فسره بهما . والخلة الخصلة . والثروة المال الكثير والمنية الموت . يقول إذا فعلت ذلك فأنت بين أمرين إما الغنى والجاه أو القتل بعد البلاء فلعل أحد هذين ينفعك في إحياء الذكر .

(٣) المراد بالوصي وصى الخلافة وهو الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند فرقة من الشيعة . يقول : إنما تركت مدحه لأن معنى المدح التنويه بفضائل الممدوح وهو غني عن ذلك لأن فضائله ظاهرة لا تحتاج إلى من ينوه بذكرها .

(٤) ويروى وكذا صفات الشمس .

(٥) الإشتات التفريق . وصرف الزمان حدثانه . والبدع جمع بدعة وهي الأمر لم يسبق إليه .

(٦) تغنيه أي تنفعه . والمنعة ، بالكسر ، الاسم من الامتناع كالحسبة من الاحتساب . والإخشيد لقب أبي بكر محمد بن طغج لقبه به الخليفة الراضي .

وقال يعاتب صديقاً له قد هضمه حقه :

أفاعِلٌ بي فِعَالَ المُوكِسِ الزاري ... وَنَحْنُ نُسألُ فيما كانَ مِنْ عارِ[1]

قُلْ لِي بحُرْمَةِ مَنْ ضَيّعْتَ حُرْمَتَهُ ... أكانَ قَدْرَكَ ذا أمْ كانَ مِقداري[2]

لاعِشْتُ إنْ رَضِيَتْ نَفْسِي وَلا ركبتْ ... رِجْلٌ سَعَيْتُ بها في مِثْلِ دِينارِ[3]

وَلِيُّكَ اللهُ لِمْ صَيّرْتَني مَثَلاً ... كالمُسْتَجيرِ مِنَ الرّمْضاءِ بالنّارِ[4]

ومما يروى له أيضاً هذان البيتان اللذان يدلان أنهما موجهان للصديق إياه :

أبِعَينِ مُفْتَقِرٍ إلَيكَ نَظَرْتَني ... فأهَنْتَني وَقَذَفْتَني مِن حالِقِ[5]

لَسْتَ المَلُومَ . أنَا المَلُومُ لأنّني ... أنزَلْتُ آمَالي بغَيرِ الخالِقِ

★ ★ ★

---

(١) الموكس كأنه من قولهم وكسه إذا نقصه حقه فكان حقه أن يقول الواكس . والزاري المستخف بغيره لا يعده شيئاً . وهذه القطعة غفل من ذكر الواقعة التي نظمت لأجلها . يقول : أتفعل بي فعل من أنكر حقي فنقصه واستخف بي فلم يحفل بمسيري إليه وتكلفي مديحه . وقوله ونحن نسأل أي وأكون بعد ذلك أنا المسؤول فيما جنى صنيعك من العار باحتمال شماتة الحساد وتقريع النصاح .

(٢) يريد بمن ضيع حرمته نفسه يستحلفه بتلك الحرمة إذكاراً له بها وتوبيخاً على تضييعها . يقول : هذا الذي أتيته في حقي على قدر نفسك فعلته أم على قدري أي إن كنت قد فعلته على قدر نفسك فقد بخست نفسك حقها لأني كنت أقدر فيك ما هو فوق هذا وإن كنت قد فعلته على قدري فقد بخستني حقي لأني فوق ما عاملتني به .

(٣) لا عشت دعاء . وقوله في مثل دينار أقرب ما يؤخذ منه أنه حين قصده وامتدحه من قبل أجازه بدينار واحد فمعنى مثل هنا ما يساوى الشيء أي في قدر دينار . يقول : إن رضيت بهذه الجائزة الدنيئة التي إنما يسعى لمثلها من يطلب الكفاف من العيش فلا عشت ولا ركبت رجلي للسعي في تحصيل عطية مقدارها دينار .

(٤) الولي النصير كأنه يقول كان الله نصيراً لك في مقابل خذلانك إياي وهو كلام من يقابل الإساءة بالإحسان . ولم أي لماذا . والرمضاء الأرض الحارة والعبارة مثل يضرب فيمن يلتجيء من الضار إلى ما هو أضر منه . يريد أنه بما صادف عنده من الخذلان وخيبة الأمل قد صار مضرب مثل للناس كما يضربون المثل بالمستجير من الرمضاء بالنار .

(٥) قوله مفتقر إليك كذا يروى ولعل الرواية الصحيحة مفتقر إليه بضمير الغائب أي بعين رجل مفتقر إليه . والحالق كل مكان شاهق .. يريد شدة ما جبهه من خيبة آماله فيه على ما أومأ إليه في البيت الثاني حتى كأنه قد قذفه من موضع عال .

قال في الصبح المنبي : وقد وجدتُ له قصيدتين في هجاء كافور ومدح سيف الدولة نقلتهما من خطّ أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبيّ النّيسابوريّ ، ذكر أنّهما وُجِدتا في رَحْلِهِ لما قُتل ، وكان قد نظمهما بواسط ، إحداهما تقول :

أفيقاَ خُمارُ الهَمّ بَغّضَنى الخَمرَا ... وسُكري من الأيّام جنّبني السُّكرَا[١]

تَسُرّ خَليلَيّ المُدامَةُ والّذي ... بِقَلْبِيَ يأبَى أن أُسَرّ كَما سُرّا[٢]

لَبستُ صُروفَ الدّهرِ أخشنَ ملبسٍ ... فَعَرّقَني ناباً وَمَزّقَني ظُفْرَا[٣]

وَفي كلّ لحظٍ لي وَمسمَعِ نَغمَةٍ ... يُلاحِظُنى شَزْراً ويُسمِعُني هُجْرَا[٤]

سَدِكْتُ بصَرْفِ الدّهرِ طفلاً ويافعاً ... فأفنَيتُهُ عَزْماً وَلم يُفنِني صَبْرَا[٥]

أُريدُ مِنَ الأيّامِ مالا يُريدُهُ ... سِوايَ وَلا يُجري بخاطِرِهِ فِكْرَا[٦]

وَأسألُها ما أستَحِقّ قَضاءَهُ ... وما أنا مِمّنْ رامَ حَاجَتَهُ قَسْرَا[٧]

---

(١) الخمار بقية السكر . وَبَغَّضَنِي أي بغض إليّ فحذف الحرف ضرورة . يخاطب صاحبيه على عادة العرب يقول : أفيقا من سكركما فإن ما بي من سكر الهم بغض الخمر إليّ لأنه لم يترك في قلبي موضعاً للسرور بها وسكري من الأيام جنبني السكر بالخمر لأني لا أحتمل سكرين .

(٢) المدامة الخمر . وقوله كما سرا الألف ضمير الخليلين .

(٣) يقال لبس فلاناً أي أطال صحبته وهو مستعار من لبس الثوب ويقال عرق العظم إذا أكل ما عليه من اللحم والتشديد للمبالغة . يقول : صحبت حوادث الدهر على خشونتها وإيذائها فأذاقني أشد التبريح والعذاب حتى كأنه قد نهش لحمي ومزق جلدي . واستعار للدهر ناباً وظفراً على تشبيهه بالضواري .

(٤) اللحظ والمسمع مصدران . والنغمة الصوت وهي بفتح الغين وسكنها ضرورة . والشزر النظر بمؤخر العين غضباً . والهجر ، بالضم ، الكلام القبيح . يريد أن الدهر قد أولع بإيذائه حتى لا يرى فيه ولا يسمع إلا ما يكرهه وينفر منه .

(٥) سدك به لزمه . وطفلاً حال . واليافع الشاب . أي فأفناه عزمي ولم يفن صبري . ويروى فأفنيته حزماً .

(٦) يعني ما يريده من الأيام والسيادة والحكم وهو على ما قال فإنه قلما خطر ببال غيره أن يحاول مثل هذا الأمر الخطير على الخلو من عدته وما زال هذا وكد أبي الطيب مذ نشأ وما أحسن ما قال في الرد على نفسه :

والأمر لله رب مجتهد ... ما خاب إلا لأنه جاهد

(٧) قسره على الأمر قهره وأكرهه يقول : أسأل الأيام أمراً استحق أن تقضيه لي يعني ما أشار إليه في البيت السابق أي من كان في مثل فضلي وحزمي وعلو همتي وإقدامي فإنه أهل للحكم إذا ناله ناله باستحقاق ولست ممن يطلب حاجته قهراً حتى يكون بمنزلة الغاصب لما لا حق له فيه .

وَلي هِمّةٌ مِن رَأيِ هِمّتِها النّوَى فتُركِبُني من عزْمِها المَرْكبَ الْوَعْرَا[1]
عَثَرْتُ بسَيري نَحوَ مِصرَ فَلا لَعاً بها وَلَعاً بالسّيرِ عَنْها وَلا عَثْرَا[2]
وفارَقْتُ خيرَ النّاسِ قاصِدَ شرِّهمْ وأكرَمَهُمْ طُرّاً لألأمِهِمْ طُرّا[3]
فعاقَبَني المَخصيُّ بالغَدْرِ جازِياً لأنّ رَحيلي كانَ عَن حَلَبٍ غَدْرَا
وما كنتُ إلاّ فائِلَ الرّأيِ لم أُعَنْ بحَزْمٍ وَلا استَصْحبتُ في وجهتي حِجْرَا[4]
وقد أُرِيَ الخنزِيرُ أنّي مَدَحْتُهُ وَلَوْ عَلِموا قد كان يُهْجَي بما يُطرَى[5]
جَسَرْتُ على دَهياءِ مِصرَ فَفُتُّها ولم يكُنِ الدَّهياءَ إلاّ مَنِ استَجرَا[6]
سأجلُبُها أشباهَ ما حَمَلَتْهُ مِنْ أسِنّتِها جُرْداً مُقَسْطِلَةً غُبْرَا[7]

---

(١) أراد بالهمة الأولى النفس لأنها موطن الهمم وبالثانية العزم على الشيء . ويروى ولي كبد والعرب كثيراً ما تضع الكبد موضع القلب . والنوى البعد . يريد أن نفسه أبداً تنزع إلى الأسفار في طلب المعالي .

(٢) لعاً كلمة تقال للعاثر أي نعشك الله يقال لعاً لك ولا لعاً لفلان . يقول : عثرت بمسيري إليها لحبوط آمالي وإمساكي على الخسف فلا نعشت من عثرتي هذه لأني أتيتها بسوء رأيي ثم فارقتها فلا عثرت بالسير عنها لأني آتي بخروجي منها رشداً .

(٣) يريد فراقه لسيف الدولة وقصده لكافور . ويروى لأنذلهم . واللام متعلقة بفارقت .

(٤) فال رأيه يفيل ضعف . وأعن مجهول من الإعانة أي لم أؤيد بحزم . والوجهة المكان الذي تستقبله وتتجه إليه . والحجر العقل .

(٥) يطري يمدح . يقول : كان الناس يُرونه أني أمدحه يريد أنه لجهله لا يفرق بين المدح والذم ولكن الناس أروه ذلك وأنا إنما كنت أهجوه بهذا المدح لأنه ليس في شيء منه فهو تهكم وسخرية .

(٦) يقال داهية دهياء أي شديدة وهو مبالغة كما يقال ليلة ليلاء فحذف الداهية ونزل الدهياء منزلتها . وفتها جاوزتها . واستجرا من الجرأة وهي الشجاعة والإقدام . يقول : جسرت على اقتحام الداهية بمصر ، بمعنى ما حاق به من خطر الهلكة . ثم نجوت منها وجاوزتها فكنت أنا الداهية لا هي .

(٧) جلبه ساقه من موضع إلى آخر . والأسنة نصول الرماح وأراد أسنة فرسانها فحذف . والجرد من الخيل القصار الشعر . ويروى خزراً أي ضيقة الجفون أو كأنها تنظر في أحد الشقين غضباً . ومقسطلة أي مغبرة بناه من القسطل وهو غبار الحرب . وغبراً أي بلون الغبار . يقول : سأجلب الخيل على مصر كأنها أسنة الفرسان التي عليها في الحدة ومضاء العزم يعلوها الغبار حتى يكسوها لونه .

وأُطْلِعُ بِيضاً كالشّمـــوسِ مُطِلَّـــةً إذا طَلَعتْ بيضاً وإنْ غَرَبَتْ حُمْرَا[1]
فإنْ بَلَغَتْ نَفْسِي المُنى فبِعَزْمِها وَإلاَّ فقد أبلغتُ في حِرْصِها عُذْرَا[2]



(۱) بيضاً أي سيوفاً . ومطلة مشرفة . والمعنى أطلع عليها سيوفاً كأنها الشموس إذا طلعت أي إذا استلت من غمودها كانت بيضاً وإن غربت في النحور والجماجم صارت حمراً من الدم .

(۲) المنى جمع منية وهي ما يتمنى أي إن بلغت ما أتمنى من أخذ مصر وقتل كافور فقد بلغت ذلك بعزم نفسي لا اتفاقاً وإن لم أبلغه وإن لم أبلغه فقد حرصت على أسباب الفوز به ومن حرم بعد الحرص فهو معذور .

الخاتمة

.. أحسب أنني قد أتيت بثمين الجواهر بما اخترته من شعر أبي الطيب المتنبي بين دفتي هذا الكتاب .. ومع ذلك فإن من غير المستبعد .. وربما تكون الحقيقة .. أن ثمة جواهر قد خفيت عليَّ .. كما قد يجوز .. أو هو الحق .. أن يكون فيما انتقيته ما لا تنجلي معانيه للبعض فلا يرى فيه ما رأيت .. بل وربما اتهمني بعض الشانئين والذين في قلوبهم مرض . فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور .. بالإغراق أو الإيغال في الإعجاب بذخائر الدهر التي اكتنزها لنا من عطاء المتنبي . لكثرة ما وقع عليه إختياري من شعره .. أو الإسهاب فيما تخيرته من شروحه . ولذا فإنني لا أملك إلا أن أقول سلفاً : حسبي مما قدمت خدمة ذوي الأفهام الذكية .. والمشاعر المرهفة ممن يتذوقون غرر الشعر . وتطيب لهم مصاحبة المتنبي . والتغني بشعره . واستعارة معانيه الغدقة للتعبير بها عن أحاسيسهم أو الاستشهاد بها في بعض المواقف بما يتناسب ومقتضى الحال .. ولكن ضيق الوقت . وكثرة المشاغل والمشاكل في عصرنا الكدر لا تسمح لهم بقراءة الديوان وما فيه من محتويات وفيرة .. فيجدون في هذا العمل ما يشفي غليلهم ويروي ظمأهم أو يقضي لهم مأرباً .

.. وهذا في تقديري .. وبكل تواضع .. جهد المقل الذي يكفيه صدق النية .. وبذل الوقت والجهد لنتاج يرىٰ فيه نفعاً ولو لقلة من الناس تعرف قدر الجهد وتقدره .

أما عن كثرة المختارات .. وإطالة الشروح فأنا ــ وأعوذ بالله من كلمة أنا ــ لم أكن إلا كعاشق يريد أن يهدى حبيبه ورداً فيجد من شجره ما هو وفير العطاء . فيحاول أن لا يبقى عليه شيىء من الورد إلا قطفه واعتنى بتنسيقه كيما يحلو منظراً ويفوح بعبير الرائحة العطرة .. فيهديه للحبيب وإن كثر فإنه يراه

قليلًا .. ولقد كان الرائع من عطاء المتنبي ثراً فجاء الاختيار ثرياً . وكفى بما أسلفت شاهداً ودليلًا .

وتبقى من هذه السطور التي أختم بها هذا الكتاب روايات مختلفة في خاتمة حياة المتنبي وكيفية وقوعها مما يجده الكلف بذلك في كثير من المظان .. ويكفينى منها موجزها المختصر لما جاء في كتاب « عرف الطيب » ففيه النفع كما أعتقد لمن هو أهل للانتفاع :

.. في مستهل شهر شعبان من عام ٣٥٤ .. ودع المتنبي عضد الدولة وخرج من شيراز عائداً إلى الكوفة .. وخلال تنقله بين القرى والأمصار القائمة على الطريق إعترضه فاتك بن أبي جهل الأسدي في جماعة من رجاله .. وقتله : إذ جاء في « الصبح المنبى » بتصرف واختصار .

.. بضيعة تقرب من دير العاقول لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ٣٥٤ قتل فاتك الأسدي المتنبي وإبنه محسد وغلامه مفلح . وكان من قول فاتك لما قتله : قبحاً لهذه اللحية يا قذاف المحصنات ! وذلك أن فاتكاً هذا هو خال ضبة بن يزيد العتبى الذي هجاه أبو الطيب بقوله :

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه

لأنه لما سمع القصيدة التي هجا المتنبي بها ضبة اشتد غضبه ورجع على ضبة باللوم وقال له : كان يجب أن لا تجعل لشاعر عليك سبيلا ، وهو يضمر السوء على أبي الطيب ولا يتظاهر به . ثم بلغه انصراف أبي الطيب من بلاد فارس وتوجهه إلى العراق وعلم أن اجتيازه بجبل دير العاقول فلم يكن ينزل عن فرسه ومعه جماعة من بني عمه يرون فى المتنبى مثل رأيه فكانوا لا يزالون يتنسمون أخباره من كل صادر ووارد . وقد سأله ذات يوم أبو نصر الجملي ومن أعان من تلك الناحية بقوله : أراك قد أكثرت السؤال عن هذا الرجل فما تريد منه إذا لقيته ؟ فقال ما أريد إلا الجميل وعذله على هجاء ضبة . فقلت هذا لا يليق بأخلاقك . فتضاحك ثم قال يا أبا نصر والله لئن اكتحلت عيني به أو جمعتني وإياه بقعة لأسفكن دمه وأصرم حياته إلا أن يحال بيني وبينه بما لا أستطيع دفعه . فقلت له كف عافاك الله عن هذا وارجع إلى الله فإن الرجل شهير الاسم بعيد الصيت ولا يحسن منك قتله على

شعر قاله وقد هجت الشعراء الزعماء في الجاهلية والخلفاء في الإسلام فما سمعنا بشاعر قتل بهجائه وقد قال الشاعر :

هجوت زهيراً ثم إني مدحته   وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

فقال يفعل الله ما يشاء وانصرف . ويقول أبو نصر وقد سئل عن نهاية المتنبي : وما مضى بعد هذا « ويعني سؤاله لفاتك وإجابته عليه » إلا أيام قليلة حتى وافاني المتنبي ومعه بغال موقرة من الذهب والفضة والطيب والملابس والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والأدوات الكثيرة لأنه كان إذا سافر لا يترك في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه ، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً . قال أبو نصر فتلقيته وأنزلته في داري وسألته عن أخباره وعمن لقي في تلك السفرة فعرفني من ذلك ما سررت به له وأقبل يصف ابن العميد وفضله وكرمه وعلمه وكرم عضد الدولة ورغبته في الأدب وميله إلى الأدباء . فلما أمسينا قلت له يا أبا الطيب علام أنت مجمع ؟ قال على أن أتخذ الليل مركباً فإن السير فيه أخف علي . قلت هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وهو قد قطع بلداً بعيداً وقلت له والرأي أن يكون معك من رجال هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد . فقطب وجهه وقال فما تريد بذلك ؟ قلت أريد أن تستأنس بهم في الطريق . فقال أنا والجراز في عاتقي فما بي حاجة إلى مؤنس غيره . قلت الأمر كما تقول ولكن الرأي في الذي أشرت به عليك . فقال تلويحك ينبيء عن تعريض وتعريضك ينبيء عن تصريح فعرفني جلية الأمر . قلت إن هذا الجاهل فاتكاً الأسدي كان عندي منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته ضبة وقد تكلم بما يوجب الاحتراز والتيقظ ومعه أيضاً جماعة نحو العشرين من بني عمه يقولون مثل قوله . فقال غلامه : الصواب يا مولاي ما أشار به أبو نصر ، خذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك إلى بغداد فإن ذلك أحوط .

فاغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً وقال والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي . قال أبو نصر فقلت : يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلي في حاجة لي يسيرون بمسيرك وهم في خفارتك . فقال والله لا فعلت شيئاً من هذا . ثم قال يا أبا نصر أبنجو الطير

تخوفني ومن عبيد العصا تخاف علي ! والله لو أن مخصرتي هذه ملقاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده ، معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين . فقلت له قل إن شاء الله . فقال هي كلمة مقولة لا تدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً ثم ركب فكان آخر العهد به . ولما صح عندي خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً : ولما قتل رثاه أبو القاسم مظفر بن علي الطبسي بقوله :

لا رعى الله صرف هذا الزمانِ إذ دهانا بمثل ذاك اللسانِ
كان من نفسه الكبيرة في جيـ ـش ومن كبرياه في سلطانِ
ما رأى الناس ثانيَ المتنبي أي ثان يرى لبكر الزمانِ

.. ورثاه أبو الفتح عثمان بن جني وغيره من شعراء عصره بمطولات من القصائد التي تبكى المتنبي . وتأسىٰ لميادين الحرب ومجالس الأدب والفكر والشعر لخسارتها إياه ومفارقته لها ..

ولئن رحل المتنبي عن الحياة الدنيا كما هو شأن كل حي يأتي إلى الدنيا ويذهب مُرغماً . أو كما جاء بنص القرآن الكريم ﴿ **ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة** ﴾ .. فإنه لا يزال شاغل الناس . وأغنية الدهر .

أي نعم .. لئن رحل المتنبى مُغادراً الحياة من بعد ما عاش الحياة بلونيها سروراً مفرطاً . وكبداً مرهقاً . قارعه الزمن من خلالهما بشتى صنوف المكايد . والدسائس والفجاءات . فنالته الخطوب والأرزاء والمحن بشكل متتابع لدرجة تعوده عليها . واقتداره على معايشتها . بدليل قوله :

رماني الدْهرُ بالأرزاءِ حتى فؤادي في غشاءٍ من نِبالِ
فصرتُ إذا أصابتْني سهامٌ تكسّرَتِ النصالُ على النّصالِ

.. فقد بقي إبداعه الشعري خالداً مع الزمن تردده الأجيال . وتتغنى به العصور على مدى ألف عام . وأكثر .. وربما إلى آخر الدهر . في الوقت الذي إندثر فيه مناوؤه كما انطمس نظمهم ولم يبق منه على ألسنة الناس شيء يُذْكَرُ أو يُذَكِّرُ بهم . وهو ما يؤكد عظمة شاعرية المتنبي لأنه عبر فيما أبدعه عن أحاسيس الإنسان .. كل إنسان .. وجسد المشاعر بصدق وحرف نابض وعن تجربة

ومعاناة . بخلاف مناوئيه من الجهلة الدهماء والمعوزين . أو كذابى الزفة الذين يصطنعون الانفعالات .. ويتعاطون الخداع . ويمارسون كاذب المشاعر فيما ينظمون من شعر متكلف الأداء عنكبوتي البناء . فلم يحفظ لهم الزمن . ولا الناس شيئاً . رغم سعي أولئك النَّظَّامين على تحقيق ذلك . وحرصهم على بلوغه . بشتى الأساليب ومختلف الوسائل بما فيها الدنيء . والمتملق . وصدق الله إذ يقول :

﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾

فالشاعر .. أي شاعر .. من مطلع فجر التاريخ .. وحتى يأتي أمر الله ويُنفخ في الصور .. إنما يهمه من كل ما يقول وينشيء من الشعر أن يحفظ له الناس قصيدة .. أو بضعة أبيات أو حتى بيتاً واحداً .. ولقد حفظ الناس كل الناس على مختلف مستوياتهم واختلاف عصورهم الكثير .. والكثير جداً من روائع المتنبي .. يشهد بذلك كثرة إستعاراتهم واستشهاداتهم وفي مختلف المواقف والمناسبات بما أبدع حتى لكأنه أدرك ذلك بحسه الفطن فقال مسبقاً كما قرأنا :

وما الدَّهـرُ إلّا من رواةِ قصائدي   إذا قلـتُ شـعراً اصبـح الدَّهرُ منشدا

.. وسيبقى المتنبي كذلك ما بقي الدهر . شاغل الناس وموضع إعجاب وتقدير الذين يحسنون الفهم . ويحسون نبضات الحرف . ويستحسنون مبتكر المعاني وإن كره شانئوه في القديم . ورغم أنف البقية الباقية من خلفهم حتى بعد ألف عام .. وهم قلة لا يؤبه بهم . وقد عرف المتنبي سفالتهم . وتفاهة قدرهم . ونوازع الحرد في نفوسهم . فقال عنهم ومنذ أكثر من ألف عام .

أنامُ ملْءَ جفـوني عن شـواردها   ويسـهر الخلـق جَـرّاها ويختصم

لوس انجلس بالولايات الأمريكية في — ١٤١٠/٢/٨ هـ — ١٩٨٩/٩/٨ م

الفهـــــرس

طبع بتصريح وزارة الاعلام
برقم ٢٠٢٨/م/ج
بتاريخ ٢٧/٥/١٤١٠ هـ